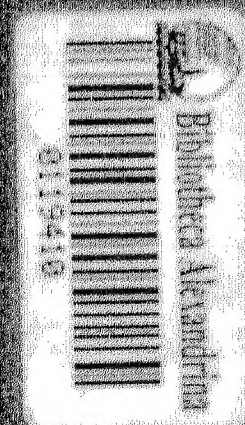


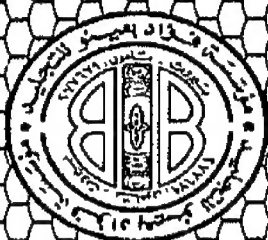
تَحْدِثُ الرِّيَاسَةِ وَتَرْتِبُ السِّيَاسَةَ

للإمام أبي عبد الله محمد بن علي القاسمي
المستوفى سنة ٦٢٠ هـ

تَحْقِيقُ
أبراهيم يوسف شريطي عجمو



مكتبة الميزان
الأبواب - القاهرة





تھذیب الریاسۃ وترتیب السیاسۃ

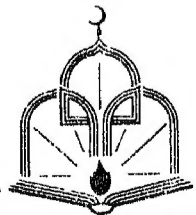
جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٩٨٥ هـ - ١٩٨٥ م

شارع الفاروق - بجانب جمعية المركز الإسلامي

هاتف ٨٣٦٥٩ - ص.ب ٨٤٢ الزرقاء - الأردن



مكتبة المنارة

تَهْذِيبُ الرِّيَاسَةِ وَتَرْتِيبُ السِّيَاسَةِ

لِلْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْقَلْعِيِّ
الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٦٣٠ هـ

تَحْقِيقُ
إِبْرَاهِيمَ يُوسُفَ مُصْطَفَى عَجُورٍ

مَكْتَبَةُ الْمَنَارِ
الْأُرْدُن - الزَّرْقَاءُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

من عظيم فضل الله على المسلمين أن أكمل لهم دينهم وأتم نعمته عليهم وبعث فيهم محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً وقائداً ورسم لهم المنهج القويم في كافة نواحي الحياة سياسياً واقتصادياً، اجتماعياً وفكريها، عسكريها وإداريها، فلم يكن الإسلام يوماً شعائر تعبدية وحسب، بل جمع جمعاً بديعاً لم يسبق إليه بين الروح والمادة، بين العقيدة والقانون، بين العبادة والقيادة.

وتُمثّل الدولة التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم النموذج العملي الفريد في تطبيق منهج الله والالتزام التام الكامل بشرع الله. ومن

تمام النعمة أن يُطبق الإسلام كاملاً بجميع تشريعاته سواءً التعبدية منها والسياسية والاقتصادية في عصر النبوة لتظهر عظمة هذا الدين وعدالته وسهولته تطبيقه على مرّ الأعصار وتوالي الدهور. فإذا كان المسلمون اليوم مطالبين بإعادة عزهم وإحياء مجدهم وبعث تراثهم وَوَصَلَ حاضِرهم بماضيهم فما عليهم إلا أن يعودوا إلى دينهم يستمدون منه الهدى ويستلهمون آيات الرشاد وما هي آيات الله تدعوهم وتوضح لهم الطريق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. (سورة الأنفال: آية ٢٤).

ولقد اعتنى أئمة الإسلام على مرّ العصور في إبراز النواحي التنظيمية والسياسية في الإسلام، بل كانت عنايتهم بها تسير جنباً إلى جنب مع عنايتهم بالعبادات وفقهها يدُلُّنا على ذلك ما تركوه لنا من تراث ضخم في النظم والتشريعات تزخر بالتفرد والأصالة والتقدم الحضاري والعلمي فجزاهم الله أحسن الجزاء.

لكن بعض هذه المؤلفات والكنوز العلمية التي قدم لنا فيها سلفنا الصالح ثمرة جهودهم لا زالت مبعثرة في دور الكتب ومتاحف المخطوطات وما أحوج المسلمين اليوم في صحتهم وتطلُّعهم إلى المجد أن يبعثوا هذه الكنوز ويحيوا ذاك التراث فيعيدوا لهذه الأمة مكانتها القيادية بين الأمم.

ولإيماني التام أن بصلاح الحياة السياسية يكون صلاح هذه الأمة وبعدالة سياستها وبسيرها على هدي ربها تسعد ونأمن وهذا ما حدا بي ودفعني إلى أن يكون الموضوع الذي أتقدم به لنيل درجة الماجستير موضوعاً سياسياً فبحثت في المكتبات الإسلامية فوجدت بغيتي في كتاب «تهذيب

الرياسة وترتيب السياسة» للإمام الجليل أبي عبد الله محمد بن علي القلعي المتوفى سنة ٦٣٠هـ. هذا الكتاب الذي يعالج الحياة السياسية للدولة الإسلامية وقد جعله مؤلفه في قسمين قسم نظري بين فيه أهمية القيادة وعظيم دورها وأنه لا يمكن الاستغناء عنها كما يبين ما يجب أن يتوافر في هذه القيادة على تنوع مسؤولياتها من صفات لا يستغني عنها مسؤول يتبغي رضا الله وعزة أمته، كما بين ما يجب على الأمة تجاه ولي أمرها من طاعة في معروف وموالة ومناصحة.

وقسم تطبيقي، أورد فيه أخبار الخلفاء والملوك ووزرائهم وعمالهم وأمرائهم الدالة على العدل والسؤدد والعفو وقبول النصيح من الناصحين، وهو بذلك يضع الأسس الواضحة النظرية والعملية للحكام لكي يستنبطوا بها فيما يضطلعون به من مهام.

وأضفى المؤلف على مؤلفه طابعاً أخلاقياً ليربط بين علم الأخلاق والسياسة وهو بذلك يدل على أن السياسة لا تنفصل عن الخلق الطيب والعمل النبيل.

فأخترت تحقيق هذا المخطوط مساهمة متواضعة في نشر العلم وإحياء تراث السلف ولعل الله أن ينفع به المسلمين حكماً ومحكّمين، وقد اشتمل هذا البحث على قسمين: دراسي وتحقيقي، أما الدراسي فقد ضمته تمهيداً وبابين.

أما التمهيد فقد تكلمت فيه عن:

١ — الحياة السياسية في اليمن في عصر الإمام القلعي الذي عاصر العهد الأيوبي، وعهد بني رسول وقدمت الكلام على الناحية السياسية لأثرها الواضح في بقية نواحي الحياة.

٢ — عن الحالة العسكرية والإدارية والاقتصادية لعصر المؤلف.

- ٣ - عن الحالة العلمية والفكرية في اليمن خلال تلك الفترة من الزمن .
- ٤ - وتكلمت أيضاً عن علاقة اليمن بالخلافة العباسية لما لهذه العلاقة من أثر في لون الحكم وشرعيته .

أما الباب الأول: فيحتوي على عدة فصول:

الفصل الأول: في ترجمة الإمام القلعي وتحقيق نسبه ومذهبه الفقهي .

الفصل الثاني: عن شيوخ المؤلف وأقرانه ووفاته وتلاميذه وتلاميذه .

الفصل الثالث: في مؤلفات الإمام القلعي التي نسبها العلماء إليه وبيان الموجود منها في المكتبات الإسلامية .

أما الباب الثاني . فهو في كتاب «تهذيب الرياسة وترتيب السياسة» واشتمل على جملة فصول:

الفصل الأول: في نسبة الكتاب إلى مؤلفه وعرض النسخ الموجودة في المكتبات الإسلامية .

الفصل الثاني: في طريقة التحقيق .

الفصل الثالث: في دراسة حول هذا الكتاب ومنهجه وأسلوبه وبيان أهميته في الحياة السياسية الإسلامية .

أما القسم التحقيقي فقد كان اهتمامي موجهاً إلى إخراج النص سليماً من الأخطاء والتحريف والتصحيح سيما وبعض النسخ لا معرفة لهم

بمضمون ما ينسخون وهنا يبرز دور المحقق في بيان المصحف وتدوين الساقط من النسخ.

وتتبع في تحقيقي لهذا المخطوط نسق المؤلف شارحاً ما أجمل وموضحاً ما غمض ومعلقاً على ما هو بحاجة إلى تعليق.

كما وجهت عناية كبرى إلى الآيات الكريمة التي استدل بها الإمام مبنياً وجه دلالتها، وقمت بتخريج الأحاديث وبيان صحة نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرجة صحتها ووجه دلالتها كما شرحت الكلمات التي أحسب أنها بحاجة إلى شرح من معاجم اللغة العربية وترجمت للأعلام الذين أخذ عنهم المؤلف أو أورد ذكرهم وعرفت بالكتب التي نقل عنها الإمام.

ولما كان القسم التطبيقي سرداً لوقائع تاريخية وعرضاً لنماذج عملية يضعها المؤلف بين يدي الحكام والمحكومين، فقد كان جُل اهتمامي موجهاً إلى توثيقها تاريخياً معلقاً على ما هو بحاجة إلى تعليق وتوجيه.

وفي ختام هذه المقدمة أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لفضيلة أستاذي الدكتور/ «محمد جمال الدين عواد» الذي أعطاني من وقته وجهده الكثير وكان لتوجيهاته الكريمة أكبر الأثر في إبراز هذا الأثر العلمي إلى حيز الوجود فجزاه الله كل خير ومتعه بموفور الصحة والسعادة إنه سميع الدعاء محقق الرجاء.. آمين..

القسم الدّراسيّ

التمهيد

الحالة السياسية في عصر الإمام القلعي

قامت دولة بني أيوب في اليمن على أنقاض دولة بني مهدي. فقد بلغ الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر أن باليمن رجلاً يقال له عبد النبي بن مهدي خرج على دولة الخلافة، ويزعم أن دولته ستطبق الأرض وتسير مسير الشمس، فغضب من ذلك وأرسل أخاه توران شاه على رأس جيش جرار فدخل اليمن وتغلب على ابن مهدي سنة ٥٦٩هـ^(١). لعل هذا هو السبب المباشر الذي حدا إلى إرسال الملك المعظم توران شاه إلى اليمن وإلا فقد ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٦٩هـ أن صلاح الدين وأهله في مصر كانوا يخافون السلطان نور الدين محمود ويتوقعون دخوله مصر وإخراجهم منها ولذلك كانوا جادّين في تحصيل مملكة يقصدها إن أخرجهم نور الدين من مصر فأرسل صلاح الدين توران شاه بن أيوب إلى بلاد النوبة فسار إلى أسوان ومنها إلى النوبة فملكها وأقام بها ولكنه وجدّها قليلة الغنى لا يطمع فيها ولا تُرضي طموحهم فتركها وعاد إلى مصر^(٢). فلما عاد إلى مصر فكّر صلاح الدين جدياً في ملك اليمن فاستأذن نور الدين في فتحها وصادف أن متوليها عبد النبي بن مهدي كان قد قطع الخطبة العباسية مما

(١) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٦٩.

(٢) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، م ٩ ص ١١٨ - ١١٩.

أغضب عليه الخليفة وأذن لصلاح الدين في فتحها فسيّر إليها أخاه الملك المعظم توران شاه سنة ٥٦٩هـ فمضى إليها وأسر عبد النبي وزوجته الحرة وحصل على أموال كثيرة وودائع كبيرة كان عبد النبي وزوجته قد جمعوها وملك زييد واستقر الأمر له بها وأعيدت بها الخطبة العباسية وسار منها إلى عدن ففتحها وأسر متوليها وأراد جند شمس الدولة الملك المعظم توران شاه نهبها فمنعهم، وقال ما جئنا لنخرب البلاد وإنما جئنا لنملكها ونعمرها فلم ينهب أحد منها شيئاً.

ولما فرغ من أمر عدن عاد إلى زييد وجعلها عاصمة ملكه واستولى على بقية حصون اليمن وقلاعها مثل قلعة تعز وقلعة التُّعُكْر والجند وغيرها من المعاقل والحصون وأحسن شمس الدولة إلى أهل البلاد واستصفي طاعتهم بالعدل والإحسان^(١).

ويعتبر الفتح الأيوبي لبلاد اليمن حدثاً مهماً في تاريخ العرب فقد وُحِدَ أمراء بيت صلاح الدين بين اليمن ومصر وسوريا وبلاد الجزيرة^(٢). ولم يَطْبُ لتوران شاه المُقام باليمن فاستناب فيها نواباً وقدم على أخيه صلاح الدين في الشام وكان قد تملكها ولم يبقَ خارجاً عن طاعة صلاح الدين من الشام إلا بعض المدن، فجاء إليه وهو محاصر حلب سنة ٥٧١هـ فأضاف إليه صلاح الدين الاسكندرية علاوة على اليمن وبقي نواب اليمن يحملون إليه الأموال حتى توفي سنة ٥٧٦هـ بالاسكندرية وبموته عاد الاضطراب إلى اليمن واختلف نوابها وحاولوا التمرد، ودعا كلٌ منهم لنفسه وضرب سكة باسمه وصار أصحاب كل واحدٍ منهم لا يتعاملون بسكة الآخر^(٣). فخاف

(١) الكامل في التاريخ، م ٩ ص ١٢٣.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ٤ ص ٢١٤.

(٣) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زييد، ص ٧٣.

صلاح الدين تفاقم الأمر فأرسل جماعة من أمرائه^(١)، لحفظ الأمن وإعادة النظام حتى يرسل إليها واحداً من أهل بيته ثم أرسل إليها سيف الإسلام طغتكين بن أيوب في ألف فارس وخمسمائة راجل فمر بمكة ومنها توجه إلى اليمن ودخل زبيد في أوائل سنة ٥٧٩ هـ وملك اليمن كله وعراً وسهلاً ودخل أماكن ما دخلها أحد قبله^(٢). وكان سيف الإسلام كريماً حسن السياسة أشاع العدل وأنصف المظلومين فكان يشتد على الظالم بل ربما عزل الوالي وقتل الظالم كما فعل بوالي سهام فلم يجزؤ أحد على ظلم أحد^(٣). وكان محباً للعلم مشجعاً للعلماء فقيهاً له مقررات ومسموعات عنه أخذ القاضي أحمد بن عليّ العرشاني موطأ مالك وإليه يرجع الفضل في تقرير قواعد الملك باليمن.

وهو أول من قنن القوانين وضرب الضرائب السلطانية وأظهر سلطة الدولة^(٤) وهبتهما إلى جانب حبه للعمارة فقد اختط مدينة سماها المنصورة وابتنى فيها قصرًا كبيراً وحماماً وابتنى للعسكر فيها بيوتاً كثيرة كما بنى المؤخر من جامع زبيد والجناحين الشرقي والغربي والمنارة^(٥). ثم ملك بعده الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب سنة ٥٩٣ هـ وكان اسماعيل قببح المذهب باطني العقيدة يميل إلى المذهب الإسماعيلي حتى راوده الإسماعيليون على أبطال مذهب السنة فأمر أحد قضاة بإسقاط ذكر الشيخين

(١) الكامل في التاريخ، م ٩ ص ١٥٣.

(٢) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٧٤.

(٣) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٣؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٧٥.

(٤) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٠٣؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٧٥.

(٥) وفيات الأعيان، م ٢ ص ٥٢٤؛ تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٠٣؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٧٥.

من الخطبة وكان القضاء إذ ذاك في أهل عرشان فتصدى له الفقيه أحمد بن محمد بن سالم الملقب بالمخفة يوم الجمعة فلما وصل إلى الخطبة الثانية صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فلما أراد الترضي عن الشيخين بما جرت به العادة قال (اعلموا رجمكم الله أن ذكر الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولعن مبغضهما ليس بشرط في صحة الخطبة فقد حصل لي ببركتيهما كذا وكذا من المال وكذا من الطعام فعلى مبغضيهما لعنة الله ولعنة اللاعنين) فثارت نائرة الإسماعيلية فطلبوا من الملك المعز إسماعيل أن يبقى الخطيب على حاله الأولى^(١). وقيل إنه كان في أول أمره محباً للعلم مشجعاً له فبنى المدارس ويعد من أول من بنى المدارس باليمن فقد بنى السيفية نسبة إلى أبيه سيف الإسلام ثم بنى المدرسة المعروفة بالميلين شرقي رحبة الدار الناصري^(٢).

ثم خولط في عقله وأدعى أنه قرشي من بني أمية وخطب لنفسه بالخلافة وتلقب بالهادي فلما سمع عمه الملك العادل ذلك ساءه وكتب إليه يلومه ويوبخه ويدعوه إلى ترك ما ارتكب من قبائح فلم يلتفت إلى ذلك وانضاف ذلك إلى ما كان عليه من قبائح ظلمه للرعية. فوثب عليه جماعة من امرائه فقتلوه سنة ٥٩٨ هـ ولولا بعده أخ صبي اسمه الناصر أيوب.

فقام بأمره الأتابك سنقر وكان هو الذي ربه فقام بالمملكة أحسن قيام وكان محباً للعلم والعمارة ديناً شغوفاً بالخير بنى مدرسة كبيرة بزييد عقد فيها إيوانين وهي الآن تعرف بمدرسة ابن حمان وكانت للحنفية وأوقف عليها أوقافاً كبيرة ثم بنى مدرسة أخرى للشافعية تعرف بالعاصمية نسبة إلى مدرستها الفقيه عمرو بن عاصم^(٣). ولما توفي الأتابكي سنقر جعل الملك الناصر أمر

(١) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٩.

(٢) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٧٦.

(٣) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٧٦ - ٧٧؛ تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ٢٤.

مملكته إلى الأمير غازي بن جبريل وجعله القائم بملكه فزين للسلطان ترك زبيد والرحيل إلى صنعاء، فلما طاعه الملك سمّه سنة ٦١١ هـ. ولكن الأمر لم يتم له فوثب به ممالك الناصر وقتلوه في مدينة إب ثم قامت أم الناصر بالأمر ودبرت شؤون الملك حتى قدم سليمان بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب المعروف بالصوفي ولكنه لما صار سلطاناً غلب عليه اللهو واللعب وغفل مع النساء حتى تضعع الملك^(١). فبلغ الملك العادل أبا بكر بن أيوب صاحب مصر حالة اليمن فجهز إليها ابنه الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل في جيش عظيم وأموال جلييلة وحالة كبيرة وكان عندها في سن البلوغ^(٢)، فكتب له الملك الكامل بكتاب أرسله إلى الأمير شمس الدين علي بن رسول الغساني^(٣)، وإلى سائر الأمراء المصريين باليمن وأمرهم بحسن ضحيته والقيام بما يجب له من الخدمة والنصرة والطاعة فلما وصل الملك المسعود في سنة ٦١٢ هـ تسلم حصن تعز وقبض على سليمان الصوفي بمساعدة الأمير بدر الدين الحسين بن علي بن رسول ونفى سليمان إلى مصر ودانت له اليمن بأسرها يساعده بنو رسول الذين أخلصوا في خدمته فوثق بهم وولاهم أمور دولته لما رأى فيهم من

(١) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٧٨؛ العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٣٠.

(٢) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٣٠.

(٣) يرجع نسب بني رسول إلى الغسانية. فقد كان «رسول» واسمه محمد بن هارون بن أبي الفتح من ذرية جيلة بن الأيهم الغساني الذي أسلم أيام عمر بن الخطاب ثم تنصر ولحق بالروم فلما هلك أسلم ولده وانتقلوا إلى بلاد التركمان وسكنوا هناك مع قبيلة مجك وتكلموا بلغتهم وبعثوا عن العرب وظنهم الناس من التركمان وهم يقيمون على أنسابهم ثم سكنوا العراق وكان محمد بن هارون جليل القدر عند الخليفة العباسي واختصه برسالته إلى الشام وإلى مصر ورفع الحجاب بينه وبينه حتى غلب عليه اسم رسول وجهل اسمه الحقيقي ثم انتقلوا من العراق إلى الشام ثم إلى مصر ثم خرجوا مع الملك المعظم إلى اليمن، العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٢٦ - ٢٧.

حسن الطاعة وشدة البأس. فلما تقررت أحوال اليمن وهدأت سافر الملك المسعود إلى مصر سنة ٦٢٠هـ وترك في اليمن أتابك عسكره نور الدين عمر بن علي بن رسول نائباً نيابة عامة وأخاه بدر الدين الحسن بن علي في صنعاء خاصة، وحلف لهم الجند^(١)، وفي أثناء غياب الملك المسعود عن اليمن عادت إليه القلاقل والحروب فخرج «يزعم الصوفي» في الحقل وبلاد زبيد ودعا لنفسه واجتمع حوله غوغاء الناس فسار إليه نور الدين ومعه راشد بن مظفر بن الهرش فوقع القتال وقتل راشد وتغلب على عسكر نور الدين سنة ٦٢٢هـ ثم ظهر للناس كذبه وفساد مذهبه وهرب فتلاشت أموره^(٢). كما خرج الشريف عز الدين محمد بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة في جموع كثيرة يريد صنعاء فدافع نور الدين وأخوه بدر الدين عنها وأبلوا بلاءً حسناً حتى منحهم الله الظفر والنصر وفي هذا يقول العمادي الشيزي شاعر الملك المسعود.

بسيف الجواد ابن الرسول توطدت قواعد ملك ربه عنه غائب^(٣)

فلما بلغ الملك المسعود وبني أيوب في مصر خبر هذه الأحداث خافوا على اليمن فعاد إليها الملك المسعود سريعاً سنة ٦٢٤هـ^(٤).

وأظهر أبناء رسول في حكمهم لليمن أثناء غيبة الملك المسعود كل شجاعة وإقدام حتى بعد صيبتهم وذاع خبرهم في ابتناء المجدي وحماية الحوزة فأوجس بنو أيوب منهم خيفة على ملك اليمن حتى قال صاحب

(١) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٣٣؛ بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ص ٨٤.

(٢) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٣٤؛ بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ص ٨٥.

(٣) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٣٤ - ٣٦.

(٤) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٣٥ - ٣٩؛ بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ص ٨٥.

العقود اللؤلؤية (واشتد خوف بني أيوب على ملك اليمن من بني رسول ولم يخافوا أحداً من العرب ولا من الغز كخوفهم منهم) وصادف أن مات الملك المعظم صاحب دمشق فأرسل ولده إلى عمه يستدعيه من اليمن ليولي الشام بدل أبيه فقريح الملك المسعود بذلك فرحاً شديداً، وتجهز بجهاز عظيم لم يسبق إليه وسافر وقد ابتدأ به المرض وأتاب عنه في اليمن عمر بن علي بن رسول الغساني وكان يثق به لعقله وكياسته دون إخوته وإن كانوا أكبر منه خوفاً منهم على البلاد. فقد ولاء مكة المشرفة سنة ٦١٧هـ فحسنت سيرته فيها^(١)، وأحسن إلى أهلها غاية الإحسان. ولم تطل نيابته على مكة حتى استنابه الملك المسعود على اليمن سنة ٦٢٠هـ أثناء عودته إلى مصر فكان حسن السيرة محبوباً إلى الناس حافظاً للبلاد قائماً بحق حمايتها قامعاً لأعدائها حتى رجع الملك المسعود إليها سنة ٦٢٤هـ.

فلما عزم المسعود على الرحيل عن اليمن هذه المرة لم يجد أفضل من نور الدين عمر بن علي يولييه اليمن. وكان عمر يخاف من إخوته المعارضة والمناهضة وبنو أيوب يخافون من اجتماعهم في بلد واحد فشكى عمر إلى المسعود خوفه من إخوته فقال أنا أكفيك أمرهم فقبض على أولاد ابن رسول الثلاثة بدر الدين حسن بن علي، وفخر الدين أبا بكر بن علي، وشرف الدين موسى بن علي، وقيل إنه لم يقبض عليهم حتى أمر العسكر بالركوب تحسباً من حدوث شيء لميل أكثر العسكر إليهم فلما تم له ما أراد من اعتقالهم أرسل بهم إلى مصر^(٢). وبذلك تمهدت الطريق لملك نور الدين بجعله نائباً عن المسعود في اليمن كله، بل إن الملك المسعود جعل اليمن له بعد وفاته وقال له (قد جعلتك نايبني في اليمن فإن مت فانت أولى بملك

(١) أخبار مكة، ج ٢ ص ٢١٥ و ٢٧١.

(٢) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٤١؛ بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ص ٨٥.

اليمن من إختوتي لأنك خدمتني وعرفت منك النصيحة والاجتهاد فإن عشت فإنك على حالك وإياك أن تترك أحداً يدخل اليمن من أهلي ولو جاءك الملك الكامل ولدي مطوياً في كتاب^(١). ولما وصل الملك المسعود إلى مكة اشتد به المرض فأقام بها أياماً ثم توفي سنة ٦٢٦ هـ فقام بأمر اليمن بعده نور الدين عمر بن علي بن رسول وأظهر أنه نائب لبني أيوب فلم يغير سكة ولا خطبة ولكنه أضمر الاستقلال بالملك فجعل يولي الحصون من يرتضيه ويثق به ويعزل من يخشى منه خلافاً إلى أن أطاعه الجميع وأصبح الكل في قبضته وقبضة رجاله^(٢). فلما تمهدت له أمور اليمن تطلعت نفسه إلى منازعة بني أيوب ملك الحجاز فأرسل ابن عبدان على رأس جيش كبير إلى مكة سنة ٦٢٩ هـ فهرب منها نائب الملك الكامل صاحب مصر لأن أهل مكة مالوا إلى جيش ابن رسول لما عرفوا فيه من إحسانه إليهم أيام كان أميراً عليهم من قبل الملك المسعود فلما بلغ الملك الكامل صاحب مصر ذلك جهز عسكرياً كثيفاً وقدم عليهم فخر الدين بن شيخ الشيوخ وكتب إلى أمير المدينة وغيره من أمراء الحجاز أن يكونوا مع فخر الدين في محاربة جيش اليمن وإعادة الحجاز إلى حظيرة مصر فتم له الأمر وقتل نائب ابن رسول وحصلت مقتلة عظيمة^(٣). عندها استقل عمر بن علي بن رسول باليمن وتلقب بالملك المنصور وأمر الخطباء أن يخطبوا له في سائر أقطار اليمن وضرب اسمه على السكة وكان ذلك كله سنة ٦٣٠ هـ^(٤).

(١) العقود اللؤلؤة، ج ١ ص ٤١.

(٢) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٧٥ - ١٧٦؛ العقود اللؤلؤة، ج ١ ص ٤٦.

(٣) العقود اللؤلؤة، ج ١ ص ٤٩ - ٥٠؛ تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٧٦.

(٤) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٧٦؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينه زبيد، ث ٨١.

وإذا أردنا أن نعرف صفات الملك المنصور المعاصر للإمام فقد ذكرت لنا كتب التاريخ أنه كان على جانب عظيم من حسن السيرة وصلاح السيرة ومحبة الناس له وانقيادهم لطاعته إلى جانب ما توافر فيه من حزم وعزم وشجاعة يكفي بذلك شاهداً أنه لم يقنع بانتزاع ملك اليمن من بني أيوب واستقلاله به حتى نازعهم ملك الحجاز كما عرفنا سالفاً. وأراد أن يُضفي على ملكه صفة الشرعية فتقرب من المستنصر بالله العباسي، الخليفة ببغداد وأرسل إليه بهدية وطلب منه تشريفه بالنيابة بالسلطنة في قطر اليمن وكان التقليد بالنيابة كما جرت عوائد الملوك فوصلت التشريف سنة ٦٣٢هـ على يد رجل يمني يُسمى معالي فقال يا نور الدين (إن العزيز يُقروك السلام ويقول قد تصدقت عليك باليمن ووليتك إياه وألبسه الخلعة الشريفة الخليفة) وكان ابن رسول حنفي المذهب ثم انتقل إلى مذهب الشافعي لرؤيا رأى فيها المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول له عمر صر إلى مذهب الشافعي^(١) فأصبح ينظر في كتب أصحاب الشافعي ويعتمد عليها ويتقرب من العلماء والأئمة والفقهاء فصحب الفقيه محمد بن مضمون والإمام محمد بن إبراهيم الفشلي الفقيه المحدث بزبيد^(٢) وله مآثر دينية تُشيد بذكره تدل على حبه للعلم وتوقيره للعلماء فقد ابتنى مدرستين بتعز تعرف لإحدهما بالوزيرية نسبة إلى مدرستها الوزيري والأخرى الغرابية نسبة إلى مؤذنها الصالح الشيخ غراب وابتنى بعدن مدرسة ذات شقين واحد للشافعية والآخر للحنفية وابتنى بزبيد مدرسة للشافعية ومدرسة للحنفية ومدرسة للحديث النبوي الشريف ورتب في كل مدرسة مدرساً ومعيداً وإماماً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون

(١) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٧٦؛ العقود اللؤلؤة، ج ١ ص ٥٤ - ٥٥.
(٢) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٧٨ - ١٧٩؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد ص ٨٢.

القرآن ووقف على مدارسه أوقافاً تقوم بكفاية الجميع وابتنى في كل قرية مسجداً إلى جانب الحصون الكثيرة التي ابتناها وأنفق عليها الكثير كما أمر بعمارة البرك وهو جبل متصل بالبحر فيما بين مكة والمدينة ورتب فيه العساكر لمحاربة بني أيوب واستصلح النوري وإليه تنسب وكانت صحراء مهلكة فابتنى فيها مسجداً وجعل فيه إماماً ومؤذناً وشرط لمن يسكن معها مسامحة فيما يزرعه فسكن الناس معها حتى صارت قرية انتفع الناس بها نفعاً عظيماً وكانت وفاته سنة ٦٤٧ هـ ودفن بالمدرسة الأتابكية بذي هزيم^(١).

* * *

(١) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٧٩؛ العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٨٤ - ٨٥؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٨٢.

الحالة العسكرية والإدارية والاقتصادية

لم يزد جندُ اليمنِ في عهدِ بني رسولٍ على ألفي فارسٍ يضافُ إليهم نحواً من هذا العددِ من الجُنْدِ الغرباءِ بل ان عامةَ جندِ اليمنِ من الغرباءِ لرغبة ملوكِ تلكِ الناحيةِ فيهم^(١). أما زِيُّ السلطانِ وعامةُ الجندِ فهي أقبيةٌ إسلاميةٌ ضيقةُ الأكمامِ مزودة على الأيدي وفي أوساطهم مناطقٌ مشدودةٌ وعلى رؤوسهم تخافيفٌ لانسٍ وفي أرجلهم الدلاكساتُ وهي أخفافٌ من الحرير الأطلسي والعتابي^(٢).

وقال المقرُّ الشهابيُّ في كتابه مسالكِ الأبصارِ ونَقَلَ ذلك عنه القلقشنديُّ في صبحِ الأعشى قال: «وفد عليّ بن عمر أحدُ أمراءِ اليمنِ إلى الديارِ المصريةِ لوحشةٍ حصلتُ بينه وبينَ سلطانِه وهوبهذا الزي خلا الدلاكس فإنه قَلَّعه ولبس الخفَّ المعتادَ بالديارِ المصريةِ وكان يحضرُ الموكبَ السلطاني بالديارِ المصريةِ وهو على هذا الزي.

وكان شعارُ سلطنةِ بني رسولٍ عبارةً عن قماشٍ أبيضٍ في وسطه وردةٌ حمراءُ. وذكر المقرُّ الشهابيُّ أنه رأى علماً لسنجقِ يماني في عرفاتٍ وإذا به أبيضٌ به ورداتٌ حمراءُ^(٣).

وكان من أهم موظفي الدولةِ النائبُ والوزيرُ والحاجبُ وكتائبُ السرِّ

(١) مسالكِ الأبصار، ص ٤٧؛ تاريخ الإسلام السياسي، ج ٤ ص ٢١٦؛ صبحِ الأعشى، ج ٥ ص ٣٣ - ٣٤.

(٢) مسالكِ الأبصار، ص ٥٢؛ صبحِ الأعشى، ج ٥ ص ٣٤.

(٣) مسالكِ الأبصار، ص ٥٥؛ صبحِ الأعشى، ج ٥ ص ٣٤.

وكتب الجيـش وديوان المال وبها وظائف الشادي والولاية^(١). والإمرة عندهم قد تطلّق على من ليس بأمير أما الأمرة الحقيقية التي ترفع بها الأعلام فإنها لمن قلّ وربما لا يتعدى الأمراء بها عشرة نفر. وملوك اليمن يتشبهون بملوك مصر في كافة رسوم الملك وفي أغلب مظاهر السلطان حتى في التوقيع على رسائل المتظلمين فانهم يحاكون بها توقيع سلاطين مصر وكان التوقيع عبارة عن «الشاكر لله على نعمائه» ويكتب تحتها اسم الموقع أو لقبه^(٢).

وذكر صاحب مسالك الأبصار أن صاحب اليمن قليل التصدي لإقامة رسوم المواكب والخدمة والاجتماع بولاة الأمور ببابه. فإذا احتاج أحد من أمرائه وجنّده إلى مراجعته في أمر كتب إليه قصة يستأمره فيها فيكتب عليها بخطه ما يراه، وكذلك إذا رفعت إليه قصص المظالم هو الذي يكتب عليها بخطه بما فيه انصاف المظلوم، وكان الترف هو الغالب على ملوك اليمن فأوقاتهم مقصورة على لذاتهم والخلوة مع حظاياهم وخاصيتهم من الندماء والمطربين ولم يكن السلطان يبرز للعامة كثيراً بل لم يكن يعرف له خبر على الحقيقة مع شدة ضبطهم لبلادهم ومن فيها واحترازهم على طرقها براً وبحراً من كل جهة لا يخفى عليهم داخل يدخل إليها ولا خارج يخرج منها وله أرباب وظائف للقيام بأموره وهو في هذا كله ينحو منحى صاحب مصر يترسم خطاه في خاصة أمره وفي تدبير أمور دولته. وصاحب اليمن لا ينزل في أسفاره إلا في قصور مبنية له في منازل معروفة من بلاده^(٣) فحيث أراد النزول وجد بها قصراً ينزل به. وكانت التجارة استيراداً وتصديراً عمدة الاقتصاد وأهم موارد الدولة في عهد بني رسول وبخاصة تجارة البحر فقد كانت صادرات

(١) مسالك الأبصار، ص ٤٩؛ تاريخ الإسلام السياسي ج ٤ ص ١٦؛ صبح الأعشى،

ج ٥ ص ٣٤.

(٢) مسالك الأبصار، ص ٤٨؛ صبح الأعشى، ج ٥ ص ٣٥؛ تاريخ الإسلام السياسي،

ج ٤ ص ٢١٦.

(٣) مسالك الأبصار، ص ٥٦؛ صبح الأعشى، ج ٥ ص ٣٥.

الهند تصل إلى اليمن عن طريق البحر وكان أهم ما تستورد اليمن من الهند السفن والبهارات والبضائع وذكر المقدسي أن اليمن يعد من أشهر بلاد المسلمين بالتجارة لموقعه الجغرافي ، وأن التجارة فيه مفيدة وأهم منتجاته هي العقيق والزعفران والأدم وإنه يصدر إلى عُمان آلات الصيدلة والعطور والحديد والرصاص كما كان للثروة الحيوانية شأن وخاصة في مرباط ونواحيها في عهد المنجويين ولما جاء الحبوشيون وجهوا عنايتهم إلى الزراعة إلى جانب التجارة^(١). ولم يزل ملوك اليمن يعتمدون على عمال وصناع يستقدمونهم من مصر والشام ويجزلون عطاياهم ويحسنون إليهم غاية الإحسان ويمنحونهم ما يعرضهم عن ترك أوطانهم بما يوفر أسباب الرفاهية ورغد العيش ويستخدمونهم بما يناسب كلاً منهم. وصاحب المملكة هناك يتفقد الصناع والعمال والتجار في كل وقت بما يأخذ به قلوبهم ويوطنهم عنده حتى ذكر صاحب الابصار عن ملوك هذه المملكة أنهم لم يزالوا مقصودين من آفاق الأرض وقل أن يبقى مُجيد في صنعة من الصنائع إلا ويصنع لأحدهم شيئاً على اسمه ويقصده به فيقبل عليه ويقبل منه ويحسن نزلته ويسنى جائزته وإذا أراد المقام عنده أقام مكرماً محترماً فما قصدهم قاصداً إلا وحصل له من البر والأيناس وتنوع الكرامة ما ينسبهم عن الأوطان ولشدة تعلقهم بالغريب لا يسمحون بعودته فإذا أراد الارتحال عن دارهم مكنوه من العود كما جاءهم وخرج عنهم على أسوأ حال مسلوباً ما استفاد عندهم من نعمة عقاباً له على مفارقتهم لأبوابهم أما من قدم إليهم القول بأنه أتاها راحلاً لا مقيماً وزائراً لا مستديماً فإنهم لا يكلفونه المقام ولا يشقون عليه في العود بل يجزلون إفادته ويجملون إعادته^(٢).

(١) صبح الأعشى، ج ٥ ص ٣٦؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٩٧؛ تاريخ

نفر عدن، ج ٢ ص ١٩٥.

(٢) صبح الأعشى، ج ٥ ص ٣٦.

الحالة الفكرية والعلمية

الفقه في اليمن:

انتشر مذهب الإمام مالك ومذهب الإمام أبي حنيفة في اليمن، كل هذا قبل قيام الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بالدعوة لنفسه. فقد تسمى بالهادي وألف كثيراً من الكتب جاوزت الأربعين ووضع أساس المذهب الهدوي الزيدي الذي لا زال له أتباع وأنصار في اليمن إلى اليوم. وكان قد دخل اليمن بدعوة من أهلها بعد أن انتشر فيها مذهب القرامطة على يد علي بن الفضل القرمطي الزنديق أحد دعاة القرامطة الذي ملك اليمن من زبيد إلى صنعاء وطرّد إمام الزيدية منها ولكن أيامه لم تطل فاستمر أبناء الهادي في نصرة مذهب الشيعة حتى انقرضت دولتهم^(١).

وشق المذهب الشافعي طريقه إلى بلاد اليمن من باكورة أيامه عندما ولي الشافعي القضاء بنجران من أرض اليمن وكان له من العمر عندها ثلاثون سنة فوشوا به إلى الرشيد وأنه يروم الخلافة فاستقدمه الرشيد إلى بغداد فدخلها سنة ١٨٤هـ فناظره الرشيد وتبين براءته وناظره محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة بحضرة الرشيد فأحسن محمد بن الحسن القول فيه وأثنى عليه عند الرشيد وأكرمه وكتب الشافعي عنه وقرّ بعير من العلم وعندها أطلق إليه الرشيد ألفي دينار وقيل خمسة آلاف فعاد الإمام بعدها إلى مكة وفيها فرق

(١) تاريخ الإسلام السياسي، ج ٤ ص ٤٥٤؛ تاريخ ابن خلدون، م ٤ ص ١١١؛ تاريخ نجر عدن، ج ٢ ص ١٥٦؛ طبقات فقهاء اليمن، ص ٧٥.

عامة ما حصل له على أهله وذوي قرياه^(١). فيكون الإمام الشافعي، رحمه الله، هو الذي بذّر بذور المذهب في تلك البلاد وكان له بها أصحاب وتلاميذ وأتباع ثم انتشر مذهبه انتشاراً موسعاً وخاصة في زبيد ونواحيها على يد أتباعه كالقاسم بن محمد الجمحي إمام الشافعية في صنعاء وعدن وعنه انتشر هذا المذهب حتى غلب في معظم أصقاع اليمن وممن أخذ الفقه عن القاسم جعفر بن عبد الرحيم المخائلي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ الذي قام بالتدريس والفتيا وأسهم في توسيع قاعدة هذا المذهب^(٢).

وكانت المذاهب تنشط وتخبو ويكثر اتباعها ويقلوا حسب ما تتلقى من دعم من السلطة الحاكمة التي هي في الغالب قائمة على مذهب ديني تنصره وبه تنتصر وتجمع الناس حولها على هذا المذهب فلما غلب علي الصليحي على اليمن نصر مذهب الشيعة الإسماعيلية وكاتب المستنصر الفاطمي واستمر بنو صليح في دعم هذا المذهب حتى انقرضوا^(٣).

فعدت المذاهب السنية إلى النشاط على يد من جاء بعدهم فلقد ذكر صاحب بغية المستفيد أن المذاهب انتعشت على يد أبي محمد سرور الفاتكي أحد وزراء بني نجاح فقد كان معظماً للشرع الحنيف محباً للعلماء والفضلاء مفضلاً إياهم على سائر الناس فكان من عادته أن من أول من يسلم عليه ويستفتح بهم إذا ما قدم الفقهاء الشافعية والحنفية والمالكية وكان حين يراهم يترجل ويسلم عليهم راجلاً ولا يفعل ذلك لغيرهم ويُجري عليهم ما يقوم بكفائتهم ثم غلب على اليمن^(٤)، مذهب الإمام الشافعي على

(١) البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٥٢؛ طبقات فقهاء اليمن، ص ١٣٨.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي، ج ٤ ص ٤٥٤؛ طبقات فقهاء اليمن، ص ٨٧، ٩٤.

(٣) تاريخ ابن خلدون، م ٤ ص ٢١٥؛ تاريخ نجر عدن، ج ٢ ص ١٦١؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٤٦.

(٤) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٦٣.

ما ذكره الإمام السبكي فقال: إن الغالب على أهل اليمن الشافعية فلا يوجد غير شافعي إلا أن يكون بعض الزيدية واستدل على صحة هذا المذهب بما روي عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من قوله: «الإيمان يمان والحكمة يمانية»^(١). فقال مع اقتصار أهل اليمن على مذهب الشافعي دليل واضح على أن الحق في هذا المذهب المطلبي^(٢).

كما وتحدث صاحب طبقات فقهاء اليمن عن المذاهب في بلاده وكيفية دخول المذهب الشافعي إلى بلاد اليمن والكتب التي كانت مرجعاً لهم قبل دخول مصنفات الشافعية في مواضع متفرقة من كتابه فقال: «لحق اليمن في آخر المائة الثالثة وأكثر المائة الرابعة فنتان عظيمتان هما فتنة القرامطة على يد علي بن الفضل القرمطي ص ٧٥ وفتنة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الذي دعا الناس إلى التشيع وكان أهل اليمن صنفين إما مفتون بهم وإما خائف متمسك بنوع من الشريعة إما حنفي وهو الغالب وإما مالكي ص ٧٩ وقال وأكثر ما يتفقه به أهل اليمن في صدر الإسلام، وما بعده إلى وقت ظهور تصانيف الشافعية بفقهاء مكة والمدينة ص ٥٥ وعن أهم الكتب قال إنهم يتفقهون بجامع معمر بن راشد وهو مصنف بصنعاء وجامع سفيان بن عيينة وجامع أبي قرّة موسى بن طارق اللخمي ص ٧٤ ثم انتشر المذهب الشافعي على يد الحافظ موسى بن عمران المعافري وعبدالله بن علي من آل زرقان وغيرهم أخذوا العلم عن فقهاء الشافعية في مكة والمدينة وبغداد ص ٨٠ - ٨١.

وكان أكثر من ساهم في نشر مذهب الشافعي في اليمن القاسم بن محمد القرشي وأصحابه فقد كان الشفعية وكتبها وشيوخها قبل القاسم بن

(١) سنن الترمذي، ج ٥ ص ٣٨٣.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨ ص ٣٢٧.

محمد القرشي وأصحابه غير مشهورة في اليمن ص ٨٠ فهو الذي انتشر عنه مذهب الشافعي في مخلاف الجند وصنعاء وعدن ومنه استفاد فقهاء هذا المذهب في هذه البلاد ثم تحدث عن أهم كتب الشافعية التي كان يتفقه بها أهل اليمن فقال وكان أهل اليمن في المئة الخامسة وما قبلها يتفقهون بكتاب المزني وبأصول الفقه بكتاب الرسالة للشافعي وبمصنفات القاضي أبي الطيب والشيخ أبي حامد وكتب أبي علي الطبري وكتب ابن القطان ومصنف المحاملي وشروح المزني المشهورة وبالفروع لسليم بن أيوب الرازي ص ١١٨ ولما دخل المذهب إلى اليمن في آخر المائة الخامسة كان غاية المجتهدين ونهاية المؤثرين به تفقه المصنفون وعليه اعتمد المفتون ص ١٢٦».

علاقة اليمن بالخلافة العباسية:

كانت اليمن جزءاً من الدولة الإسلامية تتبع في أمرها مقر الخلافة واستمر نواب الخلفاء بها طيلة عهد الراشدين والأمويين والعباسيين إلى زمن المأمون فاضطرَّ أمر اليمن فأرسل إليهم المأمون محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن زياد فأخضعها للدولة الخلافة ووجه للمأمون بهدايا جلية وأموال عظيمة فأقره المأمون بها وأمدّه بالفي فارس^(١). واستمر حال بني زياد على ذلك من ولايتهم للخلافة العباسية واعتبارهم أنفسهم نواباً حتى سنة ٤١٢هـ، حيث غلب على اليمن بنو نجاح بزعامة المملوك نجاح الذي عظم شأنه وضربت السكة باسمه وكتبه بنو العباس وبذل لهم الطاعة فكافؤوه بالاستنابة ولقبوه بالمؤيد وبنصير الدين فوضوا إليه تولية القضاء لمن رآه أهلاً^(٢). وهكذا بقيت اليمن تابعة لجسم الخلافة تأتمر بأمرها وتنصاع لأوامرها وتعتبر

(١) صحيح الأعشى، ج ٥ ص ٣٣.

(٢) ريغ ابن خلدون، م ٥ ص ٢١٤؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زيد، ص ٤٥.

نفسها جزءاً منها حتى سنة ٤٢٩هـ حيث غلب علي بن محمد بن علي الصليحي الذي نزع اليمن عن جسم الخلافة العباسية وتحول هو إلى المذهب الإسماعيلي وعمل على الترويج له في اليمن وكاتب الخليفة المستنصر الفاطمي في مصر وتوثقت العلاقات بينهما وسأله أن يأذن له في إظهار الدعوة الإسماعيلية فأذن له الخليفة ووجه إليه الرايات والألقاب فنشر المذهب الإسماعيلي في كافة أرجاء اليمن وحكم اليمن باعتباره نائباً عن خليفة مصر الفاطمي يحرص كل الحرص على إظهار الولاء والطاعة لهم يدل على ذلك ما كان من رسائل ومكاتبات بين المستنصر وعلي الصليحي^(١). وكان الفاطميون يثقون بنوابهم من بني صليح ويعتمدون عليهم ويمنحونهم من الألقاب جزاء ولائهم وخدماتهم فقد منح المستنصر الفاطمي علي الصليحي (لقب الأمير الأجل مشرف المعالي تاج الدولة سيف الإمام المظفر في الدين نظام المؤمنين) كما لقبه أيضاً (منتخب الدولة وصفوتها ذا المجدين منجب الدولة وغرسها ذا السيفين نجيب الدولة وصنيعتها ذا الفصلين) إلى جانب اطلاع الخليفة الفاطمي لهم على أخبار مصر المهمة طالباً منهم إذا عثرت على اتباعهم ورعيّتهم في اليمن^(٢). ولم تفتقر العلاقة بين مصر واليمن بوفاء الصليحي علي بل استمرت على ما هي عليه في حياة الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي الذي ولّاه الخليفة الفاطمي ملك أبيه وطلب منه رعاية المذهب الإسماعيلي وشؤون الفاطميين في اليمن. وأغدق من الألقاب ما لا طائل تحته فقد لقبه بأمرير الأمراء شرف المعالي عز الملك منتخب الدولة وغرسها ذي السيفين أبي الحسن بن الأجل الأوحدي

(١) تاريخ الإسلام السياسي، ج ٤ ص ٢٠٠ - ٢٠١؛ وفیات الاعیان، م ٣ ص ٤١٢ - ٤١٣.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي، ج ٤ ص ٢٠١.

أمير الأمراء عمدة الخلافة شرف المعالي تاج الدولة الإمام المظفر في الدين نظام المؤمنين. وما أن مات الملك المكرم أحمد بن علي حتى دب النزاع بين الملكة أروى الحرة زوجة المكرم وبين سبأ بن أحمد المظفر الذي تولى الأمر بعد أحمد بن علي فاستعانت بالمستنصر الفاطمي وطلبت منه أن يعتمد ابنها ملكاً على اليمن واعتباره نائباً عنه فأجابها الخليفة الفاطمي وكان يرسل الرسائل باسم ولدها عبدالمستنصر واحتدم النزاع بين سبأ بن أحمد وأروى الحرة مما هدد المذهب الفاطمي في اليمن لولا أن تداركه المستنصر ونصحهم بطرح الخلاف والالتفاف حول المذهب الفاطمي وزوج أروى الحرة من سبأ بن أحمد لتلاف أي خلاف جديد^(١).

وكان العالم الإسلامي آنذاك منقسماً إلى كتلتين الأولى سنة تمثلها الخلافة وما يدور في فلكها والثانية الشيعية الفاطمية في مصر والمغرب واليمن.

ولما لم يدم أمر الصليحيين طويلاً بل عاد الأمر إلى بني نجاح على يد جيش بن نجاح الذي أسرف في قتل الصليحيين واستمر ملكه إلى سنة ٤٩٨ هـ وتولى أولاده، من بعده فاتك ومنصور وفاتك بن منصور حتى سنة ٥٥٣ هـ وفي هذه الفترة عادت اليمن إلى حاضرة الخلافة العباسية وضعف أمر الفاطميين واستتروا ووصف صاحب بغية المستفيد حالة أولاد جيش بن نجاح فقال لم يكن لهم من الأمر سوى النواميس الظاهرة من الخطبة لهم بعد بني العباس والسكة والركوب بالمظلة في أيام الموسم وعقد الآراء في مجالسهم أما الأمر والنهي والتدبير وإقامة الحدود وإجازة الوفود فلعيدهم وهم الوزراء من عبيد فاتك بن جيش^(٢) وعبيد منصور بن فاتك ثم آل أمر اليمن

(١) تاريخ ابن خلدون، م ٤ ص ٢١٥.

(٢) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زيد، ص ٥٦.

بعدهم إلى بني مهدي بزعامة علي بن مهدي فاستمرت علاقتهم بالخلافة العباسية ببغداد واعتبرهم الخليفة نواباً عنه باليمن يخطبون باسمه فلما قطع عبدالنبي الخطبة وخرج على دولة الخلافة وكان كما يقول ابن العماد في شذرات الذهب باطنياً من دعاة المصريين^(١) هلك سنة ٥٦٦هـ قتله شمس الدولة توران شاه وفي هذه الأثناء كانت الدعوة الفاطمية في مصر تضعف وتلاشى على يد صلاح الدين الذي ولاه العاضد آخر خلفاء الفاطميين أمر الوزارة بعد موت أسد الدين شيراكو^(٢)، وخلع عليه ولقبه بالملك الناصر فاستمال صلاح الدين إليه القلوب وبذل الأموال وكان صلاح الدين وجميع الأمراء النورية بمصر يعتبرون أنفسهم نواباً عن نور الدين زنكي وكان نور الدين يكتبهم على هذا الأساس. وفي سنة ٥٦٧هـ أرسل نور الدين محمود إلى صلاح الدين يأمره بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة المستضيئة، فتردد صلاح الدين أول الأمر واعتذر فالح عليه نور الدين فشاوّر صلاح الدين أهله وخاصته فمنهم من وافق ومنهم من تردد ولكنه لا يستطيع مخالفة نور الدين وكان في المجلس أحد علماء العجم يدعى بالأمير العالم فلما رأى ترددهم وتهيبهم قال أنا أبتدىء الخطبة فصعد المنبر يوم الجمعة قبل الخطيب ودعا للمستضيء العباسي وكتب بذلك إلى سائر بلاد مصر ففعلوا وباركوا وبهذا^(٣) تكون قد عادت مصر إلى حظيرة الخلافة العباسية وخلعت الدولة الفاطمية ولما علم الخليفة العباسي بذلك خلع على نور الدين وصلاح الدين إعراباً عن رضاه عليهما واعترف بصلاح الدين كنائب له في مصر وفي تلك الأثناء بلغ صلاح الدين خبر عبدالنبي بن مهدي وما كان من تمرده باليمن وقطعه للخطبة

(١) شذرات الذهب، ج ٤ ص ٢٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون، م ٤ ص ٧٩.

(٣) الكامل في التاريخ، م ٩ ص ١١١؛ تاريخ ابن خلدون، م ٤ ص ٨١ - م ٥ ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

العباسية وادعائه أن دولته ستطبق الأرض، بعث إليه صلاح الدين الملك المعظم توران شاه بن أيوب ففتحها وأسر متوليها. وأراد جنده نهبها فمنعهم ودانت له اليمن وأقام فيها الخطبة العباسية^(١). وكان توران شاه وجميع الأمراء المصرية في اليمن يعتبرون أنفسهم نواباً عن صلاح الدين الذي يخطب للخليفة العباسي ولنورالدين من بعده ويقر للخلافة العباسية بالسمع والطاعة ويعتبر مصر جزءاً من دولته الخلافة واستمر الحال على ذلك في اليمن حتى استقل به بنورسول بزعامة عمر بن علي بن رسول بعد موت الملك المسعود فلم يغير أول الأمر خطبة ولا سكة فلما تمهدت له الأمور استقل سنة ٦٣٠ ونازع بني أيوب ملك الحجاز أيضاً ولم يدم على ذلك طويلاً بل تقرب من الخلافة العباسية ببغداد وكاتب الخليفة المستنصر بالله بن الظاهر العباسي وبعث إليه بالهدايا وطلب منه النيابة بالسلطنة فأقره المستنصر وأرسل إليه بالخلع الشريف على يد رجل يسمى معالي فارتقى رسول الخليفة المنبر وقال يا نورالدين إن العزيز يقرؤك السلام ويقول قد تصدقت عليك باليمن ووليتك إياه وألبسه الخلعة الشريفة الخليفة^(٢) على المنبر وبهذا تكون اليمن قد عادت إلى حاضرة الخلافة ولو على أقل تقدير من الناحية الإسمية.



(١) الكامل، لابن الأثير، ج ٩ ص ١٢٣.

(٢) العقود للؤلؤة، ج ١ ص ٥٥.

البَابُ الْأَوَّلُ

الفصلُ الأولُ ترجمةُ الإمامِ القلعي

اسمُهُ وكنيتهُ:

هو الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عليٍّ بنِ الحسنِ بنِ عليٍّ بنِ أبي عليٍّ
القلعي^(١).

وقد اختلفَ المؤرخون في نسبةِ الإمامِ القلعي وفي ضبط هذه النسبة
تبعاً لاختلافهم في القلعة المنسوب إليها الإمامُ وفي أي بلاد المسلمين هي
فقليل القلعي بفتح القاف وسكون اللام نسبةً إلى قلعة حلب المدينة المعروفة
بالشام^(٢). وذكرت كتبُ البلدان أن في حلب ونواحيها قلاعاً كثيرة أهمها
قلاعُ ثلاث مشهورة.

الأولى: قلعةُ المسلمين^(٣) التي كانت تسمى قديماً قلعة الروم تقع في

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، مصور دار الكتب المصرية، رقم ٩٩٦، تاريخ ج ٢
ص ٢١٠، العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٥١، معجم المؤلفين، ج ١٠ ص ٣١٧،
الأعلام، ج ٧ ص ١٦٩ - ١٧٠، طبقات الشافعية، ج ٢ ص ٣٢٤.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) صبح الأعشى، ج ٤ ص ١١٤.

الغرب الشمالي من حلب على بُعد خمس مراحل منها تُعدُّ من أحصن القلاع وأكثرها شهرةً ويمر بها نهرٌ يعرفُ بمرزبان يصبُّ في الفرات.

والثانية: قلعة أبي قُبَيْس^(١) - بهمة مفتوحة وباءً موحدة مكسورة بعدها ياء ساكنة ثم قاف مضمومة وباءً موحدة مفتوحة وباءً مثناةً تحت ساكنة ثم سينٌ مهملة في الآخر تقع في الغرب من حلب على بُعد ثلاث مراحل منها.

والثالثة: قلعة حارم^(٢) بحاءٍ مهملة مفتوحة وألفٍ ثم راءٍ مهملة مكسورة وميمٌ في الآخر تقع على بعد مرحلتين من حلب وهي ذاتٌ بساتين وأشجارٍ وبها نهرٌ صغيرٌ وبينها وبين انطاكية نحو مرحلة.

وهناك قلاعٌ أخرى أقل أهميةً منتشرة في نواحي حلب. ويرجع السبب في كثرة هذه القلاع أن حلب كانت ثغراً من ثغور الإسلام وأن الجيش الإسلامي كان ينزل أولاً بقنسرين، ثم تحول إلى حلب فعمرها المسلمون وأشادوا وحصنوا كثيراً من قلاعها وأصبحت وخاصةً في عهد بني حمدان غرة بلاد الشام وثاني حواضره بعد دمشق، ولم يذكر المؤرخون الذين ترجموا للإمام القلعي إلى أي القلاع ينسب وكل الذي ذكره الجندي في السلوك والخزرجي في العقود اللؤلؤية ورجحه الزركلي في الأعلام أنها نسبة إلى قلعة حلب^(٣). وقيل إنها نسبة إلى بلد في اليمن يقال لها القلعة بينها وبين زبيد نحو يومٍ وهذا ما ذهب إليه الأسنوي في طبقاته^(٤). ولم يذكر لنا في أي

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) السلوك، ج ٢ ص ٢١٠، العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٥١، الأعلام، ج ٧ ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٤) طبقات الشافعية، للأسنوي، ج ٢ ص ٣٢٤.

ناحية هي من زييد وإلى مثل هذا ذهب ياقوت الحموي في معجم البلدان^(١). فقال: (القلعة موضع باليمن ينسب إليها الفقيه القلعي). وقيل إن النسبة بفتح القاف واللام نسبة إلى بلدة بالمغرب وأورد هذا الاحتمال المخزرجي والجندي ولم يذكره الأسنوي ولا غيره.

وذكر ابن الأثير في اللباب^(٢) أن القلعي بفتح القاف واللام وفي آخرها عين مهملة نسبة إلى بلد يقال لها القلعة ولم يذكر في أي بلاد المسلمين هي والأرجح والله أعلم أنها نسبة إلى قلعة حلب لجملة اعتبارات:

١ — أنه لو كان من قلعة اليمن كما ذكره الأسنوي في طبقاته والحموي في معجم البلدان لما فوجيء به أهل مريباط وكان معروفاً لديهم أو لقاضيتهم وسلطانهم على أقل تقدير ولكنهم ذكروا أنهم بمجرد أن سمعوا بوصول فقيه خرجوا إليه وسأله القاضي عن عدة مسائل ليتبين حقيقة خبره. ولهذا نجد صاحب العقود اللؤلؤية يقول بعد أن نقل قول الأسنوي وهذا غلط والله أعلم.

٢ — أنه لو كان من قلعة اليمن لكان الذهاب متيسراً ولما ألح عليه أهل مريباط وقاضيتها وسلطانها في البقاء عندهم وشرطوا له أن لا يدعوه يحتاج لشيء وهو يقول أريد أن أذهب إلى بلدي ما خرجت على هذا العزم.

٣ — ولو كان من قلعة اليمن لذهبوا إليه أو بعضهم بعد أن عرفوا بلدّه وأنه قريب منهم سيما وهم يشعرون بحاجتهم إلى الفقه والرغبة لديهم أكيدة

(١) معجم البلدان، م ٤ ص ٣٨٩.

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٣ ص ٥١.

نلمسها من إصرارهم على بقائه بينهم والرحلة في طلب العلم معروفة سيما والمكان قريب.

٤ - أنهم يذكرون أنه قديم عليهم من الحج تاجراً وهذا يشعر ببعد موطنه وأنه يريد أن ينقل إلى بلدو سلماً لا توجد فيه مما ينقل إلى اليمن عن طريق البحر من الهند ونواحيها.

٥ - أن تلميذ الإمام القلعي الفقيه ناصر بن عبد الله والذي أخذ عن الإمام كتاب اللفظ المستغرب قال في مقدمة الكتاب وهو يعرف بالإمام القلعي أخبرنا الإمام العالم الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي علي القلعي ثم اليمني.

وهذا يشعر بأنه معروف عند تلاميذه بأن له نسبتين إحداهما إلى القلعة والأخرى إلى اليمن فلو كانت القلعة باليمن لاكتفى بقوله القلعي أو اليمني أو لقال القلعي اليمني ولكنه فصل بين النسبتين «بشم» فقال القلعي ثم اليمني.

٦ - أما أن النسبة إلى بلد بالمغرب فبعيد والله أعلم لأنه شافعي مشهور وأهل المغرب في الأعم الأغلب يتمذهبون بمذهب مالك وقل أن تجد فيهم شافعيًا ولو وجد لاشتهر فلم يبق بعد كل هذا إلا النسبة إلى قلعة حلب.

ولم تذكر لنا كتب التراجم شيئاً عن مولد الإمام القلعي وطفولته وتلقيه العلم كما لا نكاد نجد شيئاً عن أبويه وأسرته وشيوخه الذين تتلمذ عليهم في طفولته وصباه أو الذين أخذ عنهم الفقه والعلم في شبابه وريعان عمره.

وكل الذين ترجموا لأبي عبد الله القلعي رددوا ما ذكره بهاء الدين الجندي في كتابه السلوك في طبقات العلماء والملوك وتكاد تكون كل الترجمات اختصاراً لما أورده الجندي دون زيادة شيء جديد.

ويبدو أن الجندي استقى ترجمته للإمام من أفواه الرواة وفقهاء تلك الناحية وهو يذكر ذلك بأوضح عبارة إذ يقول: (أخبرني شيخ قديم من أهل تلك الناحية وأهل الفقه بها قال سمعتُ قدماء بلادنا يذكرون أن هذا الفقيه قدم عليهم من الحج إلى مِرباط^(١)). وبذلك تكون ترجمة الجندي أقدم ترجمة معروفة للإمام القلعي وهي لم تعرض لشيء من حياة الإمام الشخصية والعلمية قبل قدومه إلى مِرباط^(٢)، ولم يذكر لنا أيضاً تاريخ هذا القدوم ولا في أي سنة كان ولكن يبدو أنه كان قبل سنة ٥٨٥ هـ لأنه يذكر أن الإمام حج من مِرباط وأخذ عنه بمكة. ووجدت في مقدمة كتاب الإمام القلعي (اللفظ المستغرب في ألفاظ المذهب) أنه أخذ عنه بمكة سنة ٥٨٥ هـ والله أعلم هل أخذ عنه قبل قدومه إلى مِرباط أو في حجته التي حجها من مِرباط. وكان سبب قدومه إلى مِرباط على ما ذكروا أنه بعد أن قضى حجه وأدى مناسك فرضه قدم إليها مع رفقة له تجار فدخلوا مرسى مِرباط وأرسوا فيه مركبهم وضربت للفقهاء خيمة على الساحل يستريح من وعناء السفر ودخل الآخرون إلى البندر لبيعوا ويشترى ويتزودوا فبلغ خبر قدوم الإمام القاضي البلد فما أن بلغه الخبر حتى خرج إليه وجماعة من أعيان مِرباط وتجارها واستأذنوا عليه فرحب الإمام القلعي بهم وأنسهم وأنسوا به وسأله القاضي عن جملة مسائل فأجابه الإمام عنها أبين جواب وبعبارة صريحة مرضية فازداد إعجاب القاضي ومن معه بعلمه وفضله وحسن خلقه وورعه وسأله أن يسكن معهم فهم في أمس الحاجة إلى علمه فالفقهاء بتلك الناحية قليل والوارد إليها من العلماء قليل أيضاً وشرطوا له مبالغاً في رغبتهم به ألا يدعوه يحتاج إلى

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٢ ص ٢١٠.

(٢) مِرباط بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء ثم طاء مهملة، مدينة قديمة على الساحل، كان فيها مرسى جيد، كثر ذكره على أفواه التجار، والمخرب لها أحمد بن محمد الحبوضي، معجم البلدان، ج ٥ ص ٩٧.

شيء من أمور معاشه^(١)، فهم يكفلونها على أن يقوم بتعليمهم أمور دينهم وفرائض ربهم. فلم يقبل أول الأمر وعأوده الحنين إلى بلده ومسقط رأسه وظن أن ذلك منهم على سبيل المجاملة، وقال لم أخرج من بلدي على هذه النية. ولكن القاضي ومن معه من أعيان مريباط وتجارها وسرايتها لم يقطعوا الأمل منه، فذهبوا إلى سلطان مريباط وكان يومئذ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأكلح المنجوي من قوم يقال لهم المنجويون من بيت يقال لهم آل بلخ بضم الموحدة واللام وسكون الخاء ونسبهم من مذبح، وكان هذا السلطان أوحده عصره كرمًا وحلمًا وتواضعًا ذكر المؤرخون له من الكرم والحلم والتواضع مآثر تسير بها الركبان ويتناقلها الرواة^(٢) جاؤا فأخبروه خبر الفقيه ووصلوه إلى بلدهم وما كان من أمرهم معه وشكوا إليه شدة حاجتهم إلى علمه وفضله وفقيهه وأنهم في أمس الحاجة إلى مثله وأثبوا عليه لشدة إعجابهم به وطلبوا منا أن يخرج إليه بنفسه ويلزمه لعله يقبل البقاء عندهم فما كان من السلطان إلا أن استجاب لهم وشعر بشعورهم وخف سريعاً في موكبه إلى خيمة الإمام على الساحل ورجاه، ورغبه في الإقامة في بلدهم وألح في ذلك وأكثر على الإمام وشرط على نفسه للإمام القلعي ما أحب ولا يدعه يحتاج إلى شيء من أمور المعاش. وأمام هذا الإلحاح الشديد والرغبة الصادقة الأكيدة في العلم وأهله من سلطان مريباط وأهلها وأعيانها لم يجد الإمام بداً من أن يجيبهم إلى طلبهم وأن ينزل على رغبتهم وأن يضحّي في سبيل دينه فيعيش بعيداً عن مسقط رأسه وبلده حسبته لله وابتغاء للأجر عنده ونشراً للعلم. وهكذا هم العلماء يؤثرون طاعة الله عز وجل على عاجل أمر الدنيا

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٢ ص ٢١٠ - ٢١١.

(٢) انظر: ترجمة السلطان محمد بن أحمد الأكلح في السلوك، ج ٢ ص ٢١٢، تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٩٤.

لإيمانهم أن ما عند الله يبقى وأن أمر الدنيا صائرٌ إلى زوالٍ. فما أن تسامع الناس بأن الإمام قد رَضِيَ البقاء عندهم حتى فرحوا واستبشروا به خيراً وحملوا متاعه على الفور من المركب إلى البلد وأنزل في دارٍ تليقُ به كعلمٍ من أعلامِ الفقه وإمامٍ من أئمةِ الإسلام وأحاطوه بوافرِ الحفاوة والتكريم^(١).

وهناك بدأ الإمام أبو عبد الله نشاطه وأقبل على التدريس ونشر العلم وتسامع الناس به وأطبقت شهرته النواحي فقصده طلاب العلم من كل ناحية وتعلموا على يديه وأخذوا عنه كُتبه في الفقه والفرائض والسياسة وإليه يرجع الفضل في نشر الفقه في تلك البلاد يذكرون له الجميل فيقولون إنه لم ينتشر العلم عن أحدٍ بتلك الناحية كما انتشر عن الإمام القلعي.

وعنه أخذ أعيان فقهاؤها فهم أصحابه أو أصحاب أصحابه. وكان للإمام المنزلة الرفيعة عند عامة سلاطين مرباط وكلهم يقدرون له قدره ويعرفون له فضله ويحيطون بما يجب له من حفاوة وتكريم يدلُّ على ذلك ويؤيده أنه لما أحدث محمد بن أحمد الحبوشي ظفار سنة ٦٢٠ هـ بعد وفاة الأكلح وأمر أهل مرباط أن ينتقلوا إليها وهدم عامة بيوت مرباط إلا بيت الإمام القلعي إجلالاً له واعترافاً بفضله ورعايةً لمنزلته. ولكن الإمام ابنتى بيتاً بظفار وكان يتردد بينها وبين مرباط حتى لا ينسب إلى مخالفة السلطان^(٢) وليقوم بواجب نشر العلم وتبليغه للناس ولتقي بتلاميذه.

وكان عامة أهل مرباط وظفار وحضرموت يقدرون للفقهاء جهادة وتفانيه في نشر العلم فله في قلوبهم المحبة والإكبار حتى أن أهل السعة منهم كانوا يوقفون الأوقاف ويحبسون الأقباس على تلاميذ الإمام ومن يفد إليه حتى أن

(١) انظر: السلوك، ج ٢ ص ٢١٠ - ٢١١، تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٩٥.

(٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٢ ص ٢١١ - ٢١٢.

تاجراً منهم أعدد داراً وجهزها وكان يقوم بكفاية الطلبة الذين يرغبون في العلم ويلازمون الإمام وإن كثروا^(١).

مذهب الإمام القلعي:

تفقه الإمام أبو عبد الله محمد بن علي القلعي على مذهب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي تترجى الرحمة بذكره ويستنزل رضاء الرحمن بدعائه - الإمام الشافعي - الذي أطبقت مذاهب الخلق على أنه مجدد الدين ومحبي الملة وناصر السنة على رأس المائة الثانية للهجرة تطبيقاً لما روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)^(٢).

فقد كان أحمد بن حنبل يقول في هذا الحديث إن عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى والشافعي على رأس المائة الثانية^(٣).

وكان الإمام القلعي، رحمه الله، قد أوتي بالمكيال الأوفى من الفقه والتقوى والعلم وحسن الخلق، فهو صاحب القدم الراسخة في فقه الشافعية ويدل على تبحره في هذا المذهب ما خلف من تراث فقهي شافعي شاد العلماء به، وأخذوه عنه وانتفعوا به وتدل مؤلفاته على أنه رحمه الله كان إماماً جامعاً فقيهاً موسوعياً أكثر من التأليف في فروع الشافعية من مثل مؤلفه قواعد المذهب واحترازات المذهب، ومستغرب الفاظه. ولم يحل تبحر الإمام بمذهب الشافعي دون اطلاعه على مذاهب أخرى فقد كان على إمام حسن

(١) المرجع السابق.

(٢) سنن أبي داود، ج ٤ ص ١٠٩.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى، ج ١ ص ٢٠٠، البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٥٣.

واطلاعٍ واسعٍ ببقية المذاهب يُرشدُ إلى هذا ما ذَكَرَهُ الجنديُّ في السلوكِ في
ترجمة الإمامِ القلعيِّ أنه جمعَ في مصنفه إيضاحَ الغوامضِ في علمِ
الفرائضِ بينَ مذهبِ الشافعي وغيره وأوردَ فيه طَرَفاً منَ الجبرِ والمقابلةِ
والوصاية^(١).

□ □ □

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٢ ص ٢١٠، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة
الرسولية، ج ١ ص ٥١.

الفصل الثاني شيوخ الامام القلعي

لم تذكر كتب التراجم شيئاً عن شيخ الإمام القلعي، الذين تتلمذ على أيديهم وأخذ عنهم الفقه والدين والتاريخ والحساب فإنه كان ضليعاً بكل هذه العلوم متمرساً بها. ولعلّ مرد ذلك إلى أن الإمام تتلمذ على شيخ بلده ثم رحل منها عالماً محققاً وفقهاً مصنفاً فعرفه الناس هكذا ولم يعرفوا شيوخه كما أنه لم يذكر لنا في مؤلفاته التي بين أيدينا أسماء شيوخه الذين أخذ عنهم العلم وإن كنا نقطع بأن هذا العلم والفقه لا بد وأنه قد أخذه بالتلقي ومجالسة كبار علماء زمانه حتى تفتحت قريحته وأصبح من كبار علماء عصره. إذ العادة جارية بهذا في زمانه مانعة من ضيده ويدلنا على ذلك غزارة علمه وسعة اطلاعه على ما كتبت قبله في فروع العلم المختلفة فقهاً وسياسةً، وعزوه كثيراً من مسائل هذا العلم إلى أصحابها أو إلى كتبهم كما هو الحال في مؤلفه تهذيب الرياسة.

أقران الإمام عبدالله القلعي:

اشتهر الامام القلعي في اليمن كفقيه لمرباط ومفتي لها ولنواحيها ولم تذكر كتب التراجم شيئاً عن أقرانه ومعاصريه الذين التقى بهم وأخذ عنهم وأخذوا عنه أو الذين حاوَرهم وناظرهم. وكل ما ذكره عموميات وأنه التقى بعلماء مكة وزيد وأخذوا عنه. وبرجوعنا إلى كتب التراجم التي ترجمت لعلماء اليمن في تلك الفترة وجدنا علماء أجلاء كثر كانوا يعاصرون

الإمام ويجاورونه في نواحي مختلفة فلا بد وأنه اتصل بهم وناظرهم وناظره ورحل إليهم ورحلوا إليه وإن كنا لا نقطع بصلية لواحد بعينه ومن هؤلاء العلماء المعاصرين للإمام على سبيل المثال سالم بن محمد بن سالم المتوفى في نفس السنة التي توفي فيها الإمام وهي سنة ٦٣٠ هـ وكان محدثاً فقيهاً يأتيه الناس من بعد لقراءة العلم على يديه^(١).

ومنهم الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن جديد المعروف عند أهل اليمن بالشريف ابن الجديد، الذي نفاه الملك المسعود بن الكامل إلى الهند فخرج إليها في صحبة الشيخ الصالح مدافع بن أحمد فعصفت الرياح بمركبهم فدخلوا ظفار بلد الإمام القلعي وأقاما بها مدة ثم رحلا عنها وعادا إليها بعد شهرين وفيها توفي الشيخ مدافع بن أحمد^(٢). فلا بد وأنه قد التقى بالإمام القلعي وجالسه وأخذ كل عن صاحبه.

كما أن من العلماء المعاصرين للإمام أبي عبد الله القلعي الفقيه يحيى بن فضل بن أسعد بن حمير فإنه كان من المعاصرين للإمام زماناً ومكاناً والعادة جارية بتزاور العلماء للبحث والدرس والمناقشة^(٣).

وفاة الإمام القلعي:

تُطبق كتب التراجم على أن الإمام القلعي طال به العمر وامتدت به الحياة وأفسح الله له في الأجل (وخير الناس من طال عمره وحسن عمله)^(٤).

(١) العقود للؤلؤة، ج ١ ص ٥٢؛ تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ٨٦.

(٢) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٥٧.

(٣) العقود للؤلؤة في تاريخ الدولة الرسولية، ج ١ ص ٥٠ - ٥١.

(٤) مسند الإمام أحمد، م ٤ ص ١٨٨.

ويذكرون أنه تُوفي سنة ٦٣٠ هـ بعد أن عمّر طويلاً وكانت وفاته بمرباط ودُفن بمقبرتها وقبره هناك مشهور يزار^(١). ويقصده الناس من بُعد ليرحموا عليه ويقرأوا له الفاتحة فجزاه الله عن العلم وأهله أحسن الجزاء وأسبغ عليه نعمته وأدخله فسيح جناته.

تلاميذ الإمام:

على الرغم من أهمية الإمام أبي عبد الله محمد بن علي القلعي في تاريخ الفكر الإسلامي، وما أسهم به من دراسات فقهية وسياسية إلا أن كتب التراجم لم تذكر لنا إلا القليل من تلاميذه وأصحابه رغم أن كل من ترجم للإمام أثنى عليه بكثرة تلاميذه وأصحابه. فلقد ذكر بهاء الدين الجندي في كتابه السلوك في طبقات العلماء والملوك عند ترجمة الإمام القلعي (أن أكثر أصحابه في حضرموت ونواحيها وأن أعيان فقهاؤها أصحابه في حضرموت ونواحيها وأن أعيان فقهاؤها أصحابه وأصحاب أصحابه) وكذلك قال الخزرجي في العقود اللؤلؤية في ترجمة الإمام.

ولعلّ مردّد هذا إلى قلة الدراسات المتعلقة بذلك الصقع من بلاد المسلمين وأنه لم ينل بعد من العناية ما نال غيره من حواضر العالم الإسلامي وأسأل الله أن يهيئ أناساً مخلصين، يبحثون تاريخه وتاريخ رجاله الذين أسهموا في خدمة دينهم وأمتهم، فعندها سنعرف الكثير عن إمامنا وتلاميذه، وقد بدأت بوادر هذه العناية بحمد الله تبدو في الأفق بإنشاء مركز الدراسات اليمانية في صنعاء، وهو يتولى نشر وتحقيق تراث اليمين بما يكشف الكثير عن مساهمات علماء تلك الناحية في خدمة الإسلام والمسلمين ومن هؤلاء التلاميذ الذين ذكروهم لنا:

(١) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٥٢؛ السلوك في طبقات العلماء والملوك مصور، ج ٢ ص ٢١٢؛ الاعلام، ج ٧ ص ١٦٩ - ١٧٠.

الأول: هو الإمام محمد بن أحمد بن يحيى بن صمعٍ أخذ الفقه عن الإمام أبي عبد الله القلعي وكان مشهوداً له بالفقه والفضل مبارك التدريس وهو الذي لزم مجلس الإمام القلعي بعد وفاته^(١). تفقه على يديه جمعٌ كثيرٌ، منهم الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد البستي^(٢) المتوفى سنة ٧١٢هـ.

أما تلميذه الثاني: فهو الفقيه علي بن أحمد بن سالم بن محمد بن علي المكنى بأبي مروان من بيت أبي علوي المشهود له بالفقه والورع والتقوى فلقد ذكر الجندي أن هذا البيت بيت صلاح، وعلم خرج جماعة من العلماء منهم حسن بن محمد بن علي بن أبي علوي كان غاية في الورع والحفظ حفظ الوجيز للغزالي غيباً، وعدد كثير من أهل هذا البيت ممن اشتهروا بالفقه والورع والصلاح، وأسهموا في الحياة الإسلامية في زمنهم. وكان الفقيه علي بن أحمد تلميذ الإمام القلعي صاحب مصنفات عديدة فقيهاً فاضلاً خيراً مبارك التدريس انتشر عنه العلم بحضرموت انتشاراً موسعاً أخذ الفقه عنه جماعة من العلماء منهم أبوزكريا الذي خرج إلى مقدشوه فنشر العلم بها وبنواحيها نشرًا موسعاً^(٣).

أما تلميذه الثالث: فهو الفقيه المفتي ناصربن عبد الله بن عبد الرحمن بن حاتم العطار بمكة. يكنى بأبي الفتح المكي، سمع صحيح البخاري من أبي الحسن علي بن حميد الأطرابلسي، وحدث عنه وعن أبي محمد بن الطباخ وأخذ عن الإمام أبي عبد الله القلعي بمكة وأخذ

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٣ ص ٤٤٨.

(٢) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٤٠٤؛ السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٣ ص ٤٤٨.

(٣) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٣ ص ٤٤٨.

عنه الرشيد العطار صحيح البخاري توفي بمكة في سنة ٦٤٣هـ^(١) وممن تفقه على يديه الإمام أبو نزار ربيعة بن الحسن.

أما تلاميذ تلاميذه: فلم تذكر كتب التراجم منهم سوى النزر اليسير ذكروا من تلاميذ تلاميذه، الإمام الحافظ أبا الخير بن منصور بن أبي الخير الشماخي نسبة إلى شماخ اسم جد له السعدي نسبة إلى سعد العشرة من مدح أصل بلده حضرموت قدم زبيد في شبينه فأقام بها مدة يطلب العلم ثم سافر إلى مكة فأخذ عن جمع من العلماء ثم رجع إلى زبيد وقد تضلع في العلوم فأراد الرجوع إلى بلده فرغبه المظفر في الإقامة باليمن ليتفقد الناس بعلمه وأعلى قدره فاستوطن اليمن وتأهل بزبيد وكان إماماً في الفقه والنحو واللغة والحديث والتفسير.

والفرائض وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن أحمد صاحب أحوار عن يحيى بن أبي نصير الطفاوي عن الإمام القلي لم يكن له في آخر عمره نظير في جودة العلم وضبط الكتب حتى جمعت خزائنه مئة أم سوى المختصرات توفي بزبيد سنة ٦٨٠هـ بعد أن بلغ عمره نحواً من ٩٠ سنة^(٢).

ومن تلاميذ تلاميذه الإمام. ربيعة بن الحسن بن علي بن عبد الله بن يحيى الصنعاني الدماري الفقيه المحدث ولد سنة ٥٢٥هـ وتفقه بظفار على الفقيه محمد بن عبد الله بن حمادة وغيره وقرأ اللفظ المستغرب من ألفاظ كتاب المذهب على الإمام ناصر بن عبد الله سنة ٦٠١هـ ودخل ديار مصر

(١) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج ٧ ص ٣١٦؛ مقدمة كتاب اللفظ المستغرب في

الفاظ كتاب المذهب للإمام القلي مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ب ٢١٨٥٤.

(٢) العقود اللؤلؤة، ج ١ ص ٢١٩؛ تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ٧١-٧٢.

وسمِعَ من السلفي وروى عنه المنذري والإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي وتوفي سنة ٦٠٩ هـ^(١).

كذلك ذكر الجندي من تلاميذ تلاميذ القلعي الإمام أبا زكريا أخذ الفقه على يد علي بن أحمد تلميذ الإمام القلعي فلما تضرع بالفقه خرج إلى مديشوه فنشر العلم بها وذكر الجندي أنه لم يتحقق تاريخ وفاته^(٢).

□ □ □

(١) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٢١٩؛ طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨ ص ١٤٤ - ١٤٥، ص ٢٥٩؛ شذرات الذهب، ج ٥ ص ٣٧؛ النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٢٠٧؛ مقدمة كتاب اللفظ المستغرب في ألفاظ كتاب المذهب للإمام القلعي مخطوط دار الكتب المصرية رقم ب ٢١٨٥٤.

(٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٣ ص ٤٤٨.

الفصل الثالث مؤلفات الإمام

يتبين لنا من خلال دراستنا لحياة الإمام القلعي، أنه كتب الكثير وصنّف العديد من المؤلفات التي أثرى بها الحياة العلمية والمكتبة الإسلامية وأجاد البحث في كل فن، إلا أنه غلب عليه أمر الفقه حتى كانت أغلب مصنفاته وأشهرها فيه. فقد ترك لنا تراثاً فقهياً ضخماً انتفع به المسلمون وتناقلوه وأثنوا عليه وكل من ترجم للإمام عد ما انتهى إليه علمه من مصنفاته وما وصله خبره ثم قال بعد ذلك وكتبه أكثر من ذلك وبعضهم أشار إلى مضان وجودها. فقد قال الجندي في كتابه السلوك في طبقات العلماء والملوك (ومصنفاته أكثر مما ذكرت وهي توجد بظفار وحضرموت ونواحيها) ومثل ذلك قال الخزرجي في العقود اللؤلؤية فقال بعد أن عدّد مصنفاته وله غير ذلك وأكثر ما توجد مصنفاته في ظفار وحضرموت ونواحيها). والكتب التي ذكرها الأئمة له هي:

١ - قواعد المذهب، ذكره الجندي في السلوك في طبقات العلماء والملوك والخزرجي في العقود اللؤلؤية وصاحب معجم المؤلفين وهو مفقود لم أقع له على أثر.

٢ - إحتراز المذهب، ذكره الجندي في ترجمة الإمام القلعي ومعجم المؤلفين، والخزرجي في العقود اللؤلؤية، والسبكي في طبقات

الشافعية الكبرى، وقد أثنى العلماء على هذا المصنف فقال الجندي
وهذا المصنف شهد به أعيان الفقهاء أنه لم يصنف له في الاحتراز نظير
وهو مفقود أيضاً.

٣ - إيضاح الغوامض في علم الفرائض، وهو في مجلدين جمّع فيه بين
مذهب الشافعي وغيره وأورد فيه طرفاً من الجبر والمقابلة والوصايا ذكره
الجندي في السلوك، والخزرجي في العقود اللؤلؤية، وصاحب معجم
المؤلفين، والزركلي في الاعلام، وقال السبكي في طبقات الشافعية
الكبرى عن هذا الكتاب وله مصنف حافل في الفرائض.

وهو مفقود لم نعرف له وجوداً رغم بحثنا في فهارس
المخطوطات.

٤ - كنز الحفاظ في غرائب الألفاظ، أعني ألفاظ المذهب ذكره بهاء الدين
الجندي في السلوك، والخزرجي في العقود اللؤلؤية والزركلي وهو
مفقود أيضاً.

٥ - لطائف الأنوار في الصحابة الأبرار، ذكره الخزرجي في العقود اللؤلؤية
وبهاء الدين الجندي في السلوك وصاحب معجم المؤلفين، والزركلي
في الاعلام وهو لا زال مخطوطاً لا نعرف له وجوداً.

٦ - اللفظ المستغرب من ألفاظ المذهب، ذكره الجندي بقوله في ترجمة
الإمام ومنها - أي مؤلفاته مستغرب ألفاظه وقال السبكي وله كتاب آخر
في مستغرب ألفاظه وفي أسماء رجاله، وهو لا زال مخطوطاً وتوجد منه
نسختان بدار الكتب المصرية الأولى تحت رقم ب ٢١٨٥٤ وهي
مخطوطة قديمة في صفحاتها خروق وآثار رطوبة وتقطع إلا أنها يمكن

قراءتها إذا دقق القارئ فيها. مبدؤه.. بسم الله الرحمن الرحيم. أخبرنا أبو نزار ربيعة بن الحسن بن علي بن عبد الله بن أبي شجاع اليماني الحضرمي بقرأتي عليه في رجب سنة إحدى وستمئة قال أخبرنا الفقيه الزاهد المجاور بمكة حرسها الله تعالى ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن المقرئ بقرأتي عليه في جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين وخمسمئة.

قال أخبرنا الإمام العالم الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي علي القلعي ثم اليماني رحمه الله تعالى قال: الحمد لله على ما منح من العطاء ودفع من البلاء وصلواته على محمد خاتم الأنبياء وعلى آل محمد السادة النجباء أما بعد، فإني قد جمعت في هذا المختصر من الألفاظ اللغوية والأسماء الوضعية الواقعة في كتاب المذهب ما قد يخطئ بأكثره أو يجهل تفسيرها أكثر المتدربين بل أكثر المدرسين وقسمه إلى قسمين:

الأول في الألفاظ اللغوية وهو مرتب على ترتيب أبواب الكتاب والقسم الثاني في الأسماء والكنى.

والنسخة تقع في ٦١ ورقة كل ورقة بها ١٤ سطراً وأما النسخة الثانية فهي منسوخة عن النسخة الخطية التي أشرنا إليها وتحمل رقم ٢١٩٤٢ وكان الفراغ من نسخها في ٨ مارس ١٩٤١م وتقع في ٨٢ صفحة ومسطراتها ٢١ سطراً وما أحوج هذا الكتاب بالدراسة والتحقيق وأن يطبع مع المجموع لعظيم فائدته وكثرة الحاجة إليه.

٧ - كتاب أحكام المختصر، ذكره الجندي في السلوك في طبقات العلماء الملوك وهو مفقود لا أعرف له وجوداً رغم بحثي في المكتبات الإسلامية.

٨ - وله كتابُ أحكامِ القضاةِ، ذكرهُ الخزرجيُّ في العقودِ اللؤلؤيةِ والزركليُّ في الأعلامِ وهو مفقودٌ لا أعرف له مكاناً.

٩ - وله كتابُ تهذيبِ الرياسةِ وترتيبِ السياسةِ، وهو من أشهرِ كتبِ الإمامِ ذكرهُ الجنديُّ في السلوكِ، والزركليُّ في الأعلامِ، والخزرجيُّ في العقودِ اللؤلؤيةِ.



البَابُ الثَّانِي

الفصلُ الأولُ

والكتابُ الذي نحنُ بصددِهِ هو كتابُ تهذيبِ الرياسةِ وترتيبِ السياسةِ للإمامِ القلعيِّ.

فنسبُهُ إليه مقطوعٌ بها بعدُ أن ذكرَهُ الأئمةُ الاعلامُ منسوباً إليه. والكتابُ من مخطوطاتِ دارِ الكتبِ المصرية، ومصوراتِ معهدِ المخطوطاتِ التابعِ للمنظمةِ العربيةِ للتربيةِ والثقافةِ والعلومِ في جامعةِ الدولِ العربيةِ. والذي تمكّنّا من الحصولِ عليه من نسخِ هذا الكتابِ بعدَ البحثِ الشاقِ في المكتباتِ والفهارسِ هو أربعُ نسخٍ ثلاثُ منها في معهدِ المخطوطاتِ والرابعةُ في دارِ الكتبِ المصرية.

الأولى: هي النسخةُ المصورةُ عن نسخةٍ مخطوطةٍ ومحفوطةٍ بمكتبةِ عبدِ القادرِ الأنباري الخاصةِ بزبيدَ باليمنِ الشمالي. وتعتبرُ أقدمَ النسخِ الموجودةِ وهي بقلمِ معتادٍ وكتبتُ سنةَ ٧٧٩هـ. والمخطوطةُ تبدأ باسمِ الكتابِ واسمِ مؤلفِهِ وكتبتُ فيها العناوينُ والفصولُ بخطِ بارزٍ كبيرٍ، وتخلو من نقطِ بعضِ الكلماتِ أو بعضِ الحروفِ في الكلماتِ، وبها أثرُ رطوبةٍ وتقطيعٍ وخاصة في الورقةِ الأولى والأخيرة وهي ٧١ ورقةً ومسطراتُها مختلفةٌ فبعضُها ١٧ سطراً والبعضُ الآخرُ ١٩ وقد يصلُ عددُ المسطراتِ في الورقةِ

إلى ٢٢ سطراً وهي تحمل رقم ٤٩٧ يمن شمالي وقد صُورت من قبل المعهد في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٧٤م. وقد جَعَلْتُهَا الأصلَ لكونها أقدم النسخِ الموجودةِ ولكونها كُتِبَتْ في البلدِ الذي كانَ فيه المؤلفُ. ولاعتبارٍ آخرَ مهمٍ وهو كونُها تحملُ اسمَ الكتابِ واسمَ مؤلفه على الورقةِ الأولى.

وبها بعضُ الزيادةِ من الناسخِ مشاراً إلى ذلكَ منه كقولهِ ومن غيرِ الكتابِ وصلحَ أن يذكُرَ في هذا البابِ وهو قليلٌ وقد جعلتُ هذه الزيادةَ في الهامشِ وحررتُ الكتابَ منها.

والنسخةُ الثانيةُ: وهي في معهدِ المخطوطاتِ مصورةٌ عن نسخةٍ مخطوطةٍ ومحفوطةٍ بمكتبةِ البلديةِ بسوهاجَ، بخطِ محمد بن عبد الرحمن بن أحمد المكي بن ناصر الدين الشهير بابن دجاجة. وكان الفراغُ من نسخها يومَ الثلاثاءِ الثامنِ من شهرِ جمادِ الأولى عامِ ثمانٍ وثمانينَ وتسعمائةٍ ٩٨٨هـ وهي ٧٤ ورقةً وبها أثرُ رطوبةٍ واضحةٍ يصعبُ معها قراءةُ بعضِ الصفحاتِ ومسطراتُها ٢١ سطراً ولا تحملُ اسمَ المؤلفِ وتمَ تصويرُها من قِبَلِ معهدِ إحياءِ المخطوطاتِ في ١٩ أغسطس سنة ١٩٤٨م وهي تحملُ رقمَ ١٧ سياسةٍ واجتماعٍ ورمزتُ لها بنسخةِ ب.

والنسخةُ الثالثةُ: وهي في معهدِ المخطوطاتِ وتمَ تصويرُها بمكتبةِ خدابخش بتنة في ٣١ مارس سنة ١٩٥٢، وهي بخطِ نسخِ عادي واضح. كتبه أحمد بن محمد بن الظافر الغساني وكان الفراغُ من نسخها في ١٢ رمضان سنة ١٠٠١ الأولى بعد الألفِ وعليها ما يُشعرُ أن ناسخها قد قابلها على الأصلِ فقال على هامشِ الورقةِ الأخيرةِ (بلغَ مقابلةً على الأمِ المنسوخِ منها على حسبِ الطاقةِ والامكانِ سلخَ شهرِ رمضانَ المعظمِ قدره سنة الأولى بعد الألفِ والحمدُ لله ربِّ العالمين) ورمزتُ لها بنسخةِ ج وعليها أيضاً

مطالعات ففي الورقة الأخيرة على الهامش السفلي (تمت مطالعته في ٣ صفر ١٢٨٧هـ) وممهورة في ورقتها الأولى برسم الفقير إلى كرم الله تعالى شرف الدين الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين أيدته الله اللهم آمين، وعليها أيضاً عدة أختام مما يشعر بتملكها لدى كثيرين. وهي تحمل اسم الكتاب واسم مؤلفه على ورقتها الأولى. وعدد أوراقها ٨١ ورقة ومسطراتها ٢١ سطراً وهي تحمل رقم ٦٠ سياسة مصنف غير مفهرس.

والنسخة الرابعة: موجودة بدار الكتب المصرية بخط محمد أحمد فتح الله وكان الفراغ من نسخها في ٥ رجب سنة ١٣٥٤هـ على ذمة دار الكتب المصرية بأمر أسعد بيك برادة والشيخ محمد عبدالرسول عن النسخة الموجودة بدار الكتب المصرية المحفوظة بمكتبة تيمور. وبلغ عدد صفحاتها ١٨٦ صفحة ومسطراتها ٢١ سطراً وهي بخط عادي واضح منقوط وتحمل رقم ٩٩٠٧ أدب ورمزت لها بالنسخة د وهي لا تحمل اسم المؤلف.



الفصل الثاني

طريقتي في التحقيق

خطُ الكتابِ واضحٌ بصورةٍ عامة ومقروءٌ باستثناء بعض الجملِ والكلماتِ ويمكنُ معرفتها بالرجوعِ إلى النسخِ الأخرى أو المراجعِ التي استَقَى منها المؤلفُ.

وطريقةُ نسخِ كلِّ نسخةٍ يعتمدُ على الناسخِ وجودة خطِّه وطريقة عصره، ومقدارِ علمه وقوته على الإملاءِ هذا وقد كانَ الناسخُ يوردُ في الأصلِ الذي اعتمدته بعضُ الأعلامِ محذوفةً الألفِ مثل معويةً والحرثِ بن هشام وغيرهم، أما أنا فقد رسمتها بالألفِ كما تكتبُ اليومُ تسهيلاً لقراءتها وإن جاز حذفها عريئةً وبالنسبة إلى الهمة في آخر الكلماتِ فهو يحذفها في أغلبِ الأحوالِ فيكتبُ الحُكْمَا والفُصْحَا وقد كتبتُهما بالهمزة كما تكتبُ اليومُ ومرةً يكتبُ بدلَ الهمزة ياءً مثل مسایل وماية وسُيْل وقد كتبتُها بالهمزة مسائل ومائة وسُيْل وكذلك الألفُ يحذفها من أرقامِ الأعدادِ فثلاثةً يكتبها ثلاثةً وثلاثون وقد رجعتُ بها إلى أصلها فكتبتُها على ما هو معروفٌ ولم يراعِ الناسخُ في الكتابِ بنَ وابنَ فهو يوردها مرةً بنَ ومرةً ابنَ دون مراعاة للقاعدة في ذلك فالتزمتُ فيها إذا كانت بين علمين بنَ وإذا كانت في البداية ابنَ. كما وأنَّ الناسخَ قد يَضَعُ في السطرِ ما يشعرُ بسقوطِ كلامٍ وضعه على الهامشِ المقابلِ فأدخلته في موضعه مراعاةً لنظمِ الكلامِ وسلامةِ المعنى كما وأنه قد يكتبُ كلمةً أو اسماً ثم يشطبُ تلك الكلمةَ أو ذلك الاسمَ ويضعُ فوقه التصحيحَ فالتزمتُ الصحيحَ وعدلتُ عما عدلُ هو عنه وبالتفصيلِ أقولُ:

١ - قمتُ بمقارنة نسخ الكتاب الأربعة مقارنة تكاد تكون دقيقة ودونُت الساقط منها، وصححتُ المصحفَ وأشرتُ إلى ذلك في هوامش الكتاب الكثيرة. وإن كانت الكلمة مغايرة في نسخة وضعتها بين قوسين وأعطيتها رقماً في الصفحة وأثبتت في الهامش اللفظ المقابل لها في النسخ الأخرى. وإن كان هناك نقص في جملة في الأصل الذي اعتمدته بحيث الكلام معه مبتوراً والمعنى غير كامل أكملت الجملة من النسخ الأخرى أو من المرجع الذي أخذت منه وأثبت ذلك وأشرت إليه زيادة من نسخة كذا أو من المرجع كذا على الهامش.

٢ - رجعتُ في كل آية كريمة ذكرها الإمام في مؤلفه إلى كتاب الله الكريم وضبطتها وكتبتها صحيحة كما هي في القرآن الكريم، وإن ورد بها تحريف كلمة لأن القرآن يعلو ولا يعلو عليه، والله الحجة الغالبة، كما وبينت وجه دلالتها إن احتاج الأمر والسياق إلى ذلك، مع وضعها بين قوسين بارزين خشية اختلاطها مع الأخبار والأقوال لتبقى آيات الله مصونة كما نزلت. أما الأحاديث النبوية فقد رجعت فيها إلى كتب السنة وأشرت إلى مظانها ومصادرها ودرجتها صحتها ووجه دلالتها كما ذكرت روايتها الصحيحة إن كان هناك تحريف في النسخ كبير.

٣ - خرجتُ نصوص الكتاب وعلقتُ على ما هو بحاجة إلى تعليق. وكان جلُّ اهتمامي في تخريج النصوص موجهاً إلى مصادر موثوق بها دينياً وتاريخياً وعلمياً ومجمع عليها ومقبولة لدى العلماء. فإذا لم يتيسر ذلك رجعتُ إلى بعض المصادر الحديثة حول ذلك الموضوع استأنس بها.

٤ - تضمنت بعض الأقوال التي أوردتها الإمام في مؤلفه بعض الكلمات الصعبة والغريبة، وقد فسر لنا بعضها وترك البعض الآخر ربما لأن

مدلولها كان واضحاً وقد رجعتُ بها إلى معاجم اللغة العربية كالقاموس المحيط، ومختار الصحاح والمصباح المنير، وبينتُ معناها ومدلولها وأثبت ذلك في الهامش.

٥ - تضمن كتاب تهذيب الرئاسة وترتيب السياسة من أسماء الرواة والخلفاء والشعراء والحكماء والوزراء والكتّاب والنساء الشيء الكثير فقامت بالترجمة التي أحسبها وافية لهم ومعرفة بهم، ذاكراً تاريخ الوفاة لكل واحد منهم إن وجدت حتى يسهل الرجوع إلى الترجمة لمن أراد ذلك فمعظم كتب التراجم وخاصة التاريخية تورّد الترجمة في سنة الوفاة مثل تاريخ الطبري والبداية والنهاية، والنجوم الزاهرة، وشدات الذهب، والكمال، وابن خلدون وإن كان هناك بعض كتب التراجم تورّد الترجمة مرتبة على حروف المعجم ففي تحرير اسمه أي العلم ما يساعد على ذلك، ورجعتُ في تراجم الصحابة إلى كتب الصحابة كالطبقات الكبرى لابن سعد والاستيعاب لابن عبد البر ورجعتُ في الخلفاء إلى كتب التاريخ المعتمدة الموثوقة وفي الوزراء والعمال والكتّاب إلى المصادر التي اعتنت بهذا الفن ككتاب الوزراء والكتاب للجهشاري ورجعتُ في تراجم الأدباء والشعراء إلى كتب الأدب كيتيمة الدهر للثعالبي وفي النساء إلى كتاب أعلام النساء لعمر رضا كحالة ومن لم أعتز على ترجمة رغم البحث والتمحيص أعلنت قصوري وقلة حيلتي وأشرتُ إلى ذلك في موضعيه.

٦ - وضعتُ فهرساً تفصيليةً للآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والأعلام الواردة أسماؤهم في الكتاب. كما وضعتُ فهرساً للقوافي والأشعار مبيناً اسم من ينسب إليه ذلك الشعر. كما وضعتُ فهرساً للأماكن والبلدان الوارد ذكرها في الكتاب.

٧ - كما وضعتُ فهرساً للمراجع التي اعتمدتُ عليها في تحقيقِ هذا المخطوط.

٨ - كما وضعتُ فهرساً عاماً لمحتويات الرسالةِ يشتملُ على القسمِ الدراسي والقسمِ التحقيقي.

□ □ □

الفصل الثالث منهج الكتاب وأسلوبه

إذا أردنا أن نعرف منهج المؤلف في كتابه تهذيب الرياسة وأسلوبه الذي سار عليه. فيمكنني الآن وبعد الدراسة المتكررة لهذا المؤلف السياسي القيم أن أسجل النقاط التالية:

١ - إن الكتاب يحتوي على قسمين: القسم الأول ويحتوي على خمسة عشر باباً وبعض أبواب الكتاب يحتوي على فصل أو فصلين ووردت بعض الأبواب خالية من الفصول واقتصر محتواها على عنوان الباب وتختلف الأبواب طولاً وقصراً حسب الموضوع الذي تعالجه والهدف التي ترمي إليه.

٢ - إن مادة الكتاب هي في الأغلب من مقتبسات القرآن الكريم والسنة النبوية والمواعظ المؤثرة والشعر السائر والخطب الهادفة والسير المرضية والحكمة المبنية على التجربة والأقوال الصادرة من ذوي العقل والحكمة وأكثر في القسم الثاني من السير والأخبار عن الخلفاء وعمّالهم ووزرائهم بل يكاد القسم الثاني يكون مقصوراً على سير الخلفاء من زمن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى المتوكل على الله العباسي.

٣ - جاءت لغة المؤلف عربية فصيحة ذات تعبير سليم وأسلوب رصين بما يشعر بتمكنه بالعربية. وحفظه وضبطه وأسلوبه في الأعم أسلوب

من ينقل عنه مادة الكتاب إلا إذا علق على أمر أو شرحه أو أبدى وجهة نظره قال قلت أو فاقول. وهو يذكر بعض الأقوال منسوبة إلى أصحابها ومضائها ويورد البعض الآخر دون عزو لأحد. وأسهب المؤلف في أخبار معاوية، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز من الأمويين. والرشيذ والمأمون والمعتصم من العباسيين وإن كان قد أكثر من ذكر أحوالهم عموماً وأحوال عمالهم لما في ذلك من فائدة مرجوة لمن أراد أن يقتدي. وهو بما ينقل يحاول رسم صورة واضحة لكل خليفة دون أن يغرق فيما لا يجدي من ذكر ألقاب الخليفة وأولاده وتاريخ ولادته وولايته ووفاته باليوم والشهر وإنما يعنى أكثر ما يعنى بالسيرة والأفعال والأقوال الدالة على السؤدد ليقتنى الأواخر بالأوائل فيصل حاضر الأمة بماضيها وأمجادها ليجد سياسيين يكون العدل دأبهم المعهود والأجر غرضهم المقصود.

٤ - إن كل باب من أبواب الكتاب يخدم جانباً سياسياً هاماً ويمهد لما بعده، وما ورد فيها من أقوال وفصول ينسجم في الغالب مع العنوان الرئيسي للباب ولذلك قلّ لديه الاستطراد والخروج عن مضمون الباب، وإذا لم يكمل موضوعاً أشار إلى باب آخر استوفى فيه ما يكمل الموضوع الذي بدأه سابقاً.

٥ - إنه يذكر بعض النصوص والأقوال مجردة من سندها ويقدم لها بقليل أو قال آخر أو قال بعض الحكماء وهذه الطريقة من الصعب ضبطها ولا يمكن معرفتها لأن الكلام إذا عُرِفَ قائله أمكن البحث عنه. ولكن الله أعانني على ذلك وإن كلفني ذلك من الجهد والمراجعة ما يستحق الذكر.

٦ - ومما يستحق الذكر أن الكتاب خلا من التكرار في النصوص والأقوال ومن الروايات المتعددة للنص الواحد ومن الأقوال المتعددة في الأمر الواحد كالذي درجت عليه كتب الأقدمين، من مثل قولهم وقيل كذا فيما خلا بعض الأحاديث فقد أوردها بروايتين كحديث أبي ذر الغفاري. كما تجنب ذكر الخلافات الفقهية في الفروع وهو مسلك حسن في أمر السياسة حتى لا يشتت ذهن ويوقع المسؤول في حيرة وإن وجد شيء من هذا أشار إليه إشارة مقتضبة قصيرة كما قال في وجوب نصب الإمام وما يجب أن يتوافر فيه من الأوصاف فقد جمع ذلك كله في سطر ونصف فقال (أجمعت الأمة قاطبة إلا من لا يعتد بخلافه على وجوب نصب الإمام على الإطلاق وإن اختلفوا في أوصافه وشرائطه) والحق الذي يجب أن يقال أن هذا الكتاب يعتبر نموذجاً لما كان عليه العلماء العاملون الذين كتبوا وألفوا في كل فن واستغلوا كل إمكاناتهم في خدمة العلم والاسهام في توجيه الحياة نحو الأفضل وخاصة في هذا الموضوع الحيوي الحساس الذي يهم الأمة كلها لأنه بصلاح متوليها تصلح وبالرغم من خطورة البحث في هذا الموضوع وما قد يجره عليه من متاعب إلا أنه وجد لديه ذخيرة كبيرة قدمها لجيله حسبة لله. ولم يؤلفه لأحد بالذات، على عادة بعض الأقدمين من تأليف كتاب وتقديمه إلى شخص بالذات رجاء نرأيه وهو الذي يسمى «التكسب بالعلم» إلا أن الإمام القلعي لم يسلك نفس الطريق ولم يرتض ذلك النهج بل يقدم مؤلفه لجيله ومعاصريه وللأمة كلها على توالي عصورها فجزاه الله أحسن الجزاء.

أهمية الكتاب:

تبدو أهمية الكتاب من كونه موجهاً إلى الحكام والسلاطين والأمراء

لكي يستنبروا فيما يضطلعون به من مهام دينية ودينية بكتاب الله الكريم الجامع في آياته لما فيه سعادة الدنيا والآخرة. فدعا الخلفاء والولاة إلى العدل الذي به قوام الدنيا والآخرة، وأن يختاروا الأصلح لأمر الأمة ودعاهم إلى قبول النصيحة المخلصة الهادفة، وأن يختاروا لمجالستهم أهل الديانة والأمانة، والعلماء والصلحاء كما دعاهم إلى مباشرة الأمور بأنفسهم فلا يحتجبون عن الناس بحيث يكون بينهم وبين العامة أسوار حديدية موصدة فدعاهم إلى أن يكونوا قريبين من مشاكل الناس حتى يصل المظلوم إليهم فينصفوه، ويرهبهم الظالم فيرتدع عن ظلمه فإنه لأشياء أضيع لأمر الرعية من شدة الحجاب. وبين لهم عاقبة الظلم السياسي بكافة أشكاله وألوانه والطريقة المثلى لسياسة الرعية وضرب لهم الأمثلة على كل ذلك.

كما أنه موجه إلى من هم قريبون من الحكام من وزراء وأمرء وحجاب وخدم وندماء، فدعاهم إلى أن يتحلوا بالصفات الفاضلة والأخلاق الحميدة والصدق والرغبة في الخير والاصلاح لكي يكونوا بطانة صالحة تكون عوناً على الخير مناهضة للشر والفساد لا تأخذها في الله لومة لائم، المصلحة العامة عندهم فوق كل مصلحة، ورضاء الله عندهم مقدّم على كل شيء. كما دعاهم أن يقوموا بحق من فرض الله طاعته من الأئمة والحكام، لينصرف الحكام لما فرض الله عليهم من تدبير أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم يساعدهم في ذلك رجال مخلصون يعرفون ما فرض الله عليهم من الطاعة والنصرة والموااة وبين لهم حدود هذه الطاعة. ودعاهم إلى النصيحة فإنها من صميم الدين.

كما أنه موجه إلى عامة الشعب في دعوتهم إلى السمع والطاعة في الحق وعدم الخروج على الأئمة وبين لهم أن الإسلام يعتبر الطاعة من الرعية لولاة الأمور فرضاً من الفروض وقاعدة من قواعد السياسة لا تستقيم

حياة ولا يزدهر عمران ولا تُحْمَى ثغور ولا يُقام عدلٌ بدونها ولذلك حَرَّمَ كُلُّ
تنازع واعتبره فشلاً ومؤدياً إلى الضعف والذلة والهوان انطلاقاً من قوله تعالى
في سورة الأنفال ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦).

فهو إذن يعالج الحياة السياسية للدولة الإسلامية، ويصف الحلول
الناجعة لها كما يعالج الأمور الاجتماعية والإدارية كوصايا الحكام لعمالهم
ومتولى أمورهم ونوابهم بالعدل فيضع أسساً واضحة يستنير بها الحكام وهي
في أغلبها تنبع من كتاب الله الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم
وأعمال الخلفاء وما توصل إليه العقل السليم بالخبرة الطويلة. ولذلك نراه
يورد أقوالاً وضعيةً تواضع العقلاء عليها من أقوال الحكماء والعقلاء ومن هنا
تبدو أهمية الكتاب وفائدته الجليلة وعميم نفعه في معالجة هذا الجانب
الحيوي الحساس من أمر الأمة.



القسم التحقيقي

كتاب

تهذيب الرئاسة وترتيب السياسة

تأليف الشيخ

العارف أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي علي القلمي

رحمة الله عليه «المؤلف»

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وسلم ق / ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (وباللّه أثق وعليه أتوكل)^(١).

والحمد لله حمداً كثيراً دائماً متواتراً متواصلاً مترادفاً متكاثفاً متظاهراً متظافراً حمد من اعترف ببره وآلائه شاكراً وسلّم لقدره وقضائه صابراً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً أولاً آخرأ صمداً^(٢) قيوماً^(٣) باطناً ظاهراً حياً مريداً عالماً قادراً سميعاً بصيراً ناهياً وأمرأ.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ابتعته ليعمر من الدين دائراً وينعش من الحق عابراً ويقطع من الكفر دابراً ويغيض من الضلالة بحراً زاخراً فلم يزل (صلى الله وعلى آله وسلّم)^(٤) لحسام الإسلام شاهراً وباعلان الحق مجاهراً ولجهاد أهل العناد مصابراً وعن (عبادة)^(٥) الأصنام والأوثان زاجراً حتى عاد ربع^(٦) الدين عامراً.

(١) في (ب): وبه أستعين؛ وفي (ج، د): وبه نستعين على القوم الكافرين.

(٢) الصمد: السيد الذي يقصد إليه بالحوائج، مختار الصحاح.

(٣) القيوم: اسم من أسماء الله تعالى معناه القائم بتدبير ما خلق.

(٤) في (ج): صلى الله عليه وسلم.

(٥) في (ب): عبده.

(٦) الربع محلة القوم ومنزلهم، المصباح المنير.

وأضاء فللك اليقين دائراً ورجع الكفر والضلال إلى الثبات والحسار
داحراً صلى الله عليه وعلى آله ما نهل النوء^(١) السماكي ماطراً وحدى
العيس^(٢) حادياً واردةً وصادراً وبعد.

فهذا (الكتاب)^(٣) جمعت في تهذيب الرئاسة وترتيب السياسة وجعلته
قسمين: القسم الأول (منه)^(٤) يشتمل على (أنواع)^(٥) أبواب يحتوي على
غرر^(٦) من كلام الحكماء ودرر من نظام الفصحاء مما ينسبك في قالب
الأمثال الشاردة وينتظم في سلك الحكم الواردة يتضمن محاسن الأوصاف
المحمودة من ذوي الأمر وذم أصدادها وما يجب استعماله أو تركه من الأمور
التي يحمى متبعتها عاقبة إصدارها وإيرادها^(٧).

والقسم الثاني (بحكايات)^(٨) من الخلفاء ووزرائهم وعمالهم وأمرائهم
مما يدل على نبيلهم وغزارة فضيلهم وحسن سيرتهم وكمال مروءتهم
وما اشتملت عليه طرائقهم وحوته خلائقهم من العدل والإنصاف والبذل
والإسعاف والبغى عند الاقتدار ومعرفة حقوق ذوي الأقدار (وقبول النصيحة)^(٩).

(١) النوء: سقوط نجم من المنازل بالمغرب مع الفجر وطلوع رقبه من المشرق يقابله من
ساعته وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها، يختار
الصحيح.

(٢) الإبل: البيض التي في بياضها ظلمة خفية، المصباح المنير.

(٣) في (ج، د): كتاب.

(٤) زيادة من النسخة (ج).

(٥) ساقطة من (ب، ج).

(٦) غرر: بالضم والغرة: بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم، القاموس.

(٧) في الأصل أثر تقطيع ورطوبة يصعب معه قراءة بعض الكلمات.

(٨) في (ب، ج، د): يتضمن حكايات عن الخلفاء.

(٩) في (ب، ج، د): وقبولهم النصيحة.

من الناصحين وسماع الموعظة من الصالحين مع ما اتصفوا به (من) (١) (علم وأدب) (٢) ووقار وحلم وفصاحة وبراعة وسماحة وشجاعة فمن اتخذ ذلك إماماً ارتفع وانتفع ومن عمل بما شاكله رشد وحمد.

وقد ابتدأت (ذلك) (٣) بذكر وجوب الإمامة وعدم الاستغناء عن الولاية وما يجب لهم على الكافة من الطاعة والموالاة والله تعالى الموفق لانتظامه والتيامه والمعين على إتمامه واختتامه.

(١) زيادة من (ب، ج، د).

(٢) في (ب، ج): أدب وعلم.

(٣) ساقطة من (ب، ج).

باب في ذكر وجوب الإمامة والاحتياج إلى السلطان وعدم الاستغناء عنه في جميع الأزمان

أجمعت الأمة قاطبةً إلا من لا يعتدُّ (بخلافه) ^(١) على وجوب نصب الإمام على الإطلاق وإن اختلفوا في أوصافه وشرائطه ^(٢).

(١) في (ب، ج، د): به.

(٢) مما امتاز به الإسلام وسما به على غيره من الأديان السماوية، عمومية أحكامه لكل نواحي الحياة وتنظيمه لجميع شؤونها، دينيها ودنيويها في خاصة أمر الفرد وفي علاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه، وفي علاقات مجتمعه بغيره من المجتمعات. ودين سماوي هذا شأنه لا بد أن يكون قد وضع الأسس وأقام القواعد وأرسى الأصول لقيام دولة إسلامية على رأسها إمام يتولى تدبير أمرها وتنظيم شؤونها. ولذلك نجد الأئمة الأعلام ينصون على وجوب نصب هذا الإمام وعدم الاستغناء عنه في عصر من العصور، فهذا الماوردي ^(١) يقول: «وعقدنا لمن يقوم بها واجب بالإجماع». ويقول القاضي أبو يعلى «نصب الإمام واجب بل حصول الفتنة لازم عندها إذا لم يكن هناك إمام يقوم بأمر الدين والدنيا» ^(٢). ونجد ابن حزم يؤكد هذا الوجوب ويناقش أدلة المنكرين له فيقول: «اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم» =

(١) الأحكام السلطانية، ص ٥.

(٢) الأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلى، ص ١٩.

= عليه وسلم، حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم.

ونجدته يناقش رأي النجدات فيقول: «وقول هذه الفرقة ساقط يكفي للرد عليه وإبطاله إجماع كل من ذكرنا على بطلانيه والقرآن والسنة قد وردا بإيجاب الإمام من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُطِيعُوا أَمْرَ مِنْكُمْ﴾^(١).

مع أحاديث صحاح في طاعة الأئمة ووجوب الإمامة^(٢).

ويؤكد هذا الوجوب شيخ الإسلام ابن تيمية فهو ينص على أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها.

ويبين أن أمر الدنيا لا ينتظم إلا بوجود هذا الإمام فيقول: «فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد عند الاجتماع من رئيس»^(٣). وهذا ابن خلدون يقول أن نصب الإمام واجب قد عرفت وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا إلىبيعة أبي بكر، رضي الله عنه، وتسليم النظر إليه في أمورهم وكذا في كل عصر من بعد ذلك ولم يترك الناس في عصر من الأعصار، واستقر ذلك إجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام^(٤). كما نجد إمام الحرمين الجويني ينص على هذا الوجوب ويناقش رأي المخالفين ويبين زيفه وبطلانه^(٥). ولم يشذ عن هذا الإجماع، إجماع من أشرق عليه الشمس شارقة وغاربة واتفقت عليه الأمة سلفاً وخلفاً، سوى نجدة بن عمير من الخوارج، وعبد الرحمن بن كيسان المعروف

(١) سورة النساء: آية ٥٩.

(٢) الفصل في الملل والنحل، ج ٤ ص ٨٧.

(٣) السياسة الشرعية، ص ١٣٨.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧١.

(٥) غياث الأمم في التياث الظلم، ص ١٥.

.....

بالأصم من المعتزلة حيث قال: لا يجبُ شرعاً ولا عقلاً إقامة خليفة. والواجبُ عند هؤلاء إمضاء الأحكام بالشرع، فإذا تواطأت الأمة على العدل وتنفيذ أحكام الله تعالى لم يحتج إلى إمام ولا يجبُ نصبه وهؤلاء محجوجون بالإجماع^(١). وانتصر لهم الشيخُ على عبد الرزاق في كتابه الإسلام وأصول الحكم، فهو يقررُ فيه أن الإسلام دينٌ وفقط، ولا شأن له بالسياسة ولا بإقامة حاكم عام للدولة، بل يرجعُ في ذلك لأحكام العقل وقواعد السياسة وخبرات الأمم. ونجده يقولُ «ظواهر القرآن المجيد تؤيد القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له شأن في الملك السياسي، وآياته متظافرة على أن عمله السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ من كل معاني السلطان»^(٢).

ولكن هذا الوجوب الذي لا يطعن فيه شدود من شد، ولا يوهنه خلاف المخالفين قديماً وحديثاً إما أن يكون بالشرع، أو بالعقل، أو بهما معاً، ويجزم القاضي أبو يعلى بأن طريق وجوبها السمع لا العقل. ويؤيد ذلك الإمام الجويني فيقول: «إذا تقرر وجوب نصب الإمام فالذي صار إليه جماهير الأئمة أن وجوب النصب مستفاد من الشرع المنقول، غير متلقى من قضايا العقول»^(٣). وهذا عين ما ذهب إليه التفتازاني حيث يقول: «والمذهب إنه يجب على الخلق سمعاً»^(٤). ويؤيد ذلك الماوردي ويناقش أدلة القائلين بوجوبها عقلاً فيقول: «لأن الإمام يقوم بأمر شرعية قد كان مجوزاً في العقل أن لا يرد التعبد بها، فلم يكن العقل موجباً لها، وإنما أوجب العقل أن يمنع كل واحد نفسه من العقلاء عن التظالم والتقاطع ويأخذ بمقتضى العدل في التناصف والتواصل فيدبر بعقله لا بعقل غيره لكن جاء الشرع بتفويض الأمور إلى وليه في الدين. قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا

-
- (١) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٢. الأحكام السلطانية، ص ٥. غياث الأمم، ص ١٥.
 (٢) الإسلام وأصول الحكم، ص ١٥٨.
 (٣) غياث الأمم، ص ١٨.
 (٤) مجموعة الحواشي البهية، على شرح العقائد النسفية، ج ١ ص ١٩٨.

.....

اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» ففرض علينا طاعة أولي الأمر فينا وهم الأئمة المتأمرُونَ علينا^(١). وهذا ما ذهب إليه العلامة ابن خلدون حيث يقول: قد عُرِفَ وجوبُهُ في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين، ويقول مرةً أخرى إن مُدْرَكَ وجوبه إنما هو بالشرع^(٢). وإذا تقررَ هذا الواجب الشرعي فهو من فروض الكفاية، يطالبُ به صنفان من الناس أهل العقيد والحل حتى يختاروا إماماً للأمة. وهؤلاء لا بد من توافر شروط تؤهلهم لاختيار إمام للأمة وذكر العلماء الشروط الواجب توافرها فيهم فهي:

١ العدالة والورع ويؤكد الإمام الجويني هذا الشرط فيقول: «فمن لا يوثق به في باقية بقل كيف يرى أهلاً للحل والعقد وكيف ينفذ نصبه على أهل الشرق والغرب ومن لم يتيق الله لم تؤمن غوائله ومن لم يصن نفسه لم تنفعه فضائله»^(٣).

٢ — العلم الذي يتوصل به إلى اختيار مَنْ هو للإمامة أصلح وبتوليها أولى وأجدر. ومن العلماء من شرط كونه مجتهداً لأنه يشترط في الإمام عندهم أن يكون مجتهداً ولا يحيط بالمجتهد إلا مجتهد^(٤).

٣ — الرأي والحكمة المؤديان لاختيار من هو للإمامة أصلح وبتوليها أحق وأجدر فلا يدخل في ذلك المغفلون والعوام ولهذا نجد الإمام الجويني لم يدخل في ذلك العوام ومن لا يعد من أهل البصائر والعيبد^(٥).

ومنهم من اشترط الذكورية في أهل العقد والحل لأن النساء مأمورات بملازمة الخدور منهيات عن مباشرة الأمور ومزاحمة الخطوب فهن قليلات الخبرة في هذه الأمور ولذلك ذهب بعض العلماء إلى أنها لا تستقل بتزويج نفسها.

(١) الأحكام السلطانية، ص ٥.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧١ — ١٧٢.

(٣) نظام الحكم السياسي، مقارناً بالنظم المعاصرة، ص ٦٩. غياث الأمم، ص ٥٢.

الأحكام السلطانية، ص ٦.

(٤) غياث الأمم، ص ٥١.

(٥) المرجع نفسه، ص ٥٠.

٤ - العددُ ذهبَ بعضُ العلماء إلى وجوب إجماع أهل العقد والحل في كل بلد ليكون الرضاء بالخليفة عاماً والطاعة له تامة. وقد ناقش العلماء هذا القول ودفعوه ببينة أبي بكر فقد صحت له البيعة فقضى وحكم وأمر ونهى بمجرد اختيار من حضر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له^(١).

وذهب آخرون إلى إن من تنعقد بهم الإمامة أربعون قياساً على صلاة الجمعة. وقال آخرون أربعة قياساً على البيئات. ومنهم من ذكر اثنين اعتباراً بأقل الجمع ولا بد من اجتماع جمع على البيعة. وذهب طائفة أخرى إلى أنها تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضاء الاثنين قياساً على عقد النكاح بولي وشاهدين. ومنهم من ذهب إلى إن الإمامة تثبت بمبايعة رجل واحد من أهل العقد لأن العباس قال لعلي أمدد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان. ومن أدلة هؤلاء أن الاجماع ليس شرطاً ولم يثبت توقفاً في عدد مخصوص والعقود في الشرع يتولاها عاقد واحد، فإذا كان ذلك كذلك لزم الاكتفاء بعقد الواحد. وقد ناقش الإمام الجويني هذه الأقوال كلها وبين أنه لم يقم دليل على عدد معين وأن أوجه الأقوال أن يكون المبايعون بحيث تحصل بهم شوكة ظاهرة ومنعة قاهرة، بحيث لو نجم خلاف لتمكنوا من قهره والتغلب عليه^(٢).

والصنف الثاني المطالب هم أهل الإمامة المتوفرة فيهم شروطها يختارهم أهل العقد والحل، وعلى الناس أن يسرعوا في طاعتهم وموالاتهم والنصرة لهم. والشروط الواجب توافرها في أهل الإمامة ذكرها الأئمة في معرض عنايتهم بمنصب الخلافة وكانت محل خلاف بينهم تبعاً لخلافهم في طريق وجوبها وطريق اختيار هذا الإمام هل هو بالنصر أو بالاختيار فأهل السنة يشترطون جملة شروط منها ما يتعلق بالحواس ومنها ما يتعلق بالأعضاء ومنها ما يرتبط بالصفات اللازمة والفضائل المكتسبة. فاما ما يتعلق بالحواس فالبصر لا خلاف في اشتراطه لأن فقدّه يؤثر في

(١) نظام الحكم الإسلامي، ص ٦٩. الماوردي، ص ٦. غياث الأمم، ص ٥٢.
(٢) الأحكام السلطانية، للماوردي، ص ٧. نظام الحكم الإسلامي، ص ٧٠. غياث الأمم، ص ٥٢ - ٥٩. أصول الدين، ص ٢٨١.

العمل، فلا يميز بين الأشخاص في مقام التخاطب ولأنه لما أبطل ولاية القضاء فأولى أن يمنع من صحة الإمامة^(١). وكذلك يشترط السمع والنطق بالصمم والخرس يمنعان من ابتداء عقد الإمامة فلا يصلح المبتلى بهما لهذا المنصب الخطير الشأن العظيم الأثر. وأما حاسة الشم والذوق فلا يؤثران في عقد الإمامة لأن غاية تأثيرهما شخصية في اللذة ولا أثر لهما في العمل المنوط بإمام الأمة^(٢).

وأما ما يتعلق بالأعضاء فكل ما لا يؤثر فقده في رأي ولا عمل ولا يؤدي إلى شين ظاهر في المنظر فلا يضر فقده. فلا يمنع من عقد الإمامة جب الذكر والانثيين خلافاً لابن خلدون في الانثيين حيث اعتبر فقدها يؤثر في العمل ولا يعقل لذلك معنى لأن الكل متفق على أن تأثيرها في التناسل دون العمل فتجرى مجرى العنة وقد وصف الله نبيه يحيى بذلك وأثنى عليه فقال: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣). أما ما يؤثر فقده في العمل كقطع اليدين والرجلين فالذي ذهب إليه معظم العلماء تنزيل هذه الآفات منزلة العمى والصمم والخرس. واختلفوا في فقد إحدى اليدين أو إحدى الرجلين فذهب الماوردي إلى منعها عقد الإمامة. وذهب الإمام الجويني إلى أنه إذا لم ينته الأمر إلى الزمانة فلا أثر لهذا النقص الجزئي مع صحة العقل^(٤) والرأي. وأما ما يشين المنظر كجذع الأنف وفقد إحدى العينين فالسلامة منه شرط كمال عند الجمهور^(٥). والصفات اللازمة الواجب توافرها:

- (١) الأحكام السلطانية، ص ١٩. مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٣. غياث الأمم، ص ٦٠. نظام الحكم السياسي، ص ٨٩.
- (٢) الأحكام السلطانية، ص ١٩. غياث الأمم، ص ٦١.
- (٣) سورة آل عمران: آية ٣٩.
- (٤) الأحكام السلطانية، ص ٢٠. غياث الأمم، ص ٦٢. مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٣.
- (٥) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٣. غياث الأمم، ص ٦٢. الأحكام السلطانية، ص ٢٠. أصول الدين، ص ٢٧٧.

١ - النسب القرشي لقول الرسول صلى الله عليه وسلم «الأئمة من قريش»^(١) وقوله: «قدموا قريشاً ولا تقدموها»^(٢) وإجماع الصحابة على ذلك يوم السقيفة عندما قالوا: منّا أمير ومنكم أمير فاحتج عليهم أبو بكر بالحديث السابق، فرضوا بقوله نحن الأمراء وأنتم الوزراء تسليمًا لروايته وتصديقاً لخبره فهذا الحديث في حكم المستفيض المقطوع بشيئيه من حيث أن الأمة تلتقته بالقبول. ولكن الإمام الجويني لا يرضى بهذا القول فيقول: «وهذا مسلك لا أثره فإن نقله هذا الحديث لا يبلغون مبلغ عدد التواتر ويدل على اشتراط هذا الشرط بأن الماضين اشتهر عنهم اختصاص هذا المنصب بقريش ولم يتشوف قط أحد من غير قريش إلى الإمامة على تمادي الأحيان وتناول الزمان. فهذا إذا ما تطابقت عليه مذاهب طبقات الخلق»^(٣). وإليه ذهب أهل السنة وجميع الشيعة وبعض المعتزلة وجمهور المرجئة وإنها خاصة في قريش وإنها لا تجوز فيمن كان أبوه من غير قريش وإن كانت أمه من قريش ولا في حليف ولا في مولى^(٤). وذهب الخوارج كلها وجمهور المعتزلة إلى عدم اشتراط النسب القرشي وإنها جائزة في كل من قام بالكتاب والسنة قرشياً كان أو عربياً أو ابن عبد. وبلغ الأمر بضرار بن عمر الغطفاني أنه قال إذا اجتمع حبشي وقشري كلاهما قائم بالكتاب والسنة فالواجب أن يقدم الحبشي لأنه أسهل لخلعيه إذا حاذ عن الطريقة^(٥).

- (١) مجمع الزوائد، م ٥ ص ١٩٢. مسند أحمد، م ٣ ص ١٢٩. الترغيب والترهيب، ج ٣ ص ١٧٠. وقال رواه أحمد بإسناد جيد.
- (٢) الجامع الصغير، ج ٢ ص ٨٦. وذكر أنه رواه الطبراني عن عبد الله بن السائب بإسناد صحيح.
- (٣) غياث الأمم، ص ٦٢ - ٦٤. الأحكام السلطانية، ص ٦. نهاية الارب، ج ٦ ص ٢. مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٣.
- (٤) الفصل في الملل والنحل، ج ٤ ص ٨٩. النظام السياسي في الإسلام، ص ١٩٣.
- (٥) الفصل في الملل والنحل، ص ٨٩. غياث الأمم، ص ٦٢. الأحكام السلطانية، ص ٦. شرح مطالع الأنظار على طوابع الأنوار، ص ٢٣٠.

واستدلوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «اسمعوا واطيعوا وإن استعجل عليكم عبدٌ حبشيٌّ كأن رأسه زبيبة»^(١) وقول عمر، رضي الله عنه، لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لوليتُهُ. وقد ناقش العلماء هذه الأدلة فقالوا في الحديث الأول إنه خرج مخرج التمثيل للمبالغة في الحث على الطاعة لأن العبد لا يملك أمر نفسه فكيف أمر أمية محمد صلى الله عليه وسلم ويتصرف بمقدراتها. وهذا ما ذهب إليه الإمام القسطلاني فقد قال: «وإن استعمله الإمام الأعظم على القوم لا أن العبد الحبشي هو الإمام الأعظم فإن الأئمة من قریش أو الممراد به الإمام الأعظم على سبيل الفرض والتقدير وهو مبالغة في الأمر بطاعته والنهي عن شقاقه ومخالفته»^(٢). وقالوا في قول عمر بن الخطاب انه ليس بحجة لأنه مذهب صحابي، وهو معارضٌ بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيح الصريح^(٣). وتكلم ابن خلدون في الحكمة من اشتراط النسب القرشي وأن الأمر كان لأن قریشاً كانت صاحبة السيادة ولها الزعامة والرفادة فتفردها بالخلافة ادعى لجمع شمل المسلمين واستقرار أمورهم وانتظام أمور دينهم وديارهم فنجدته يقول: «إن الأحكام الشرعية لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لأجلها، ونحن إذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور، وإن كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصل لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد إذن من المصلحة في اشتراط النسب وهي المقصود من مشروعيتها وإذا سبرنا وقسمنا لم نجد لها إلا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها»^(٤). ونحن نرى أن النسب القرشي ثابت بالسنة مؤكدة بالإجماع إجماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم السقيفة

(١) صحيح البخاري، ج ٩ ص ٧٨.

(٢) إرشاد الساري، ج ١٠ ص ٢١٩. مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٣. النظام السياسي في الإسلام، ص ١٩٥. فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج ١٣ ص ١٢٢.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٤.

بلا معارضة من أحد فلا بد من اعتباره وملاحظته بحيث يمكن الرجوع إليه كشرط مرجح بين مرشحين أو أكثر عند استواء الشروط في كل منهم ومن الصفات اللازمة الواجب توافرها في الإمام .

٢ - الحرية: لأن العبد مستحق بين الناس مشغول بخدمة سيده والإمام يجب أن يكون مكرماً ليكون مطاعاً ويجب أن لا يكون مشغولاً بخدمة أحد على سبيل الوجوب ليتفرغ لمصالح الناس^(١).

٣ - الذكورية: مما أجمعت عليه الأمة على أن المرأة لا يجوز لها أن تلي رئاسة الدولة لقوله صلى الله عليه وسلم «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»^(٢)، ولأنهن ناقصات عقل ودين والإمام يجب أن يكون كامل العقل والدين.

٤ - الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو: فقد قال ابن خلدون أن يكون جريئاً على إقامة الحدود واقتحام الحروب بصيراً بها، كفيلاً بحمل الناس عليها عارفاً بالعصية وأحوال الدهاء قوياً على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل إليه من حماية الدين وجهاد العدو وإقامة الأحكام وتدبير المصالح^(٣).

٥ - البلوغ: لأن الصبي غير مكلف ولا يملك أمر نفسه فلا تكون له ولاية على البالغين.

وأما الصفات المكتسبة:

١ - العلم واختلف العلماء في المراد بالعلم وحدود هذا العلم. فقالت طائفة يجب أن يكون الإمام مجتهداً في أصول الدين وفروعه ليتمكن من إيراد الدليل وحل الشكوك والشبه، وليتمكن من الفتوى واستنباط الأحكام من الفروع وذهب إلى هذا الرأي الإمام الماوردي والقاضي أبو يعلى وابن خلدون والإمام

(١) شرح مطالع الأنوار، ص ٢٣٠. غياث الأمم، ص ٦٥.

(٢) مسند أحمد، م ٥ ص ٣٨.

(٣) الأحكام السلطانية، للماوردي، ص ٦. مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٣. شرح مطالع الأنظار، ص ٢٣٠. غياث الأمم، ص ٦٥.

.....

الجويني والإمام البيضاوي في مطالع الأنظار. وحجتهم أنه إنما يكون منفذاً لأحكام الله إذا كان عالماً بها وما لم يعلمها لا يصح تقديمه لها ولا يكفي في العلم إلا أن يكون مجتهداً لأن التقليد نقص^(١). واستدل الإمام الجويني لهذا الرأي بقوله: ولم يؤثر في اشتراط ذلك خلاف الدليل عليه أن معظم أمور الدين تتعلق بالأئمة فأما ما يختص بالولاية وذوي الأمر فلا شك في ارتباطه بالإمام وأما ما عداه من أحكام الشرع فقد يتعلق به من جهة انتدابه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلو لم يكن الإمام مستقلاً بعلم الشريعة لاحتاج إلى مراجعة العلماء من تفاصيل الوقائع وذلك يشئت رأيه ويخرجه عن رتبة الاستقلال^(٢). وذهب آخرون إلى عدم اشتراط مرتبة الاجتهاد في الإمام لتعديها وخاصة في الظروف المتأخرة حيث انصرف الناس عن طلب العلم وشاع التقليد وذاع فهذا الشهرستاني يقول: ومالت جماعة من أهل السنة إلى ذلك حتى جوزوا أن يكون الإمام غير مجتهد ولا خبيراً بمواقع الاجتهاد لكن يجب أن يكون معه من أهل الاجتهاد فيراجعه في الأحكام ويستفتي منه في الحلال والحرام^(٣) وهذا هو الأرحم بزماننا.

٢ - العدالة: وقد عرفها الماوردي بقوله: «أن يكون صادقاً للهجة ظاهر الأمانة، عفيفاً عن المحارم، متوقياً المآثم بعيداً من الريب مأموناً في السرى والغضب، مستعملاً لمروءة مثله في دينه ودينه، فإذا تكاملت فيه فهي العدالة التي تجوز بها شهادته وتصح معها ولايته وإن انخرم منها وصف منع من الشهادة والولاية فلم يُسمع له قول ولم ينفذ له حكم»^(٤). وهذا الشرط معتبر في كل ولاية ولذا نجد الإمام الجويني يقول لا يوثق لفاسق في الشهادة على قلس.

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٢.

(٢) غياث الأمم، ص ٦٦. وإلى هذا الرأي ذهب البغدادي في أصول الدين، ص ٢٧٧.

(٣) الملل والنحل، ج ١ ص ١٦٠.

(٤) الأحكام السلطانية، ص ٧٣.

(٢) فكيف يولى أمور المسلمين كافة، والأب الفاسق مع فرط حديبه وإشفاقه على ولديه لا يعتمد في مال ولديه فكيف يؤتمن في الإمامة العظمى فاسق لا يتقي الله، ومن لم يقاوم عقله هواه ونفسه الإمارة بالسوء لم ينهض رأيه بسياسة نفسه، فاني يصلح خطة الإسلام^(١). وعلى هذا فلا تجوز إمارة الفاسق ولا من يتهاون بالدين ويتظاهر بالمنكر. ونجد ابن خلدون يقول: وأما العدالة فلأنه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها فأولى باشتراطها فيه^(٢). وليس المقصود بالعدالة أن يكون معصوماً، بل المقصود توقي الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر مع المحافظة على مروءة أمثاله. وقريب من هذا ما قاله البغدادي: «وأقل ما يجب له من هذه الخصلة أن يكون ممن تقبل شهادته تحملاً وأداء»^(٣). وتتضمن هذه الصفة أن يكون مسلماً^(٤). ونجد أن هذه الشروط هي بعينها يشترطها المعتزلة والخوارج فيشترطون أن يكون الإمام عاقلاً عالماً ورعاً عدلاً شجاعاً ذا رأي سديد سليم الحواس إلا أنهم يجوزونها في كل مسلم قرشي كان أو غير قرشي^(٥). بينما نجد أن الشيعة بناءً على اعتبارهم الإمامة ركن الدين وقاعدة الإسلام. وأنها ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ولا يجوز للنبي إغفالها ولا تفويض الأمر فيها إلى الأمة تختار من تشاء بل يجب عليه تعيين الإمام لهم وأن علياً هو الخليفة المعين، من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بنصوص ينقلونها ويؤمنون بها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه^(٦).

وقد ناقش ابن تيمية مذهب الإمامية في اعتبار الإمامة ركن الدين وقال: «إنه

- (١) غياث الأمم، ص ٦٨.
- (٢) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٢ - ١٧٣.
- (٣) أصول الدين للبغدادي، ص ٢٧٧.
- (٤) شرح مطالع الأنظار، ص ٢٣٠.
- (٥) الفصل في الملل والنحل، ج ٤ ص ٨٩؛ المعتزلة وأصول الحكم، ص ١٥٢ - ١٥٣.
- (٦) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٥ - ١٧٦.

لا يقول هذا إلا أهل الجهل والبهتان وناقش ما يسوقونه من أدلة وبين بطلانها وزيفها، فإن الله تعالى قد بين أحوال المؤمنين، والنبي صلى الله عليه وسلم فسر الإيمان وذكر شعبه ولم يذكر الله ولا رسوله الإمامة في أركان الدين، وحديث جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان مشهور^(١). وتتبع بقية أدلتهم من مثل ما يروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية فقال «من» روى هذا الحديث بهذا اللفظ وأين إسناده، وذكر أن هذا الحديث بهذا اللفظ لا يعرف^(٢). وإنما المعروف والمشهور قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يرويه الإمام مسلم في صحيحه، «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»^(٣) فعلم أن هذا الحديث دل على أنه لا يخرج على ولاية أمور المسلمين بالسيف، وأن من لم يكن مطيعاً لولاية الأمور مات ميتة جاهلية. وهذا ضد قول الرافضة فإنهم أعظم الناس مخالفة لولاية الأمور، وأبعد الناس عن طاعتهم إلا كرهاً^(٤). وهؤلاء انقسموا فيما بينهم فالإمامية يشترطون:

١ - أن يكون منصوباً عليه بالشخص، معصوماً من الخطأ، محصوراً في ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، الحسين ثم في الحسين رضي الله عنهم. ثم اختلفوا بعد ذلك. وقد ناقش العلماء هذه الشروط وبينوا زيفها وبطلانها. فنجد ابن حزم يقول وعمدة هذه الطوائف كلها في الاحتجاج، أحاديث موضوعة مكذوبة لا يعجز عن توليد مثلها من لا دين له ولا حياة^(٥). فهم يستدلون مثلاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي

(١) منهاج السنة، ج ١ ص ٧٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٣.

(٤) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢٢؛ ومثله للبغدادي في أصول الدين، ص ٢٨٠.

(٥) الفصل في الملل والنحل، ص ٩٤.

بعدي^(١) وهذا لا يوجب له فضلاً على مَنْ سواه ولا استحقاق الإمامة بعده، لأن هارون لم يل أمر بني اسرائيل بعد موسى عليهما السلام. وإنما ولي الأمر بعد موسى يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة. وإذا لم يكن علي نبياً كما كان هارون نبياً، ولا كان هارون خليفة بعد موسى فقد صح أن كونه رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط^(٢). وعمدتهم في اشتراطهم العصمة في الإمام أن الناس ترجع إليهم في أحكام الدين فيجب أن يكون معصوماً، ليكونوا مما تعبدوا به على يقين، فإن الناس ما احتاجوا إليه إلا لجواز الخطأ عليهم، فلولم يكن الإمام واجب العصمة لجاز الخطأ عليه فيحتاج الإمام إلى إمام آخر يتسلسل وهو باطل^(٣). وقد ناقش الأئمة هذا الدليل فقالوا لا نسلم أنه لجاز الخطأ على الإمام لاحتاج إلى إمام آخر^(٤). كما نجد ابن حزم يقول أن الإمام المعصوم لا يعرف أنه معصوم إلا بمعجزة ظاهرة أو بنص تنقله العلماء عن النبي صلى الله عليه وسلم على كل إمام بعينه واسميه ونسبه، وإلا فهي دعوة لا يعجز عن مثلها أحد لنفسه أولم يشاء^(٥). وقد ردّ البغدادى على مَنْ قال بعصمة الإمام بردود منها.

١ - إذا كان الحسن بن علي رضي الله عنه من الأئمة المعصومين فما تقولون في البيعة لمعاوية فإن قلتم صواباً فقد أقررتم بصحة خلافة معاوية وإن قلتم خطأ أبطلتم عصمة الحسن رضي الله عنه.

-
- (١) سنن الترمذي، ج ٥ ص ٣٠٤ وقال حسن غريب.
 (٢) الفصل في الملل والنحل، ص ٩٤.
 (٣) شرح مطالع الأنظار، ص ٢٣٠؛ غياث الأمم، ص ٧٢؛ الفصل في الملل والنحل، ص ٩٥.
 (٤) شرح مطالع الأنظار، ص ٢٣١.
 (٥) الفصل في الملل والنحل، ص ٩٦.

٢ - أن الإمامية أنفسهم وهم القائلون بعصمة الإمام، يجيزون له إن ينكر نفسه في حال التقية، حتى يقول لمن خاف منهم أني لست بالإمام وهذا كذب قد أجازوه عليه.

٣ - ولو اشترطت عصمة الإمام، لاشتريطت عصمة خلفائه وأعوانه، ولو كان كل واحد منهم معصوماً لاستغنوا عن إمام معصوم^(١). وذهبت الزيدية من الشيعة إلى ما ذهبت إليه الإمامية إلا أنهم يقولون أن الأدلة تُعينُ علياً بالوصف لا بالاسم والشخص والناس مقصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعاً وشرطوها في علي من ولد فاطمة ويشترط أن يكون الإمام منهم عالماً زاهداً جواداً شجاعاً يخرج داعياً إلى إمامته^(٢). وذهبت الكيسانية إلى أن الإمام بعد الحسين رضي الله عنه، هو محمد بن الحنفية ثم في ولده وكان من هذه الطائفة السيد الحميري وكثير غيره الشاعران وكانوا يقولون أن محمد بن الحنفية حي بجبل رضى^(٣).

تعريفات الإمامة:

وتتبعاً للفايد نعرج على تعريف الخلافة فنقول كثرت تعريفات أئمة الإسلام للإمامة والخلافة إلا أنها تكاد تتفق في جوهرها وإن اختلفت ألفاظها. فهذا ابن خلدون يعرفها «بأنها حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها... فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا»^(٤).

وعرفها الجويني بأنها «رياسة تامة وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا مُتَضَمِّنَةً حفظ الحوزة ورعاية الرعية وإقامة الدعوة بالحجة

(١) أصول الدين للبغدادى، ص ٢٧٨؛ غياث الأمم، ص ٧٢؛ شرح مطالع الأنظار، ص ٢٣١.

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، ص ٧٥٣؛ الفصل في الملل والنحل، ص ٩٣؛ مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٦.

(٣) الفصل في الملل والنحل، ص ٩٤؛ مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٧.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٠ - ١٧١.

والسيف وكفّ الجنب والحيف والانتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق في الممتنعين وإيفائها على المستحقين^(١). وعرفها الإمام الماوردي بموضوعها فقال: الخلافة موضوعة بخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا^(٢)، وعرفها الجلي بأنها رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا، لشخص من الأشخاص نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم^(٣). وهناك جملة تعاريف أخر لكنها تكاد تكون متطابقة المعنى فلا داعي للإكثار منها.
أسماء رئيس الدولة:

ولقد تعددت الأسماء التي تطلق على الرئيس الأعلى المتولي لمصالح الأمة. فأول هذه الأسماء التي أطلقت عليه اسم الخليفة والخليفة في اللغة من خلف في أمر من الأمور أو استخلف غيره. أما في الاصطلاح فهي اسم متولي أمر الدولة الإسلامية لكونه يخلف النبي صلى الله عليه وسلم في أمته وإقامة أحكام شرعه. فيقال خليفة بإطلاق، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومنع الأكثرون من تسميته خليفة الله. فقال الماوردي وامتنع جمهور العلماء من جواز ذلك ونسبوا فائله إلى الفجور، وقالوا يستخلف من يغيب أو يموت والله لا يغيب ولا يموت. وقد قيل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه يا خليفة الله فقال لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤).

وثانيها: أمير المؤمنين توفي أبو بكر رضي الله عنه وهو يدعى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الأمر على ذلك صدرًا من خلافة عمر فقد كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكأنهم استقلوا هذا النسب لكثرتهم وطول إضافته وتزايد مع الزمن. واتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه،

(١) غياث الأمم، ص ١٥.

(٢) الأحكام السلطانية، ص ٥.

(٣) توضيح المراد في شرح تجميد الاعتقاد، ص ٦٧٣.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧١؛ الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى، ص ٢٧؛ الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٦.

.....

يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس ودعوه به. ويقال أن أول من دعاه بذلك عبد الله ابن جحش، وقيل عمرو بن العاص، وقيل بريد جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول أين أمير المؤمنين وسمعتها أصحابه فاستحسنوه، وقالوا أصبت والله اسمه أنه والله أمير المؤمنين حقاً، فدعوه بذلك وذهب لقباً له في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سمة لا يشاركون فيها أحد سواهم فقد كانوا يسمون قواد الجيوش وأمرء السرايا باسم الأمير^(١).

وواضح من هذا أن الصدفه هي التي لعبت الدور الأكبر في إطلاق هذا اللقب على عمر رضي الله عنه. وهو أمر يستبعد الدكتور محمد عمارة في كتابه الإسلام وفلسفة الحكم فيقول: «والأمر الذي يؤكد أن اختيار عمر لهذا اللقب كان اختياراً واعياً وأنه قد اختاره كبديل للقب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كمرادف له ولقب ثانٍ يستخدم معه يؤكد ذلك أن جميع مكاتبات عصره ووثائقه يسمي فيها أمير المؤمنين ولم يسم في أي منها خليفة رسول الله أو بالخليفة^(٢).

وثالثها: الإمام كما يطلق على متولي أمر الدولة الإسلامية اسم الإمام، تشبيهاً له بإمامة الصلاة في اتباعه والاقتداء به^(٣). ولهذا يقال الإمامة الكبرى والإمام من أم القوم بمعنى تقدّمهم. وقد دفع ابن حزم الاشتباه الحاصل من أن اسم الإمام قد يطلق على الفقيه العالم وعلى متولي الصلاة بأهل مسجد بأنه يطلق عليهم مضافاً إلى غيره فيقال فلان إمام في الدين، وإمام بني فلان فلا يطلق لإحدهم اسم الإمامة بلا خلاف من أحد إلا على المتولي لأمر أهل الإسلام^(٤) علماً بأن الشيعة خصوا علياً باسم الإمام نعتاً له بالإمامة التي هي أخت الخلافة وتعريضاً بمذهبهم في أنه أحق بإمامة الصلاة من أبي بكر فيدعون صاحب الحق الشرعي بالإمام، مادام غير

(١) نظام الحكم الإسلامي مقارن بالنظم المعاصرة، ص ٥٨؛ المقدمة، ص ٢٠٢.

(٢) الإسلام وفلسفة الحكم، ص ١٢٦.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧١؛ نظام الحكم الإسلامي، ص ٥٧؛ النظريات السياسية الإسلامية، ص ٩٣.

(٤) الفصل في الملل والنحل، ص ٩٠.

متولي للسلطة بالفعل حتى إذا ما استولى على السلطة وظهر أمره لقُوه بالخليفة أو أمير المؤمنين كما فعله شيعة بني العباس^(١).

ذكرنا فيما سبق آراء العلماء من السلف والخلف في حكم الإمامة ووجوبها وحكم إقامة إمام عام للمسلمين، والشروط التي لا بد من مراعاتها فيه. وأن لنا الآن أن نعرف بالواجبات الملقاة على عاتق الإمام، وماله من الحقوق. وقدمنا الكلام في الواجبات جرياً على القاعدة الإسلامية في تقديم الواجب على الحق. والباحث في الشريعة الإسلامية يمكنه أن يوجز واجبات رئيس الدولة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به فإنه نائب عن صاحب الشرع في تدبير شؤون الأمة الإسلامية في الداخل والخارج، وهذه النيابة هي التي تحدّد ما عليه وما له فهو وكيل المسلمين، وراعي دينهم ودنياهم. ويستمد سلطانه من مبايعة الأمة له، وإجماعها عليه ورضاها به، وقبوله لهذا الاختيار فهي عقد مراضاة واختيار لا يدخله إكراه ولا إجبار. وعبارة القاضي أبي يعلى «وإن امتنع من الإمامة ولم يجب إليها لم يجز عليها وعُدل إلى من سواه من مستحقها فبيع عليها»^(٢). فهي إذن عقد دستوري بين الأمة من جهة، ومتولي أمرها من جهة أخرى يرتب على كلا الطرفين التزامات وحقوقاً وقد ذكر الباحثون في الفقه السياسي والإسلامي هذه الواجبات فنجد الإمام الماوردي يُجملها في عشرة أشياء ومثله القاضي أبو يعلى حتى تكاد نصوصهم في هذا الموضوع تتطابق فنجد الماوردي يقول والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء:

١ — حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة فإن نَجَم مبتدع أو زاغ ذو شبهة أوضح له الحجة وبين له الصواب وأخذ به بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من زلل.

٢ — تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة فلا يعتدي الظالم ولا يضعف المظلوم.

(١) ابن خلدون، ص ٢٠٣؛ نظام الحكم الإسلامي، ص ٥٧ — ٥٨.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ٧؛ الأحكام السلطانية للقاضي أبو يعلى، ص ٢٤.

-
-
- ٣ - حماية البيضة والذب عن الحريم ليتصرف الناس في المعاش ويتنشر وافي الأسفار آمينين من تغريب بنفس أو مال.
- ٤ - إقامة الحدود لتصان محارم الله عن الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من اتلاف واستهلاك.
- ٥ - تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة حتى لا تظفر الأعداء بغره ينتهكون فيها محرماً أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دماً.
- ٦ - جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة، ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله.
- ٧ - جباية الفية والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير خوف ولا عسف.
- ٨ - تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.
- ٩ - استكفاء الامناء وتقليد النصحاء، فيما يفوض إليهم من الأعمال يوكله إليهم من الأموال لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة والأموال بالأمناء محفوظة.
- ١٠ - أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور وتصفح الأحوال، لينهض سياسة الأمة وحراسة الملة ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة فقد يخون الأمين ويغش الناصح وقد قال الله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (سورة ص: آية ٢٦).
- فلم يقتصر الله سبحانه على التفويض دون المباشرة ولا عذره في الاتباع حتى وصفه بالضلال. وهذا وإن كان مستحقاً عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة فهو من حقوق السياسة لكل مسترع قال النبي عليه الصلاة والسلام «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

(١) الماوردي الأحكام السلطانية، ص ١٦ - ١٧؛ الأحكام السلطانية للقاضي أبو يعلى، ص ٢٧ - ٢٨.

وهذه الواجبات هي بعينها ذكرها صاحب كتاب العقد الفريد للملك السعيد، وقال في آخرها هذه الأمور العشرة الأصول التي ينشأ منها شعب متفرعة، وهي قواعد رواسخ تبنى عليها أحكام متنوعة فلن لحظها بعين يقظته وأدخل نكرها في باب معرفته، حمى حوزة ملكه وقام بجوابه لله تعالى عند مسائليه فإن السلطان نائب الله في خليفته وراعي أمورهم، وكل راع مسؤول عن رعيته^(١). وأجمل ابن خلدون ما يلزم الإمام القيام به، عندما تكلم في الخطط الدينية الخلافية، وبيّن أنها مندرجة تحت الإمامة الكبرى ومتفرعة عنها لعموم نظير الخلافة وتصرفها في سائر أحوال الملة الدينية والدنيوية وتنفيذ أحكام الشرع فيها على العموم^(٢).

ونجد الإمام الجويني يقسم ما يلزم الإمام القيام به إلى قسمين: قسم يتعلق بالدين، وقسم يتعلق بالدنيا. وهو في كل ما ذكر لا يخرج عما ذكره الإمام الماوردي إلا بشيء من التفصيل والتحليل^(٣).

فلذا قام الإمام بما فرض الله عليه، وأدى حق رعيته عليه وحفظ المسلمين في دينهم ودنياهم، فله من الأمة السمع والطاعة في السر والسر والمنيشط والمكروه والنصرة والنصيحة. وهذه أمور تقتضيها المصلحة العامة التي رعاها الشارع لأنه لا يستطيع النهوض بما وكل إليه إلا بالطاعة والنصرة فكانت طاعته فيما لا معصية فيه ديناً أمر الله به ونبه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه. وأساس ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤). قوله صلى الله عليه وسلم من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حرج له^(٥). وأحاط الشارع حق الطاعة للإمام، بضمان أكيد حتى لا يساء استغلالها فقيدها

(١) العقد الفريد للملك السعيد، ص ١٤٣.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ١٩٥.

(٣) غياث الأمم، ص ١٣٥.

(٤) سورة النساء: آية ٥٩.

(٥) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢٢.

.....

بأنها طاعة في حقٍ وخيرٍ ومصلحةٍ أو مباحٍ فإذا لم يكن كذلك فلا طاعة ولا نصرة. لما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم «لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في معروف»^(١).

ونجد أئمتنا الاعلام الذين بحثوا بالفقه السياسي الإسلامي يؤكدون هذه الأمور فهذا القاضي أبو يعلى يقول بعد بيانه لما يجب على الإمام القيام به «وإذا قام الإمام بحقوق الأمة وجب له عليهم حقان: الطاعة والنصرة، ما لم يوجد من جهته ما يخرج به من الإمامة»^(٢) وهذا هو عين ما ذكره الماوردي، حيث يقول وإذا قام الإمام بما ذكرناه من حقوق الأمة فقد أدى حق الله تعالى فيما لهم وعليهم ووجب له عليهم حقان الطاعة والنصرة ما لم يتغير حاله»^(٣).

وترتب على هذه الحقوق الواجبة للإمام على رعيته وشعبه جملة أمور منها:

١ - أن على جميع أفراد الأمة أن يقفوا وراء إمامهم، يؤيدون ويكونون معه فيما أحبوا وكرهوا، ما دام ضمن حدود ما فرض الله وشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلا يجوز لأي إنسان أن يتهاون بأداء هذا الحق الشرعي لإمامه، لأن هذا التهاون يؤدي إلى وجود شرخ في وحدة الأمة الإسلامية، ونفور بين الأمة وإمامها وتنازع بين أفرادها، ويزول لعناصر القوى المناهضة لتطل بعناقها ومن هنا يحصل التنازع المؤدي إلى الفشل الذي حذرنا الله منه في القرآن الكريم عندما قال: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ زِينَةُكُمْ﴾^(٤)، ونلاحظ حرص الإسلام على وحدة الأمة واجتماعها، وعلاجه لمثل هذه الأمور الخطيرة في قول الرسول صلى الله عليه وسلم «من فارق الجماعة شبراً فكأنما خلع ربقه الإسلام»^(٥). بل أبذر الإسلام في أحاديث صحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم دم من حاول أن يفرق جماعة

(١) صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٥.

(٢) الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى، ص ٢٨.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٧.

(٤) سورة الأنفال: آية ٤٦.

(٥) مسند أحمد، م ٤ ص ٢٠٢.

فأقول نظام أمر الدين والدنيا مقصود، ولا يحصل ذلك إلا بإمام موجود. لو لم تقل بوجوب الإمامة لأدى ذلك إلى دوام الاختلاف والهرج^(١) إلى يوم القيامة. لو لم يكن للناس ق/٢ إمام مطاع لا نثلّم (شرف)^(٢) الإسلام وضاع. لو لم يكن للأمة إمام قاهر لتعطلت المحارب^(٣) والمنابر، وانقطعت (السبل)^(٤) للوارد والصادر، لو خلا عصر من إمام لتعطلت (فيه)^(٥)

المسلمين، ويشق عصي الطاعة على إمامهم من مثل قوله صلى الله عليه وسلم «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَفْرُقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَأَنَّ مَنْ كَانَ»^(١).

٢ - يحق لإمام المسلمين أن يفرض على رعيته من المسلمين، ما تحتاجه مصلحة الأمة من ضرائب إضافية، لتحقيق نفع عاجل ودفع ضرر محتمل لا يندفع إلا بمثل هذه الوسيلة ويتعاون الأمة مجتمعة.

٣ - ومن حقه عليهم أن ينصحوا ويخلصوا له في النصيحة، فقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم النصيحة للأئمة المسلمين من صميم الدين في قوله: «الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢). فهي للأئمة المسلمين إرادة الخير لهم وتعريفهم طريقه وإرشادهم إليه وتحذيرهم من الشر ومبغضته، والظلم وسوء عاقبته في الدارين. فهي على الجملة إرادة الخير للمنصوح له، وهي هنا تعود على الأمة مجتمعة لأنه بصلاحيهم تصلح الأمة وبفسادهم تفسد.

(١) الهرج: الفتنة والاختلاط وفسره النبي صلى الله عليه وسلم في إشارات الساعة بالقتل/ مختار الصحاح.

(٢) في ج: شرب، وهو خطأ.

(٣) المحارب: المحارب في اللغة كل موضع مرتفع وقيل للذي يصلي فيه محراب لأنه يجب أن يرفع ويعظم وقيل المحارب المساجد/ تفسير القرطبي، سورة سبأ.

(٤) ساقطة من (ب - ج).

(٥) ساقطة من نسخة (ج - د).

(١) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢٢.

(٢) سنن الترمذي، ج ٣ ص ٢١٧.

الأحكام وضاعت الأيتام، ولم يُحج البيت الحرام. لولا الأئمة والقضاة والولاة لما نكحت الأيامى ولا كفلت اليتامى. لولا السلطان لكان الناس فوضى ولأكل بعضهم بعضاً^(١). وفي الحديث «السلطان ظل الله الممدود في الأرض يأوي إليه كل مظلوم»^(٢).

وقال عثمان^(٣) رضي الله عنه: ما يزغ الله بالسلطان أكثر مما يزغ بالقرآن^(٤). (ومعنى يزغ أي يمنع ويكف ويردع)^(٥). وقال بعض القدماء الدين والسلطان (تؤمان)^(٦). وقيل الدين أس والسلطان حارس فما لا أس له فمهذوم، وما لا حارس له فضائع^(٧).

-
- (١) نسبت هذه الجملة للجاحظ في كتاب آداب السياسة وبالعدل مصور رقم ٤٣٠٠.
- (٢) ورد الحديث باختلاف يسير في بعض ألفاظه، في السنن الكبرى للبيهقي، ج ٨ ص ١٦٢؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٧؛ مجمع الزوائد، ج ٥ ص ١٩٦؛ وفيه رواه البزار وفيه سعيد بن سنان أبو مهدي وهو متروك، منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال على هامش المسند، ج ٢ ص ١٣١؛ كشف الخفاء وذكر فيه طرق أخرى للحديث، ج ١ ص ٥٢٢.
- (٣) هو أمير المؤمنين: عثمان بن عفان بن أبي العاص ذو النورين وصاحب المهجرتين وزوج الابنتين. وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى ثالث الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين من السابقين للإسلام. ولد في السنة السادسة بعد الفيل ببيع له سنة ٢٤هـ وقتل سنة ٣٥هـ وله من العمر ٨٢ سنة ودفن بالبقيع رضي الله عنه وأرضاه/ البداية والنهاية، ج ٧ ص ١٩٨؛ الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ٣٦؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٤٠؛ الاستيعاب لابن عبد البر، ق ٣ ص ١٠٣٧؛ المعارف، ص ٨٢.
- (٤) التمثيل والمحاضرة، ص ٢٩؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٣٧؛ الكامل في اللغة والأدب، ج ١ ص ١٥٧.
- (٥) زيادة من النسخة (ب - ج - د).
- (٦) في نسخة (ب - د) نوران والجملة وردت منسوبة لاردشير في تاريخ غرر السير، ص ٤٨١؛ بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١ ص ١٠٦.
- (٧) مروج الذهب، ج ١ ص ١٨٨ ونسبه لاردشير؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ١٣ =

وقال عمرو بن العاص^(١): إمامٌ عادِلٌ خَيْرٌ مِنْ مطيرٍ وابلٍ^(٢)، وأسدٌ حطومٌ خَيْرٌ مِنْ سلطانٍ غشومٍ^(٣)، وسلطانٌ غشومٌ خَيْرٌ مِنْ فتنةٍ تدومُ^(٤).

وقال كعبُ الأحبار^(٥): مثلُ (الإسلام والسلطان)^(٦) مثلُ عمودٍ وفسطاطٍ^(٧)، فالفسطاطُ الإسلامُ، والعمودُ السلطانُ، والأوتادُ الناسُ، ولا يصلحُ بعضهم إلا ببعضٍ^(٨).

وقال الأفوه الأودي^(٩):

= بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١ ص ١٠٧؛ العقد الفريد، ج ١ ص ١٧؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ٢٤؛ بهجة المجالس وأنس المجالس، ق ١ ص ٣٣٢، ونسبة إلى علي كرم الله وجهه، سراج الملوك، ص ٥٣.

(١) عمرو بن العاص: هو أبو محمد عمرو بن العاص الصحابي القرشي أحد سادة قريش في الجاهلية. أسلم يوم الهدنة وهاجر ثم ولي الأمرة في غزو الشام لأبي بكر وعمر، ثم افتتح مصر ووليها لعمر بن الخطاب ثم لمعاوية، كان صاحب دهاء وخبرة توفي سنة ٤٣هـ بمصر/ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١١-٦٢؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٥٣؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٢٥؛ الطبقات الكبرى، ج ٤ ص ٢.

(٢) وابل: المطر الشديد.

(٣) الغشوم: الظلم/ القاموس المحيط.

(٤) التمثيل والمحاضرة، ص ٣١؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ٣٤؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٤، ونسبه إلى بعض الحكماء.

(٥) كعب الأحبار: هو أبو اسحاق كعب الأحبار بن نافع الحميري من مسلمي أهل الكتاب، أسلم على يد أبي بكر الصديق، وهو من الطبقة الأولى من التابعين، أخذ عنه الصحابة كثيراً من أخبار الأمم الغابرة وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. توفي في محص سنة ٣٢هـ عن مائة وأربع سنين. النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٩٠.

(٦) في (ب-ج-د): مثل السلطان والإسلام.

(٧) الفسطاط بيت من الشعر/ مختار الصحاح.

(٨) عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٢؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٦؛ سراج الملوك، ص ٥٣.

(٩) الأفوه الأودي: هو صلاءة بن عمرو بن مالك، شاعر جاهلي غلب عليه لقب الأفوه/ الشعر والشعراء، ص ٢٢٣.

لا يصلحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سِرَاءَ لَهُمْ ولا سِرَاءَ إِذَا جَهَّالُهُمْ سَادُوا
كَالْبَيْتِ لَا يَبْتَنِي إِلَّا لَهُ عِمْدٌ ولا عِمُودٌ^(١) إِذَا لَمْ تُرْسَى أَوْتَادُ
فَلِنْ تَجْمَعَ أَوْتَادُ (وَاعِمْدَةٌ)^(٢) وساكنُ بَلْغُوا الأَمْرَ الَّذِي كَادُوا^(٣)
وقَالَ ابْنُ المَعْتَزِ^(٤): فَسَادُ الرِّعْيَةِ بِلَا مَلِكٍ كَفْسَادُ الجِسْمِ بِلَا رُوحٍ^(٥).
وقال بعضُ البلغاءِ: السُّلْطَانُ زِمَامٌ^(٦) المَلَّةِ^(٧)، ونِظَامُ الجَمَلَةِ، وجَلَاءُ
الْغَمَةِ^(٨)، ورِبَاطٌ^(٩) البِيضَةِ^(١٠)، وَعِمَادُ الحَوْزَةِ^(١١). وَقَالَ آخَرُ: (السُّلْطَانُ)^(١٢)
يُدَافِعُ عَنِ سَوَادِ الأُمَّةِ^(١٣) بِيِضِ الدَّعْوَةِ.

- (١) في نهاية الارب، ج ٣ ص ٦٤؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٥١ عماد.
- (٢) في نسخة (ب، ج): وابنية.
- (٣) نهاية الارب، ج ٣ ص ٦٤، وفي الأبيات تقديم وتأخير، التمثيل والمحاضرة، ص ٥١؛ الشعر والشعراء، ص ٢٢٣، وفيه لا يصلح القوم.
- (٤) ابن المعتز: هو أمير المؤمنين الراضي بالله أبو العباس عبدالله ابن المعتز بالله بن المتوكل العباسي. ولد في شعبان سنة ٢٤٧هـ وأخذ عن المبرد وعلب، وكان فاضلاً شاعراً بويح له بالخلافة يوماً واحداً، ولم يتم له الأمر ثم قتل خنقاً ٢٧٦هـ/ تاريخ بغداد، ج ٧ ص ٢١٤؛ تاريخ الطبري، ج ١٣ ص ٢٢٨٢؛ الفهرست، ص ١١٦؛ فوات الوفيات، ج ١ ص ٢٤١.
- (٥) آداب ابن المعتز، ص ١٢١؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٤؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٢؛ بهجة المجالس، ج ١ ص ٣٥٠؛ رسائل ابن المعتز، شرح محمد عبد المنعم خفاجي، ص ٦٨.
- (٦) الزمام: الخيط الذي يشد به ويسمى المقود زمام، وزم البعير خطة والمزمومة صوت الرعد/ مختار الصحاح.
- (٧) الملة: الدين والشريعة/ مختار الصحاح.
- (٨) الغمة: الكربة ويقال أمر غمة أي مهم ملتبس/ مختار الصحاح.
- (٩) الرباط: ما تشد به الدابة والقربة/ مختار الصحاح.
- (١٠) البیضة: بیضة القوم ساحتهم وبيضة كل شيء حوزته/ مختار الصحاح.
- (١١) الحوزة: الناحية وكل من ضم شيئاً إلى نفسه فقد حازه/ مختار الصحاح.
- (١٢) ساقطة من نسخة ج.
- (١٣) سواد الأمة: عامتهم/ مختار الصحاح.

بَابُ فِي ذِكْرِ الْوَالِي الْعَادِلِ (وَمَالُهُ مِنَ الْأَجْرِ)^(١) وَالْوَالِي الْجَائِرِ وَمَا عَلَيْهِ مِنَ الْوِزْرِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَةٌ يَظِلُّهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، إِمَامٌ عَادِلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ
وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مَعْلُوقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ
خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلَانِ تَحَابَا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ
تَفَرَّقَا، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ (امْرَأَةٌ)^(٢) ذَاتُ حَسَنِ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تَنْفِقُ
يَمِينُهُ^(٣). فَبَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْإِمَامِ الْعَادِلِ وَحَقِيقُ^(٤)
أَنْ يَبْدَأَ بِهِ، لِأَنَّهُ مِنَ الْعَالَمِ بِمَنْزِلَةِ السَّوَادِ مِنَ الْعَيْنِ بَلْ بِمَنْزِلَةِ السَّوِيدِ^(٥) مِنَ
الْقَلْبِ، بَلْ هُوَ بِمَنْزِلَةِ الْقَلْبِ مِنَ الْجَسَدِ، فَبِصَلَاحِهِ يَصْلَحُ (الْجَسَدُ)^(٦)
وَبِفُسَادِهِ يَفْسُدُ.

(١) زيادة من النسخة (ب، ج، د).

(٢) زيادة من النسخة (ج).

(٣) ورد الحديث بتقديم وتأخير بعض الألفاظ، صحيح مسلم، ج ٣ ص ٩٣. السنن
الكبرى للبيهقي، ج ٤ ص ١٩٠. مشكاة المصابيح، ج ١ ص ٢٢٠ - ٢٢١. موطأ
مالك، بشرح الزرقاني، ج ٤ ص ٣٤٢. والراعي هو الحافظ الملتزم صلاح ما قام عليه
وفيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه.

(٤) حقيق به: أي خليق به وجدير به/ مختار الصحاح.

(٥) سويداء القلب: حبه/ مختار الصحاح.

(٦) الجسد، زيادة من نسخة (ج).

كما قال عليه الصلاة والسلام «إن في الجسد مضغة»^(١)، إذا صلحت
صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله (الآ)^(٢) وهي القلب»^(٣).

وقد تقدم قول ابن المعتز^(٤)، فساد الرعية بلا ملك كفساد الجسم
بلا روح. وإنما كان السلطان بهذه المثابة لأنه في نفسه إمام متبوع، وفي
سيرته دين مشروع، فإن ظلم لم يعدل ق/ ٣ أحد في حكم، وإن عدل لم
يستجري أحد على ظلم^(٥).

وروي أن عمر بن الخطاب^(٦)، رضي الله عنه، لما حمل إليه مغنم
العراق عند افتتاحها، وما أصيب من كنوز كسرى ورأى ما فيها من الجواهر
النفيسة جعل يتعجب منها، ويقول: «إن الذي أدى هذا لأمين»، فقال له

(١) مضغة: قطعة من اللحم، وقلب الإنسان مضغة من جسده/ مختار الصحاح.

(٢) زيادة من نسخة (ب - ج - د).

(٣) صحيح البخاري، ج ١ ص ٢٠. صحيح مسلم، ج ٥ ص ٥٠. مسند أحمد، م ٤
ص ٢٧٠. سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ١٣١٩. والحديث دليل على عظيم دور القلب في
استعمال الجوارح لأنها تابعة والقلب متبوع.

(٤) تقدمت ترجمة ابن المعتز، ص ٧١، ٩٧.

(٥) وردت الجملة منسوبة إلى بعض البلغاء في أدب الدنيا والدين، ص ١٣٧. كتاب
الأمثال، للثعالبي، ص ٤٦.

(٦) عمر بن الخطاب: هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي
العدوي. ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، أسلم وله من العمر ٢٧ سنة، وشهد
بدرأ وأحدا، والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم. وهو أول من دعي أمير
المؤمنين، وأول من أرخ بالهجرة، وفتح الفتوح، ومصر الأمصار، ووضع الخراج، ودون
الدواوين، واستقصى القضاة. لقب بالفاروق لعدله، استشهد وله ستون سنة، وكانت
مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام. الاستيعاب ق/ ٣ ص ١١٤٤.
الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ١٩٠. البداية والنهاية، ج ٣ ص ١٣٣. شذرات الذهب،
ج ١ ص ٣٣. المعارف، ص ٧٧.

عبد الرحمن بن عوف^(١) أنا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين أنت أمين الله وهم أمناؤك، فما دمت مؤدياً للأمانة أدوها ومتى رتعت رتعوا^(٢).

وفي بعض الآثار «الناس على دين الملك»^(٣). وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في كتابه إلى هرقل عظيم الروم «أسلم يؤتكَ الله أجرَكَ مرتين إن آبيت فإن عليك أثم الأريسين»^(٤). والأريسيون الأكاريون^(٥)، قيل معناه أن الرعية اتباع للملوك في الخير والشر، والإسلام والكفر، فمتى آبيت قبول الإسلام وتخلفت عنه وأقمت على الكفر، كان ذلك سبب تخلف رعيته عن الإسلام وتركهم الدخول فيه فيكون عليك مثل أثمهم.

وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَنَّ سَنَةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٦). قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث، كان يسمى في الجاهلية عبد عمرو، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن. ولد بعد الفيل بعشر سنين، هاجر الهجرتين، وتوفي سنة ٣١هـ، وهو ابن ٧٥ سنة، ودفن بالبقيع، وصلى عليه عثمان. الاستيعاب ٢/ ص ٨٤٤. المعارف، ص ١٠٣.

(٥) العقد الفريد، ج ١ ص ٢٣. عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٥٢ - ٥٣. الكامل في التاريخ، م ٢ ص ٣٦٠. فتوح الشام، ج ٢ ص ٢٠٧. الطبري، ج ٥ ص ٢٥٤. والمصادر التاريخية، تنسب القول لعلي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وليس لعبد الرحمن بن عوف.

(٣) في تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، قال شيخنا لا أعرفه حديثاً. وذكره صاحب مجمع الأمثال، ج ٢ ص ٣٥٨. بدائع السلك، ج ١ ص ٨٦.

(٤) كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى هرقل، ذكره الإمام مسلم، في صحيحه كاملاً، ج ٥ ص ١٦٣. البخاري، ج ٤ ص ٥٧. مسند أحمد، م ١ ص ٢٦٣. تاريخ الطبري، ج ٣ ص ١٥٦٥. السيرة الحلبية، ج ٢ ص ٣٦٦.

(٥) الأكار: الحرات/ القاموس المحيط.

(٦) سنن الترمذي، ج ٤ ص ١٤٩، باختلاف في بعض الألفاظ، وقال حديث حسن صحيح. سنن النسائي، ج ٥ ص ٧٦. سنن ابن ماجه، ج ١ ص ٧٤.

وسلم: «مَنْ دَعَا إِلَى هَدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجْرٍ مِنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ (ذَلِكَ)»^(١) مِنْ آثَامِهِمْ شَيْءٌ»^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَقْرَبَهُمْ (مِنْهُ)»^(٣) إِمَامٌ عَادِلٌ، وَإِنَّ (أَبْغَضَ النَّاسِ)»^(٤) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ وَأَشَدَّهُمْ عَذَابًا إِمَامٌ جَائِرٌ»^(٥).

وفي حديثٍ آخَرَ «إِنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِمَامٌ عَادِلٌ رَفِيقٌ، وَإِنْ أَشَرَّ عِبَادِ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِمَامٌ جَائِرٌ»^(٦).

وقال عليه الصلاة والسلام: «الْإِمَامُ جُنَّةٌ»^(٧) يِقَاتِلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ أَمَرَ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ»^(٨).

(١) ساقطة من نسخة (ج).

(٢) سنن ابن ماجه، ج ١ ص ٧٥. سنن الترمذي، ج ٤ ص ١٤٩. وقال حديث حسن صحيح. سنن أبي داود، ج ٤ ص ٢١٠. صحيح مسلم، ج ٨ ص ٦٢. قوله صلى الله عليه وسلم، لا ينقص ذلك من أجورهم دفع به ما يتوهم أن أجر الداعي إنما يكون بالنقص من أجر التابع وضمه إلى أجر الداعي. وقوله مثل آثام من تبعه لتولده عن فعله والعبد يستحق العقوبة على السبب وما تولد منه.

(٣) في (ب - ج - د): إليه.

(٤) كلمة الناس ساقطة من (ب - ج - د): والنص وأبغضهم إلى الله.

(٥) سنن الترمذي، ج ٢ ص ٣٩٤، وقال حديث حسن غريب. مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٤.

(٦) مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٧. مجمع الزوائد، ج ٥ ص ١٩٧. الترغيب والترهيب، ج ٣ ص ١٦٨، وقال رواه الطبراني في الأوسط من رواية ابن لهيعة، وحديثه حسن في المتابعات.

(٧) جنة: وقاية/ القاموس.

(٨) البخاري، ج ٤ ص ٦٠. صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٧. سنن أبي داود، ج ٣ =

وقال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة يغضهم الله الإمام الجائر والشيخ الزاني، والفقيр المختال»^(١). وزوت عائشة^(٢)، رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به»^(٣). وهذا عام في كل والٍ ولايته عمت أو خصت «قلت أو كثرت عظمت أو صغرت»^(٤).

وقال عليه السلام: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين العرش الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»^(٥).

= ص ٨٢. سنن النسائي، ج ٧ ص ١٥٥ - ١٥٦. وإنما كان الإمام جنة، لأنه يقتدى برأيه ونظيره في الأمور العظام والوقائع الخطرة، ولا يتقدم على رأيه، ولا ينفرد دونه بأمر مهم. يقاتل الناس معه الكفار والبغاة وسائر أهل الفساد. وقيل المراد أن يقاتل الناس أمامه، فإن وراء هنا بمعنى أمام، فلا يترك يباشر القتال بنفسه، لما فيه من تعريضه للهلاك، والصحيح أن المراد أن يقاتل على وفق رأيه وأمره فصار كأنهم خلفه.

(١) ذكر الإمام أحمد، في مسنده الحديث، بكماله، م ٥ ص ١٥٣، ورفعته إلى أبي ذر. سنن الترمذي، ج ٤ ص ١٠٢، وقال حديث صحيح.

(٢) هي أم المؤمنين، عائشة بنت أبي بكر الصديق، تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم، بمكة قبل الهجرة بستين أو ثلاث، وبنى بها بالمدينة ولها تسع سنين، ومات عنها وهي ابنة ١٨ سنة، وكانت من أحب أزواج الرسول إلى نفسه، نزل القرآن ببرائتها، ونقل عنها علم كثير، وكانت من أكثر الصحابة حفظاً وفتياً، توفيت سنة ٥٧هـ. الاستيعاب، ق/٤ ص ١٨٨١. شذرات الذهب، ج ١ ص ٦١. الطبقات الكبرى، ج ٨ ص ٣٩.

(٣) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٧. مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٠. هذا الدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، على من ظلم رعيته، وعاملهم بالعسف، ودعاء لمن رفق بهم وعاملهم باللطف والرفق، وهو من أبلغ الزواجر عن المشقة.

(٤) زيادة من (ب، ج، د).

(٥) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٧. مسند أحمد، م ٢ ص ١٦٠. سنن النسائي، ج ٨ ص ٢٢١. يبين الرسول صلى الله عليه وسلم، ما للعادلين عند الله من الأجر والمنزلة فهم عنده مقربون ولديه مكرمون. والحديث كناية عن حسن حالهم وعلو مرتبتهم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من أميرٍ عشره إلا جيء به يوم القيامة مغلولاً يده إلى عنقه، حتى يكون عمله (هـ)»^(١) الذي يطلقه أو يوقه»^(٢).
أي يهلكه، وقال عليه السلام: «عدل ساعة في حكومة خير من عبادة سنة»^(٣)
وقال عليه الصلاة والسلام: «العامل على الصدقة بالحق كالغازي في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته»^(٤) وعن أبي ذر^(٥)، رحمه الله تعالى، قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني، قال فضرَبَ بيده على منكبي ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة (حسرة)»^(٦) وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»^(٧). وفي رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه

(١) ساقطة من النسخة (ب).

(٢) السنن الكبرى، م ٧ ص ٩٥. مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٢. سنن الدارمي، ج ٢ ص ٢٤٠.

(٣) ذكرت النسخة (ب - ج): هذا الحديث، قبل الحديث الذي قبله، والحديث رواه صاحب كنوز الحقائق، في حديث خير الخلائق، على هامش مسند أحمد، م ٢ ص ١١. كشف الخفاء، ج ٢ ص ٧٥، بلفظ عدل حكم ساعة خير من عبادة سبعين سنة.

(٤) سنن أبي داود، ج ٣ ص ١٣٢. مسند أحمد، م ٣ ص ٤٦٥. سنن الترمذي، ج ٢ ص ٧٩، وقال فيه حديث حسن. سنن ابن ماجه، ج ١ ص ٥٧٨.

(٥) هو جندب بن جناده على المشهور، أسلم قديماً بمكة، فكان رابع أربعة أو خامس خمسة، لم يشهد بدرأ ولا أحداً ولا الخندق، لأنه حين أسلم رجع إلى قومه، فأقام حتى مضت هذه المشاهد، ثم قدم النبي صلى الله عليه وسلم، ولزمه ثم خرج في خلافة أبي بكر إلى الشام، فلم يزل بها حتى ولي عثمان، رضي الله عنه، فأسكنه الريلة، فمات بها سنة ٣٢هـ، وصلى عليه عبد الله بن مسعود. الاستيعاب، ق/١ ص ٢٥٢. الطبقات الكبرى، ج ٢ ص ١١٢. البداية والنهاية، ج ٧ ص ١٦٤.

(٦) في (ب - ج - د): خزي.

(٧) السنن الكبرى، م ١٠ ص ٩٥. مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٨٩. صحيح مسلم، ج ٦ ص ٦ - ٧. قال النووي هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائفها، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلاً لها، أو كان أهلاً ولم يعدل فيها. وأما من كان أهلاً للولاية وعدل، فله فضل =

وسلم قال له: «يا أباذر إني أراك ق/٤ ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين على مال يتيم»^(١).

وعن المقدم بن معدي كرب^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب على منكبه ثم قال: «أفلحت يا مقدم إن لم تكن أميراً ولا كاتباً ولا عريفاً»^(٣).

وروي أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبي شيخ كبير وهو عريف الماء^(٤) (وهو يسألك)^(٥) أن تجعل العرافة لي بعده قال صلى الله عليه وسلم: «إن العرافة حق، ولا بد للناس من العرافة ولكن العراف في النار»^(٦).

= عظيم، تظاهرت به الأحاديث الصحيحة. صحيح مسلم، بشرح النووي، ج ١٢ ص ٢١١.

(١) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٧. سنن النسائي، ج ٦ ص ٢٥٥. ووجه ضعفه أن الغالب عليه كان الزهد واحتقار الدنيا، ومن هذا حاله لا يعتنى بمصالح الدنيا وبأموالها، الذين بمراعاتها تنتظم مصالح الدين ويتم أمره. وقد كان أبوذر أفرط في الزهد في الدنيا، حتى انتهى به الحال إلى أن يفتي بتحريم الجمع للمال وإن أخرجت زكاته، فلما علم منه النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحالة، نصحه ونهاه عن الإمارة، وعن ولاية مال يتيم، وأكد النصيحة ببيان حبه له.

(٢) هو المقدم بن معدي كرب الصحابي الزبيدي الكندي، أحد الوفود الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنده، وبالشام مات سنة ٨٧هـ، وهو ابن ٩١ سنة. الاستيعاب، ق/٤ ص ١٤٨٢. شذرات الذهب، ج ١ ص ٩٨. البداية والنهاية، ج ٩ ص ٧٣.

(٣) سنن أبي داود، ج ٣ ص ١٣١. السنن الكبرى، ج ٦ ص ٣٦١. مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٤.

(٤) العريف: النقيب وهو دون الرئيس والجمع عرفاء/ مختار الصحاح.

(٥) في (ب - ج - د): إنه يسألك.

(٦) سنن أبي داود، ج ٣ ص ١٣٢. السنن الكبرى، للبيهقي، ج ٦ ص ٣٦١. مشكاة =

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة صاحب مكس»^(١).
وسنذكر إن شاء الله فيما بعد ما ورد من ألفاظ الحكماء والبلغاء في
مدح العدل وذم الجور في باب مفرد إن شاء الله تعالى.

= المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٣. هذا الحديث يشعر بأن العرافة على خطر، ومن باشرها
غير آمن من الوقوع في المحذور المفض إلى العذاب، فيجب أن يكون على حذر منها لئلا
يتورط فيما يؤديه إلى النار/ فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج ١٣ ص ١٦٩.
(١) سنن أبي داود، ج ٣ ص ١٣٣. والمكوس هي الأموال التي تؤخذ ظلماً من الرعية
وتضرب على أسواقهم وبيعاتهم. وقال الماوردي بحزمة ما يؤخذ على ما ينقل في دار
الإسلام من بلد إلى بلد. الأحكام السلطانية، ص ٢٠٨

بَابُ فِي ذِكْرِ مَا يَجِبُ عَلَى الرِّعْيَةِ لِلْوَلَاةِ مِنَ الطَّاعَةِ وَمَا يَكْرَهُ لَهُمْ مِنَ (الْمَعْصِيَةِ) ^(١) وَالْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ وَمَفَارِقَةِ الْجَمَاعَةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ^(٢) فَأَوْجِبَ طَاعَةَ أُولِي الْأَمْرِ

(١) ساقطة من (ب - ج - د).

(٢) آية ٥٩ من سورة النساء وهي مدنية. وروى في الصحيحين في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس إذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية، وكان فيه دعاية ومن دعايته أنه أمرهم أن يجمعوا حطباً، ويوقدوا ناراً فلما أوقدوها أمرهم بالتقحم فيها، وقال لهم ألم يأمركم رسول الله بطاعتي، وقال من أطاع أميري فقد أطاعني، فقالوا ما آمنا بالله واتبعنا رسوله إلا لنتجو من النار فصوب رسول الله فعلهم. وقال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» وهو حديث صحيح الاسناد ومشهور ووجه الدلالة من الآية أن الله تعالى لما أمر ولادة الأمور في الآية السابقة على هذه الآية بأداء الأمانة والعدل في الأحكام، أمر الرعية في هذه الآية بطاعته أولاً، وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ثم بطاعة رسوله فيما أمر به ونهى عنه، ثم بطاعة الأمراء ثالثاً على قول الجمهور وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم. وما ذاك إلا لأن الطاعة لولادة الأمور تعتبر الدعامة الأولى للحكم في الإسلام، وقاعدة أساسية من قواعده، فالمرء لا يكاد يتصور وجود دولة قوية ونظام سليم، دون أن يكون هناك عدل في الحاكم وطاعة من الرعية. وهذا ما عناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قال: «لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بلا أمير، ولا أمير بلا طاعة». ولذلك نجد القرآن الكريم والسنة النبوية، قد أكثرا من الحث على السمع والطاعة. وقد ذكر الأستاذ سيد قطب رحمه الله وجعل اللجنة مثواه في ظلال القرآن في تفسيره لسورة النساء أن هذه الآية تصنع الأساس =

(وَقَرَنَهَا) ^(١) بطاعته وطاعة رسوله . وقد فَسَّرَ ذلك أكثر أهل العلم ، بأن

= الكامل لنظام الحكم في الإسلام . فالحاكمة لله وحده ، فشريعته هي الدستور الأساسي والله واجب الطاعة فشريعته واجبة التنفيذ ، وعلى الذين آمنوا أن يطيعوا الله ابتداء ، وأن يطيعوا رسوله لأن طاعته من طاعة الذي أرسله بهذه الشريعة وسنته وقضاؤه جزء من الشريعة واجب التنفيذ . أما أولوا الأمر فالنص يجعل طاعتهم تبعية لا أصلية فلا يكرر لفظ الطاعة عند ذكرهم ، ليدل على أن طاعتهم مستمدة من الله ورسوله من القيام على شريعة الله ورسوله وليس لهم طاعة فيما وراءها ، لأن الطاعة لهم تبعية لا أصلية ، ومستمدة من أصل وليست هي بذاتها أصل . ونصوص السنة تؤكد هذا المعنى كحديث : «إنما الطاعة في المعروف» . وقال الزمخشري في الكشاف أن المقصود بأولي الأمر ، أمراء الحق لأن أمراء الجور ، الله ورسوله يبرئان منهم ، فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم ، وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهم ، في إيثار العدل واختيار الحق ، والأمر بهما والنهي عن أضدادهما ، كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان ثم قال بعد كلام له . . . وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الله الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقى معه شك ، وهو أن أمرهم أولاً بأداء الامانات وبالعدل في الحكم ، وأمرهم آخر بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ، ولا يحكمون بالعدل ولا يردون شيئاً إلى كتاب الله ولا إلى سنة ، وإنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم ، فهم منسلخون عن خيار الذين هم أولي الأمر عند الله ورسوله وأحق أسمائهم للصوص المتغلبة . بينما نجد الفخر الرازي يستدل بهذه الآية على أن إجماع الأمة حجة ، ووجه كونه حجة من الآية أن الله أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم ، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم ، لا بد أن يكون معصوماً وهو إما مجموع الأمة ، أو بعض الأمة لا جائز أن يكون بعض الأمة . . . وإذا كان الأمر كذلك علمنا أن المعصوم الذي أمر الله بطاعته ليس بعضاً من أبعاد الأمة ولا طائفة من طوائفهم ولما بطل هذا وجب أن يكون المعصوم الذي هو المراد بقوله ، وأولي الأمر أهل الحل والعقد من الأمة وذلك يوجب القطع بأن إجماع الأمة حجة . ونقل بعد ذلك أقوال العلماء في المراد بأولي الأمر ورد على الروافض في قولهم المراد الأئمة المعصومون . انظر : التفسير الكبير (تفسير فخر الدين الرازي) م ٣ ص ٢٤٣ ؛ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، ج ١ ص ٥٣٥ - ٥٣٦ .

(١) في (ج) وأوجبها .

المراد بأولي الأمر أمراء المسلمين. وروى ذلك عن أبي هريرة^(١)، وابن عباس^(٢) (رضي الله عنهما)^(٣)، وزيد بن أسلم^(٤) (رضي الله عنه)^(٥). وهو اختيار أكثر العلماء^(٦).

وقال عليه الصلاة والسلام «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»^(٧).

(١) أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي على الأشهر. كناه الرسول صلى الله عليه وسلم بأبي هريرة، أسلم عام خيبر وشهدا مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم لزمه وواظب على الصحبة. وكان من أحفظ الصحابة، روى عنه أكثر من ثمان مائة رجل، من أصحاب وتابع استعمله عمر على البحرين، ثم عزله ثم أراحه على العمل فأبى عليه ولم يزل يسكن المدينة، وبها كانت وفاته سنة ٥٨هـ وصلى عليه الوليد بن عقبة بن أبي سفيان وله من العمر ٧٨ سنة / الاستيعاب، ق ٤ ص ١٧٨٨؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٥١؛ الطبقات الكبرى، ج ٤ ص ٥٢؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٦٣؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ١٣.

(٢) عبد الله بن عباس: هو أبو العباس عبد الله بن عباس، حبر الأمة وترجمان القرآن، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو الخلفاء العباسيين. ولد في شعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم علمه التأويل وفقه في الدين» وكان عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات ثم لا يتجاوز قوله، شهد مع علي الجمل وصفين وقد استنابه على البصرة، وأقام للناس الحج في بعض السنين، توفي بالطائف سنة ٦٨هـ / الاستيعاب، ق ٣ ص ٩٣٣؛ الطبقات الكبرى، ج ٢ ص ١١٩؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٢٩٥؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٨٢.

(٣) زيادة من (ب - ج - د).

(٤) هو زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي العجلاني الأنصاري، حليف لبني عمرو بن عوف. شهد بدرًا واحدًا، وهو ابن عم ثابت بن أقرم. الاستيعاب، ق ٢ ص ٥٣٦.

(٥) زيادة من (ب - ج).

(٦) تفسير القرطبي وفيه أن المراد بأولي الأمر، الأمراء على قول الجمهور وأبي هريرة، وابن عباس وغيرهم / تفسير القرطبي، م ٣ ص ٢٥٩.

(٧) صحيح البخاري، ج ٤ ص ٦٠؛ صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٣؛ مسند أحمد وفيه ورد =

وقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَوِ اسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مَجْدُعُ الْأَطْرَافِ يَقُودُكُمْ بَكْتَابِ اللَّهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»^(١).

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ^(٢) قَالَ: «بَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشِطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعَسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ»^(٣).

= الحديث كاملاً، م ٢ ص ٢٥٣؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٥؛ سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ٩٥٤؛ مسند الحميدي، ج ٢ ص ٤٧٧؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٨٥ وقوله صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله مقتبس من قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ الذي أمر بالأمر ابتداءً. ولأنه صلى الله عليه وسلم إنما يحكم نيابة عن الله، وكذا الإمام يحكم نيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر الخطابي سبب اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشأن الأمراء، حتى قرن طاعتهم إلى طاعته، فقال كانت قريش ومن يليهم من العرب لا يعرفون الإمارة، ولا يدينون لغير رؤساء القبائل فلما كان الإسلام وولى عليهم الأمراء، أنكرت ذلك نفوسهم وامتنع بعضهم من الطاعة، فأعلمهم الرسول أن طاعتهم مربوطة بطاعته ومعصيته بمحضته حثاً لهم على طاعة أمرائهم لثلاث تتفرق الكلمة/ فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج ١٣ ص ١١٢.

(١) صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٤ - ١٥؛ سنن النسائي، ج ٧ ص ١٥٤؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ٥٥؛ سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ٩٥٥؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ١٢٥، وقال هذا حديث حسن صحيح، قد روي من غير وجه، مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٨٥، والمعنى لو استعمل عليكم أي جعل عاملاً عليكم، بأن جعل الخليفة بعض عبيده أميراً عليكم فاسمعوا وأطيعوا. ولا يرد أن العبد لا يصلح للخلافة فالمطلوب هنا المبالغة وقوله يقودكم بكتاب الله أي يحملكم على مقتضاه، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

(٢) هو عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري. يكنى أبا الوليد شهد العقبة الأولى، والثانية والثالثة، وكان أحد النقباء آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد بدرًا والمشاهد كلها تولى قضاء الشام لعمر، فأقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها، ودفن ببيت المقدس. وهو ابن ٧٢ سنة وذلك سنة ٣٤هـ، الاستيعاب، ق ٢ ص ٧٠٨؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٩١.

(٣) الأثر: استأثر بالشيء استبد به والاسم الأثره بفتحيتين مختار الصحاح.

علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان»^(١).

وعن ابن مسعود^(٢) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها ستكون بعدي أثرة، وأمر تنكرونها، قالوا يا رسول الله فما تأمر من أدرك ذلك قال تؤدون الحق الذي عليكم وتسالون الله الذي لكم»^(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام للأَنْصار: «إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»^(٤).

(١) البخاري، ج ٩ ص ٥٩؛ صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٦-١٧؛ سنن النسائي، ج ٧ ص ١٣٨-١٣٩؛ السنن الكبرى، ج ٨ ص ١٤٥؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٨٦، والحديث يرشد إلى ما بايعت الصحابة عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، من السمع والطاعة في حالة النشاط والكراهة، والعسر واليسر، وأن لا ينازعوا الأمر أهله أي لا تنازع من ولي الإمارة من كان أهلاً لها، من أئمة العدل ومن على شاكلتهم، إلا أن تروا كفراً بواحاً أي جهاراً عندكم من الله فيه حجة بينه، من نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل. ومقتضاه عدم جواز الخروج مادام فعلهم يحتمل التأويل / فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١٣ ص ٨.

(٢) عبدالله بن مسعود: هو عبدالله بن مسعود بن غافل، يكنى أبا عبد الرحمن، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا، وبيعة الرضوان وجميع المشاهد وكان على قضاء الكوفة، وبيت مالها لعمر وصدرًا من خلافة عثمان، كان من أقرأ الصحابة للقرآن، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أراد أن يقرأ القرآن غَضًّا كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» توفي سنة ٣٢هـ، وهو ابن بضع وستين سنة ودفن بالبقيع / الاستيعاب، ق/٣ ص ٩٨٧؛ المعارف، ص ١٠٩.

(٣) صحيح البخاري، ج ٩ ص ٥٩، صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٧-١٨؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٧؛ وهذا الحديث من معجزات النبوة فإنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن ذلك بما أوتي من الغيب، وفيه الحث على السمع والطاعة، وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً، فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يتخلع بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه / صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢ ص ٢٣٢.

(٤) البخاري، ج ٥ ص ٤١؛ صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٩؛ السنن الكبرى، م ٨ =

وعن حذيفة بن اليماني ^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تكونُ بعدي أئمةٌ لا يهتدونَ بهدائي ولا يستنونَ بستي، وسيقومُ فيهم رجالٌ قلوبُهُم قلوبُ الشياطينِ في جثمانِ إنسٍ قال قلتُ كيف أصنعُ يا رسولَ الله إن أدركتُ قال تسمعُ وتطيعُ، وإن ضربَ ظهركُ وأخذَ مالكُ فاسمعُ وأطعُ» ^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وفارقَ الجماعةَ ثم ماتَ ماتَ ميتةً جاهليَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِيَّةٍ ^(٣) يغضبُ للعصبيةِ ويقَاتِلُ للعصبيةِ، فليسَ مِنِّي، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وفَاجِرَهَا ولا يتَحَاشَى لمؤمنها ولا يفي لذي عَهْدِهَا فليسَ مِنِّي» ^(٤). وقال صلى الله عليه وسلم:

= ص ١٥٩؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ٣٢٦؛ وقال هذا حديث حسن صحيح، سنن النسائي، ج ١ ص ٢٢٥.

(١) حذيفة بن اليماني: هو حذيفة بن اليماني العبسي. واسم اليماني حسيل بن جابر، يكنى أبا عبدالله العبسي صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عمر يسأله عن المنافقين فإذا لم يشهد جنازة أحد لم يشهدا عمر، شهد أحداً توفي سنة ٣٦هـ. الاستيعاب، ق/١ ص ٣٣٤؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٤٤؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٠٢؛ المعارف، ص ١١٤.

(٢) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢٠؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٧، وقال الدارقطني أنه مرسل، لأن راويه عن حذيفة هو أبو سلام وهو لم يسمع من حذيفة لكن المتن صحيح، ويخبر الرسول، صلى الله عليه وسلم بمن أوتي من الغيب عن حال أئمة الجور الذين يجهلون عن الحق ولا يهتدون بنور النبوة وحال بطانتهم الذين يحبون لهم المعاصي ويزينون لهم المنكر، فيقومون بدور الشياطين. وبين ما يجب على المسلم عندها من سمع وطاعة مادام الأمر لم يصل إلى الكفر البواح.

(٣) عمية: هي بضم العين وكسرهما لغتان مشهورتان والميم مشددة والياء مشددة أيضاً وهي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه.

(٤) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢١؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٦؛ مسند أحمد، م ٢ ص ٢٩٦؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٨٦، بين الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن من خرج عن طاعة إمامه وفارق جماعة الإسلام، فمات على تلك الحال =

«مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَمَاتَ فَمِيئَةً جَاهِلِيَّةً»^(١).

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ إِذَا كَانَ الْإِمَامُ عَادِلًا فَلَهُ الْأَجْرُ وَعَلَيْكُمْ الشُّكْرُ وَإِنْ كَانَ جَائِرًا فَعَلَيْكُمْ الصَّبْرُ وَعَلَيْهِ الْوَزْرُ^(٣) ق/ ٥.

وفي الحديث: «مَنْ نَزَعَ يَدَهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حِجَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤)

= من منابذة الإمام والمسلمين مات ميتة جاهلية، فإنهم كانوا شيعة وأحزاباً متفرقة لا يطيعون أمير، ولا ينضمون إلى جماعة واحدة، بل عصائب متنازعة يقاتل بعضهم بعضاً. ومثله في الضلالة والغواية من قاتل تحت راية اجتمع أهلها على أمر مجهول، لا يعرف أنه حق أو باطل يدعون إليه ويقاتلون لأجله، من غير بصيرة أو حجة. ثم يؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا المعنى ويبين أن من شق عصا الطاعة، وخرج على أمة الإسلام لا يبالي بما يفعل، يؤدي البر والفاجر دون تفريق بين تقي وشقي ولا يفي للذي عهد بما عاهد، وينقص عهد أهل الذمة يقتلهم وأخذ أموالهم، فقد أخرجه الرسول صلى الله عليه وسلم من جماعة المؤمنين، بقوله ليس مني، أي ليس من أمتي وليس هو على طريقي وسنتي/ صحيح مسلم، شرح النووي، ج ١٢ ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(١) صحيح البخاري، ج ٩ ص ٥٩؛ صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢١؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٧؛ سنن الدارمي، ج ٢ ص ٢٤١؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٨٦، قوله فليصبر أي على جوره وظلمه والأمر بالصبر يستلزم وجوب السمع والطاعة، وقوله ميتة جاهلية أي كالميتة الجاهلية حيث لا يرجعون إلى طاعة أمير، ولا يتبعون هدى إمام، بل كانوا مستنكفين عن ذلك مستبدين في الأمور لا يجتمعون في شيء ولا يتفقون على رأي وليس المراد أنه يكون كافراً بذلك/ إرشاد الساري، لشرح صحيح البخاري، ج ١٠ ص ٢٢٠.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ١١٠.

(٣) العقد الفريد، ج ١ ص ٦، ونسبه لابن عمر، عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٣.

(٤) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢٢؛ باختلاف لفظي يسير، مسند أحمد، م ٢ ص ٧٠؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٨٨، يدل الحديث على أن من نازع إمامه حتى خرج عليه ونزع نفسه من طاعته لم يكن له حجة في فعله ولا عذر له ينفعه مهما كانت الأسباب كل هذا حرصاً على سلامة الأمة واجتماعها/ صحيح مسلم، بشرح النووي، ج ١٢ ص ٢٤٠.

وفي آخر: «مَنْ فارق الجماعة واستندل الأمانة لقي الله عز وجل ولا وجه له عنده»^(١).

وفي حديث آخر: «مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ أَهَانَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللَّهِ أَكْرَمَهُ اللَّهُ»^(٢).

قلت ليس المراد بما ورد في هذه الأخبار أن نطيعه في المعصية إذا أمر بها، ونقتدي فيه بها. بل المراد به أن السلطان إذا فسق وجاز، لم يخرج بذلك عن أن تكون طاعته واجبة، في سائر الأحكام التي لا معصية فيها^(٣).

(١) مسند الإمام أحمد، م ٥ ص ٣٨٧؛ الدر المنثور في التفسير بالماثور، ج ٢٠ ص ١٧٨؛ مجمع الزوائد، م ٥ ص ٢٢٢، وقال ورجاله ثقات.

(٢) سنن الترمذي، ج ٣ ص ٣٤١، وقال هذا حديث حسن غريب؛ مجمع الزوائد، ج ٥ ص ٢٥١؛ مسند أحمد، م ٥ ص ٤٢.

(٣) يشير المؤلف بذلك إلى ما ذهب إليه كثير من العلماء، من أن الإمام لا ينعزل بالفسق. وهذا ما ذهب إليه أبو يعلى في أحكامه، حيث يقول فإن كان جرحاً في عدالته، وهو الفسق فإنه لا يمنع من استدامة الإمامة سواء كان متعلقاً بالجوارح، وهو ارتكاب المحظورات وإقدامه على المنكرات اتباعاً لشهوته، أو كان متعلقاً بالاعتقاد وهو المتأول لشبهة تعرض يذهب فيها إلى خلاف الحق. وإلى هذا الرأي ذهب ابن الأزرقي وعزاه إلى ابن عرفة في مختصره الكلامي، حيث قال: إن جوهره لا يسقط وجوب الطاعة له، لأمرين أحدهما ظواهر النصوص والأحاديث؛ والثاني دلالة وجوب درء أعظم المفسد عليه، إذ لا خفاء أن مفسدة عصيانه تزبوا على مفسدة إعانته بالطاعة له. وذهب إلى هذا الرأي أيضاً النسفي والتفتازاني في شرح العقائد النسفية وأن الإمام لا ينعزل بالفسق فقد جاء في الشرح ولا ينعزل الإمام بالفسق أي بالخروج عن طاعة الله تعالى، والجور أي الظلم على عباد الله تعالى، لأنه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الأئمة والأمراء، بعد الخلفاء الراشدين والسلف كانوا ينقادون لهم. أما الإمام الماوردي فنجدته قد فصله وقسم الفسق إلى قسمين، فالفسق المتعلق بالجوارح، من ارتكاب المخطورات والاقدام على المنكرات فهذا فسق يمنع من انعقاد الإمامة ومن استدامتها، فإذا طرأ على من انعقدت إمامته خرج عنها.

وأما إذا كان الفسق متعلقاً بالاعتقاد، المتأول بشبهة تعترض فيتأول لها خلاف الحق، فقد اختلف العلماء فيها فقال فريق يخرج بها من الإمامة وذهب أكثر علماء =

بل تجب مخالفتُهُ في المعصية وطاعته في (الأمر اللازمة)^(١).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما أحبَّ وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة)^(٢).

= البصرة إلى أنه لا يخرج بها من الإمامة كما في ولاية القضاء وجواز الشهادة. وذهب إلى هذا الرأي الإمام الجويني ودعاه فيقول أن الفسق الصادر من الإمام لا يقطع نظره ومن الممكن أن يتوب ويسترجع ويؤوب وقد قررنا بكل عبارة أن في الذهاب إلى خلعه وانخلائه بكل عبارة، رفض الإمامة ونقضها واستئصال فائدتها ورفع عائدتها وإسقاط الثقة بها واستحاث الناس على الأيدي عن رتبة الطاعة. انظر: الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى، ص ٢٠ - ٢١؛ مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية، ج ١ ص ٢٠١.

وذهب إلى الرأي المقابل وهو عزل الإمام بالفسق بعض العلماء كابن حزم الظاهري، فنجد أنه يقرر ذلك ويقول إن وقع شيء في الوقف وإن قل يكلم الإمام في ذلك، ويمتنع منه فإن امتنع وراجع الحق وأذعن للقودة في البشارة، أو من الأعضاء وإقامة حد الزنا والقذف والخمر عليه فلا سبيل إلى خلعه، وهو إمام كما كان لا يحل خلعه، وهو إمام كما كان لا يحل خلعه فإن امتنع من إنفاذ شيء من هذه الواجبات عليه، ولم يرجع وجب خلعه وإقامة غيره ممن يقوم بالحق. الفصل في الملل والنحل، ج ١ ص ١٧٥ - ١٧٦.

(١) في (ب - ج - د): المباح. يشير المؤلف بذلك إلى الحد الذي أوجب الإسلام على الرعية أن تطيع ولي أمرها فيه، وهو ألا يأمر بمعصية فإن أمر بمعصية من المعاصي، كالخمر والزنا فيحرم على الأمة طاعته وتنفيذ أمره فهذه معاص ظاهرة ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. لأنه لو وجبت الطاعة فيها وفي مثلها لكان هناك تناقض إذ لا يعقل أن يحرم الشارع شيئاً ثم يوجب.

(٢) البخاري، ج ٩ ص ٧٨؛ صحيح مسلم ج ٦ ص ١٥؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ١٢٥ - ١٢٦؛ وقال حديث حسن صحيح: سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ٩٥٦؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٦؛ مسند أحمد م ٢، ص ١٧؛ سنن النسائي، ج ٧ ص ١٦٠. يقرر الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن طاعة ولاية الأمر مقيدة بحدود الشرع، محدودة بطاعة الله ورسوله. وبناء على هذا فإنه يحرم على الرعية وأفرادها عصيان أمر الحاكم المسلم مادام في تلك الحدود فإذا أمر بخلافها ونخرج عن حدود ما رسم الله ورسوله، فلا طاعة له لأن الأصل فيه أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر.

وقال، عليه الصلاة والسلام (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)^(١).

وفي حديث آخر (من أمركم من الولاة بغير طاعة الله فلا تطيعوه)^(٢).
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً، وأمر عليه رجلاً وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء فقال إجمعوا حطباً فجمعوا، ثم قال أوقدوا ناراً فأوقدوا ثم قال ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسمعوا لي وتطيعوا، قالوا بلى قال فادخلوها قال فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا إنما فررنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار، وكانوا كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار، فلما رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له، فقال لودخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف^(٣).

عن أم سلمة^(٤) رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

-
- (١) مسند أحمد، م ١ ص ٤٠٩. وهذا الحديث غير مذكور في (ب - ج).
(٢) سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ٩٥٦؛ ونقل عن الزوائد أن اسناده صحيح بعد أن قرر الإسلام أن الطاعة حق على المرء المسلم بين حدود هذه الطاعة، وانها لا تجب في المعصية. فتحمل الأحاديث المطلقة لوجوب الطاعة على الأحاديث المصرحة بأنه لا سمع ولا طاعة في المعصية. صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٥.
(٣) صحيح البخاري، ج ٩ ص ٧٩؛ صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٥؛ سنن ابن داود، ج ٣ ص ٤٠؛ مسند أحمد، م ١ ص ٨٢؛ سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ٩٥٦؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٦؛ سنن النسائي، ج ٧ ص ١٥٩، قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الطاعة في المعروف» دليل على أن من أطاع ولاة الأمر، في معصية الله كان عاصياً وإن ذلك لا يمهّد له عذراً عند الله، بل المعصية لاحقة له وإن كان لولا الأمر لم يرتكبها، وعلى هذا يدل الحديث/ عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ج ٧ ص ٢٩٠.
(٤) أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، زوج النبي صلى الله عليه وسلم =

قَالَ: «تستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برىء، ومن أنكر فقد سلم، لكن من رضي وتابع، قالوا يا رسول الله ألا نقاتلهم قال لا ما صلوا»^(١). وقال عليه الصلاة والسلام: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، قيل يا رسول الله أفلا ننايذهم بالسيف، قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة، فإذا رأيتم من ولا تكتم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من الطاعة»^(٢).

= وسلم، كانت قبله، عليه السلام، عند أبي سلمة بن عبد الأسد، فولدت عمر، ودره، وزينب، وهي أول ضعيفة دخلت المدينة مهاجرة، شهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة خيبر وطال عمرها وهي آخر أمهات المؤمنين وفاء. الاستيعاب، ق/٤ ص ١٩٣٩؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٦٩ - ٧٠؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٥٥ - ١٥٦.

(١) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢٣، وقد ورد باختلاف لفظي يسير: مجمع الزوائد، ج ٧ ص ٢٣٠؛ السنن الكبرى، م ١٠ ص ٦٥٨؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٨٧؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ٣٦١؛ هذا الحديث فيه معجزة ظاهرة بالأخبار بالمستقبل. ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم، فيه حال المسلم، مع أئمة يخلطون عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فيستحسن بعض أعمالهم، ويستقبح بعضها. فمن عرف المنكر ولم يشبهه عليه، فقد صارت له طريق إلى البراءة من أئمة وعقوبته، بأن يغير ذلك باليد أو باللسان إن قدر، فإن عجز فلا مناص من أن يكره ذلك المنكر من قلبه، حتى يسلم من مشاركتهم في أئمة وجرمه، أما من رضي بفعلهم بقلبه وتابعهم عليه بالعمل، فإنه لم يبرأ عند الله ولم يسلم من طائلة عقابه. وفي الحديث دليل على أن من عجز عن إزالة المنكر، لا يأنم بمجرد السكوت بل إنما يأنم بالرضى به والمتابعة عليه. وقوله صلى الله عليه وسلم عندما قالوا: «أفلا تنايذهم بالسيف قال لا ما صلوا». فيه أنه لا يجوز الخروج على الأئمة بمجرد الفسق والجور ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الإسلام. صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢ ص ٢٤٣.

(٢) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢٤؛ صحيح البخاري ج ٩ ص ٤٧؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٨؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٨٧؛ ويرشد الرسول صلى الله عليه وسلم =

وقال عليه الصلاة والسلام: «سيكون بعدي امراء، فمن دخل عليهم فصدقهم في كذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه وليس بوارِد على الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم، ولم يصدقهم على كذبهم فهو مني وأنا منه، وهو وارِد على الحوض»^(١).

فهذه الأحاديث تدلُّك على أنه يجب على المرء كراهة ما أخذوا من بدعة، وترك موافقتهم على مخالفة السنة، والامتناع عن طاعتهم في المعصية مع الانكفاء عن الخروج عليهم، وملازمة جماعتهم في الطاعة، وامتنال أوامرهم في المباح، والانقياد لأحكامهم في المعروف، فيستديم بذلك سلامة دينه وصلح دنياه وحقن دمه وحفظ ماله وحياته وعرضه.

وقال بعض الحكماء: من عصى السلطان فقد أطاع الشيطان^(٢). وقال بعض الكتاب من نابذ^(٣) السلطان، كان في الاشقين مكتوباً (والندم

= إلى أن خيار الحكام هم القربون إلى رعيّتهم، الحريصون على إقامة العدل بينهم، الداعين لهم بالخير. وإن أشرارهم الذين يقسون على رعاياهم. كما ويحذر الرسول من خطر الخروج والمنازلة لما قد يجره من مفسد لا يعلم مداها إلا الله.

(١) مسند أحمد، م/٢ ص ٩٥؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٦٥؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ٣٥٨؛ وقال هذا حديث صحيح غريب؛ سنن النسائي، ج ٧ ص ١٦١.

يُحِبُّ الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أمته بالخال التي سيصير إليها ولاية الأمور بعده ويحذر من مخالطتهم وتصديقهم وإعانتهم، على ظلم العباد وتزيين الظلم لهم، فمن هذه الحالة فالوالة بينه وبين الرسول مقطوعة. ومن لم يصدقهم في كذبهم ولا أعانهم على الظلم فهو من المسلمين، الذين وعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يشربوا من حوض الكوثر، الذي من شرب منه لا يظمأ بعدها أبداً.

(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٠؛ المبهج للثعالبي، الباب الثاني عشر، ورقة ٩.

(٣) نبذت الأمر: أهملته ونابذتهم خالفتهم، ونابذتهم الحرب كاشفتهم إياها وجاهرتهم بها/ المصباح المنير.

والغم^(١) مكتوباً^(٢). وقال آخر من فارق الاعتصام بحبله خالفه الخسران، وعانقه الخذلان، وترصدت له المنون^(٣) ق/٦ وطحنته الحرب الزبون^(٤).
ومن كتاب المبهج^(٥) أخلق بدم المستخف بالجبايرة أن يكون دمة^(٦) جهاراً^(٧). وقال بعضهم من تعرض لمساوىء سلطانه، تعرض لقطع لسانه^(٨).

-
- (١) في (ب - د): واليد والغم مكبوا وهي ساقطة من (ج).
(٢) المتشابه، للثعالبي، ص ١٥، ونسب هذا القول للمصاحب بن عباد مع اختلاف في بعض الألفاظ والنص كما ورد في المتشابه «ومن نابذه كان في الأشقين مكتوباً وللغم واليدين مكبوا».
(٣) المنون: المنبه لأنها تقطع المدد وتنقص العدد/ مختار الصحاح.
(٤) الزبون: الحرب الضروس لأنها تدفع الأبطال عن الأقدام خوف الموت لأن الزين لغة الدفع فزينت الشيء زينا إذا دفعته. وقيل للمشتري زبون لأنه يدفع غيره عن أخذ المبيع/ المصباح المنير.
(٥) المبهج: كتاب ألفه عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري المعروف بالثعالبي. ألفه للأمير شمس المعالي قابوس بن أبي طاهر جمع فيه ألفاً من الجمل تجري مجرى الأمثال رتبته على سبعين باباً.
(٦) في نسخة (ج): منه.
(٧) التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٣، زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٥؛ المبهج، الباب ١٢، الورقة ٩.
(٨) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٧٥، وفيه من تتبع مساوىء سلطانه.

بابُ في ذكرِ مجامعِ (ما يجبُ أن) ^(١) يتصفَ به الملكُ من الطرائقِ الجميلةِ، والمذاهبِ النبيلةِ والشيمِ الزكيةِ والسيرِ المرضيةِ

قالَ بعضُ الحكماءِ: السلطانُ ظلُّ الله في أرضه ^(٢)، والحاكمُ في حدودِ دينه وفرضه قد حصنه الله بإحسانه وأشركه في سلطانه ونَدَبَهُ لرعاية خلقه ونَصَّبَهُ لنصرة حقه إن أطاعه في أوامره ونواهيه تكفلَ بنصرته وحراسيته وإن عصاهُ فيهما وَكَلَهُ إلى نفسه ^(٣).

وَمَنْ مَكَّنَهُ اللهُ في أرضه وبلاذه، واثَمَنَهُ في خلقه وعباده وبسطَ يَدَهُ وسلطانه وَرَفَعَ محلَّهُ ومكانه، فحقيقٌ عليه أن يؤديَ الأمانةَ ويخلصَ الديانةَ ويجملَ السيرةَ ويحسنَ السريرةَ ويجعلَ العدلَ دأبه المعهودَ، والأجرَ غرضه المقصودَ ^(٤).

(١) زيادة من (ب - ج - د).

(٢) يشير بذلك إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم».

(٣) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٤٥؛ لباب الآداب، ص ٧٢، وفيها السلطان خليفة الله في أرضه.

(٤) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٤٧؛ لباب الآداب، ص ٥٩.

لقد عني الإسلام عناية فائقة بإقامة العدل، واعتبره القاعدة الأساسية في الحكم، والدعامة الأولى في إقامة المجتمع الإسلامي، إذ لا وجود للإسلام في مجتمع تسوده شريعة الغاب الخصم فيه حكماً والحق فيه باطلاً وإنما اعتنى الإسلام بهذه القضية ودعمها وأرسى أصولها، لأنها الأساس في صلاح الدين والدنيا، فإن تحقق العدل =

وقال بعض الحكماء: إذا بنى الملك على قواعد العدل، ودعم بدعائم الفضل، وحصن بدوام الشكر، وحرس بأعمال البر، نصر الله موالية وحذل معاديه، وعضده وسلمه من الغير^(١).

وقال: اعدل فيما وليت واشكر على ما (أوتيت)^(٢)، يمدك الخالق وتؤيدك الخلائق^(٣). ليس من قوتك وإن تمت فضل على قضاء حق الله عليك ولا لقدرتك وإن دامت فضل على القيام بشكر ما أسداه إليك، ولا لعمرك وإن طال فضل عن النظر فيما يصلح جندك ورعيته، ولا لمالك وإن كثر قدر عما يصبون عرضك ومروءتك^(٤). فاجعل (أيامك)^(٥) أربعة، يوماً (تجعلهُ)^(٦) لحسن العباد، ويوماً تستقبله بشكر النعمة منه، ويوماً تقصره على

= الإلهي في دنيا الناس سعدوا واستقروا وإن غاب نجم العدل عن واقع الحياة شقوا. ومن هنا كانت وظيفة كل نبي وخليفة نبي أن يقيم في الناس القسط مصداقاً لقول الله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (آية ٢٥ من سورة الحديد).

(١) كتاب الأمثال، للشعالبي، ص ٤٥؛ والغير الأحداث المغيرة يشير بذلك إلى قول الله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (آية ٧ من سورة محمد). فإنهم قالوا نصره العبد لربه، بامثال أمره واجتناب نهيه، فإذا فعل ذلك كان سبباً لنصر الله له. وقال ابن المناصف: من جاهد عن الدين أحق الناس بالقيام بأحكامه. وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: يا أيها الناس إعملوا صالحاً قبل أن تغزوا، فإنما تقاتلون بأعمالكم. قال وهذا معلوم من دين الإسلام، وسنة محمد عليه الصلاة والسلام. بدائع السلك، ج ٢ ص ٥٠.

(٢) في (ب - ج - د): أوليت.

(٣) لباب الآداب، ص ٥٨.

(٤) يشير بذلك إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعون منكم بسط الوجه وحسن الخلق». الجامع الصغير، ج ١ ص ١٠١.

(٥) في (ب): الزمان.

(٦) بياض في النسخة (ب).

النظر في القَصَص والمظالم، ويوماً تمضيهِ في ابتناء المعالي والمكارم^(١).
وقال بعض الحكماء مَنْ جَعَلَ مُلْكُهُ خادِماً لدينه، انقادَ لَهُ كُلُّ سلطانٍ
وَمَنْ جَعَلَ دينه خادِماً لملكه، طَمِعَ فيه كُلُّ إنسانٍ^(٢).
وقال ابرويز^(٣): أطلع مَنْ فَوْقَكَ يُطْعَكَ مِنْ دُونِكَ^(٤).

وقال اردشير^(٥): أَسْعَدُ الملوك من سعدت رعيته بعدليه، ونالها الرفاهية
في أيامه، وَجَرَتْ لَهُ صِوَالِحُ السنين في دهره، وأشقاهُمْ مَنْ كَانَ بخلافِ
ذلك. وقال: الناسُ ثلاثُ طبقاتٍ تجبُ سياستُهُمْ في ثلاثِ سياساتٍ منهم
طبقةٌ مِنَ الخواصِ الأعيانِ تسوسُهُمْ بمحضِ اللطفِ والإحسانِ وطبقةٌ من
العوامِ الأوسطِ تسوسُهُمْ مِنَ العنفِ واللطفِ ما بينَ الاقتصادِ والإفراطِ وطبقةٌ
من العوامِ والأطرافِ تسوسُهُمْ بمحضِ الغلظةِ والاعتسافِ^(٦).

-
- (١) كتاب الأمثال، للثعالبي، مع بعض الاختلاف اليسير، ص ٤٧.
(٢) لباب الآداب، ص ٥٤؛ كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ١٥.
(٣) ابرويز: هو ابرويز بن هرمز، أحد ملوك الفرس، تولى الملك بعد خلع أبيه. غزا الشام
وبلغ مصر وحاصر ملك الروم بالقسطنطينية، ثم صالحه. جار وأخذ أموال الناس
وسفك الدماء فمقته الناس وخلعوه وجاءوا بابن له يقال له شيرويه. وكان ملك ابرويز
٣٨ سنة. المعارف، ص ٢٩٣؛ تاريخ اليعقوبي، م ١ ص ١٦٨ - ١٧٢.
(٤) شرح نهج البلاغة، م ٣ ص ٣٢؛ غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، ص ٦٩٠، فصل
الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين طاعة الإنسان لمن فوقه، فقال: عدل الإنسان مع
من فوقه كالرعية مع سلطانها والصحابة مع رئيسها فقد يكون بثلاثة أشياء: إخلاص
الطاعة، وبذل النصرة، وصدق الولاء. أدب الدنيا والدين، ص ١٤٢.
(٥) اردشير بن بابك بن ساسان، أحد ملوك الطوائف على أرض اصطخر وهم من أولاد
الملوك المتقدمين. ولد بقرية اسمها طبروده من رستاق اصطخر، وسمي اردشير
شاهنشاه، بنى ثمان مدن ولم يزل عمود السيرة عادلاً، وكانت مدة ملكه أربعة عشر
سنة وستة أشهر. المعارف، ص ٢٨٥ - ٢٨٦؛ تاريخ اليعقوبي، م ١ ص ١٥٩.
(٦) غرر الخصائص، للطواط ونسبة لأنوشروان، ص ٦٣؛ نهاية العرب، ج ٦ ص ٤٤.
هذا عند الفرس، أما عند الإسلام فالناس سواسية كأسنان المشط وإن المقياس الذي به =

وقال أيضاً: على الملك أن يأخذ نفسه بثلاث: تعجيل مكافأة المحسن على إحسانه، وتأجيل عقوبة العاصر على عصيانه، والأناة عند طوارق الدهر وحدثائه، فإن في تعجيل مكافأة المحسن شحذ الضمائر على الطاعة، وفي تأجيل عقوبة العاصي إمكان العفو والإقالة ومراجعة التوبة والندامة، وفي الأناة عند الطوارق انفساح مذاهب الرأي والسياسة وإيضاح غوامض السداد والإصابة^(١). وقال أيضاً: لا يصلح لسيد الثغور ق/٧ وقود الجيوش وتدبير الخيول، وحراسة الأرضين والأقاليم، إلا من تكاملت فيه خمس خصال، حزمٌ يتيقن به عند موارد الأمور حقائق مصادرها، وعلمٌ يحجزه عن التهور في المشكلات إلى عند تجلي فرصها، وشجاعةٌ لا تنقصها الملمات بتواتر حوائجها وعظم هولها، وصدقٌ في الوعيد والوعد يوثق منه بالوفاء عليها وجودٌ يهون عنده تدبير الأموال عند ازدحام السؤال (عليه)(٢)(٣).

= يتفاضلون هو الالتزام بأمر الله واجتناب مناهيه. فلا اعتبار لحالة الإنسان الاجتماعية وطبقته القبلية في تقرير ماله وما عليه، وكتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري خير مثل على سياسة الإسلام في التسمية بين الناس، ولقد أنزل الله دينه وأرسل رسوله لطمس هذه الأفكار السخيفة، والعادات المهترئة وتغيير القيم الظالمة والموازن الجائرة، وإقامة صرح العدل بين الناس، كل الناس، وتشيد بنيانه، وصدق الله العظيم ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (آية ٨١ من سورة الإسراء).
(١) شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٥٣٧؛ بهجة المجالس، ق ١ ص ٣٣٨؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ٥.

(٢) زيادة من نسخة (ب - ج - د).

(٣) مروج الذهب، ج ١ ص ١٩٠، ونسبه إلى هرمز من كتاب له إلى بعض عماله؛ عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، ص ٢٤٤؛ آداب السياسة بالعدل، مصور رقم ٤٣٠٠ ص ٦٩، وإن هذه الصفات الخمس: الحزم والعلم والشجاعة والجلود والصدق التي أوجب توافرها في القادة، هي من أهم ما يعنى به اليوم فن القيادة العسكرية، وإن تراثنا العربي الإسلامي زاخر بهذه الأبحاث، بل إن الناظر فيه يرى أن صفات القيادة أكثر تحديداً وإحاطة، مما هي عليه عند غير المسلمين، يشهد بذلك ما تحويه كتب سياسة الحروب المؤلفة في عصور مختلفة.

وقال (أيضاً)^(١): لا ينبغي للملك أن يكون فيه خمس خصال لا يكون كذاباً لأنه إن وعد أو أوعد لم يرج ولم يخف، ولا ينبغي أن يكون بخيلاً فإنه إن كان كذلك لم يناصحه أحد، ولا تصلح الولاية إلا بالمناصحة، ولا ينبغي أن يكون جباناً فإنه إن كان كذلك اجترأ عليه عدوه وضاعت الأمور ولا ينبغي أن يكون حديداً فإنه إن كان كذلك مع القدرة هلك الناس معه ولا ينبغي أن يكون حسوداً فإنه إن كان كذلك لم يشرف أحداً ولا يصلح الناس إلا بأشرافهم^(٢).

وقال أيضاً: خير الملوك من أشبه النسر حوله الجيف، وشرهم من أشبه الجيف حولها النور^(٣).

وقال بعض البلغاء: أربعة لا يزول معها ملك، حسن الدين واستكفاء الأمين وتقديم الحزم وإمضاء العزم^(٤). وأربعة لا يثبت معها ملك، غش الوزير وسوء التدبير وخبث النية وظلم الرعية. وأربعة لا بقاء لها، مال يجمع من الحرام وحال تعقد من الآثام ورأي (يعوى)^(٥) من العقل وملك يخلو من العدل^(٦).

(١) ساقطة من (ج).

(٢) نهاية الارب، ج ٦ ص ٤، ونسبه إلى معاوية بن أبي سفيان؛ البصائر والذخائر، للتوحيدي، م ١ ص ٢٠٣؛ لباب الآداب، ص ٧٠-٧١ ويجمع هذه الصفات، ما ذكره أئمة الفقه السياسي من أن من شروط منصب الخلافة العدالة والكفاية. فبالعدالة يكون جامعاً لخصال الخير منزهاً من أضدادها كالكذب والبخل، وبالكفاية يكون جريئاً على اقتحام الحروب بصيراً بها رؤوفاً بالمؤمنين، شديداً على الكافرين.

(٣) العقد الفريد، ج ١ ص ٣٣ وقال أنه من كلام الهندي في الملوك؛ سراج الملوك، ص ٥٢ وقد عبر فقهاؤنا عن هذا بقولهم في صفات الإمام الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو؛ الأحكام السلطانية، للماوردي، ص ٦.

(٤) يجمع هذه الصفات الأربعة ما ذكره الماوردي في واجبات الإمام وأنه يجب عليه شرعاً حفظ الدين وسياسة الدنيا به، واستكفاء الأمناء وتقليد النصحاء في أعماله ومهامه.

(٥) في (ب): يعرى.

(٦) كتاب الأمثال، للشعالبي، ص ٦٩، ويمكن رد هذا لخصال إلى أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مثل (شر الرعاة الحطمة).

وقال الحريري^(١): أسعدُ الناسَ مَنْ سعدتْ به رعيتهُ، وأشقاهُمْ في الدارينِ من ساءتْ سيرتهُ^(٢).

ومنْ كلامِ الثعالبي في المبهج: الملكُ من يوالي لأوليائه صلاته وتباري هبوبَ الريحِ هباته، وتفرسُ الفوارسَ لحظاته، وتضغُمُ الضراغمَ^(٣) سطواته^(٤)، الملكُ من جمعَ سدادَ الأمورِ إلى سدادِ الشغورِ وكان أيدُهُ^(٥) متيناً، وكيدُهُ مبيناً، الملكُ من رَجَعَ إلى رأيٍ سديدٍ من كماله وركنٍ شديدٍ من أمواله ورجاله^(٦)، الملكُ من سيفُهُ يُفني وسيئُهُ^(٧) يغني، الملكُ من جودُهُ مطيرٌ وبأسُهُ مستطيرٌ، الملكُ من عدلُهُ كافٍ كافلٌ^(٨)، وفضلُهُ هام هاطلٌ^(٩). الملكُ من تشنى عليه الخناصرِ وتشنى عليه السباباتُ وتعَضُّ عليه من الغيضِ الأباهيمُ، الملكُ من لا يسلمُ الإسلامَ، ولا يفارقُ الفرقانَ، ولا يهملُ الملةَ، ولا يعدلُ عن العدلِ إذا جمعَ الملكُ بين شرفِ الانتسابِ والاكتسابِ^(١٠).

(١) الحريري: هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري، أديباً فاضلاً صنف المقامات، وله كتاب درة الغواص في أوهام الخواص، توفي بالبصرة سنة ٥١٦ هـ. الكامل في التاريخ، م ٨ ص ٣٠٥؛ وفيات الأعيان، م ١ ص ٤١٩؛ تاريخ أبي الفداء، ج ٢ ص ٢٣٥.

(٢) مقامات الحريري، ورد قول الحريري في المقامة الحادية والعشرين؛ المسماة الرازية، ص ١١٩ بلفظ: وإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته.

(٣) الضراغم: الأسد.

(٤) المبهج، للثعالبي، الباب ٨ ورقة ٦ وفيه: وتضغُم الضياغم سطواته.

(٥) أيدُهُ: آد يشيد أيداً؛ اشتد وقوي. والاد: الصلب. والقوة كالإيد. القاموس المحيط.

(٦) المبهج، الباب ٨ ورقة ٦ وفيه: وكان آيدُهُ مبيناً وكيدُهُ متيناً.

(٧) السيب: العطاء. القاموس المحيط.

(٨) كافل: الكافل الذي يكفل إنساناً ويعوله ومنه قوله تعالى: ﴿وكفلها زكريا﴾. المصباح المنير؛ مختار الصحاح.

(٩) المبهج، الباب ٨ وفيه: الملك من عدله كاف كامل وفضله هام هامل.

(١٠) يشير بذلك إلى ما ذهب إليه كثير من فقهاء الإسلام كالإمام الجويني الذي قسم صفات =

ونظم حاشيتي الفضل والعدل، فتقريضه وإن أفرط فيه تفريط ومدحه وإن نبّل قصاراه تقصير، إذا عني الملك بتسكين الدهماء^(١)، وحقن الدماء (بعد)^(٢) قرع باب السماء في استحقاق باب النعماء.

إذا كانت يدُ الملك مفتاح الأرزاق، وسيفه حتف أهل الشقاق، فقد فاق ملوك الآفاق. الملك من كان كالغيث يحيي إذا همى، والسيل أردى إذا أطمى^(٣)، والبدر يهدي إذا سما، والدهر يصمى^(٤) إذا رمى^(٥).

الملك من تبيض أياديه^(٦)، وتسود أيام (معاوية)^(٧)، وتخضر مواقع سبيه وتحمّر مواقع سيفه^(٨). الملك من تشهد بفضله مشاهدته، ويعمر وفده فوائده كف الملك سماء، صوبها^(٩) أموال ودماء ق/ ٨ أدب الملك الأريب^(١٠)

= الإمام إلى صفات لازمة، منها النسب القرشي وصفات مكتسبة كالعلم والورع وتوقد الرأي في عظام الأمور، والنظر في مبعات العواقب.

(١) الدهماء: سواد الأمة وكثرتها. فالدهمة: السواد. يقال: فرس أدهم. وقال الله تعالى: ﴿مُدْهَامَاتَانِ﴾، أي سوداوان من شدة الخضرة من الري. مختار الصحاح؛ المصباح المنير.

(٢) في المبهج: فقد.

(٣) اطمى: طم الأمر طما: ارتفع وغلب، ومنه قيل القيامة طامة. وطم السيل: علا وغلب. المصباح المنير؛ مختار الصحاح.

(٤) يصمى: يرمى بالموت، ففي الحديث كل ما أصميت، والمعنى: كل ما قتله كلبك وأنت تراه. المصباح المنير.

(٥) المبهج، الباب ٨ ورقة ٦ - ٧.

(٦) آياديه: صنائعه.

(٧) في (ب - ج): أعاديه.

(٨) كل ذلك كناية عن شدة بأسه.

(٩) الصوب: الانصباب والسحاب ومجيء السماء بالمطر. القاموس المحيط؛ المصباح المنير؛ مختار الصحاح.

(١٠) الأريب: العاقل. مختار الصحاح.

في مكارم يبتنيها، ومآثر يقتنيها، وعلم يحصّله (وكرم يوصله)^(١) ورعية يرهاها ويحمي حماها، همة (الملك)^(٢) الهمام، في أرباب السيوف لا في ربات السقوف، وفي البيض القواضب^(٣)، لا البيض الكواعب^(٤)، وفي سمر الرماح، لا في السمر الملاح، وفي إيجاد الصنائع لا في ابتناء المصانع^(٥).

وقال بعض الكتاب في مدح أمير: هو مستقر في ذروة عزه، مستقل بأعباء ملكه، يتصرف بالرئاسة بين رفيق من غير ضعف، وخشونة من غير عنف^(٦). وقال آخر: قد عود ممالكه الحياطة، حتى لا يحل حرامها،

(١) في المبهج: وثغر يحصنه.

(٢) زيادة من المبهج.

(٣) القواضب: السيوف القواطع. القاموس المحيط.

(٤) الكواعب: أئداء المرأة ونهود ثدييها. القاموس المحيط.

(٥) المبهج، الباب ٨ ورقة ٦ - ٧. وقريباً من هذه الصفات ما ذكره ابن خلدون في أطوار الدولة، واختلاف أحوالها، وخلق متولي أمرها باختلاف الأطوار، فقد قسمها إلى خمسة أطوار: الطور الأول: وهو طور الظفر بالبغيه وغلب المدافع والممانع، والاستيلاء على الملك، فيكون صاحب الدولة في هذا الطور إسوة قومه في اكتساب المجد والمدافعة عن الخوزة والحماية (تسود أيام معاديه وتحمر مواقع سيفه). الطور الثاني: طور الاستبداد على قومه، والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول ويكون صاحب هذه الدولة في هذا الطور معنياً باصطناع الرجال، واتخاذ الموالي والصنائع، لجذع أنوف عصبية. ويعمر وفده فوائده كف الملك سما صومها أموال ودماء).

الطور الثالث: طور الفراغ والدعة، لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر إليه، من تحصيل المال وتخليد الآثار، وتشيد المباني الخافلة، وإجازة الوفود من أشرف الأمم ووجوه القبائل، وبث المحروف في أهله، واعتراض جنوده وإدراج أرزاقهم، وإنصافهم في أعطياتهم حتى يظهر أثر ذلك في سلاحهم وشاراتهم فيباهي بهم الدول المسالمة، ويرهب الدول المحاربة. (مكارم يبتنيها مآثر يقتنيها أرباب السيوف لاربات السقوف إيجاد الصنائع) مقدمة ابن خلدون، ص ١٥٧ بتصرف.

(٦) مأخوذ من قول عمر رضي الله عنه: «إنه والله لا يصلح لهذا الأمر يا ابن عباس إلا القوي في غير عنف، اللين من غير ضعف. الأحكام السلطانية، ص ١٢.

ولا يدعّر سوامئها ولا تراغ جوانبها، ولا تذبّ عقاربها. وقال آخر: قد صرفهم
بين خشونة أبعاده وبين معتاده، وأراهم بريق حساميه مشفوعاً بتزويق أنعاميه.
وقال آخر في وصف ملك: قد أحيا سنن العدل وأمات سنن الجور فجمي
الدين منيع وجناب الملك وسيع. وقال آخر: قد جدت بصنع العدل فثبت
أصله (وسمّا) ^(١) فرعه، وفتت في عضد الظلم، فاجتت قراره وحصد زرعه.

(١) في (ج): ويسق فرعه.

بَابُ فِيمَا يَجِبُ عَلَى السُّلْطَانِ مِنْ حَسَنِ السِّيَاسَةِ وَمَا يُلْزَمُهُ مِنَ الصِّيَانَةِ لِلرَّعِيَّةِ وَالْحِرَاسَةِ

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَّةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ (فِي ذَلِكَ)^(٢):

(١) صحيح البخاري، ج ٣ ص ١٥٧؛ سنن أبي داود، ج ٣ ص ١٣٠؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ١٢٤، وقال حديث حسن صحيح؛ مسند أحمد، م/٢ ص ٥؛ مجمع الزوائد، ج ٥ ص ٢٠٧؛ السنن الكبرى، ج ٨ ص ١٦٠؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٠؛ صحيح مسلم، ج ٦ ص ٨.

راعٍ: أي حافظ مؤتمن صلاح ما قام به وما هو تحت نظره والحديث دليل على أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته فقد قال الخطابي اشترك الإمام والرجل وجميع من ذكر في الحديث في الوصف بالراعي ومعانيهم مختلفة فرعاية الإمام حيطة الشريعة بإقامة الحدود والعدل بالحكم ورعاية الرجل لأهله سياسته لأمرهم وإيصال حقوقهم إليهم ورعاية المرأة تدبير أمر البيت والأولاد والنصيحة للزوج في كل ذلك ورعاية الخادم حفظه ما تحت يده والقيام بما يجب عليه من الخدمة/ فتح الباري؛ شرح صحيح البخاري، ج ١٣ ص ١١٣.

(٢) زيادة من (ب - ج).

وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَنَحْنُ رَعِيَّةٌ وَكُلٌّ سَيَلَفَى رَبِّهِ فَيُحَاسَبُهُ^(١)

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٍ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٢).

ودخل أبو مسلم الخولاني^(٣) على معاوية^(٤) فقال السلام عليكم أيها الأجير فقيل له قل أيها الأمير فقال معاوية دعوا أبا مسلم فإني أعلم بما يريد وعليك السلام يا أبا مسلم فقال أبو مسلم أعلم أنه ليس راعٍ استرعى رعية إلا ورب أجره سائله عن رعيته فإن كان داوى مرضاها وهنأ جربانها وجبر كسرانها ورد أولها على آخرها ووضعها في أنف من الكلال وصفو من الماء وفاء أجره وإلا لم يوفه فانظر من أنت من ذلك فقال معاوية يرحمك الله يا أبا مسلم الأمر على ذلك^(٥).

(١) نهاية الأرب، ج ٦ ص ٣٤؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٥.

(٢) صحيح البخاري، ج ٩ ص ٨٠؛ صحيح مسلم، ج ٦ ص ٥٩، ونصه «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة». ومثله سنن الدارمي، ج ٢ ص ٣٢٤.

قوله صلى الله عليه وسلم يسترعيه الله رعية أي يستحفظه إياها ويطلب منه رعايتها فإذا غش وظلم وجار حرم الله عليه الجنة فإن كان مستحلاً لغشهم فتحرم عليه الجنة ويخلد في النار وإن كان لا يستحل غشهم منع من دخولها مع الفائزين بل يؤخر عنهم عقوبة له، صحيح مسلم، شرح النووي، ج ١٢ ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٣) أبو مسلم الخولاني: هو أبو مسلم الخولاني، اليماني الزاهد، من سادات التابعين واسمه عبدالله بن ثوب أسلم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة في خلافة أبي بكر وله كرامات وفضائل مشهورة، توفي سنة ٦٢ هـ في دمشق/ شذرات الذهب، ج ١ ص ٧٠؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ١٤٦؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٤) معاوية ترد ترجمته عند الكلام على خلافته في القسم الثاني.

(٥) الشفاء في مواظب الملوك والخلفاء، ص ٩٨ - ٩٩؛ المعارف، ص ١٩٤؛ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص ١٢.

ومعنى هنا جربانها طلاها بالهناء وهو القطران ويقال روضة أنف إذا لم تُرغ قبل ذلك.

وقال بعض البلغاء: من آثر اللهو ضاعت رعيته ومن داوم السكر فسدت رويته ومن قصر عن سياسة نفسه كان عن سياسة غيره أقصر^(١).

وقال: إن من حُسن الاختيار، وحسن الاستظهار، أن تعدل في القضاء وتجري الحكم على الخاص والعام بالسوى، فمن جارت قضيته، ضاعت رعيته، ومن ضعفت سياسته بطلت سياسته^(٢).

وقال عمر بن الخطاب^(٣)، رضي الله عنه: أشقى الولاة من شقيت به رعيته^(٤).

وقال بعض الحكماء أحسن عقد يُتَّك وأعدل في جندك ورعيته تخلص الطاعة لك وتحسن الاحدوثة عنك^(٥).

(١) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٥٩، باختلاف في بعض الألفاظ وهذا ما قال به الإمام الجويني عندما قال: فكيف يؤتمن في الإمامة العظمى فاسق لا يتقي الله ومن لم يقاوم عقله هواه ونفسه الإمارة بالسوء ولم ينهض رأيه بسياسة نفسه فأنى يصلح خط الإسلام. انظر: غياث الأمم، ص ٦٨.

(٢) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٤٣؛ الحكم في الإسلام لا يعرف الدنيا إلا بأساسه العدل وقوامه الحق وما أحسن ما يقوله الأستاذ أبو الأعلى المودودي في قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُم﴾؛ سورة الشورى: آية ١٥، يعني أنني مأمور بالإنصاف دون عداوة فليس من شأني أن أتعصب لأحد أو ضد أحد وعلاقتي بالناس كلهم سواء وهي علاقة العدل والإنصاف فأنا نصير من كان الحق في جانبه وخصيم من كان الحق ضده/ الحكومة الإسلامية، ص ٢٩١ - ٢٩٢.

(٣) تقدمت ترجمته، ص ٩٩.

(٤) زهر الآداب، ج ١ ص ٣٥؛ التبر المسبوك في نصائح الملوك، ص ٢٣؛ البيان والتبيين، ص ٣٥٨؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٩؛ الإعجاز والإيجاز، ص ٢٦.

(٥) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٤٤.

وقال الزمِ الورعَ ق/٩ فإنه يؤيدُ المُلْكَ واحذر الطمعَ فإنه يذني الهَلَكَ^(١).

وقال أردشير^(٢): إنما أملكُ الأجسادَ لا النياتِ وأحكمُ بالعدلِ لا بالرضى وأعاقبُ على الذنبِ لا على الهوى وافحصُ عن الأعمالِ لا عن السرائرِ^(٣) وقال معاوية^(٤) (بن أبي سفيان)^(٥) لا أضغُ سيفي حيثُ يكفيني سوطي ولا سوطي حيثُ يكفيني لساني ولو أنُ بيني وبينَ الناسِ شعرةٌ ما انقطعتُ قالوا وكيف ذلك يا أميرَ المؤمنين قال كنتُ إذا أرخوها مَدَدْتُها وإذا مَدَّوها جَرَرْتُها^(٦).

وقال عتبةُ بنُ أبي سفيان^(٧) في خطبةٍ لَهُ بمصرَ وقد أرجفَ^(٨) بموتِ معاوية: «يا أهلَ مصرَ قد طالتُ معاتبتُنَا إياكُم بظباتِ^(٩) السيوفِ وأطرافِ

-
- (١) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٤٣ - ٤٤، وفيه واحذر الطمع فإنه يولد الهلك.
- (٢) أردشير، تقدمت ترجمته، ص ١٢١.
- (٣) نهاية الأرب، ج ٦ ص ١٦؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٨؛ خاص الخاص، ص ٨٥؛ سراج الملوك، ص ١٠٣؛ العقد الفريد، ج ١ ص ١٨.
- (٤) ترد ترجمته عند الكلام على خلافته في القسم الثاني.
- (٥) زيادة من (ب - ج).
- (٦) العقد الفريد، ج ١ ص ١٨؛ عيون الأخبار، م ١ ص ٩؛ شرح نهج البلاغة، م ٣ ص ٤٢٥؛ بهجة المجالس، ق ١ ص ٣٤٥.
- (٧) هو عتبة بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أمية، أخو معاوية لأبيه ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مع عثمان يوم الدار ولي المدينة والطائف والموسم لمعاوية، ثم ولاه أمرة مصر بعد وفاة عمرو بن العاص فقدمها سنة ٤٣هـ وهو من خطباء بني أمية المعدودين، توفي سنة ٤٤هـ؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٣.
- (٨) أرجف القوم بالشيء أرجافاً أكثروا من الأخبار السيئة واختلاق الأقوال الكاذبة حتى يضطرب الناس منها. المصباح المنير.
- (٩) الظبة بالتخفيف حد السيوف والجمع ظبات؛ القاموس المحيط.

الأسنة حتى صرنا شجى^(١) في حلوقكم^(٢) وقذى في عيونكم فحين اشتدت
عري الحق عليكم عقداً واسترخت عقد الباطل سحلاً^(٣) أرجفتم بالخليفة
وأردتم توهين الخلافة^(٤) وخضتم الحق إلى الباطل فاربحوا أنفسكم
إذ خسرت دينكم وضنوا^(٥) بذنباكم إذا سمحتم بآخرتكم. واعلموا أن سلطاننا
على أبدانكم دون قلوبكم فأصلحوا لنا ما ظهر نكلكم إلى الله فيما بطن
فاظهروا خيراً وإن أسررتكم شراً فانكم حاصدون ما أنتم زارعون^(٦).

ومثل ذلك ما قال زياد^(٧) في خطبة له: «قد كانت بيني وبين قوم
أشياء قد جعلتها دبر أذني وتحت قدمي فمن كان منكم محسناً فليردد ومن

(١) شجى الرجل يشجو شجى حزن؛ المصباح المنير.

(٢) في عيون الأخبار لهواتكم.

(٣) في العقد الفريد حلا.

(٤) في عيون الأخبار وأردتم توهين السلطان.

(٥) ضن بالشيء يضمن بخل/ المصباح المنير.

(٦) جهرة خطب العرب، ج ٢ ص ٢٢١ - ٢٢٢؛ العقد الفريد، ج ٤، ص ١٩٤ -

١٩٥؛ عيون الأخبار، م ٢ ج ٥ ص ٢٣٩.

(٧) هو زياد بن عبيد الثقفي. ويقال زياد بن أبيه وزياد بن أمه وهوزياد بن أبي سفيان
الذي استلحقه معاوية بأنه أخوه وكان هذا الاستلحاق أول قضية غير فيها حكم النبي
صلى الله عليه وسلم كما يقول السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ١٩٦؛ وذكر المقدسي في
البدء والتاريخ، ج ٦ ص ٢؛ عن الحسن والشعبي أن سرك أن لا تكذب فقل زياد بن
أبيه وأمّه سمية جارية الحارث بن كلدة زوجها عبيداً فولدت سمية زياداً على فراش
عبيد واختلف في دنياه داهية خطيباً يضرب به المثل في العقل والحزم والدهاء استعمله عمر
وكان عاقلاً في دنياه داهية خطيباً يضرب به المثل في العقل والحزم والدهاء استعمله عمر
على بعض صدقات البصرة وكتب لأبي موسى الأشعري ثم صار لعلي بن أبي طالب
عاملاً على فارس وخراسان فظهرت عبقرية التي بهرت الجميع فتلطف إليه معاوية
واستماله إلى صفه وألحقه بنسبه وولاه العراقين ولم يزل كذلك إلى أن توفي بالكوفة سنة
٥٣ هـ وصلى عليه عبدالله بن خالد بن أسيد/ سير أعلام النبلاء، ج ٣ ص ٣٢٥ -
٣٢٦؛ الاستيعاب ق ٢ ص ٥٢٣ - ٥٣٠؛ وفيات الأعيان، م ٦ ص ٣٥٦ - ٣٦٢.

كان منكم مسيئاً فلينزغ فإني لو علمتُ أن أحدكم قد قتلَهُ السُّلُ من بُغْضِي
لم أكشف له قناعاً ولم أهتِك له سترأ حتى يبدي لي صفحته فإذا فعل ذلك
لم أناظرهُ فأعينوني على أنفسكم واستأنفوا أمرُكم^(١). وهذا كُلُّهُ من قولِهِ عليه
الصلاة والسلام: «أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر»^(٢).

ومن حُسنِ السياسةِ وتماهِرِ السيادةِ والرياسةِ اختيارُ الخاصةِ والوزراءِ
وانتخابِ الكتابِ والجلساءِ واستشارةِ ذي الرأي من الفضلاءِ ونحنُ نفرُدُّ لكلِّ
من ذلك باباً نبينُ فيه صفاتهم وأحوالهم إن شاء الله تعالى.

(١) تاريخ الطبري، ج ٧ ص ٧٥؛ وفيه هذه الخطبة في ثنايا خطبته البتراء؛ عيون الأخبار،
م ٢ ج ٥ ص ٢٤٣؛ الكامل في التاريخ، م ٣ ص ٢٢٣؛ الكامل في اللغة، ج ١
ص ١٥٧؛ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج ١ ص ٧٣٠.
(٢) كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق على هامش الجامع الصغير، ج ١ ص ٧٥ ونصه
«إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر»، وقال رواه الغزالي.

بَابُ فِي اخْتِيَارِ الْوُزَرَاءِ^(١) وَالْعَمَالِ وَذَكَرُ مَا يَجِبُ أَنْ يَتَصَفَّوْا بِهِ مِنَ الْخَصَالِ

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: اَعْلَمْ أَنَّ الْمَلُوكَ تَحْتَاجُ إِلَى وَزِيرٍ وَأَشْجَعِ النَّاسِ

(١) ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ الصِّفَاتَ الْحُكْمِيَّةَ الْوَاجِبَ تَوَافُرُهَا فِي الْوُزَرَاءِ وَالْعَمَالِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِأَصْلِ الْوِزَارَةِ وَلَا لِاسْتِقْطَاقِهَا وَلَمْ يَذْكُرِ الصِّفَاتَ الشَّرْعِيَّةَ الْوَاجِبَ تَوَافُرُهَا فِيمَنْ تَقْلُدُ هَذَا الْمَنْصِبَ، فَنَقُولُ الْوِزَارَةُ هِيَ أَمُ الْخَطَطِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالرَّتَبِ الْمُلُوكِيَّةِ، وَاخْتَلَفَ فِي اسْتِقْطَاقِ مَعْنَى الْوِزَارَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوَاجِهٍ. أَحَدُهَا: أَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْوِزْرِ وَهُوَ الثَّقَلُ لِأَنَّهُ يَحْمِلُ عَنِ الْمَلِكِ أَثْقَالَهُ.

الثَّانِي: أَنَّهُ مُسْتَقٌّ مِنَ الْأَزْرِ وَهُوَ الظَّهْرُ، لِأَنَّ الْمَلِكَ يَقْوَى بِوَزِيرِهِ كَقُوَّةِ الْبَدَنِ بِظَهْرِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿أَشْدَدُ بِهِ أَزْرِي﴾ أَيُّ قَوِي بِالْوِزْرِ كَقُوَّةِ الْبَدَنِ بِالظَّهْرِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ مُسْتَقٌّ مِنَ الْوِزْرِ وَهُوَ الْمُلْجَأُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَأَلَا لَا وَزَرَ﴾، الْقِيَامَةُ / ١١، أَيُّ لَا مُلْجَأَ لِأَنَّ الْمَلِكَ يُلْجَأُ إِلَى رَأْيِهِ وَمَعُونَتِهِ. انْظُرْ: فِي اسْتِقْطَاقِ الْوِزَارَةِ، قَوَائِنِ الْوِزَارَةِ، لِلْمَوْرِدِيِّ، ص ٦١. الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةِ، لِلْمَوْرِدِيِّ، ص ٦٥. الْعَقْدُ الْفَرِيدُ، لِلْمَلِكِ السَّعِيدِ، ص ١٤٤. نِهَايَةُ الْأَرْبِ، ج ٦ ص ٩٣. وَأَمَّا حُكْمُ تَقْلِيدِ الْوِزَارَةِ فَجَائِزٌ لِمَا حَكَاهُ. اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَجْبَى أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ سُورَةُ طه: آيَةُ ٢٩.

فَإِذَا جَازَ ذَلِكَ فِي النُّبُوَّةِ كَانَ فِي الْإِمَامَةِ أَجُوزَ وَلَآنَ مَا وَكَّلَ إِلَى الْإِمَامِ مِنْ تَدْبِيرِ الْأُمَّةِ لَا يَقْدِرُ عَلَى مَبَاشَرَتِهِ كُلِّهِ إِلَّا بِالْإِسْتِنَابَةِ وَنِيَابَةِ الْوِزْرِ الْمَشَارِكِ لَهُ فِي التَّدْبِيرِ أَصْلَحَ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ مِنْ تَفْرَدِهِ بِهِ لَيْسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَيَكُونُ أَبْعَدُ مِنَ الزَّلَلِ وَأَمْنَعُ مِنَ الْخَلَلِ. انْظُرْ: الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةِ، لِلْمَوْرِدِيِّ وَأَبِي يَعْلَى.

=

ثم الوزارة على قسمين: وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ.

فوزارة التفويض هي أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه ويجعل إليه إمضاء الأمور، بمقتضى نظره واجتهاده، ويشترط في الوزير المتولي هذه الوزارة شروط الإمامة إلا النسب وحده ويحتاج فيها أيضاً إلى شرط زائد على شروط الإمامة: وهو أن يكون من أهل الكفاية فيها وكل إليه من أمر الحرب والخراج، لأنه مباشر لها بنفسه أو بالاستنابة ولا يصل إلى استنابة الكفاء، إلا أن يكون منهم كما أنه عاجز عن المباشرة إذا كان دونهم ولما كانت هذه الوزارة ولاية فلا يكفي فيها مجرد الاذن، بل لا بد من عقد والعقد لا تصح إلا بالقول فإن وقع له بالنظر وأذن له لم يتم التقليد حكماً حتى يعقد له الوزارة بلفظ مشتمل على شرطين: عموم النظر، والثاني النيابة. كأن يقول له قلدتك ما إلى نيابة عني ووزير التفويض وإن عمت ولايته وشارك السلطان في حكمه فعليه وظيفة لا بد له من إقامتها، ويجب عليه فعلها وهي أن يطلع السلطان بما أمضاه من عمل، وما أنفذه من ولاية وتقليد، وعلى السلطان أن يتأمل أعمال الوزير وما قد أصدره من الرأي والتدبير، ويتفقد ذلك فما وجده على وفق الصواب قرره وتركه، وما رآه على خلاف ذلك رده واستدركه، لأن تدبير الأمة موكل إليه وإلى اجتهاده.

انظر: الأحكام السلطانية، للماوردي، ص ٢٥ - ٢٦. العقد الفريد، للملك السعيد، ص ١٤٦. الأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلى، ص ٣٠. ومن جملة مهام منصبه تنفيذ ما صدرت به أوامر الملك، فعلى الوزير فيها حقان أن يتصفحها من زلل في ابتدائها، ويحرسها من خلل في أثنائها، وتعجيل إمضائها للوقت المقدر لها. قوانين الوزارة، ص ٦٤ - ٦٥. ويجوز لوزير التفويض أن يحكم بنفسه ويقلد الحكم، لأن شروط الحكم فيه معتبرة، ويجوز له أن يتولى الجهاد بنفسه، وأن يقلد من يتولاه، لأن شروط الحرب فيه معتبرة. وبالجملته كل ما صرح من الإمام صرح من هذا الوزير، إلا أمور ثلاثة:

- ١ - ولاية العهد، فإن للإمام أن يعهد ولا يجوز ذلك للوزير.
- ٢ - للإمام أن يستعفي الأمة من الإمامة وليس ذلك للوزير.
- ٣ - أن للإمام أن يعزل من قلده الوزير، وليس للوزير أن يعزل من قلده الإمام.

انظر: الأحكام السلطانية، للماوردي، ص ٢٦. وأبي يعلى ص ٣٠.

وأما وزارة التنفيذ: فحكمها أضعف لأن السلطان هو القائم في الحقيقة بتدبير أمر الأمة، والأمور عن رأيه ونظره صادرة، وهذا الوزير سفير بينه وبين الرعية، يؤدي =

= عنه ما أمر به ويخبره بما ورد، وقد يشارك في الرأي كأن يستشير الملك في مهم، وعليه حينئذ اجتهد رأيه في إيضاح الصواب، ويشترط في متوليها سبعة شروط:

- ١ - الأمانة، فإن الخائن لا يعتمد عليه ولا يركن إليه.
- ٢ - الصدق حتى يوثق بقوله، لأنه لا ثقة بكذوب.
- ٣ - أن يكون قليل الطمع، حتى لا يستمال بالرشوة والهدية فيعدل عن الحق إلى الباطل.

٤ - أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وبغضاء، لأن العداوة تحمل على الاجحاف والاعتساف.

٥ - أن يكون ذكوراً لما يؤديه للإمام وعنه لأنه شاهد له وعليه.

٦ - أن يكون ذا ذكاء وفطنة ليأمن التدليس والغش.

٧ - أن يكون خالياً من الأهواء، لأن الهوى خادع للألباب، صارف عن الصواب، فإذا اشترك مع الإمام في الرأي احتاج إلى شرط ثامن وهو: أن يكون ذا حنكة وتجربة، فإن التجارب خبرة تؤدي إلى صحة الرأي، وصواب التدبير، وهذه الوزارة لا تفتقر إلى تقليد، ولا يشترط في متوليها حرية ولا علم.

ولا يجوز أن يقوم بهذا المنصب في الإسلام امرأة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة». مسند أحمد، م ٥ ص ٤٣.

وأما هل يشترط في وزارة التنفيذ الإسلام فقد اختلفت الآراء في ذلك، فذهب الماوردي إلى أنه لا يشترط فيجوز أن يكون وزير التنفيذ من أهل الذمة. وخطأه في ذلك الإمام الجويني: فقال ذكر مصنف الكتاب المترجم بالأحكام السلطانية، أن صاحب هذا المنصب يجوز أن يكون ذمياً، وهذه عشرة ليس لها مقييل وهي مشعرة بخلو صاحب الكتاب عن التحصيل، فإن الثقة لا بد من رعايتها، وليس الذمي موثقاً به في أفعاله وأقواله وتصاريه أحواله، وروايته مردودة وكذلك شهادته على المسلمين، فكيف يقبل قوله فيما يسنده ويعزيه إلى إمام المسلمين.

ورأى الإمام الجويني هو الذي تميل إليه النفس ويطمئن إليه القلب، لأن الله حذرنا من موالاة الكفار في غير آية، والأحاديث بذلك كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم: «إنا لا نستعين بمشرك». ابن ماجه، ج ٢ ص ٩٤٥. كما رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الاستعانة بمشرك. سنن الترمذي، ج ٣ ص ٥٨ - ٥٩.

ويلاحظ مما كتبه أئمة الفقه أنهم أجازوا لولاية الأقاليم، أن يستوزروا وزراء =

يحتاج إلى سلاحٍ وأجود الخيلِ يحتاج إلى سوطٍ وأجود السفارِ يحتاج إلى مسنٍ^(١).

وقال (ابن المعتمد)^(٢):

هيهات لم تصدقك فكرتكَ التي قد أوهمتكَ غنى عن الوزراء
لم تُغن عن أحدٍ سماء لم تجد أرضاً ولا أرضٌ بغيرِ سماءٍ^(٣)
وقال الثعالبي^(٤): لا بد لكل فاضلٍ من صاقلٍ^(٥). وقال صلى الله
عليه وسلم: «وزرائي في الأرض أبو بكر وعمر»^(٦).

= تنفيذ، وهذا ما يمهّد السبيل لأن يكون اقليم وزارته التنفيذية التي ترعى شؤونه الداخلية، وتكون صلاحياتها أقل من صلاحيات الوزارة العامة التي هي في مركز الخلافة.

(١) نهاية الأرب، ج ٦ ص ٩٢. التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٣. شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ١٣٩. سراج الملوك، ص ٦٠.

(٢) في (ب - ج): ابن العميد وهو الصواب الذي ذكرته المراجع، ونسبت الأبيات إليه، وترجمته أبو الفضل محمد بن العميد الكاتب، والعميد لقب والده، تولى وزارة ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي سنة ٣٢٨هـ، كان أوجد عصره في الأدب والترسل، حتى قيل له الجاحظ الثاني. قال الثعالبي في كتابه اليتيمة: كان يقال بدأت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد، توفي سنة ٣٦٠هـ. شذرات الذهب، ج ٣ ص ٣١. وفيات الأعيان، م ٥ ص ١٠٣.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٤. شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ١٣٨. تحفة الوزراء، ص ٤٣.

(٤) هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، كان إماماً في اللغة والأخبار، وأيام الناس راعى تلعات العلم له التصانيف الكثيرة في النظم والنثر، ولد سنة ٣٥٠هـ، توفي سنة ٤٢٩هـ. البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٤٤. وفيات الأعيان، م ١ ص ١١٠. شذرات الذهب، ج ٣ ص ٢٤٦.

(٥) صاقل اسم فاعل من صقل وصقلت السيف صقلاً جليته وشيء صقيل أملس مصمت لا يخلل الماء أجزاءه/ المصباح المنير.

(٦) سنن الترمذي، ج ٥ ص ٢٧٨. ونص الحديث كما ورد عن أبي سعيد الخدري قال: =

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ وَلِيَ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ النَّاسِ فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْراً جَعَلَ مَعَهُ وَزيراً صَالِحاً إِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ^(١)»، وقيل: إذا أردت نائلاً الأمير فالطف به من جهة الوزير^(٢).

وقيل مثلُ الملكِ الصالح إذا كانَ وزيرُهُ فاسداً مثلُ الماءِ الصافي العذبِ الميرُ الذي فيه التماسيحُ فلا يستطيعُ الإنسانُ ورودُهُ وإن كانَ سباحاً وإلى الماءِ ضامئاً^(٣)، وقال بعضُ الحكماءِ لا يغركُ كِبَرُ الجسمِ ممن صَغُرَ في المعرفةِ والعلمِ ولا طولُ القامةِ ممن قَصُرَ في الكفايةِ والاستقامةِ فإنَّ الدُرَّةَ على صغَرِها أَعُوذُ من الصخرةِ على كِبَرِها ق/١٠ واعلمُ أن الأيديَ بأصابعِها والملوكَ بصنائعِها وأن وزيرَ الملكِ عينه وأمينه أذنه وكاتبه نطقه وحاجبه خلقه ورسوله عقله^(٤) ونديمه مثله بهم تستقيمُ الأعمالُ وتجتمعُ العمالُ^(٥) ويقوى السلطانُ وتعمُرُ البلدانُ فإن استقاموا استقامت الأمورُ وإن اضطربوا اضطربَ الجمهورُ^(٦).

= قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض، فأما وزرائي من أهل السماء، فجبريل وميكائيل، وأما وزيراى من الأرض، فأبوبكر وعمر. وقال الترمذي حديث حسن غريب».

(١) سنن أبي داود، ج ٣ ص ١٣١. سنن النسائي، ج ٧ ص ١٥٩. السنن الكبرى، ج ١٠ ص ١١١. يرشد هذا الحديث بأن يتخيروا بطانتهم من صالحى رعيّتهم، ومن يجدون عنده النصيحة إذا نسوا والعون إذا ذكروا، وعندها تكون هذه البطانة نعمة من الله تعيينهم في توجيه أمور الدولة.

(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٤. تحفة الوزراء، ص ٤٣.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٣. شرح نهج البلاغة، م ٣ ص ١٣٩. العقد الفريد، ج ١ ص ٢٥. تحفة الوزراء، ص ٥٨. ونسبه إلى الفضل بن سهل سراج الملوك، ص ٦١.

(٤) تصحيح من (ب - ج - د): لأنها في الأصل وحاجبه ورسوله خلقه.

(٥) في المبهج وتجتمع الأموال.

(٦) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٢. ويمكن رد هذه الصفات إلى قول الرسول صلى الله =

وقال: اعلم أن معائب عمالك والمنصرفين في أعمالك من أقبح معاييك ومآثرهم ومناقبهم من أحسن مآثرِك ومناقبِك لأن بهم يستدل على مقدار معرفتك بمقادير الرجال ويوقف على كيفية تصرفك بتصاريف الأحوال^(١) فاحسن الاختيار لهم^(٢) وأكثر الاستظهار عليهم^(٣) واعلم أنهم أنفاس الملوك وحرابهُ قَدَم^(٤) على مراعاة أحوالهم، ولا تُمهّل مكافأة أفعالهم، فأول المحسن ما يستحقه من حسن الولاء، والمسيء ما يستوجه من سوء الجزاء، ليتصرفوا لك في الأمانة ويتعففوا عن الخيانة^(٥).

= عليه وسلم: «صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسد فسد الناس العلماء والأمرء». الجامع الصغير، ج ٢ ص ٤٦. فأولى الناس باجتماع الفضائل والصلاح فيهم هم الوزراء والولاة، لأنهم يلزمون الخليفة المبلغون عنه وإليه، فبصلاحهم صلاحه وبفسادهم فساده.

- (١) في الأمثال، للشعالبي، ويوقف على كيفية تصرفك في مصالح الأعمال.
- (٢) لقول الرسول صلى الله عليه وسلم من ولى على المسلمين رجلاً وفيهم من هو أصلح منه، فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين. المستدرک، ج ٤ ص ٩٣. وقال حديث صحيح الإسناد.
- (٣) وأكثر الاستظهار عليهم يمكن رد هذا الشرط إلى ما ذكره الماوردي من أن الواجب على الإمام أن يباشر بنفسه، مشاركة الأمور وتصفح الأحوال، لينهض بسياسة الأمة وحراسة المله، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وقد قال الله تعالى ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سورة ص ٢٦، فلم يقتصر الله سبحانه على التفويض دون المباشرة ولا عذره في الاتباع حتى وصفه بالضلال، وهذا وإن كان مستحقاً عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة فهو من حقوق السياسة لكل مسترع. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». الأحكام السلطانية، ص ١٧.

(٤) في الأمثال، للشعالبي، اعلم أنهم أساس الملك وحراس الملك.

(٥) كتاب الأمثال، للشعالبي، ص ٦٦.

وقال يحيى بن خالد^(١) لبيته: إنكم لا بد لكم من عمال وكتّاب فاستعينوا بأشراف الناس وإياكم والسفلة فإن النعمة على الأشراف أزين والمعروف عندهم أثمن والشكر منهم أحسن^(٢).

وهذا المعنى يلاحظ قول أرسطا طاليس^(٣) لما كتّب إليه الإسكندر^(٤) يستشيرُهُ في قتل ملوك فارس أو استبقائهم فكان في جملة ما ردّ من الجواب أن قال لست أرى قتلهم صواباً لأنه متى قتل الملك ملوكهم وسرايتهم لم يكن بد من أن يستعمل عليهم بعضهم فتدعو الضرورة إلى رفع السفلة وسياسة

(١) هو أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك. وزير هارون الرشيد، ضم إليه المهدي ولده هارون وجعله في حجره ورباه وأرضعته امرأته، فلما استخلف هارون عرف له حقه وفوض إليه أمور الخلافة ولم يزل كذلك حتى نكب الرشيد البرامكة، فغضب عليه، وحبسه حتى مات في الحبس سنة ١٩٠ هـ وكان كريماً فصيحاً ذا رأي سديد. وفيات الأعيان، م ٦ ص ٢١٩، البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٠٤. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٣٣.

(٢) الوزراء والكتّاب، ص ١٧٩ منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب/٥ الباب الخامس.

(٣) أرسطا طاليس: هو الفيلسوف اليوناني أرسطا طاليس (معناه محب الحكمة)، من ولد اسقليادس الذي اخترع الطب لليونان، ولد باسطاخاريا، وتلمذ على يد أفلاطون، ولقب بالمعلم الأول لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية، صاحب الإسكندر وكان يشاوره ويصدر عن رأيه. توفي آخر أيام الإسكندر وله ٦٦ سنة. الفهرست، لابن النديم، ص ٢٤٦. سرح العيون، ص ٢١٠.

(٤) هو الإسكندر بن فيلقوسي، أبوه أحد ملوك اليونان وكانوا طوائف، وهو الذي وحدهم وغزا الفرس وملكهم، ثم غزا الهند وأطراف الصين، ثم انصرف عنهم وبنى الإسكندرية، وكان ملكه نحو ثلاث عشرة سنة، وهو صاحب أرسطا طاليس وتلميذه، وهو غير ذو القرنين المذكور في القرآن، فإن ذا القرنين كان في زمن إبراهيم الخليل، عليه السلام، قيل إن اسمه إفريدون، وقيل غيره، وتوفي الإسكندر بناحية السواد وعمره ٣٦ سنة. تاريخ أبي الفداء، ج ١ ص ٤٥. تاريخ ابن الوردي، ج ١ ص ٦٢ - ٦٣.

الملوك أسهل من سياسة السفهاء لأن الملوك أحسن طاعةً وأسلم انقياداً وأعرف بالصنيع وأرجى للمكافأة وسياسة السفلة صعبةٌ واستيائهم إلى الإرادة متعبةٌ وقد رأيتُ رأياً يكفي به الملك مؤنة قتلهم إن استصوبه وتجمع له به طاعتهم ويتعبد لهم ويتخلص به نياتهم ويخلص من الإثم بسببهم وهو أن يعمد الملك إلى أولاد الملوك والرؤساء كلهم فيقسم المملكة بينهم ويفرد كل واحدٍ منهم ببلدةٍ ويأمره أن يؤدي الأتاوة عنها ويجعلها وظائف في أيديهم فإنه إذا رأى المالك منهم أنه قد ساوى نظيره في التملك لم تطعه نفسه الانقياد إلى من هو مثله وإذا تبين أحدهم مقدار الطائفة التي في يده نقصت همته عن معصية الملك والخلاف لأمره فتجتمع للملك طاعتهم ويكفي ما يخوفه منهم ورأى الملك العالي الموفق ففعل الإسكندر ذلك بما أشار به أرسطا طاليس فلم تزل الملوك تؤدي الأتاوة إلى ملوك الروم خمسمائة سنةٍ ونيفاً إلى أن ملك أردشير بن بابك فكان يقول إن ملوك الأرض ضربوا بسيف أرسطا طاليس خمسمائة سنةٍ يعني تدبيره وتفريق كلمتهم^(١).

وقال بعض الحكماء: لا تستكف إلا الكفاة^(٢) النصحاء، ولا تستبطن إلا الثقات الأمانة، وإذا استكفيتهم شغلاً أو وليتهم أمراً، فأحسن الثقة بهم وأكد الحجة عليهم، فإذا رأيت منهم غدرًا وتبينت منهم عجزاً، فاستبدل بهم واستوف ما لك عليهم ولا تقلد منهم أحداً ولا تعتمد عليهم أبداً فمن عارض مع الاستقلال والأمانة قمع^(٣) كفايته وعماله ومن قلّد مع العجز والخيانة ضيع أعماله وماله^(٤).

(١) الاخبار الطوال، ص ٣٢. نهاية الأرب، ج ١٥ ص ٢٤١. الكامل في التاريخ، م ١ ص ١٦٥.

(٢) الكفاة: من يحصل بهم الاستغناء عن غيرهم/ المصباح المنير.

(٣) في كتاب الأمثال، للثعالبي، قبض.

(٤) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٥. لباب الآداب، ص ٦٣. وهذه الصفات هي بعينها =

ومن كتاب المبهج: إذا تصفح الملك وجوه عماله وفحص عن الأصلح لأعماله فلا يقعن ق/١١ اختياره إلا على من سبق له اختباره ولا يتوجهن اعتمادُهُ إلا إلى من تقدم اجتهاده ولا يكونن من ثقائه إلا من يتقي الله حق ثقائه^(١).

وقال أيضاً: خير العمال من كفى وكف وعفى وشرهم من حلق وسرق^(٢). وقال (شر^(٣)) العمال من تعد السعاية من مساعيه^(٤). وقال: شر العمال من إذا ولي ثار وجار وإذا عزل حار وخار^(٥).

ووقع جعفر بن يحيى بن خالد^(٦) إلى بعض عماله قد كثر شاكوك وقَل

= التي ذكرها العلماء فيما يجب على الإمام القيام به، فقد ورد في كتاب العقد الفريد، للملك السعيد، (استخدام الكفاة والأمناء واستعمال النصحاء والأقوياء، لتكون الأحوال بكفائتهم وقوتهم ملحوظة مضبوطة وبأمانتهم ونصحهم محفوظة). انظر: العقد الفريد للملك السعيد، ص ١٤٣. وهو عين ما ذكره الماوردي، ص ١٧، في الأحكام السلطانية.

(١) المبهج - الباب الحادي عشر، ورقة ٨.

(٢) المبهج - الباب الثالث عشر، ورقة ٩. وفيه وشره من خرق وسرق.

(٣) في (ب، ج): خير.

(٤) المبهج - الباب الثالث عشر، ورقة ٩.

(٥) المبهج - الباب الثالث عشر، ورقة ٩. وفيه وإذا عزل خار وحار.

(٦) هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، وزير هارون الرشيد، كان من علو القدر ونفاذ الأمر عند الرشيد بحالة انفراد بها ولم يشارك فيها، وكان من الأجواد المشهورين، تفقه على القاضي أبي يوسف، فلأجل ذلك كانت توقيعاته على منيج الفقه، ولأه الرشيد الشام، واستوزره، ثم تغير له وقتله بسبب أمور انضم بعضها إلى بعض سنة ١٨٧هـ. وفيات الأعيان، م ١ ص ٣٤٨. شذرات الذهب: ج ١ ص ٣١١. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٨٧. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٩٤.

شاكروك فإما اعتدلت ولا اعتزلت^(١). وقال يحيى بن خالد^(٢): ثلاثة تدل على عقول أصحابها الرسول، والكتاب، والهدية^(٣).

وقال الشاعر:

تخير إذا ما كنت مرسلاً فمبلغ آراء الرجال رسولها
ورجع وفكر في الكتاب فلانما بأطراف أقلام الرجال عقولها^(٤)
وقال (صالح بن عبد القدوس)^(٥):
إذا كنت في حاجة مرسلاً فارسل حكيماً ولا توصيه
(وإن باب أمر عليك التوى فشاوّر حليماً ولا تعصه)^(٦)

(١) العقد الفريد، ج ٤ ص ٢٧٠. التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٦. خاص الخاص، ص ٨٨. الكامل في اللغة، ج ١ ص ١٧٦. وفيات الأعيان، م ١ ص ٣٢٩. وفي جميع هذه المصادر فإما اعتدلت وإما اعتزلت.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ١٤٠.

(٣) عيون الاخبار، م ١ ج ٣ ص ٢٨١. العقد الفريد، ج ٢ ص ٩٨. سراج الملوك، ص ١٧٤. المحاسن والمساوي، ج ١ ص ٢٥٦.

(٤) معجم الأدباء، ج ١٤ ص ١٧٤. ونسبها إلى علي بن محمد التنوخي، مجمع الحكم والأمثال، ص ١٩٢.

(٥) في (ب - ج): وقال آخر وصالح بن عبد القدوس: هو أبو الفضل صالح بن عبد القدوس حكيم الشعر اتهمه المهدي بالزندقة، فأمر بحمله إليه فلما خاطبه أعجب بغزارة علمه وحسن بيانه ثم قال له ألسنت القاتل والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه، ثم أمر به فقتل. وفيات الأعيان، م ٢ ص ٤٩٢.

(٦) طبقات فحول الشعراء، ج ١ ص ٢٤٦. ديوان الحماسة ونسبها لعبد الله بن معاوية. تحفة الوزراء، ص ٩٠. المحاسن والمساوي، ج ١ ص ٢٥٦. والبيت الأخير، ساقط من النسخة (ج).

باب في ذكر الولاية والعمل وما يتصل بهما من المدح والذم وذكر ما يتعلق بهما من العز والذل في حالتي الولاية والعزل

من فصل الخوارزمي^(١):

لا صغير مع الولاية والعمالة، كما لا كبير مع العطلة، والبطالة وإنما الولاية أنثى
تصغر وتكبر بواليتها، ومطية تحسن وتقبح بممطيها، والصدر لمن يليه،
والدست^(٢) لمن يجلس فيه^(٣). وله أيضاً: ولاية المرء ثوبه فإن قصر عنه
عرى عنه، وإن طال عليه عثر فيه^(٤). وقال الفضل بن مروان^(٥): مثل الكاتب

(١) الخوارزمي: هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر المشهور كان إماماً في اللغة
والأنساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب وكان مشاراً إليه في عصره، اتصل
بالصاحب بن عباد توفي سنة ٣٨٣هـ/ شذرات الذهب، ج ٣ ص ١٠٥.

(٢) الدست من الثياب ما يلبسه الإنسان ويكفيه لتردده في حوائجه/ المصباح المنير.

(٣) يتيمة الدهر، ج ٤ ص ١٩٩؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٥٨٨؛ غرر الخصائص
للوطواط، ص ٤٤.

(٤) يتيمة الدهر، ج ٤ ص ١٩٨؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٥٨٨؛ التمثيل والمحاضرة،
ص ١٤١.

(٥) هو أبو العباس الفضل بن مروان وزير المعتصم والذي أخذ البيعة له ببغداد عندما كان
المعتصم ببلاد الروم ففوض إليه الوزارة في رمضان سنة ٢١٨هـ وخلع عليه ورد أموره
كلها إليه فغلب عليه لطول خدمته وكان نصراني الأصل له ديوان رسائل وكتاب
المشاهدات والأخبار التي شاهدها توفي سنة ٢٥٠هـ/ وفيات الأعيان، م ٤ ص ٤٥؛
النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٣٢؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٢٢.

كالدولاب، إذا تعطل تكسر^(١). وقال غيره: غبار العمل خير من زعفران العطل^(٢).

وقال المهلب^(٣): التصرف أسنى وأعلى والبطالة أعفى وأصفى^(٤).
وقال الشاعر:

ما أطيب الأمر ولو أنه على رذايا^(٥) نعم في مراخ^(٦)
وقيل: من عمل عملاً فتاه فيه أخبر أن قدره دونه ومن تواضع فيه ذلّ
على أن قدره فوقه^(٧).

وقال: سكر السلطان أشد من سكر الشراب^(٨).
وقال بعضهم من ولأه السلطان، صبه الشيطان^(٩). وهذا المعنى أراد بعضهم.

(١) تحفة الوزراء، ص ١٢٠ - ١٢١؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٢٢؛ وفيات الأعيان، م ٤ ص ٦٨.

(٢) زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٥؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٧.

(٣) هو أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون الأزدي، المهلبى الوزير. كان من ارتفاع القدر وعلو الهمة على ما هو مشهور عنه ولد سنة ٢٩١هـ بالبصرة وتولى وزارة معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي سنة ٣٣٩هـ وتوفي سنة ٣٥٢هـ/ وفيات الأعيان، م ٢ ص ١٢٤؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٩؛ يتيمة الدهر، ج ٢ ص ٢٢٣.
(٤) يتيمة الدهر، ج ٢ ص ٢٣٥ وفيها والتسيم أعفى وأصفى؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٥.

(٥) رذايا: جميع رذية، وهي الهزيلة من الإبل، التي لا تستطيع براحاً ولا تنبعث/ القاموس المحيط.

(٦) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٤.

(٧) زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٦، ونسب هذا القول لابن المعتز مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٩.

(٨) شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ١٥٦؛ بهجة المجالس، ق/ص ص ٣٥٣؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٠. عهد أردشير تحقيق إحسان عباس، ص ٤٩.

(٩) ربيع الأبرار، ج ١ ص ٣٨٧؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٧٤.

قد كنت أكرمَ صاحبٍ وأبرهَ حتى دهنك أصابِعُ الشيطانِ
جذُّ الإلهِ بنانها وأبانها كم غيّرتُ خلقاً من الإنسانِ^(١)
(وقال بعضهم)^(٢): أرض من أخيك إذا وليَ ولايةً بعشرٍ وده قبلها^(٣).
وقال (الشاعر)^(٤):

وكلُّ ولايةٍ لا بدَّ يوماً مغيرةُ الصديقِ على الصديقِ^(٥)
وقال زيادُ بنُ الأعجمِ^(٦):
فتى زاده السلطان في الحمدِ رغبةً إذا غيّر السلطانُ كلَّ خليلٍ^(٧)
وللفرزدق^(٨) يمدحُ والياً:

-
- (١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٧٤؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٣٨٧.
(٢) زيادة من (ب - ج).
(٣) زهر الآداب، ج ١ ص ٥٥، منسوب إلى زياد بن أبيه؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٣٢؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٥٤٨ مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٤) في (ج): وقال يزيد بن الحكم.
(٥) الصداقة والصديق للتوحيدي مع اختلاف في الشطرة الأولى إذ وردت فيه فكل إمارة إلا قليلاً. والبيت منسوب لأبي رشيد الطائي / التمثيل والمحاضرة، ص ١٥١ والمعنى أن الولاية والحكم يغيران الصديق على صديقه فينقلب المتواضع صلفاً متكبراً والودود جافياً وهيئات أن يبقى الصديق على ما كان عليه إذا انتهت إليه الولاية إلا من رحم ربك.
(٦) هو أبو عيسى مولى عبد قيس لقب بالأعجم لعجمة كانت في لسانه، أدرك أبا موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص وشهد معهما فتح أسطخر وحدث عنها عده ابن سلام من الطبقة السابعة من شعراء الإسلام. كانت وفاته بحدود ١٠٠هـ / شذرات الذهب، ج ١ ص ١٢٣؛ فوات الوفيات، ج ٢ ص ٢٩.
(٧) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥١؛ البيان والتبيين، ج ١ ص ٥٢؛ حماسة أبو تمام، ج ٢ ص ٣٦٦ ونسبه إلى حبيب بن عوف. والمعنى أنه رجل كريم الأخلاق حسن السمائل لم يبطره الغنى ولا أطغاه السلطان والإمارة.
(٨) هو أبو فراس همام بن غالب الشاعر المعروف بالفرزدق، كان أبوه غالب من جلة قومه وسراهم وجده لأمه الأقرع بن حابس وفد الفرزدق مع أبيه على علي بن أبي طالب، =

قُلْ لِنَصْرِ وَالنَّاسُ فِي زَمَنِ السُّلْطَا
فَإِنْ زَالَتِ الْوَلَايَةُ عَنْهُ
نِ أَعْمَى مَا دَامَ يُدْعَى أَمِيرًا
وَاسْتَوَى بِالرَّجَالِ عَادَ بِصِيرًا^(١)
وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا عُزِلَ الْمَرْءُ وَاضْلُتُّهُ
لَأَنَّ الْمُؤَلَّى لَهُ نَخْوَةٌ
وَعِنْدَ الْوَلَايَةِ اسْتَكْبَرُ
وَنَفْسِي عَلَى الدَّلِّ لَا تَصْبِرُ^(٢)
وَقَالَ آخَرُ:

يَا مَنْ تَوَلَّى فَأَبْدَى لَنَا الْجَفَا وَتَبَدَّلُ
أَلَيْسَ مِنْكَ سَمْعَنَا مَنْ لَمْ يَمُتْ فَسُيْعَزَلُ^(٣)
وَقِيلَ: الْوَلَايَةُ حُلُوءُ الرِّضَاعِ مَرَّةً الْفُطَامِ^(٤). وَقَالَ آخَرُ: ذُلُّ الْعَزْلِ

= كرم الله وجهه، فقال لأبيه علمه القرآن فهو خير له من الشعر وكان يقال الفرزدق أشعر الناس عامة، وجريير أشعر الناس خاصة. توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ قبل جريير بأربعين يوماً/ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٦٨ - ٢٦٩؛ وفيات الأعيان، م ٦ ص ٨٦؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٤١؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٢٦٥.
(١) ديوان الفرزدق، ص ٩٢؛ نهاية الأرب، ج ٣ ص ٧٥؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٧٠؛ بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٤٣؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٤٧٦. وكان هذا القول مأخوذ من معنى قول الإمام علي، كرم الله وجهه، الولايات مضاير الرجال. أي أن الرجال تعرف بالولايات فمنهم من تظهر منه أخلاق حميدة ومنهم تظهر منه أخلاق ذميمة.

(٢) زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٦؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٠ ونسبه صاحب زهر الآداب إلى منصور الفقيه.

(٣) زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٦؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٠ وهما منسوبان إلى منصور الفقيه.

(٤) المحاسن والمساوي، ج ١ ص ٢٧٦؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٣٨؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٥، وهذا القول مأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه النسائي في سننه، ج ٧ ص ١٦٢. عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة وأنها ستكون ندامة وحسرة فنعمت المراجعة =

يضحك من تيه الولاية^(١). قال:

سُكِرُ الولاية طيبٌ وخمارها صفعٌ شديدٌ
كم تائه بولاية وبَعَزْلِهِ ركضَ البَريدُ^(٢)
(وقال)^(٣):

العَزْلُ للكتاب حيضٌ لحاه الله من حيضٍ بغيضٍ
فإن يك هكذا فأبو عليٍّ من اللائي يثسن من المحيض^(٤)

ولابن بسام^(٥) في بعض الولاة:

سنصبرُ إن تجلّت / ق ١٢ كما صبرنا لغيرك من أميرٍ أو وزيرٍ
رجوناهم فلما أخلفونا وفتنا فيهم نوب الدهورِ
فبتنا بالسلامة وهي حظٌ وباتوا في القيود أو القبورِ
فلما لم نرى منهم سروراً رأينا فيهم كل السرور^(٦)

= وبشت الفاطمة، لأنه مأثور من قول عمار بن ياسر عندما عزل عن ولاية واشتد ذلك عليه.

(١) أدب الدنيا والدين، ص ٢٣٨؛ الآداب لابن المعتز، ص ٨٣؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٥٨٧. لأن من تكبر في ولايته مقتته الناس، وأذله بعد عزله.

(٢) زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٦، وفيه البيت الثاني قبل البيت الأول. ديوان ابن المعتز، ص ١٧٥.

(٣) في (ب - ج) وقال آخر.

(٤) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٠؛ وفيات الأعيان، م ٥ ص ١١٦؛ الوافي بالوفيات، ج ٤ ص ١١٠، وقيل في الوزير ابن مقلّة.

(٥) ابن بسام: هو علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام، أبو الحسن الشاعر المشهور إلا أن غالب شعره كان في الهجاء، فلم يسلم منه أمير ولا وزير حتى هجا أهل بيته. تولى البريد في أيام عبدالله بن سليمان بن وهب توفي سنة ٣٠٢ هـ وله كتاب أخبار عمر بن أبي ربيعة ومتناقضات الشعراء/ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٣٦٣؛ النجوم الزاهرة، ج ٣ ص ١٨٩؛ فوات الوفيات، ج ٣ ص ٩٢.

(٦) المستطرف، ج ١ ص ٩٣؛ خاص الخاص، ص ١٣٦ وذكر البيت الأول والأخير =

وللبستي^(١):

عذلوني عن وزارة بُسْتِ
قلتُ لا أَشْتهِي وزارةَ بَسْتِ
ورأوها من أرفعِ الدَّرجاتِ
إنَّني لم أَمَلُ بعدَ حياتي^(٢)

وله أيضاً:

وزارةُ الحضرةِ الكبيرة
فلا تُردِّها ولا تردِّها
خطيئةٌ لا بل هي الكبيرة
فإنَّها مهنةٌ مبيرة^(٣)

(ولسليمان)^(٤) بن مهاجر^(٥):

إنَّ الوزيرَ وزيرَ آل محمدٍ
أودى بمن يشناك كانَ وزيراً^(٦)

وللحريري^(٧):

لَجَوْبُ الْبِلَادِ مَعَ الْمَتْرَبَةِ^(٨)
لأنَّ الْوَلَاةَ لَهُمْ نَبْوَةٌ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَرْتَبَةِ
وَمَعْتَبَةٌ يَا لَهَا مَعْتَبَةٌ

= الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، قسم ١، م ٢ ص ٨٨٥؛ التمثيل والمحاضرة وذكر البيت الأخير.

(١) البستي: هو أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي. شاعر عصره ولد ببست قرب سجستان وإليها نسب توفي سنة ٤٠٠ هـ وقيل سنة ٤٠١ هـ ببخارى/ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٣٧٦؛ يتيمة الدهر، ج ٤ ص ٣٠٢؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣٤٥.

(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٤.

(٣) المتشابه للثعالبي، ص ٥٢٨؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٤.

(٤) زيادة من (ب-ج).

(٥) هو سليمان بن المهاجر البجلي، لم أعثر له على ترجمة فيما لدي من المراجع.

(٦) وفيات الأعيان، م ٢ ص ١٩٦، وفيه قيل هذا البيت في أبي سلمة الخلال وزير السفاح؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٥٥٤؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٤.

(٧) الحريري: تقدمت ترجمته ص ١٢٤.

(٨) المتربة: الفقر والفاقة/ مختار الصحاح.

فَمَا فِيهِمْ مَنْ يَرْبُ الصَّنِيعَ وَلَا مَنْ يُشَيِّدُ مَا رَتَّبَهُ
فَلَا يَخْدَعُنْكَ لُمُوعُ السَّرَابِ وَلَا تَأْتِ أَمْرًا إِذَا مَا اشْتَبَهَ
فَكَمْ حَالِمٍ سَرَّهُ حُلْمُهُ وَأَدْرَكَهُ الرُّوعُ لَمَّا انْتَبَهَ^(١)

وقال أردشير^(٢): إذا ساوى الوزيرُ الملكَ في المالِ والهيبةِ والطاعةِ من
الناسِ فليضْرعهُ وإلا فليعلم أنه المصروعُ^(٣). وقيل أنه لم يزل الرشيد مريضاً
في أمور البرامكة حتى وقفَ عليه فصمّمَ.

(١) مقامات الحريري والأبيات وردت في آخر المقامة السادسة المراغية، ص ٣٧.

(٢) أردشير: تقدمت ترجمته ص ١٢١.

(٣) عيون الأخبار، م ١ ص ٤٥. لقد حدد الإسلام الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى
الوزارة، سواء في ذلك وزارة التنفيذ أو وزارة التفويض كما وحدد اختصاصات كل منهم
وأوجب عليهم أن لا يفتاتوا على السلطان ولا يقصروا فيما أوجب الله له. كما وأن عليهم
أن تكون أمورهم واضحة وأن يطلعوا السلطان عليها، وعلى السلطان مراجعة أعمال
الوزير ليقر ما وافق الحق وينقض ويستدرك ما رآه على خلاف ذلك. أما إذا كان الوزير
يسعى إلى مجد شخصي وإيجاد مراكز قوى حتى إذا اشتد جناحه ناهض السلطان ونازعه
فهو يريد أن يفرق أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد أهدر الإسلام عندها دمه
لما روى مسلم في صحيحه (...). فمن أراد أن يفرق هذه الأمة وهي جميع فاضربوه
بالسيف كائناً من كان) وإذا ما قام بما أوجب الله عليه من رعاية حق الله وحق إمامه
ومصلحة المسلمين فله من إمام المسلمين الرعاية ومن الأمة الإعزاز ومن الله الأجر
 والثواب.

بَابُ

في مصاحبة الملوك ومخالطتهم وكيفية التحرز منهم
في حال مجالستهم لهم ومباستطهم

يجب أولاً على الملوك أن يختاروا لمجالستهم، مَنْ جَمَعَ الرَّأْيَ
والعَقْلَ (وجودة) ^(١) الأدبَ والفضلَ، واتصفَ بمكارمِ الأخلاقِ، وطيبِ
الأعرافِ ^(٢).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَالدَّارِي
إِنْ لَمْ يَحْذِيكَ مِنْ عَطْرِهِ، عَلَّقَكَ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ جَلِيسِ السَّوِّءِ، كَكَبِيرِ
الْحَدَادِ إِنْ لَمْ يَحْرِقْكَ بِنَارِهِ، عَلَّقَكَ مِنْ دَخَانِهِ» ^(٣). (قُلْتُ الدَّارِي: العَطَارُ،
ويحذيك: أَي يعطيك ويهبُ لك) ^(٤).

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَجَالَسَةُ أَهْلِ الدِّيَانَةِ تَجْلِي الْقُلُوبَ، وَتَصْدِي
الذُّنُوبَ، وَمَجَالَسَةُ ذَوِي الْمَرْوَاتِ تَدُلُّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ^(٥).

(١) في (ب، ج، د): وحوى.

(٢) الأعراف: الأصل والمنبت. والجمع: عروق وأعراف. القاموس المحيط.

(٣) صحيح مسلم، ج ٨ ص ٣٨ باختلاف في بعض الألفاظ؛ سنن أبي داود، ج ٤
ص ٢٥٩، وفي الحديث دليل على الرغبة في صحبة الصلحاء والعلماء ومجالستهم، فإنها
تنفع في الدنيا والآخرة، وإلى الاجتناب عن صحبة الأشرار والفساق فإنها تضر ديناً
ودنياً؛ عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ج ١٣ ص ١٧٨.

(٤) زيادة من (ب - ج).

(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٣٣٤.

وقيل: من ضيَع عاقلاً دَلَّ على ضعف عقله، ومن اصطنع جاهلاً
أعرب عن فرط جهله^(١).

قال الشاعر:

عنِ المرءِ لا تَسَلْ وسلْ عن قرينه فكلُّ قرينٍ بالمُقارنِ يَتَقَدِّي^(٢)
وقال آخر:

قارنٌ إذا ما قارنتَ حراً فإنما يزينُ ويزرى بالفتى قرناًؤه^(٣)
وقال عليه الصلاة والسلام: «المرءُ على دينِ خليله، فليَنظُرْ أحدُكم مَنْ
يخالِلُ»^(٤).

ومن كتاب المبهج: لا يتخذُ الملكُ الأعوانَ، إلا أعيانَ، والأخلاءَ إلا
أجلاءَ والندماءَ إلا كرماءً^(٥). ويجبُ على من يجالسُ ملكاً، ملازمةُ الأدبِ في
جميعِ أحواله وأن لا يغترَّ بإدناءِ الملكِ له وإقباله. وقال بزرجمهر^(٦): مَنْ

(١) سلوك المالك في تدبير الممالك، ص ١٤٧؛ كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٥٤.
(٢) العقد الفريد، ج ٢ ص ٢٠٤ وفيه: عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه؛ الصداقة
والصديق، ص ٨٥؛ نهاية الأرب، ج ٣ ص ٦٥؛ بهجة المجالس ق/١، ص ٧٤٩؛
ديوان الحماسة، للبحراني، ص ٢١١، والبيت منسوب في هذه المصادر لعدي بن زيد.
(٣) الموشى، أو الظرف والظرفاء، ص ٢٤ ونسبه إلى يحيى بن أكثم؛ ديوان طرفة بن العبد،
ص ١٣٨؛ تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج ٦ ص ٣٧٨ ونسبه إلى صالح بن
عبد القدوس.

(٤) سنن أبي داود، ج ٤ ص ٢٥٩؛ المستدرک، ج ٤ ص ١٧١ وقال صحيح؛
سنن الترمذي، ج ٤ ص ١٧، وقال حديث حسن غريب ومعناه والله أعلم، أن المرء
يعتاد ما يراه من أعمال صحبه، فلهذا أمر أن لا يصحب إلا من يرى منه ما يحل ويحمل
فمن رضي دينه وخلقه خالقه؛ عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج ١٣ ص ١٧٩.

(٥) نهاية الأرب، ج ٦ ص ٣٢؛ المبهج، الباب ١١ ورقة ٩.
(٦) هو بزرجمهر بن البخت. كان وزير ابرويز والغالب عليه والمدبر لأمره وهو معدود من
حكماء الفرس، ثم اتهم بالزندقة وحبس، ثم أمر به وقتل وعندها تغيرت الأمور على
ابرويز، واختلط عليه ملكه، ولبزرجمهر في أيدي الناس حكم ومواعظ وكلام كثير في
الزهد وغيره. مروج الذهب، ج ١ ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

جالسَ الملوكَ بغيرِ أدبٍ، فقد خاطرَ بنفسه^(١). وقال الفضلُ بنُ الربيع^(٢):
مسألةُ الملوكِ عن أحوالهم، تحيُّه النوكى^(٣) أو الحمقاء. وقال غيره: الأمراءُ
لا ينصتون^(٤). وقال آخرُ: لا تسلم على الملكِ فإنه إن أجابك شق عليه وإن
لم يجبك شق عليك^(٥).

وقال بعضُ الحكماءِ البلغاءِ: إذا جلستَ على موائدِ الملوكِ، فصم عن
الكلام، ولا تشره إلى الطعام، وإذا حدثك الملكُ فاستمع إليه، وأقبل
بوجهك عليه، ولا تُعرض عن قوله، ولا تعارضه بمثله^(٦). وقال ق/١٣: إذا
جعلك الملكُ من خاصته وأهلكَ لمعاشرتِهِ، فلا تؤمِّنْ على دعوته، ولا تشمته
على عطسته، ولا تسأله عن حاله، ولا تعزه على ميته، ولا تلقه بالسلام،

-
- (١) نهاية الأرب، ج ٦ ص ١٣؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٢.
(٢) هو أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس. تولى وزارة الرشيد، وكانت نكبة البرامكة
على يديه ويسعايته، مات الرشيد وهو على الوزارة، وهو الذي قام بأعباء خلافة الأمين،
فلما قتل الأمين اختفى، ثم أمنه المأمون ولم يزل خاملاً حتى مات سنة ٢٠٨ وله من
العمر ٦٨ سنة. شذرات الذهب، ج ٢ ص ٢٠؛ وفيات الأعيان، م ٤ ص ٣٧؛
البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٦٣.
(٣) عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٢٢؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ١٥؛ العقد الفريد، ج ٢
ص ٢٦٠.
(٤) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٣، وفيه: الأمراء لا يشتمون.
(٥) نهاية الأرب، ج ٦ ص ١٥؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٣. وهذا القول خلاف
ما جرى عليه عمل أهل الإسلام، في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه من
بعده الذين يراعون للدين حرمة، وللسنة وقارها. ومن نص على وجوب السلام، على
السلطان وانتقد تركه، ابن الأزرقي قال: (الواقع في المجلس السلطاني عوائد معروفة،
العادة الأولى: السلام عليه عند الوصول إليه والسني منها ما هو معلوم من تحية الإسلام
وما وراء ذلك فما يخفى ما فيه). بدائع السلك، ج ١ ص ٣٥٥.
(٦) كتاب الأمثال، للشعالبي، ص ٢٧.

ولا (تعالجه)^(١) بالكلام، ولا تزاحمه بالتدبير، ولا تعاتبه في التقصير، ولا تعرض عنه إذا أخبر ولا تكثر عليه إذا استخبر، ولا تصل حديثاً بحديث، ولا تعارض أحداً في الحديث، ولتكن ألفاظك شهيّة لا تملّ، ومعانيك صحيحة لا تختل^(٢).

وقال الرشيد^(٣) لاسماعيل بن صبيح^(٤): إياك والدالة فإنها تفسد الحزمة ومنها أتى البرامكة^(٥)، قال المتنبي^(٦):

(١) في (ب، ج): تفاحه.

(٢) كتاب الأمثال، للشعالبي، ص ٢٧ - ٢٨ لما كان الحق أحق أن يتبع والسنة الصحيحة أولى أن يعتد بها، فإنني أرى أن بعض هذه الآداب عرفية عجمية، فتشمت العاطس سنة للسلطان وغيره، والتعزية سنة صحيحة، واللقاء بالسلام شعار أهل الإسلام، فكيف لا يسلم على السلطان ولا يعزيه، والمأثور غير ذلك هذا ومع معرفتنا ما للسلطان من حق الطاعة، والإعظام إلا أنه يجب أن لا ينتهي الأمر إلى مصادمة الشريعة. هذا ولقد عقد أئمتنا، فصولاً شرعية في آداب مجلس السلطان لم يجرموا فيها الحلال كابن الأزرق (الركن الخامس عشر في تنظيم المجلس وعوائده)، والماوردي في الآداب السلطانية (أدب العالم مع السلطان) فليرجع إليها هناك.

(٣) ستأتي ترجمته في القسم الثاني بعون الله.

(٤) هو اسماعيل بن صبيح الكاتب، ولاه المهدي زمام ديوان الخراج سنة ١٦٨ هـ فجعله المأمون ومعه علي بن صالح على ديوان التوقيعات. خلاصة الذهب المسبوك، ص ١٧٤.

(٥) سراج الملوك، ص ١٠٥؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٤؛ الإعجاز والإيجاز، ص ٨٠.

(٦) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي المعروف بالمتنبي. حامل لواء الشعر في عصره، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ وأكثر المقام بالبادية طلباً للأدب، ففاق أهل زمانه، مدح الملوك ولزم جناب سيف الدولة بن حمدان، ثم رحل إلى مصر وامتدح الأخشيدي ثم هجاه، وهرب منه. لقب بالمتنبي لأنه كان قد ادعى أنه علوي، ثم ادعى أنه نبي يوحى إليه، ولكن المتنبي كان ينكر ذلك ويحجده ويتنصل منه، قتل سنة ٣٥٤ هـ. وفيات الأعيان، م ١ ص ١٢٠ - ١٢٥؛ شذرات الذهب، ج ٣ ص ١٣ - ١٥؛ النجوم الزاهرة، ج ٣ ص ٣٤٠.

(وَكَمْ ذَنْبٍ مُؤَلَّدُهُ دَلَالٌ وَكَمْ بُعْدٍ مُؤَلَّدُهُ اقْتِرَابٌ) (١) (٢)

وقال أبو الفتح البستي (٣): أجهلُ الناس من كان على السلطان مدلاً وللإخوان مدلاً (٤). ومن كتاب كليله ودمنة (٥): موصل الدالة (٦) على السلطان كالعابث بالأسد والمستأنس بالنمر. وقال ابن المقفع (٧): من خدَمَ الملوك فعليه بالملازمة من غير المعاتبة (٨).

ومن كتاب المبهج: لا تستقبلُ سخطَ الملكِ عليك بمعارضته ومناقضته

(١) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي، م ١ ص ٢١٠، والمعنى قد يتولد الذنب من الدلال فيأتي المدل بالذنب يظنه دلالاً وقد يكون البعد سببه القرب، أي أنهم أدلوا عليك لفرط إحسانك إليهم فأتوا في ذلك بما صار ذنباً وجناية منهم.

(٢) زيادة من (ب - ج).

(٣) أبو الفتح البستي، تقدمت ترجمته، ص ١٤٩.

(٤) نهاية الارب، ج ٦ ص ١٥؛ يتيمة الدهر، ج ٤ ص ٣٠٥؛ خاص الخاص، ص ١٢.
(٥) كليله ودمنة، كتاب وضعه بيدبا الفيلسوف الهندي على السنة البهائم والطير من مجموعة من القصص تدور حول ما يجب أن يجري عليه الحكام في حكمهم وسياسة دولهم. وسمي الكتاب باسم أخوين من بنات آوى وهما كليله ودمنة، وأخبارهما في بابين من أبواب الكتاب هما باب الأسد والثور، وباب الفحص عن أمر دمنة. وقد ترجم هذا الكتاب عبدالله بن المقفع واقتبس منه كثيراً.

(٦) الدالة: دل المرأة ودلالها: تدللها على زوجها، تريه جراءة عليه كأنها تخالفه وما بها خلاف. والدالة: ما تدل به على حميمك. وأدل عليه: انبسط فأفرط. القاموس المحيط.

(٧) ابن المقفع: هو عبدالله بن المقفع، الكاتب الفارسي الأصل، أسلم على يد عيسى بن علي، عم السفاح والمنصور، كان متهماً بالزندقة وهو الذي ترجم كتاب دليلة ودمنة عن اللغة الفهلوية - الفارسية القديمة - إلى اللغة العربية، وله كتاب الأدب الكبير، والأدب الصغير، قتل على يد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب والي البصرة بأمر من المنصور سنة ١٤٥. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٩٦؛ الفهرست، ص ١١٨.

(٨) نهاية الارب، ج ٥ ص ١٣؛ عيون الأخبار، م ١ ص ٢٠؛ الأدب الكبير، ص ٣٥.

ولا تستجلب رضاه بمحاجته وملاحته^(١) لكن بالتزام الجناح وركوب الصعب والذلّول في التماس عفوّه وتجشّم الحرون^(٢) والسهول بالاستعاذة من سطوته، ثم إياك والتهكّم في التحكّم على الملوك^(٣). وقيل: اعتذر رجل إلى عبيدالله^(٤) وزير المهدي بعذر غير سديد، فقال: ما رأيتُ عذراً أشبه باستثاف ذنب من هذا^(٥).

وقال آخر: في مثله عذرك هذا يحتاج إلى معذرة. وقال أبو بكر الطبري^(٦) لتلميذ له اعتذر إليه بعذر فاسد: عذرك هذا عذرة لا معذرة^(٧). وقال صاحب بن عباد^(٨): رضى السلطان لا يغلو بشيء من الأثمان، ولو ببذل الروح والجنان^(٩).

-
- (١) ألح في السؤال: ألحف. والملاحاة: الماردة بالكلام والطلب بالعنف.
(٢) حرنت الدابة فهي حرون، أي لا تنقاد وإذا اشتد به الجري وقف. القاموس المحيط.
(٣) المبهج، الباب ١٢ ورقة ٩.
(٤) الصواب هو أبو عبيدالله. واسمه معاوية بن يسار، كان أوحد الناس علماً وخبرة، كتب للمهدي قبل الخلافة فلما تولى المهدي إمرة المؤمنين فوض إليه تدبير المملكة فاخترع أموراً منها نقل الخراج إلى المقاسمة وصنف كتاباً في الخراج، ومات أبو عبيدالله معاوية بن يسار في سنة ١٧٠هـ. الفخري، ص ١٨٢؛ وفيات الأعيان، م ٧ ص ٢٦.
(٥) الوزراء والكتاب، ص ١٤٢؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٧٣٦-٧٣٧.
(٦) أبو بكر الطبري لم أعثر له على ترجمة فيما لدي من المراجع.
(٧) العذرة: الغائط، وتطلق على فناء الدار أيضاً. والمعذرة والعذرى بمعنى العذر. واعتذر إلى: طلب قبول معذرتي. واعتذر عن فعله: أظهر عذره. والمعتذر يكون محققاً وغير محقق.
(٨) هو أبو القاسم: صاحب اسماعيل بن عباد الوزير المشهور بكافي الكفاة من الطالقاني أصلاً، كان يعد نادرة دهره وأعجوبة عصره في فضائله ومكارمه. قال فيه أبو بكر الخوارزمي: (الصاحب نشأ من الوزارة وحجها ودب ودرج من وكرها، ورضع أفريق درها، كان يصحب ابن العميد ومن هنا لقب بالصاحب. توفي سنة ٣٨٥هـ. شذرات الذهب، ج ٣ ص ١١٣-١١٤؛ وفيات الأعيان، م ١ ص ٢٢٨؛ النجوم الزاهرة، ج ٤ ص ١٧١.
(٩) زهر الآداب، ج ٢ ص ٥٨٨ وفيه: مرضاة السلطان؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤١.

وقال المأمون^(١): الملوك تحتل كل شيء إلا ثلاثاً: الطعن في الملك، وإفشاء السر، والتعرض للحرم^(٢). وقال العباس^(٣) لابنه عبد الله^(٤) رضي الله عنهما، وقد كان يختص بعمر^(٥): يا بني إني أرى هذا الرجل يدنيك وإني موصيك بخلاف لا تفشين له سرأ ولا تخونن له عهداً ولا تغتابن عنده أحداً ولا تطوي عنه نصيحة^(٦).

وقال ابن المعتز^(٧): إذا زادك الملك تائيساً فزده إجلالاً^(٨).

وقال الشاعر:

-
- (١) المأمون، ترد ترجمته في القسم الثاني عند الكلام على خلافته.
 (٢) بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٤٧؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٨؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٤؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ٨ ونسبه إلى المنصور؛ المحاسن والمساوي، ج ٢ ص ٨٢ ونسبه للمنصور أيضاً، وقد يكون من كلام المنصور ولكنه اشتهر عن المأمون لكثرة استعماله له.
 (٣) العباس: هو أبو الفضل العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة، وأكد له البيعة على الأنصار، أسلم عام الفتح، ويقال أنه أسلم قبل ذلك ولكنه أقام بمكة بإذن الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الرسول يكرمه ويحمله والخلفاء من بعده، توفي سنة ٣٢ هـ وصلّى عليه عثمان رضي الله عنه. شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٨؛ المعارف، ص ٥٣؛ الطبقات الكبرى، ج ٤ ص ١-٢٢؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٨٩.
 (٤) هو أبو العباس عبد الله بن عباس حبر الأمة، وترجمان القرآن وأبو الخلفاء العباسيين وتقدمت له ترجمة وافية ص ١٠٨.
 (٥) تقدمت ترجمته ص ٩٩.
 (٦) السنن الكبرى، م ٨ ص ١٦٧؛ سراج الملوك، ص ١٠٤؛ سير أعلام النبلاء، ج ٣ ص ٢٣٢؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٤٩٦.
 (٧) تقدمت ترجمته ص ٩٧.
 (٨) آداب ابن المعتز، ص ١٢١؛ العقد الفريد، ج ١ ص ١٣؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٤.

إذا أدناكَ سلطانُ فزِدُهُ من التعظيمِ واحذرُهُ وراقِبْ
فما السلطانُ إلا البحرُ عَظْماً وقُرْبُ البحرِ مَحْدُورُ العواقِبِ^(١)

وقال ابنُ عبادٍ:

إذا صحبتَ الملوكَ فالبس من (التحلي)^(٢) أجلُ ملبس
وادخلُ إذا ما دخلتَ أعمى واخرج إذا ما خرجتَ أخرس^(٣)

وقيلَ: السلطانُ كالنارِ إن باعدتَها بطلَ نفعُها وإن قاربتَها عظمُ
ضررُها^(٤). وقالَ آخرُ: ليكنُ السلطانُ عندك كالنارِ لا تدنو منها إلا عند
الحاجةِ فإن ابتليتَ فعلى حذرٍ^(٥).

وقالَ ابنُ المعتز: أشقى الناسِ بالسلطانِ صاحبُه كما أن أقربَ الأشياءِ
إلى النارِ أسرعُها احتراقاً^(٦). وقيلَ: صاحبُ السلطانِ كراكبِ الأسدِ يهابُه
الناسُ وهو لمركو به أهيبُ^(٧).

(١) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٥ ونسبها للصاحب بن عباد؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ١٥؛
ديوان الصاحب بن عباد، ص ١٩١ - ١٩٢.

(٢) في (ب - ج - د): فالبس من التوقي.

(٣) التذكرة السعدية في الأشعار النجدية، ص ٣٩؛ التبر المسبوك في نصيحة الملوك،
ص ٨٥؛ مجمع الحكم والأمثال، ص ٤٦٧؛ برد الأكباد في الاعداد، للثعالبي،
مخطوط ونسبها إلى أبي الفتح البستي.

(٤) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٥؛ المخلاة، ص ٥١؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٠.

(٥) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٥ وفيه: وإن اقتبست منها فعلى حذر؛ التمثيل والمحاضرة،
ص ١٣١.

(٦) آداب ابن المعتز، ص ١٧١؛ رسائل ابن المعتز، ص ٦٧؛ سراج الملوك، ص ١٠٥.

(٧) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٣٨٣؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ١٠٨، ونسبها
إلى أمثال كليلة ودمثة؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٢١؛ الأدب الكبير، ص ٢٨.

وقيل: مثل أصحاب السلطان، كقوم رفقوا جبلاً، ثم وقعوا منه فكان
أبعدهم في المرقى، أقربهم إلى التلف^(١).

وقيل: مثل السلطان مثل الجبل الصعب الذي فيه كل ثمرة طيبة، وكل
سبع حطوم^(٢)، فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشد^(٣). وقال ابن المعتز:
من صحب السلطان فليصبر على قسوته، كما يصبر الغواص على ملوحة
بحره^(٤). وقال أيضاً: لا تلبس بالسلطان في حال اضطراب الأمور عليه فإن
البحر لا يكاد يسلم رابكه في حال سكونه فكيف عند اختلاف رياحه
واضطراب أمواجه^(٥) ق/١٤. وقال أيضاً: إن كان البحر كثير الماء فإنه بعيد
المهوى^(٦). وقال أبو الفتح البستي^(٧)، شعراً:

صاحب السلطان لا بُدَّ له من هُومٍ تغتريه وغَمَمٍ
كالذي يركب بحراً سَيرى قَحَمَ الأهوال من غير قَحَم^(٨)

(١) بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٥٤؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٥. كل هذه الأقوال
ترشد إلى كراهة الدخول على أئمة الجور وأن الداخل معرض للفتنة، وصدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم: «من أتى أبواب السلاطين افتتن».

(٢) الحطم: الكسر. والحاطوم: السنة الشديدة. القاموس المحيط.

(٣) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٥؛ سراج الملوك، ص ١٠٣؛ البصائر والذخائر، م ١
ص ٥٢٤؛ الأمالي، ج ٢ ص ١٣٦ ونسبها إلى بعض حكماء الهند.

(٤) آداب ابن المعتز، ص ٩٩؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٤؛ التمثيل والمحاضرة،
ص ١٣٢.

(٥) شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٥٧١؛ بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٥١؛ رسائل ابن
المعتز، ص ٦٨.

(٦) شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٢٥٧؛ بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٥٤؛ زهر الآداب،
ج ٢ ص ٦٧٤.

(٧) تقدمت ترجمته ص ١٤٩.

(٨) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥١-١٥٢؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٢. والفحم:

المصاعب.

وقال ابن المعتز: مَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِي عِزِّ الدُّنْيَا، شَارَكَهُ فِي ذُلِّ
الْآخِرَةِ^(١). وقال أيضاً: لَا يُدْرِكُ الْغِنَى بِالسُّلْطَانِ، إِلَّا نَفْسٌ خَائِفَةٌ وَدِينٌ
مُتَلَمِّمٌ^(٢).

وفي بعض الأخبار: (مَنْ اقْتَرَبَ مِنْ أَبْوَابِ السُّلْطَانِ افْتَتَنَ)^(٣).

ويجب على من صحب (الملوك)^(٤) وجالسهم، وصار من أهل
المباصرة لهم والموانسة، أن لا يطوي عنهم نصيحة تعود عليهم في صلاح
الدين ودوام المملكة، وحسن الأحذوثة عنهم. قال صلى الله عليه وسلم:
«رَأْسُ الدِّينِ النَّصِيحَةُ»^(٥) ولا يحملُهُ ما يراه من محبة الملك لما يرتكبه من

(١) آداب ابن المعتز، ص ١٧١؛ سراج الملوك، ص ١٠٥؛ المحاسن والمساوي، ج ٢
ص ١١٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٢٥٧ وفيه ودين منكتم؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٤؛
بهجة المجالس، ق/١ ص ٢٥٣.

(٣) سنن أبي داود، ج ٣ ص ١١١؛ سنن النسائي، ج ٧ ص ١٩٥؛ مجمع الزوائد، م ٥
ص ٢٤٦، ونص الحديث كما في المصدرين من سكن البادية جفا ومن أتبع الصيد
غفل، ومن أتى السلطان افتتن. والمراد بالفتنة هنا، أي أصابته فتنة لأنه إن وافقه في
أحكامه وأعماله وكانت خارجة عن نهج الشرع فقد خاطر بدينه وإن خالفه فقد خاطر
بروحه، وهذا لمن دخل مداينة. أما إن دخل أمراً وناهياً ناصحاً ومبيناً كان دخوله
أفضل، والله أعلم.

(٤) في (ب - ج): صحب سلطاناً.

(٥) ورد الحديث بهذا اللفظ في الجامع الصغير، ج ٢ ص ٢٠؛ وعند الطبراني في كتابه
الأوسط وروى في مصادر السنة الأخرى كسنن النسائي، ج ٧ ص ١٥٦ «إنما الدين
النصيحة قالوا لمن يارسول الله؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»؛
وفي سنن الترمذي، ج ٣ ص ٢١٧، «الدين النصيحة» وقال هذا حديث حسن؛ وفي
سنن أبي داود، ج ٤ ص ٢٨٦ بلفظ (ان الدين النصيحة) والنصيحة كلمة يعبر بها
عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له فمعنى النصيحة لله، اعتقاد وحدانيته،
والإخلاص في عبادته، والنصيحة لكتاب الله، التصديق به والعمل بما فيه، ونصيحة =

لذيذ شهواته وسروره بما يتأتى له من درك إرادته، وارتياحه إلى تنفيذ أوامره ونواهيه واغتيابه من السياسة بما يذره ويأتيه، مما (يكسبه)^(١) ائماً أو يلحقه وصماً أو تعود عاقبته إلى فساد في مملكته أو اختلال في دولته، على موافقته في استحسان ما استحسنه، ومتابعته على استصواب، ما خيل إليه رأيه من ذلك وزينه، فإن ذلك من أعظم دلائل الخيانة، وهو مبانٍ لسبيل النصح والأمانة بل ينبغي أن يتلطف له في حال استثنائه به وميله إليه وإدناؤه منه وإقباله عليه بإرشاده إلى أوضح (الطريق)^(٢) وأنهج السبل ويبين له ما ينتج فعله من الفساد والخلل، فإنه متى قصد بذلك من إخلاص قلبه ونيتته وصدقي ضميره، ورغبته إظهار النصح الواجب عليه لأمره وسلطانه ومن أنعم عليه (بعوائده وإحسانه)^(٣)، وتأدية النصح والأمانة والتكبر عن مناهج الغش والخيانة. أوقع الله تعالى نفي قلب سلطانه قبول نصيحته والاصغاء إلى مشورته. ولو اتفق لسلطانه مثلاً كراهية لقوله واتهاماً^(٤) في نصحه وغضب من موعظته له واستعظام للإنكار عليه في الحال فيوشك عن قرب^(٥) أن ينصح له عند اختلال تدبيره وفساد أموره استصواباً لما سبق من رأيه ونصيحته، ويندم على ما فرط من إنكاره عليه، ومخالفته فيكسبه ذلك عنده منزلة لا يساميه فيها سواه ولا يساويه أحد من قصر عن وصول مداه ومتى تابعه على

= الرسول صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته ورسالته، والانقياد لما أمر به ونهى عنه، ونصيحة الأئمة، أن يطيعهم في الحق، ولا يرى الخروج عليهم، ونصيحة عامة المسلمين، إرشادهم إلى مصالحهم / عون المعبود، ج ١٣ ص ٢٨٨.

(١) في (ج): يلبسه.

(٢) في نسخة (ج): إلى أوضح الطريق.

(٣) بعوائد بره وإحسانه.

(٤) في (ب - ج): والاتهام.

(٥) في (ج): قريب.

رأيه المعتل ونظيره المختل مع عليه بفساده خوفاً من سخطه وإبعاده فيوشك
أن يسخطه الله عليه وترجع عاقبة مكربه إليه^(١).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من التمس رضَى الله بسخط
الناس رضَى الله عنه وأرضى الناس ومن التمس رضَى الناس بسخط الله
سخط الله عليه وأسخط الناس»^(٢).

ودخل الفضل بن سهل^(٣) على المأمون^(٤) وبين يديه الشطرنج^(٥) يلعب
بها فرمى بها وقال: أنا أحدث الناس أن أمير المؤمنين منفرد بالصلاة والعلم،
والنظر في أمور المسلمين، وهو على هذه الحال، فشكر له على ذلك.

ومن النصيح أن ينبه دائماً على طرق المكارم والمفاخر والمساعي.

(١) فمن حق إمام المسلمين على الأمة، أن تطيعه وتنصح له، وتأمره بالمعروف، وتنهاه عن
المنكر، لأن الدين النصيحة... لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. والنصيحة
للأئمة معاونتهم على ما تكلفوا القيام به وتحذيرهم من سوء وعاقبته وقد ضرب لنا
أهل الصدر الأول النماذج الرائعة في هذا.

(٢) سنن الترمذي، ج ٤ ص ٣٤، باختلاف لفظي يسير.

(٣) هو أبو العباس الفضل بن سهل السرخسي. أسلم على يد المأمون سنة ١٩٠هـ ووزر
له، وكان يلقب بذئ الرياستين الحرب والسياسة وغلب على المأمون يخلاله الجميلة من
الوفاء والبلاغة والكتابة حتى صار الأمر كله إليه، قتل بسرخس سنة ٢٠٢هـ، وقيل سنة
٢٠٢هـ، النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٧٢ - ١٧٣؛ وفيات الأعيان، م ٤ ص ٤١؛
شذرات الذهب، ج ٢ ص ٤.

(٤) سترد ترجمته في القسم الثاني عند الكلام على خلافته.

(٥) قالوا: إن أصل الشطرنج من وضع الفرس وضعه رجل يسمى صصه وقيل انه من مبتكرات
الهند وإن بعض ملوكهم كان له ولد يسمى شاه أخرجه إلى بعض الحروب، فقتل فيها
فهاب الناس أن يعلموه موت ولده، فوضع حكماؤه الشطرنج ولعبوا بها بين يدي
الملك، فقال الغالب للمغلوب شاه مات، ففطن الملك للمراد وأصل الشطرنج شش
رنك ومعناها في لغتهم ستة ألوان/ غرر الخصائص، ص ١٢٠.

الحميدة والمآثر ليسلكها ويهجن عنده المساوىء والقبايح^(١) ويبالغ في ذمها ليتجنبها ويذكر عنده طرق الأخيار ومحاسن السير والآثار وما جرى للملوك من قبله، من المساعي الشريفة والآثار الحميدة وحسن السيرة ليقندي بهم في المناقب والفضائل ويتكب عن سبل المثالب^(٢) والردائل ليستعمل ما يورده من أمثال الحكماء وأقوال البلغاء وليكن على الجملة كما سبق في وصية العباس رضي الله عنه ق/ ١٥ (لاينه)^(٣).

أو كما قال عمر بن عبد العزيز^(٤) من صحبنا فليصحبنا بأربع خصال يدلنا على عيوبنا، ويرفع إلينا حاجة من لا يصل إلينا، ولا يفشين لنا سراً ولا يغتابن عندنا أحداً^(٥)، وينبغي له أن يكون حسن المحضر في حق الغائب، مجتهداً في بذل الشفاعة للمذنب والمطالب. قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾^(٦).

(١) في (ج): المقايح.

(٢) المثالب: ثلثه ثلثاً عابه وتنقصه، والمثلبة المسبه والجمع المثالب/ المصباح المنير.

(٣) ساقطة من (ج).

(٤) ترد ترجمته في القسم الثاني عند الكلام على الأميين.

(٥) البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٩٨؛ وذكر هذا القول لعمر في أول خطبة خطبها بعد أن تولى أمر المسلمين وفيها: «أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فليفارقتنا يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ويعيننا على الخير بجهدنا ويدلنا من الخير على ما لا ننتدي إليه ولا يغتابن عندنا أحداً ولا يعرض فيها ليعينه/ الكامل في التاريخ، م ٤ ص ١٦٤؛ سيرة عمر، لابن الجوزي، ص ١٩٦؛ العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج ٣ ص ٤٠.

(٦) آية ٨٥ من سورة النساء. وأصل الشفاعة من الشفع وهو الزوج في العدد ومنه الشفيع لأنه يصير مع صاحب الحاجة شفعا والشفع ضم واحد إلى واحد وهي كما قال الإمام القرطبي إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع وإيصال المنفعة إلى المشفوع له واختلف المفسرون في هذه الآية على أقوال نقلها الإمام القرطبي في تفسيره لسورة النساء. فقال =

وقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشْفَعُوا تَوْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيهِ مَا شَاءَ»^(١) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ وَصْلَةً لِأَخِيهِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ فِي مَنْهَجٍ بَرٍّ أَوْ تَسِيرٍ عَسِيرٍ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى إِجَازِهِ الصِّرَاطِ يَوْمَ تَدْحَضُ فِيهِ الْأَقْدَامُ»^(٢) وَقَالَ زِيَادٌ^(٣): اشْفَعُوا لِمَنْ وَرَاءَكُمْ فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَصِلُ إِلَى السُّلْطَانِ وَلَا كُلُّ مَنْ يَصِلُ إِلَيْهِ يَقْدَرُ عَلَى كَلَامِهِ^(٤). وَقَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ بِقَدْحِ

= مجاهد والحسن وغيرهم في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم فمن يشفع، لينفع فله نصيب، ومن يشفع ليعض فله كفل. وقيل يعني بالشفاعة الحسنة الدعاء للمسلمين والسيئة الدعاء عليهم. وقيل المعنى من يكن شفعا لصاحبه في الجهاد يكن له نصيبه من الأجر ومن يكن شفعا لآخر في باطل يكن له نصيب من الوزر وكان هذا القول جامع: تفسير القرطبي، سورة النساء. وذكر الأستاذ سيد قطب في ظلال القرآن في تفسير هذه الآية أن معناها: فليشفع الإنسان الشفاعة الحسنة، ليصل خيرا إلى من يستحق الخير، غير مضار لبريء، أو مضيع حقا على صاحب حق، أو معطل لحد من حدود الله فهذه هي الشفاعة الحسنة التي تنفع ولا تضر وليتق الشفاعة السيئة التي تؤدي إلى أكل مال الباطل أو تعويق صاحب مكان عن مكانه أو اهدار الحرمه من حرمت الله والناس فإن لصاحب الأولى نصيبا طيبا من شفاعته ولصاحب الأخرى وزرا يحتمله من سيئته / ظلال القرآن، ج ٥ ص ٥١؛ تفسير سورة النساء.

(١) سنن أبي داود، ج ٤ ص ٣٣٤؛ سنن الترمذي، ج ٤ ص ١٤٨، وقال هذا حديث حسن صحيح؛ صحيح البخاري، ج ٨ ص ١٥؛ صحيح مسلم، ج ٨ ص ٣٧، ومعنى الحديث أنه إذا عرض المحتاج حاجته فاشفعوا له، فإنكم إن شفعتكم حصل لكم الأجر، قبلت شفاعتكم أم لا فإن قضيت حاجته من شفاعتكم، فهو بتقدير الله وإن لم تقض فهو بتقدير الله أيضا/ عون المعبود؛ شرح سنن أبي داود، ج ١٤ ص ٤٠.

(٢) السنن الكبرى، ج ٨ ص ١٦٧. لما كان لا يصل إلى السلطان كل أحد فقد تكون هناك حاجة لا تقضي إلا بعرضها على السلطان لذلك جعل الإسلام إيصالها إلى السلطان، وإنهاء خبرها إليه، ليقوم بحلها مساعدة للمظلومين ورفعاً للحيف عنهم، وجعل لمن قام بها، أن أعانه على تجاوز الصراط يوم العرض الأكبر.

(٣) تقدمت ترجمته، ص ١٣٢.

(٤) تاريخ يعقوبي، م ٢ ص ٢٣٥؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٠؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٤.

الشفيع تورى نارَ النجاحِ ومن كَفِ المغيُضِ يَنتظرُ فوزَ القَداحِ (١).

وقال البحتري (٢):

وعطاء غيرك أن بذل
ت عناية فيه عطاؤك (٣)
وقال آخر:

خليلي ماذا ارتجى من غدِ أمرى
طوى الكُشَح (٤) عني اليوم وهو مكين
وإنَّ أمراً قد ضن يوماً بمنطق
يسد به فقر امرئ لضنين (٥)
وقال آخر:

وأهون ما يُعطى الصديقُ صديقهُ
من الهين الموجود أن يتكلما (٦)
وليتجنب السعاية بكل حالٍ، فإنها دناءةٌ وسخفٌ.

قال صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة قتات» (٧) «قلت القتات:

(١) كمال البلاغة، (رسائل شمس العالمي قابوس بن وشمكين)، ص ٤٤؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٣٥٩.

(٢) البحتري: هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي. أمير شعراء العصر، ولد بمِنج سنة ٢٠٥هـ، ونشأ بها ورحل إلى العراق ومدح الخلفاء وأكثر في مدح المتوكل على الله ثم عاد إلى الشام بعد قتل المتوكل على الله، توفي سنة ٢٨٤هـ؛ وفيات الأعيان، م ٦ ص ٢١؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٨٦؛ النجوم الزاهرة، ج ٣ ص ٩٧؛ البداية والنهاية، ج ١١ ص ٧٦.

(٣) ديوان البحتري، ج ٢ ص ١٥٠؛ نهاية الأرب، ج ٣ ص ٩٨؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٢٧٣.

(٤) الكشع: ما بين الخاصرة إلى الضلع، والكاشع الذي يطوي كشحه على العداوة، وقيل الذي يتباعد عنك/ المصباح المنير.

(٥) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٩٦؛ ونسب الأبيات، لدعبل الخزاعي؛ والضنين: البخيل المتهم.

(٦) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٩٧.

(٧) صحيح البخاري، ج ٨ ص ٢١؛ السنن الكبرى، ج ٨ ص ١١٦؛ سنن الترمذي، =

النمام^(١) قال الأحنف بن قيس^(٢) في ذكر السعاة، ما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم^(٣) وقال له رجل، أخبرني ثقة عنك بسوء، فقال الثقة لا ينم^(٤) وقال بعضهم:

= ج ٣ ص ٢٥٣؛ وقال هذا حديث حسن صحيح؛ سنن أبي داود، ج ٤ ص ٢٦٨، لا يدخل الجنة غمام لأنه يتبع عورات الناس ويفتش عن معائبهم ليتخذ من ذلك سلاحاً يطعنهم به من الخلف ثم هو لا يبالي باختلاق الكذب، واختراع الباطل في سبيل إيذاء الأبرياء ولقد ذكر الأئمة وكل من كتب في الأحكام السلطانية أخطار النميمة والسعاية بالناس إلى السلطان بعد أن عرفوها وبينوا حكمها وحقيقتها فقد قال الغزالي: «هي كشف ما يكره سواء كرهه المنقول عنه، أو المنقول إليه وسواء كان الكشف بالقول أو الكناية»، وقال البلالي: «هي نقل مكروه ليفسد»، وحكمها التحريم لتظافر الأدلة على ذلك، ومنعه من دخول الجنة التي جعلها الله داراً للمتقين، وحرمها على المفسدين. كما بينوا مفسدها وأنها كثيرة ومنها إفساد المحبة بين الناس وإيقاع الضرر بعباد الله الأبرياء، كما بينوا مضارها على السلطان وأنها قد تسبب خراب الملك حتى قال ابن حزم: «ما هلكت الدول ولا انتقضت الممالك ولا سفكت الدماء ظلمًا ولا هتكت الأستار بغير التمام والكذب والواجب على السلطان عندها أن يكون يقظاً مثبِتاً في أمر العامة والخاصة وكل ما ينهى إليه وأن يكشف عن ذلك ويوبخ الساعي حتى لا يعود إلى مثله فقد يفسد الساعي بالمضرة ما لا يفسد الساحر». انظر: بدائع السلك، ج ٢ ص ١٧ - ٢٤؛ مختصر منهاج القاصدين، ص ١٧٥ - ١٧٦؛ سراج الملوك، ص ١٣٣ - ١٣٦.

(١) زيادة من (ب - ج).

(٢) هو أبو البحر الضحاك بن قيس بن معاوية المري. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، وكان ثقة مأموناً قليل الحديث، وفد على عمر عندما آلت إليه الخلافة فاحتبسه حولا ثم قال يا أحنف قد بلوتك وخبرتكم فلم أرى إلا خيراً ورأيت علانيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك وأمر أبا موسى الأشعري بمشاورة الأحنف والسماع منه وكان صديقاً لمصعب بن الزبير وفد عليه بالكوفة وتوفي بها، ورؤى مصعب في جنازته يمشي بغير رداء/ وفيات الأعيان، م ٢ ص ٤٩٩ - ٥٠٦؛ الطبقات الكبرى، ج ٧ ص ٦٦؛ المعارف لابن قتيبة، ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ٣٣.

(٤) عيون الأخبار، م ١ ج ٤، ص ٢٠، وفيه الثقة لا يبلغ؛ المستجد من فعلات الأجواد، ص ٢٥٠.

السَّاعِي كاذِبٌ لِمَنْ يَسْعَى لَهُ أَوْ خَائِنٌ لِمَنْ يَسْعَى عَلَيْهِ^(١) وَقِيلَ السَّاعِي يَقْتُلُ ثَلَاثَةً :
نَفْسَهُ وَسُلْطَانَهُ وَالْمَسْعِيَّ^(٢) بِهِ . وَكَتَبَ سِوَارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(٣) الْقَاضِي إِلَى الْمَنْصُورِ^(٤)
أَنْ رَجُلًا مِنْ جَمِيرٍ يَشْتُمُ السَّلَفَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ : إِنَّا بَعَثْنَاكَ قَاضِيًا وَلَمْ نَبْعَثْكَ
سَاعِيًا^(٥) . وَرَفَعَ إِلَى بَعْضِ الْخُلَفَاءِ أَنَّ رَجُلًا مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا كَثِيرًا وَلَا وَارِثَ لَهُ
إِلَّا وَلَدَ صَغِيرٌ فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِ الرِّقْعِ الْمَرْفُوعِ إِلَيْهِ الْمِيتَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَالْيَتِيمَ
جَبَرَهُ اللَّهُ وَالْمَالَ أَنْمَأَهُ اللَّهُ وَالسَّاعِي لَعَنَهُ اللَّهُ^(٦) .

وَقَالَ الْحَرِيرِيُّ^(٧) : زَيْنُ الرُّعَاةِ مَقْتُ السُّعَاةِ^(٨) وَقَالَ (آخَرُ)^(٩) : جَزَاءُ السُّعَاةِ
مَقْتُ الرُّعَاةِ .

-
- (١) آداب ابن المعتز، ص ١٠٠ ؛ نهاية الأرب، ج ٣ ص ٢٩٣ .
(٢) نهاية الأرب، ج ٣ ص ٢٩٣ ؛ وردت بلفظ الساعي بالنميمة كشاهد المزور يهلك نفسه
ومن سعى به ومن سعى إليه .
(٣) هو سوار بن عبد الله القاضي تولى قضاء البصرة للمنصور ثم جمع له المنصور القضاء
والصلاة بعد عزل والي البصرة الهيثم بن معاوية سنة ١٥٦هـ ؛ وكان عادلاً في حكمه
لا يجابي شكاة أهل البصرة للمنصور، فلم يستجب لطلبهم، توفي سنة ١٧٥، وصلى
عليه ابن دعلج / الطبري، ج ١٠ ص ١٢٤، ٣٧٨، ٣٨٠ ؛ النجوم الزاهرة، ج ٢
ص ٣٠ .
(٤) ترد ترجمته عند الكلام عن العباسيين .
(٥) خاص الخاص، ص ٨٨، وذكر فيه الرجل الذي كان يشتم السلف وهو السيد
الحميري الشاعر الشيعي إسماعيل بن محمد بن بكار .
(٦) بدائع السلك في طبائع الملك، ج ٢ ص ٢٤ ؛ الشفاء في الملوك والخلفاء، ص ٩٤ .
(٧) تقدمته ترجمته، ص ١٢٤ .
(٨) مقامات الحريري، المقامة السابعة عشرة المسماة القهقرية، ص ٩٦ .
(٩) في (ب - ج) : أيضاً .
وَمَا وَجَدَ فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ وَصَلَحَ أَنْ يُذَكَّرَ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ الْهَيْثَمَ بْنَ
عَدِيٍّ الطَّائِي ذَكَرَ أَنَّ ابْنَ دَابٍّ قَالَ : لَمَّا وَلِيَ الْحِجَاجُ الْحَرَمَيْنِ بَعْدَ قَتْلِهِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الزُّبَيْرِ اسْتَحْضَرَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيَّ فَلَمْ تَزَلْ تِلْكَ حَالَهُ =

.....

= حَتَّى اسْتَرَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فَخَرَجَ مَعَهُ مُعَادِلًا لَهُ لَا يَأْتِلِي فِي تَرْشِيحِهِ
وَإِخْتِصَاصِهِ وَأَعْظَمِيهِ حَقَّهُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ لَمْ يَبْدَأْ
بَعِذِ السَّلَامِ إِلَّا أَنْ قَالَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ قَدِمْتُ بِرَجُلٍ أَهْلُ الْحِجَازِ لَمْ أَدْعُ
مِثْلَهُ بِهَا فِي الْمُرُوءَةِ وَوَجُوبِ حَقِّ الْأَبُوَّةِ وَمَا بَلَوْتُ فِي الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ، وَقَدْ أَحْضَرْتُهُ
بِبَابِكَ فَسَهَّلَ عَلَيْهِ أَذُنَكَ وَاعْرِفْ لَهُ مَا عَرَفْتُكَ مِنْ حَقِّهِ قَالَ: مَنْ ذَلِكَ يَا حِجَّاجُ؟ قَالَ:
إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ يَا حِجَّاجُ أَذْكَرْتَنَا قَرَابَةً وَرَجِمَا مَاسَةً يَا غَلَامُ: أَتَذُنُ
لِابْنِ طَلْحَةَ قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُ فَاجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ أَبَا
مُحَمَّدٍ ذَكَرَ مَا لَمْ نَزَلْ نَعْرِفُهُ لَكَ مِنَ الْمُرُوءَةِ وَوَجُوبِ الْحَقِّ لِأَبَوْنِكَ وَقَدْ، ق/ ١٦ ذَكَرَ
مَا بَلَكَ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ فَلَا تَتَرَكَنَّ لَكَ حَاجَةً فِي خَاصَّتِكَ وَلَا عَامَةً إِلَّا ذَكَرْتَهَا قَالَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ أَوَّلَى الْحَوَائِجِ أَنْ يُقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ مَا كَانَ لِلَّهِ فِيهِ رِضًى وَيَحِقُّ
نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكَ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ لِي حَاجَةٌ أُرِيدُ أَنْ
أَذْكُرَهَا لَكَ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا وَأَنَا خَالُ بِكَ فَأَخْلِنِي تَرُدَّ عَلَيْكَ نَصِيحَتِي. قَالَ وَدُونَ
أَبِي مُحَمَّدٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ قُمْ يَا حِجَّاجُ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ كَمَا تَقُولُ رَجُلًا وَفِي الرَّجُلِ
عَقْرَبٌ فَلَمَّا أُسْدِلَ عَلَيْهِمَا السُّتْرُ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ عَهَدْتَ إِلَيَّ الْحِجَّاجِ
وَهُوَ مَنْ عَلِمْتُ فِي تَغَطُّرِيهِ وَتَفَرُّسِهِ وَبُعْدِهِ مِنَ الْحَقِّ وَرُكُوبِهِ لِلْبَاطِلِ فَوَلَّيْتُهُ الْحَرَمِينَ
وَهُمَا مَا هُمَا وَبِهِمَا مَنْ بِهِمَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَأَبْنَاءِ أَصْحَابِهِ يَسُومُهُمُ الْخِشْفُ وَيَطَاهُمُ بِالْعَسْفِ وَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِغَيْرِ السُّنَّةِ بَعْدَمَا
كَانَ مِنْ إِهْرَاقِهِ دِمَائِهِمْ مَا كَانَ وَاسْتِبَاحَتِهِ حُرْمَتِهِمْ وَحَرِيمَتِهِمْ فَوَطَّئَهُمْ بِطَغَامِ أَهْلِ الشَّامِ
وَرِعَاعٍ لَا رُؤْيَا لَهُمْ ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ غَيَّرَ مَطَالِبِيكَ بِذَلِكَ وَلَمْ تَخَفْ أَنْ يَجَائِلِكَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدًا فِي أُمَّتِهِ وَأَيْمِ اللَّهِ لَا نَجَوْتَ إِلَّا بِحُجَّةٍ تَضْمَنُ لَكَ النِّجَاةَ
فَأَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ أَوْدَعُ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَرِيبٌ وَأَيْمْتُ وَظَنُّ بِكَ الْحِجَّاجُ مَا لَمْ يَخْبِرْ
فِيكَ وَلَرَبِّمَا ظَنُّ الْخَيْرِ بِغَيْرِ أَهْلِيهِ فَأَنْتَ الْكَاذِبُ الْمَازِقُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَقُمْتُ وَمَا أُمْلِكُ
نَفْسِي وَلَا أَبْصُرُ طَرِيقًا فَلَمَّا جَاوَزْتُ السُّتْرَ أَذِنَ لِلْحِجَّاجِ وَجَلَسْتُ بِالْبَابِ مَلِيًّا لَا أَشْكُ
إِلَّا أَنَّهَا فِي أَمْرِي ثُمَّ خَرَجَ الْأَذْنُ فَقَالَ أَذْخُلُ يَا ابْنَ طَلْحَةَ فَدَخَلْتُ وَمَا أَعْقِلُ حَيَاءَ
وَخَوْفًا فَاسْتَقْبَلَنِي الْحِجَّاجُ بَيْنَ السُّتْرَيْنِ يُعَانِقُنِي وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْي وَقَالَ إِذْنُ جِرَاكَ اللَّهُ
خَيْرًا وَجَزَى الْمَوَاحِينَ مِنْ ضَرْبِكَ خَيْرًا فَوَاللَّهِ لَئِنْ سَلِمْتَ لَارْفَعَنَّ دَرَجَتَكَ وَلَا عَلَيْنُ =

= كَعَبَكَ الرِّجَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هُوَ يَهْزُؤُ بِي وَاللَّهِ فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ رَفَعَنِي حَتَّى أَجْلَسَنِي مَعَهُ مَجْلِسِ الْأَوَّلِ ثُمَّ قَالَ لِي وَيْحَكَ يَا ابْنَ طَلْحَةَ لَعَلَّ أَحَدًا يُشَارِكُكَ فِي نَصِيحَتِكَ قُلْتُ لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَحَدٌ كَانَ أَعْظَمَ فِي عَيْنِي وَعِنْدِي يَدًا مِنَ الْحِجَاجِ وَلَوْ كُنْتُ مُجَازِيًا أَحَدًا فِي دِينِي لَكَانَ هُوَ وَلَكِنْ أَثَرْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَثَرْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُرِدِ الدُّنْيَا لَوَارِثَتِهَا لَكَانَ فِي الْحِجَاجِ حَقٌّ وَرَغْبَةٌ وَقَدْ غَزَلْتَهُ عَنِ الْحَرَمِينَ وَأَعْلَمْتَهُ أَنَّكَ اسْتَنْزَلْتَنِي لَهُ عَنْهُمَا اسْتِصْغَارًا لَهُمَا وَلَيْتَهُ الْعِرَاقِينَ وَمَا وَرَاءَهُمَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَضِطُّهَا إِلَّا هُوَ وَأَعْلَمْتَهُ أَنَّكَ اسْتَدْعَيْتَنِي لَهُ بَوْلَايَتِهِمَا لِإِلْزَمَهُ مِنْ حَقِّكَ مَا يُؤَدِّي أَجْرَ نَصِيحِكَ فَاصْصَبْهُ فَإِنَّكَ غَيْرُ دَائِمٍ لَصُحْبَتِهِ فَخَرَجَ الْحِجَاجُ حَتَّى أَتَى الْعِرَاقَ(*) .

(*) قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ مَعَ الْحِجَاجِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُرْوَانَ لَيْسَتْ مِنْ صُلْبِ كِتَابِ تَهْذِيبِ الرِّيَاسَةِ وَإِنَّمَا أُدْخِلْتُ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِخِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ فِي بَدَايَةِ الْقِصَّةِ وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي بَقِيَّةِ النَّسْخِ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ دُونَ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهَا زِيَادَةٌ بَلْ ذَكَرْتُ عَلَى أَنَّهَا مِنْ صُلْبِ الْكِتَابِ وَجَاءَ ذِكْرُهَا فِي نُسْخَةِ (ب) : مِنْ وَرَقَةِ ٣٧ ، وَفِي (ج) : وَرَقَةِ ٣ ، وَفِي (د) : صَفْحَةِ ٨٩ - ٩٠ وَقِيلَ الْكَلَامُ عَلَى تَوَلِيَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ لِلْحِجَاجِ عَلَى الْعِرَاقِ كَمَا نَشِيرُ إِلَى ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ وَقَدْ ذَكَرْتُ الْمَرَّاجِعَ التَّارِيخِيَّةَ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ ككِتَابِ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ، م ٢ ص ٤١ - ٤٢ ؛ الْمُسْتَجَادُ مِنْ فَعَلَاتِ الْأَجْوَادِ ، ص ٤٤ - ٤٦ .

باب في اختيار الأجناد والحماة ووصف الأبطال منهم والكماة

قال الصابي^(١): المَلِكُ أحقُّ باصطفاءِ رجالِهِ مِنْهُ باصطفاءِ أُمُوالِهِ لأنَّهُ
مَعَ اتساعِ الأمرِ وجلالةِ القَدْرِ لا يَكْتَفِي بالوحدةِ ولا يَسْتغْنِي عَنِ الكثرةِ وَمِثْلُهُ
في ذلكِ مِثْلُ المسافرِ في الطَّرِيقِ البعيدَةِ الذي يَجِبُ عليه أنْ تَكُونَ عِنايَتُهُ
بِقَرَسِهِ المَجْنُوبِ^(٢) مِثْلَ عِنايَتِهِ بِقَرَسِهِ المَرْكُوبِ^(٣).

قال الشاعرُ:

وَشَرَطُ الفِلاحَةِ غَرْسُ الثُّمارِ وَشَرَطُ الرِّياسَةِ غَرْسُ الرُّجالِ^(٤)

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم الخوافي الصابي كاتب الرسائل للخليفة
القادر بالله ولمعز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه الديلمي فلما قتل عز الدولة وملك
عضد الدولة اعتقله ثم أطلقه وكان الصابي على دين الصابئة ومات عليه ومع هذا كان
يقرأ القرآن من حفظه ويستعمل منه في رسائله توفي سنة ٣٨٤هـ وله من العمر ٧١ سنة
(٢) ورثاه الشريف الرضي وقال: إنما رثيت فضائله وعلق ابن كثير على هذا القول: (بقوله
ليس له فضائل ولا هو أهل لها ولا كرامة) / وفيات الأعيان، م ١ ص ١٦٧؛ النجوم
الزاهرة، ج ٤ ص ١٦٧؛ البداية والنهاية، ج ١١ ص ٣١٣.
(٣) الجنوب والجنينة: الفرس تقاد ولا تركيب فيقال جنبته أجنبه إذا قدته إلى جنبك/ المصباح
المنير.

(٤) زهر الأداب، ج ٢ ص ٥٨٨؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤١.

(٤) التذكرة السعدية في الأشعار العربية، ص ٤٠٢؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٢٧.
والبيت منسوب لأبي الفتح البستي.

وَمِنْ كِتَابِ الْمُبْهَجِ أُمُورُ الْمَلِكِ بِأَصْحَابِ الذَّرَائِعِ ^(١) وَالْأَقْلَامِ وَأَرْبَابِ
الْدَّرُوعِ وَالْأَعْلَامِ فَأُولَئِكَ لِلْكَتَبِ وَالْأَرْاءِ وَهَؤُلَاءِ لِلْكَتَائِبِ وَالرَّايَاتِ
لِلْأَعْدَاءِ ^(٢). وَقَالَ: إِذَا شَحَنَ الْمَلِكُ قُلُوبَ جُنْدِهِ بِالشَّحْنَاءِ فَلَا يَنْتَظِرُنْ مِنْهُمْ
حُسْنَ الْبَلَاءِ ^(٣) وَقَالَ: خَادِمُ الْمَلِكِ لَا يَتَقَدَّمُ فِي رِضَايِهِ خَطْوَةً إِلَّا اسْتَفَادَ بِهَا
حَظْوَةً ^(٤).

وَقَالَ إِذَا اصْطَنَعَ الْمَلِكُ أَمْرًا فَلْيُثَبَّتْ قَدَمُهُ وَلْيَيْتَ قَوَائِمُهُ ^(٥).

وَقَالَ غَيْرُهُ: أَفْضُ عَلَى جُنْدِكَ ق/١٧ وَاصْرِفْ إِلَيْهِمْ حُسْنَ غِنَاكَ فَلْيُثَبَّتْ
أَهْلُ الْأَنْفَةِ وَالْحَمِيَّةِ وَحَفَظَةُ السَّادَةِ ^(٦) وَالرَّعِيَّةِ وَسِوْفُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ
وَحِصُونُ الْمَمَالِكِ وَالْبُلْدَانِ بِهِمْ تُدْفَعُ الْعَوَادِي وَتُقَهَّرُ الْمَعَادِي وَيَزُولُ الْخُلَلُ
وَيُضْبَطُ الْعَمَلُ فَقَوِّ ضَعْفَهُمْ يَقْوِ أَمْرَكَ وَأَغْنِ فَقِيرَهُمْ يَشْتَدُّ أَرْزُكَ وَامْنَحْهُمْ قَبْلَ
الْعَرْضِ وَاحْتَرَمْهُمْ ^(٧) قَبْلَ الْفَرَضِ وَلَا تَثْبُتْ مِنْهُمْ إِلَّا عَلَى الْوَفِيِّ الْكَمِيِّ ^(٨)
الَّذِي لَا يَعْدِلُ عَنِ الْوَفَاءِ وَلَا يَجْبُنُ عِنْدَ الْهَيْجَاءِ فَإِنَّ الْمَرَادَ بِهِمْ قُوَّةُ الْعُدَّةِ
لَا كَثَرَةُ الْعُدَّةِ وَمَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ فِي طَاعَتِكَ وَاسْتَشْهَدَ تَحْتَ رَايَتِكَ فَانْكَفَلْ بَيْنَهُ
وَذَبْ عَنْ أَهْلِيهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُهُمْ رَغْبَةً فِي خِدْمَتِكَ وَسَهْلٌ عَلَيْهِمْ بَذْلَ
الْمُهْجِ وَالْأَرْوَاحِ فِي نُصْرَةِ دَوْلَتِكَ ^(٩).

(١) في (ب) الذراريح.

(٢) المبهج الباب / ١٤ ورقة ١٠.

(٣) المبهج الباب / ١٤ ورقة ٩.

(٤) المبهج الباب / ١٤ ورقة ٩ - ١٠.

(٥) المبهج الباب ١١، ص ٩.

(٦) في كتاب الأمثال للثعالبي وحفظه السدة والسدة كالصفة والسقيفة والباب.

(٧) في الأمثال واعتبرهم عند الفرض.

(٨) الكمي: الشجاع المتكفي في سلاحه أي المتغطي المستتر بالدرع / مختار الصحاح.

(٩) كتاب الأمثال للثعالبي، ص ٤٨ - ٤٩؛ لباب الآداب، ص ٥٩.

وَقَالَ مَنْ أْبَلَىٰ بِدَمِيهِ فِي خِدْمَتِكَ وَأَوْفَىٰ فِي طَاعَتِكَ فَارَعَ ذِمَامَهُ فِي حَيَاتِهِ
وَكَفَلَ أَيْتَامَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَإِنَّ الْوَفَاءَ لَكَ بِقَدْرِ الْجَزَاءِ مِنْكَ (١).

وَقَالَ: لَا تُغْفِلْ مَكَافَأَةَ مَنْ يَعْتَقِدُ لَكَ الْوَفَاءَ وَيَنَاضِلُ عَنْكَ الْأَعْدَاءَ فَمِنْ
حَرَمَتِهِ مَكَافَأَةُ مِثْلِهِ زَهْدًا فِي مَعَاوَدَةِ فِعْلِهِ (٢).

وَقِيلَ مَنْ حَفِظَ (مَالَهُ) (٣) ضَيَّعَ (رَجَالَهُ) (٤). أَيُّ مَلِكٍ أَحْسَنَ إِلَىٰ كِفَاتِهِ
وَأَعْوَانِهِ اسْتَظْهَرَ مُلْكُهُ وَسُلْطَانَهُ وَأَيُّ مَلِكٍ أَسَاءَ إِلَىٰ جَيْشِهِ وَجَنْدِهِ أَحْسَنَ إِلَىٰ
عَدُوِّهِ وَضَيْدِهِ.

قَالَ الصَّابِيُّ (٥): الْمَلِكُ بِمَنْ غَلِطَ مِنْ أَتْبَاعِهِ وَاتَّعَظَ أَشَدُّ انْتِفَاعاً مِنْهُ بِمَنْ
لَمْ يَغْلِطْ فَلَمْ يَتَّعِظْ لِأَنَّ الْأَوَّلَ كَالْقَارِحِ (٦) الَّذِي أَذْبَتُهُ الْغُرَّةُ وَأَصْلَحَتْهُ النَّدَامَةُ

(١) لباب الآداب، ص ٥٩ مع اختلاف في بعض الألفاظ؛ كتاب الأمثال، ص ٤٨ وفيه
فإن الوفاء لك بقدر الرجاء فيك.

(٢) كتاب الأمثال للثعالبي، ص ٤٧ — ٤٨. ترشد هذه الأقوال إلى أهمية الجيش في الدولة
وما يجب على ولي الأمر تجاه هذا القطاع المهم من رعاية وحسن إدارة فالجند للدولة
أساس وسياس وحقق تكون الدولة قوية لا بد أن يكون الأساس متيناً والعدة قوية هذا
وقد تكلم أئمة الفقه وكل الذين كتبوا في الأمور السلطانية عن أهمية الجيش، فهذا
الإمام الجويني يقول: (ليس يخفى على ذي بصيرة أن الإمام يحتاج في منصبه العظيم
وخطبه الشامل العميم إلى الاعتقاد بالعدد والعتاد والاستعداد بالعساكر والأجناد)
كما ذكر ابن الأزرق ما يجب على الملك تجاه جنده من إنصافهم في مرتباتهم وملك
قلوبهم واستدعاء محبتهم / انظر: غياث الأمم، ص ١٧٨؛ بدائع السلك، ج ١
ص ١٩٦ — ١٩٧.

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) في (ج) أعماله.

(٥) تقدمت ترجمته ص ١٧٠.

(٦) يقال قرح الحافر انتهت أسنانه، أي بلغ من العمر خمس سنين لأنه في الأولى حولي ثم
جدع ثم ثني ثم رباع ثم قارح / المصباح المنير.

والثاني كالجذع المنهوك الذي هوراكب للغرة وراكن إلى السلامة والعرب
تزعّم أن العظم إذا جبر بعد كسر عاد صاحبه أشدّ بطشاً وأقوى أيداً^(١). وقالت
العجم ينبغي أن يكون في قائد الجيش وثبة الأسد وأسلاب الحداة^(٢) وتخلّ
الذئب وروغان الثعلب وصبر الحمار وحملة الخنزير وبكور الغراب وحراسة
الكركي^(٣)^(٤). ومن كتاب المبهج: أحسن الجيوش ما كان ذا أفواج كالأمواج
وخيل كالسيول ومراكب كالكواكب^(٥). الفارس من يسبق فرسه الريح
ورمحه الروح، الفارس من يكمن كمن الأسد ثم يبرز بروز الأسد^(٦).

البطل من يؤثّر مقارعة القنا القواني على منادمة القينات والقياني.
البطل من ينظم جسم الأعداء برماحه ويثرها بصفاحه، البطل من إذا ضرب
صم وإذا رمى أصمى وإذا قصّد أقصّد^(٧).

-
- (١) بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١ ص ٣٨١؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٥٨٨.
(٢) الحداة: بكسر الحاء المهملة، تعتبر من أحسن الطيور وكنيته أبو الخطاف والحدأة تبيض
بيضتين وربما ثلاث وتحضن عشرين يوماً وهي لا تصيد، وإنما تحطف، حياة الحيوان
الكبرى، ج ١ ص ٢٢٩.
(٣) الكركي: طائر كبير وكنيته أبو عريان وهو أغبر طويل الساقين وهو من الحيوان الذي
لا يصلح إلا بريث لأن في طبعه الحذر والتحارص في النوبة والذي يحرس يهتف
بصوت خفي كأنه ينذر بأنه حارس فإذا قضى نوبته قام الذي كان نائباً يحرس مكانه
حتى يقضي كل ما يلزمه من الحراسة/ حياة الحيوان الكبرى، ج ٢ ص ٢٧٣.
(٤) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٣٨٢؛ الفخري في الآداب السلطانية،
ص ٥٨.

- (٥) المبهج الباب ١٧ ورقة ١١.
(٦) المبهج الباب ١٦ ورقة ١٠، وفيه الفارس من يكمن كمن الأسود ثم يبرز بروز الأسد.
(٧) المبهج الباب ١٦ ورقة ١٠.
أصمى من الصميان محرّكة وهي الوثب والسرعة والشجاع الصادق الحملة
وأصمى الصيد رماه فقتله مكانه/ القاموس المحيط. وأقصّد من القصد أي الاستقامة
وأقصّد السهم أصاب فقتل مكانه وفلاناً طعنه فلم يخطئه والحية لدغت فقتلت/
القاموس المحيط.

السلاحُ جُنَّةٌ^(١) الأبدانِ^(٢) ووقايةُ الأنفسِ ، قد يَجْبُنُ الشَّجَاعُ بِلا سلاحٍ
ويشجِعُ الجبانُ بالسلاحِ^(٣) ، استعصامُ الفارسِ بالذُّرْعِ السَّابِلِ والرُّمَحِ الذَّاكِلِ^(٤) .
وقالَ غَيْرُهُ: السلاحُ ثُمَّ الكِفاحُ^(٥) . قالَ وَقَبْلَ نزولِ الحربِ ثَمَلًا الكَنائِنُ^(٦) .
وقالَ الأميرُ شَمْسُ المعالي^(٧) : قُوَّةُ الجَنَاحِ بالقَوَادِمِ والخَوَافِي ، وَعَمَلُ
الرماحِ بالأسِنَّةِ والعَوَالِي^(٨) .

(١) جنة: بالضم كل ما وقى / القاموس المحيط .

(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٢ .

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٢ .

(٤) المبهج باب ١٦ ورقة ١٠ .

(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٢ .

(٦) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٢ ، والكنائن: جمع الكنانة، وهي جعبة السهام .

(٧) هو أبو قابوس بن أبي طاهر وشمكير بن زياد أمير جرجان وطبرستان أثنى عليه الثعالبي
في يتيمة الدهر وقتل سنة ٤٠٣هـ / وفيات الأعيان، م ٤ ص ٧٩؛ يتيمة الدهر، ج ٤
ص ٥٩ .

(٨) كمال البلاغة، ص ٥٦ ، كما اعتنى الأوائل بالجيش أفراداً وإدارة اعتنوا به تسليحاً
وتدريباً بل لقد سبق الإسلام بتعاليمه الداعية إلى الرمي وتعلمه غيره لأنه يقدر أهمية
الجندي المدرب وقدرته على إحراز النصر .

بَابُ فِي مَذْحِ الاستشارةِ وَدَمْ الاستبْدَادِ بالرأيِ

قَالَ اللَّهُ (تعالى) (١) لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي
الْأَمْرِ﴾ (٢).

-
- (١) فِي (ب - ج) عَزَّ وَجَلَّ.
- (٢) آيَةُ ١٥٩، سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، وَقَدْ نَقَلَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ عَنْ
ابْنِ عَطِيَّةٍ قَوْلَهُ وَالشُّورَى مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ وَعَزَائِمِ الْأَحْكَامِ مَنْ لَا يَسْتَشِيرُ أَهْلَ
الْعِلْمِ وَالِدِينَ فَعَزَلَهُ وَاجِبٌ هَذَا مَا لَا خِلَافَ فِيهِ وَنَقَلَ عَنْ ابْنِ خُوَيْزِمَةَ مَنَادًا أَنَّهُ وَاجِبٌ
عَلَى الْوَلَاةِ مَشَاوَرَةُ الْعُلَمَاءِ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ وَفِيمَا أَشْكَلُ عَلَيْهِمْ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَوُجُوهِ
الْجَيْشِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَرْبِ وَوُجُوهِ النَّاسِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالمَصَالِحِ وَوُجُوهِ الْكِتَابِ
وَالْوُزَرَاءِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَصَالِحِ الْبِلَادِ وَعِمَارَتِهَا وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الاجْتِهَادِ فِي
الْأُمُورِ وَالْأَخْذِ بِالظُّنُونِ مَعَ إِمْكَانِ الْوَحْيِ فَإِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ فِي ذَلِكَ وَاخْتَلَفَ أَهْلُ
التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَى الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُشَاوِرَ فِيهِ أَصْحَابَهُ فَقَالَتْ
طَائِفَةٌ: ذَلِكَ فِي مَكَايِدِ الْحُرُوبِ وَعِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ وَتَطْيِيبِ لِنَفْسِهِمْ وَرَفْعِ لَأَقْدَارِهِمْ
وَتَأْلَافِ عَلَى دِينِهِمْ وَإِنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَغْنَاهُ عَنْ رَأْيِهِمْ بِوَحْيِهِ. وَقَالَ الطَّبْرِيُّ فِي
تَفْسِيرِهِ بَعْدَ أَنْ سَأَلَ الْأَقْوَالَ الْكَثِيرَةَ وَأُولَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ أَنَّ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَشَاوَرَةِ أَصْحَابِهِ فِيمَا خَرَجَ مِنْ أَمْرِ عَدُوِّهِ
وَمَكَايِدِ حَرْبِهِ تَأْلَافًا مِنْهُ بِذَلِكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ بِصِيرَتِهِ بِالإِسْلَامِ الْبَصِيرَةَ الَّتِي يُؤْمَنُ عَلَيْهِ
مَعَهَا فِتْنَةُ الشَّيْطَانِ وَتَعْرِيفًا مِنْهُ أَمْتَهُ مَا تَمَّى الْأُمُورِ الَّتِي تَحْزِبُهُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَمَطْلَبُهَا
فِي تَشَاوُرِهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ كَمَا كَانُوا يَرُونَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ فَأَمَّا النَّبِيُّ صَلَّى =

قَالَ الْحَسَنُ^(١): كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنِيًّا عَنْ مَشَاوِرَتِهِمْ وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَنْ بِذَلِكَ الْحَكَامَ^(٢). وَقَالَ غَيْرُهُ: (بَلْ أَرَادَ)^(٣) بِذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَضْلِ وَلِتَأْسَى أُمَّتُهُ بِذَلِكَ بَعْدَهُ. (وَقِيلَ إِنَّمَا أَمْرُهُ بِذَلِكَ تَطْيِيبًا

= اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يُعْرِفُهُ مَطَالِبَ وَجْهِهِ مَا حَزَبَهُ مِنَ الْأُمُورِ بِوَحْيِهِ وَإِلْهَامِهِ إِيَّاهُ صَوَابَ ذَلِكَ وَأَمَامَتَهُ فَانْهَمَ إِذَا تَشَاوَرُوا مُسْتَنِينَ بِفَعْلِهِ فِي ذَلِكَ عَلَى تَصَادُقِ وَتَأَخُّجٍ لِلْحَقِّ، وَإِرَادَةِ جَمِيعِهِمْ لِلصَّوَابِ مِنْ غَيْرِ مِيلٍ إِلَى هَوًى، وَلَا خَيْدٍ عَنْ هُدًى فَاللَّهُ مُسَدِّدُهُمْ وَمَوْفِقُهُمْ.

وَبَيَّنَ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ الْأُمُورَ الَّتِي لَا تَجُوزُ فِيهَا الْمَشَاوَرَةُ.
فَقَالَ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا نَزَلَ بِهِ وَحْيٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَمْ يَجُزْ لِلرَّسُولِ أَنْ يَشَاوِرَ فِيهِ الْأُمَّةَ لِأَنَّهُ إِذَا جَاءَ النَّصُّ بِطُلُّ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ فَأَمَّا مَا لَا نَصَّ فِيهِ فَهَلْ تَجُوزُ الْمَشَاوَرَةُ فِيهِ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ أَمْ لَا. قَالَ الْكَلْبِيُّ وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ هَذَا الْأَمْرُ مَخْصُوصٌ بِالْمَشَاوَرَةِ فِي الْحُرُوبِ وَحُجَّتُهُ أَنَّ الْأَلْفَ وَاللَّامَ فِي لَفْظِ الْأَمْرِ لَيْسَا لِلِاسْتِغْرَاقِ لِمَا بَيَّنَّ أَنَّ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ وَحْيٌ لَا تَجُوزُ الْمَشَاوَرَةُ فِيهِ فَوَجَبَ حَمْلُ الْأَلْفِ وَاللَّامِ هَاهُنَا عَلَى الْمَعْهُودِ السَّابِقِ وَالْمَعْهُودِ السَّابِقِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِنَّمَا هُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْحَرْبِ وَلِقَاءِ الْعَدُوِّ فَكَانَ قَوْلُهُ «وَشَاوَرُهُمْ فِي الْأُمْرِ» مُخْتَصًّا بِذَلِكَ وَظَاهِرُ الْأَمْرِ لِلْوَجوبِ فَقَوْلُهُ وَشَاوَرُهُمْ يَقْتَضِي الْوَجوبَ، وَحَمْلُ الشَّافِعِيِّ رَجْمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَى النَّدْبِ فَقَالَ هَذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ فِي نَفْسِهَا» وَلَوْ أَكْرَهَهَا الْأَبُ عَلَى النِّكَاحِ جَازَ لَكِنْ الْأَوَّلَى بِذَلِكَ تَطْيِيبًا لِنَفْسِهَا فَكَذَا هَاهُنَا.

انظر: تفسیر القرطبي، م ٢ ج ٤ ص ٢٥٠؛ تفسیر الطبري، ج ٧

ص ٣٤٥ - ٣٤٦؛ التفسير الكبير (تفسير فخر الدين الرازي)، م ٣ ص ٨٢ - ٨٣.

(١) هو الحسن بن أبي الحسن البصري أبو سعيد إمام أهل البصرة وخير أهل زمانه، ولد لستين بقية من خلافة عمر وشهد يوم الدار وقال ابن سعد في طبقاته كان جامعاً عالماً ربيعاً فقيهاً حجة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جليلاً/ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٢) تفسیر القرطبي، م ٢ ج ٤ ص ٢٥٠؛ الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل،

ج ١ ص ٤٧٤ وفيه ولكن أراد أن يستن به من بعده؛ السنن الكبرى، م ٧ ص ٤٦.

(٣) في (ب - ج) إنما أمره بذلك.

لقلوبهم^(١) وقيل إنما أمر أن يشاورهم فيما لم يكن عنده وحي لأنه قد يكون عند بعضهم فيه علم والناس قد يعرفون من أمور الدنيا ما لم تعرف الأنبياء عليهم السلام^(٢).

قال الله تعالى في مدح المؤمنين ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار»^(٤)، وقال عليه السلام: «ما شقي عبد بمشورة ولا سعد من استغنى برأي»^(٥).

(١) زيادة من (ب - ج) وهذه الزيادة منسوبة عند الطبري لقتادة/ تفسير الطبري، ج ٧ ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

(٢) تفسير القرطبي، م ٢ ج ٤ ص ٢٥٠؛ الكشاف، ج ١ ص ٤٧٤ وفيه يعني في أمر الحرب ونحوه مما لا ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم وفي تفسير الفخري الرازي، م ٣ ص ٨٢ أنه عليه السلام وإن كان أكمل الناس عقلاً إلا أن علوم الخلق متناهية فلا يبعد أن يخطر بالإنسان من وجوه المصالح ما لم يخطر بباله لا سيما فيما يفعله من أمور الدنيا فإنه عليه السلام قال: «أنتم أعرف بأمور دنياكم».

(٣) آية ٣٨ من سورة الشورى، ولقد ذكر سيد قطب في تفسيره لهذه الآية أن الله تعالى جعل أمرهم شورى ليصنع الحياة كلها بهذه الصبغة ثم يقول إنه طابع ذاتي للحياة الإسلامية وسمة مميزة للجماعة المختارة لقيادة البشرية وهي من ألزم صفات القيادة، أما الشكل الذي تتم به الشورى فليس مصبوحاً في قالب حديدي فهو متروك للصورة الملائمة لكل بيئة وزمان لتحقيق ذلك الطابع في حياة الجماعة الإسلامية، ظلال القرآن، ج ٢٥ ص ٤٧. وذكر الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية أن الله مدح المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يمثلون ذلك وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب وذلك في الآراء كثير ولم يكن يشاورهم في الأحكام لأنها منزلة من عند الله على جميع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام/ تفسير القرطبي، م ٨ ج ١٦ ص ٣٦ - ٣٧. وقيل أن ذلك مدح من الله لهم بأنهم كانوا إذا وقعت بينهم اجتماعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أي لا ينفردوا برأي ما لم يجتمعوا عليه/ التفسير الكبير (تفسير فخر الدين الرازي)، م ٧ ص ٣٩٩.

(٤) مجمع الزوائد، ج ٨ ص ٩٦؛ المعجم الصغير للطبراني، ج ٢ ص ٣٩٩؛ الجامع الصغير، ج ٢ ص ١٤٥.

(٥) تفسير القرطبي، م ٢ ج ٤ ص ٢٥١؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ٤٢.

وقال الشعبي^(١): (مكتوب في التوراة)^(٢) من لم يستشر يندم^(٣).

قال أبو هريرة^(٤): (ما رأيت (من الناس)^(٥) أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٦)). وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستشارة لأصحابه في قصص كثيرة منها أنه لما أراد مصالحة عيينة بن حصن الفزاري^(٧) والحارث بن عوف المري^(٨) حين حصره الأحزاب في الخندق على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة ويرجعا بمن معهم من غطفان عنه قال عليه الصلاة والسلام حتى أشاور السعد يعني سعد

(١) هو أبو عامر بن شرحبيل الشعبي تابعي جليل القدر وافر العلم ولد سنة ١٩هـ تولى السفارة لعبد الملك بن مروان إلى ملك الروم وخرج مع ابن الأشعث فلما ظفر بهم الحجاج اعتذر إليه فعفى عنه توفي سنة ١٠٣هـ / الطبقات الكبرى، ج ٦ ص ١٧١؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٥٣.

(٢) ساقطة من (ب-ج).

(٣) العقد الفريد للملك السعيد، ص ٤٢.

(٤) تقدمت ترجمته ص ١٠٨.

(٥) ساقطة من (ب-ج).

(٦) سنن الترمذي، ج ٣ ص ١٢٩؛ السنن الكبرى، م ٧ ص ٤٥.

(٧) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري أسلم بعد الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم سماه الرسول صلى الله عليه وسلم أحقاً مطاعاً / الاستيعاب، ق/٣، ص ١٢٤٩؛ المعارف، ص ١٣١.

(٨) هو الحارث بن عوف المري من بني مرة يكنى أبا أسماء وهو صاحب الحملة في حرب داحس وأحد رؤساء المشركين يوم الأحزاب ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وبعث معه رجلاً من الأنصار إلى قومه / الاستيعاب ق/١، ص ٢٩٦ - ٢٩٧؛ المعارف، ص ١٣٧.

ق/١٨، بَنَ مَعَاذٍ^(١) وَسَعَدَ بَنَ عِبَادَةَ^(٢) وَسَعَدَ بَنَ زُرَّارَةَ^(٣) فَاسْتَشَارَهُمْ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ أَنْ لَا يُعْطِيَهُمَا فَلَمْ يُعْطِيَهُمَا شَيْئاً^(٤).

وَمِنْهَا أَنَّهُ اسْتَشَارَ فِي أَسَارَى بَذْرٍ فَأَشَارَ أَبُو بَكْرٍ^(٥) بِالْفَدَاءِ وَأَشَارَ عُمَرُ^(٦) بِالْقَتْلِ فَعَمِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَأْيِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٧).

وَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْدُرُ نَزَلَ بِأَذْنَا مَاءٍ فَقَالَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ^(٨): يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزَلَ أَمَنْزَلَ أُنْزَلَ لَكَ اللَّهُ

(١) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرء القيس من بني عبد الأشهل. أسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية على يد مصعب بن عمير وشهد بدرًا وأحداً والخندق ورمى يوم الخندق بسهم فعاش شهراً ثم انتقض جرحه فمات منه / الاستيعاب ق/٢ ص ٦٠٢.

(٢) هو سعد بن عباد بن ديلم الخزرجي الأنصاري أحد النقباء شهد العقبة ذكره جماعة من أهل بدر كان سيداً في قومه مقدماً جواداً وكانت له راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح. مات بحوران من أرض الشام سنة ١٥هـ / الاستيعاب، ق/٢ ص ٥٩٤؛ المعارف، ص ١١٢.

(٣) هو أخو أسعد بن زرارة ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب، فقال: أخشى أن لا يكون أدرك الإسلام / الاستيعاب، ق/٢ ص ٥٩١.

(٤) سيرة ابن هشام، ج ٣ ص ١٧٦.

(٥) هو عبد الله بن عبد الرحمن لقبه رسول الله عتيقاً لجمال وجهه ويقال سمي عتيقاً لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أنت عتيق من النار وسمي صديقاً لتصديقه خبر الإسراء يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وكان من أول من اتبع رسول الله من الرجال وأسلم على يده جماعة وأعتق أعبداً افتداهم من أيدي المشركين ببيع له بالخلافة في اليوم الذي قبض فيه صلى الله عليه وسلم توفي يوم الجمعة لتسع ليال بقين من جمادي الآخرة سنة ١٣هـ فماتت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وتسع ليال / شذرات الذهب، ج ١ ص ٢٤؛ المعارف، ص ٧٣.

(٦) تقدمت ترجمته ص ٩٩.

(٧) مسند أحمد، م ١ ص ٣٠ - ٣١؛ السنن الكبرى، م ١٠ ص ١٠٩.

(٨) هو الحباب بن المنذر بن الجموح يكنى أبا عمر وشهد بدرًا وهو ابن ثلاثاً وثلاثين سنة وهو الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل على ماء بدر فكان يقال له =

ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، قال: إن هذا ليس لنا بمنزل. فانهض بالناس حتى نأتي أذنَى منزلٍ مِنَ القومِ فننزلهُ ثم نغورُ ما وراءه من القلبِ ونبني لك حوضاً فنملأه ماءً ثم نقاتِلُ الناسَ فنشربُ ولا يشربون، فقال صلى الله عليه وسلم: «لقد أشرتَ بالرأي» فنهض صلى الله عليه وسلم بمن معه حتى أتى أذنَى ماءٍ مِنَ القومِ فنزلَ عليه وفعلَ ما أشارَ به الحُباب بنُ المنذر^(١). وشاورَ عليه أفضلُ الصلاة والسلامَ علياً بنَ أبي^(٢) طالبٍ عليه السلامُ وأسامة بنَ زيد^(٣)

= ذو الرأي وشهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مات في خلافة عمر / الاستيعاب، ق/ ١/ ص ٣١٦؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة رقم الترجمة ١٠٢٣.

(١) سيرة ابن هشام، ج ٢ ص ٢٥٩.

(٢) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكنى أبا الحسن أول من آمن بالله ورسوله بعد خديجة وهو ابن خمسة عشرة سنة فقد قال علي رضي الله عنه صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا لا يصلي معه غيري إلا خديجة وأجمعوا على أنه صلى للقبليتين وهاجر وشهد بدرأ والحديبية وسائر المشاهد وأنه أبلى ببدر وبأحد وبالخندق وبخير بلاء عظيمًا وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في مواطن كثيرة ولم يتخلف عن مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبوك فإنه خلفه فيها على المدينة وعلى عياله، وقال: «له أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة وقال لها: «زوجك سيد في الدنيا والآخرة وإنه أول أصحابي إسلاماً وأكثرهم علمًا وأعظمهم حِلْمًا» وكان رضي الله عنه من فقهاء الصحابة بويح له بالخلافة يوم قتل عثمان واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار. قتل ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ٤٠هـ وكانت خلافته أربعة سنين وتسعة أشهر وستة أيام / الاستيعاب، ق/ ٣ ص ١٠٨٩ - ١١٣٣.

(٣) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة سكن بعد النبي صلى الله عليه وسلم وادي القرى ثم عاد إلى المدينة ومات بالجرف في آخر خلافة معاوية ولما فرض عمر بن الخطاب للناس فرض لأسامة خمسة آلاف ولا بن عمر ألفين وقال أن أسامة كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوه كان أحب إلى رسول الله من أبيك توفي سنة ٥٤هـ في خلافة معاوية / الاستيعاب، ق/ ١ ص ٧٥ - ٧٨.

في قصة الأفك وفي أمر عائشة فقال أسامة: أهلك يا رسول الله ولا نعلم إلا خيراً^(١).

وروي أيضاً في حديث الأفك أنه قال صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر «ما تشيرون علي في قوم يسبون أهلي ما علمت عليهم إلا خيراً»^(٢). وكان أبو بكر^(٣) رضي الله عنه إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة ذوي الرأي والفقهاء دعا رجالاً من المهاجرين والأنصار، دعا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل^(٤) وأبي بن كعب^(٥) وزيد بن ثابت^(٦) فمضى أبو بكر^(٧) رضي الله عنه على ذلك. ثم ولي عمر^(٨) رضي الله عنه

(١) صحيح البخاري، ج ٩ ص ١٣٩؛ صحيح مسلم، ج ٨ ص ١١٥؛ سيرة ابن هشام، ج ٣ ص ٢٥٥.

(٢) صحيح البخاري، ج ٩ ص ١٣٩؛ صحيح مسلم، ج ٨ ص ١١٥.

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٧٩.

(٤) هو معاذ بن جبل بن عمر الخزرجي الأنصاري، يكنى أبا عبد الرحمن أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، أخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن مسعود شهد بدرًا والمشاهد كلها بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم قاضيًا ومعلمًا مات بناحية من الأردن في طاعون عمواس/ الاستيعاب، ق/٣ ص ١٤٠٢-١٤٠٧؛ المعارف، ص ١١١.

(٥) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري يكنى أبا المنذر شهد العقبة الثانية وبايع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان أبي من كتبة الوضى وشهد بدرًا وهو أحد فقهاء الصحابة وأحد الذين جمعوا القرآن/ الاستيعاب، ق/١ ص ٦٥؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٢؛ أسد الغابة رقم الترجمة ٣٤: + والله ١١٣.

(٦) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري يكنى أبا سعيد قتل أبوه يوم بعث وقدم الرسول وهو ابن ١١ سنة استصغره الرسول يوم بدر فلم يشهدا كان من كتاب الوحي وهو الذي جمع القرآن في خلافة الصديق استخلفه عمر على المدينة ثلاث مرات توفي سنة ٤٥هـ/ الاستيعاب، ق/٢ ص ٥٣٧؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٥٤؛ المعارف، ص ١١٣؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٣٠-١٣١.

(٧) تقدمت ترجمته ص ١٧٩.

(٨) تقدمت ترجمته ص ٩٩.

وكان يدعو هؤلاء النفس. وروى أن القراء كانوا أصحاب مشورة عُمرَ رَضِيَّ
اللَّهُ عَنْهُ كُهولاً كانوا وشباناً^(١) .

وَرَوِي أَنَّهُ اسْتَشَارَ فِي حَدِّ الْخَمْرِ فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَرَاهُ إِذَا سَكِرَ
هَذِي، وَإِذَا هَذِي افْتَرَى، وَعَلَى الْمَفْتَرِي ثَمَانُونَ جِلْدَةً، فَعَمَلُ بَرَأْيِهِ^(٢).
وَاسْتَشَارَ فِي قِصَّةِ الْمَرْأَةِ الَّتِي بَعَثَ إِلَيْهَا فَأَلْقَتْ جَنِينًا مَيِّتًا مِنْ (الْفَرْعِ)^(٣)،
فَقَالَ عَثْمَانُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: إِنَّمَا أَنْتَ وَالِ مُؤَدِّبٌ، وَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ: أَرَى عَلَيْكَ دِيَّتَهُ لِأَنَّكَ أَفْرَعْتَهَا. وَأَخَذَ بَرَأْيَهُ^(٤).

وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ تَكْثُرُ جِدًّا وَتَخْرُجُ بِنَا عَنْ حَدِّ الْإِخْتِصَارِ، فَلْنَقْتَصِرْ مِنْهَا عَلَى هَذَا
الْمِقْدَارِ، وَلْنَذْكُرْ شَيْئًا مِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ وَالْبُلَغَاءِ.

فَمِنْ كِتَابِ الْمُبْهَجِ: يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ إِذَا كَانَ ذَا رَأْيٍ أَصِيلٍ أَنْ يَسْتَشِيرَ
فِي سِتِيرٍ وَيَسْتَمُدَّ وَلَا يَسْتَبْدُ فَإِنَّ ثَمَرَةَ الْمَشُورَةِ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ الْمَشُورِ^(٥).

قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: مَنْ اسْتَشَارَ اسْتَبْصَرَ وَمَنْ اسْتَخَارَ اسْتَظْهَرَ^(٦)، وَقِيلَ:
مَنْ اسْتَبْدَّ بَرَأْيِهِ خَفَّتْ وَطْأَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ^(٧). وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يَسْتَغْنِي حَلِيمٌ

(١) صحيح البخاري، ج ٩ ص ١٣٩.

(٢) صحيح مسلم، ج ٥ ص ١٢٥، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد
شرب الخمر فجلبه بجريدتين نحو أربعين. قال: وفعله أبو بكر، فلما كان عمر استشار
الناس فقال عبد الرحمن: أخف الحدود ثمانين فأمر به عمر؛ موطأ مالك بشرح
الزرقاني، م ٤ ص ١٦٧، وفيه قال ابن عبد البر وانعقد عليه إجماع الصحابة ولا يخالف
لهم منهم، وعليه جماعة التابعين وجمهور فقهاء المسلمين.

(٣) في (ج): الجزع.

(٤) السنن الكبرى، م ٨ ص ٣٢٢.

(٥) المبهج، الباب ١١، ورقة ٨.

(٦) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٥٢.

(٧) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٥٠.

عن مشورة ولا ذو تجربة عن تبصر. وقال بعض العرب: العاقل من الرجال لا يستغني عن مشورة ذوي الألباب ولا يستفزه الغضب عند الأصحاب^(١). وقال آخر: إذا أنكرت عقلك فامزجته (بآخر)^(٢) لعاقل وربما احتاج السيف الصقيل إلى مسن الصاقل^(٣).

وقال الحسن^(٤): والله ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم^(٥).

وقال مالك بن أنس^(٦)، رحمه الله: ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله

(١) الشكوى والعتاب، للثعالبي، ورقة ٣٥، وفيه: أعقل الناس لا يستغني عن مشورة ذوي الألباب.

(٢) ساقطة من (ب - ج).

(٣) نهاية العرب، ج ٣ ص ٢٣٥، وفيه: إذا أنكرت عقلك فاقدحه بعقل.

(٤) هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب. سيد شباب أهل الجنة وسبط رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم، ما بين الصدر إلى الرأس تواترت الآثار الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لحسن بن علي: إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يقيه حتى يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. كان من المبادرين إلى نصرة عثمان والذابين عنه، بويح له بالخلافة بعد مقتل أبيه بالعراق وبويح لمعاوية في الشام، ثم صالح الحسن معاوية ورجع إلى المدينة، فمات بها، ويقال أن امرأته سمته، ودفن ببقيع الغرقد وصلى عليه سعيد بن العاص وكان أميراً بالمدينة توفي سنة ٤٩ هـ. الاستيعاب، ق/١ ص ٣٨٣؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٥٥ - ٥٦؛ المعارف، ص ٩٢.

(٥) فضل الله الصمد، في توضيح الأدب المفرد للإمام البخاري، ج ١ ص ٣٥٨؛ تفسير الطبري، ج ٧ ص ٣٤٤؛ التفسير الكبير، ج ٧ ص ٣٩٩؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١٣ ص ٣٤٠.

(٦) هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام، أخذ العلم عن ربيعة الرائي، ولد سنة ٩٥ للهجرة وكان قد حمل به ثلاث سنين. روى عن غير واحد من التابعين وحدث عنه خلق من الأئمة. قال البخاري: أصبح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر. وكان الشافعي يقول: إذا =

إلى رُشدهم^(١).

قال بعضُ البلغاء: «مَنْ جَهِلَ المرءَ وَسَفِهَ رأيَه، أَنْ يَتَصَوَّرَ فِي نَفْسِهِ وَيَتَقَرَّرَ فِي حِسِّهِ أَنْ اسْتِمْدَادَ الآراءِ واستشارةَ النُصحاءِ مما يُزِرِّي بِهِ وَيَضَعُ مِنْ قَدْرِهِ فَيَسْتَبِدُّ بالتدبيرِ وَيَعْرِضُ عن المُشيرِ فيبقى في ظُلْمَةِ الحَيْرَةِ وَيَحْصُلُ على الهمِّ والحسرةِ^(٢)».

قال: مِنْ حَقِّ العاقلِ أَنْ (يُضَيَّفَ)^(٣) إلى رَأْيِهِ رأيَ العلماءِ وإلى عَقْلِهِ عقولَ الحكماءِ ويديمَ الاسترشادَ ويتركَ الاستبدادَ، فَمَنْ استشادَ ق/ ١٩ العالمَ فيما ينويه واسترشدَ العاقلَ فيما يأتِيهِ وَضَحَّتْ لَهُ الأمورُ وَصَلَحَ لَهُ الجمهورُ واستنارَ فيه القلبُ وَسَهَّلَ عليه الصعبُ^(٤). وقال: لا تَأْنَفْ مِنَ الاسترشادِ ولا تستنكفْ مِنَ الاستمدادِ فَلِأَنَّ تستشير وتندم خيرٌ من أن تَسْتَبِدَّ وتَسَلِّمْ^(٥).
وَقَالَ آخَرُ: المشاورُ بَيْنَ إحْدَى الحسنينِ صوابٌ يفوزُ بِهِ أو خطأً يشاركُ في مكروهِهِ^(٦).

= ذكر العلماء فمالك النجم وكان من أشد الناس انتقاداً للرجال وتحفظاً في رواية الحديث وكان إذا أراد أن يحدث توضأ وتطيب وسرح لحيته ولبس أحسن ثيابه، ومناقبه كثيرة وفضله أشهر من أن يذكر، توفي سنة ١٧٩هـ بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ودفن بالبقيع. وفيات الأعيان، م ٤ ص ١٣٥ - ١٣٩؛ النجوم: القاهرة، ج ٢ ص ٩٦ - ٩٧؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٧٤.

(١) الشكوى والعتاب، ورقة ٣٦ منسوب لعمر بن الخطاب.

(٢) الأمثال، للثعالبي، ص ٥٧.

(٣) في (ج): يفسد.

(٤) الأمثال، للثعالبي، ص ٥٦.

(٥) نهاية العرب، ج ٦ ص ٧٠؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٩٢، وفيه: خير لك من أن تستبد وتندم.

(٦) نهاية العرب، ج ٦ ص ٧١؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٤ منسوب لبشار بن برد.

وقال ابن المعتز^(١): مَنْ أَكْثَرَ الْمَشُورَةَ لَمْ يَعدْ عِنْدَ الصَّوَابِ مَادِحاً
وعند الخطأ عاذراً^(٢).

(وقال: المشورة راحة لك وَعَوْنٌ على الخُطْبِ)^(٣). وقال: المشورة
راحة لك وتعب على غيرك^(٤). وقال: المستشير على طرف النجاح^(٥). وقال
غيره: المشورة عين الهداية^(٦). وقال: خاطر من استغنى برأيه^(٧).

وقال: نصف عقلك مع أخيك فشاورة^(٨). وقال آخر: إذا شاورت
العاقل كان لك نصف عقله^(٩).

قال الشاعر:

الرأي كالليل مُسَوِّدٌ جَوَائِبُهُ والليل لا يَنْجِلِي إِلَّا بِإِصْبَاحِ
فَاضِمِّمْ مَصَابِيحَ آراءِ الرُّجَالِ إلى مصباح رأيك تَزِدُّ ضَوْءَ مِصْبَاحِ^(١٠)

(١) تقدمت ترجمته ص ٩٧.

(٢) آداب ابن المعتز، ص ٩٩.

(٣) ساقطة من (ب - ج).

(٤) آداب ابن المعتز، ص ٢٠٧؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٨٩.

(٥) آداب ابن المعتز، ص ١٢١؛ خاص الخاص، ص ١٧.

(٦) أدب الدنيا والدين، ص ٢٩١، ونسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ التمثيل

والمحاضرة، ص ٤١٧.

(٧) أدب الدنيا والدين، ص ٢٨٩؛ خاص الخاص، ص ١٧، ونسبه إلى أمثال العجم؛

نهاية الارب، ج ٦ ص ٧٠ مع تقديم وتأخير بعض الألفاظ.

(٨) أدب الدنيا والدين، ص ٢٩٢، وفيه إكمال لهذا القول وهو: فشاور ليكمل لك

الرأي؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤١٨؛ المحاسن والأضداد، ص ٢٣.

(٩) التمثيل والمحاضرة، ص ٤١٧.

(١٠) نهاية الارب، ج ٦ ص ٧٧؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٤٧.

ومما قيل في ذلك قولُ بشار^(١):

إذا بلغَ الرأيُ المشورةَ فاستعنْ بعزمِ نصيحٍ أو نصيحةِ حازمٍ
ولا تجعلِ الشورى عليكِ غصاصةً فريشُ الخوافي نافعٌ للقوادِمِ^(٢)

وقال رجلٌ من عبسٍ: وَقَدْ سُلَّ مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ فَقَالَ: نحنُ ألفُ
رجلٍ فينا رجلٌ واحدٌ حازمٌ فنحنُ نشاورةُ فكأنَّا ألفُ حازمٍ^(٣).

وقيل: استشار قومٌ من العربِ شيخاً لهم قد قاربَ التسعينَ فيما يُدركُ
به الثأرُ وينفَى به العارُ، فقال: إِنَّ وَهَنَ قِوَايَ قَدْ فَسَخَ هِمَّتِي وَنَكَثَ عَزِيمَتِي
ولكنْ شاؤروا الشُّجعانَ مِنْ أُولِي العزمِ والجناءِ مِنْ أُولِي الحزمِ فَإِنَّ الجبانَ
لا يَأْلُوا بِرَأْيِهِ مَا يَبْقِي مَهْجَكُمْ والشُّجَاعُ لَنْ تَعْدُمُوا بِمَشُورَتِهِ مَا يَشِيدُ ذِكْرَكُمْ، ثم
خَلَّصُوا بَيْنَ الرَّايَيْنِ بِنَتِيجَةٍ تَنَاضَى بِكُمْ عَنْ مَعْرِةِ تَقْصِيرِ الجبانِ وَتَهْوِيرِ الشُّجَاعِ،
فإذا (نَجَمَ)^(٤) الرأيُ بهذا العلمِ كانَ أَنْفَذُ عَلَى عَدُوِّكُمْ مِنَ السَّهْمِ
الزَّالِجِ^(٥).

(١) بشار بن برد: هو أبو معاذ بشار بن برد العقيلي الشاعر المشهور أصله من طخارستان من
سبى المهلب بن أبي صفرة، ولد أعمى جاحظ الحذقتين، رمي بالزندقة عند المهدي
فأمر بضربه حتى مات سنة ١٦٧هـ. وفيات الأعيان، م ١ ص ٢٧١؛ شذرات
الذهب، ج ١ ص ٢٦٤؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٥٣.

(٢) ديوان بشار بن برد، ج ٤ ص ١٧٢-١٧٣. والمعنى: إما أن تعمل برأي النصيح
أو تترك الأمر بنصيحة الحازم، وتنتظر زمان إمكانه.

(٣) نهاية الأرب، ج ٦ ص ٧٠؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٣٢-٣٣؛ العقد الفريد
للملك السعيد، ص ٥٠.

(٤) في (ج): فإذا انحكم.

(٥) قوانين الوزارة، ص ١٢٦-١٢٧؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٨٨؛ زهر الآداب، ج ٢
ص ٨٤٣؛ والزالج: الناجي من الغمرات. والزلاج: السريع؛ القاموس المحيط.

قَالَ: شاور في أمرك مَنْ تَثِقُ مِنْهُ بعقلٍ صحيحٍ وودٍّ صريحٍ فالعاقِلُ
(ما) (١) ينصحُ ما لم يصفُ وُدَّهُ والودودُ لا يصفُ ما لم يَصِحَّ عقلُهُ (٢).

قَالَ بعضُ الشعراءِ:

خصائصُ من تشاورُهُ ثلاثٌ فَخُذْ مِنْهَا (لنفسِكَ) (٣) بالوثيقةِ
ودادٌ خالصٌ ووفورٌ عقلٍ ومعرفةٌ بحالكِ في الحقيقةِ
فمن تخلَّصَ لَهُ هذه المعاني فتابعَ رأيهُ والزَمَ طريقةَ (٤)

وقال بعضُ البلغاءِ: المرءُ إذا استشارَ الرشيدَ وعملَ بمشورتهِ واستنصحَ
الرشيدَ وبنى على نصيحتهِ لم يفتَهُ حَزْمٌ ولم يغلبهُ عَزْمٌ (٥).

وقال: مَنْ استوزَرَ غيرَ كافٍ خاطَرَ بملكِهِ ومن استشارَ غيرَ أمينٍ أعانَ
على هلكِهِ (٦).

وقال عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ (٧): إحدِرْ مشورةَ الجاهلِ، وإنْ كانَ ناصحاً
كما تحذِرْ غيلةَ العاقلِ، إذا كانَ عدوًّا، فيوشِكُ أنْ تورطَكَ مشورةُ الجاهلِ
ويسبقُ إليك مكرُ العاقلِ (٨)، وقيل: صوابُ الجاهلِ كزلةُ اللبيبِ (٩).

(١) في (ب - ج): لا .

(٢) كتابُ الأمثال، للثعالبي، ص ٦٨.

(٣) في (ب - ج): جميعاً.

(٤) غرر الخصائص، ص ٥٨، وفيه بعض الاختلاف في البيت الثالث؛ مجمع الحكم
والأمثال، ص ٢٦٣ ونسبها للأرجاني.

(٥) الأمثال، للثعالبي، ص ٥٥، وفيه: ولم يغلبه خصم.

(٦) كتابُ الأمثال، للثعالبي، ص ٥٤، وفيه: ومن استبطن غير أمين أعان على هلكه.

(٧) هو عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، أمه فاطمة بنت الحسين، وفد
على عمر بن عبد العزيز فأكرمه ووفد على السفاح فأعطاه ألف درهم، ثم عامله المنصور
بعكس ذلك، توفي سنة ١٤٥هـ. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٩٥.

(٨) لباب الآداب، ص ١٥؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٩٠.

(٩) التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٨، وفيها: لا تغتر بصواب الجاهل فإن ذلك كزلة اللبيب. =

وعن ابن شهاب^(١) قال: بلغني أن عمر^(٢) رضي الله عنه قال: استشرني في أمرك الذين يخشون الله^(٣).
وقال علي عليه السلام^(٤): رأيي الشيخ خير من مشهيد الغلام^(٥).
وقال لقمان الحكيم^(٦): شاوَر مَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ فَإِنَّهُ يُعْطِيكَ مِنْ رَأْيِهِ (ما كان)^(٧) عليه بالغلاء وأنت تأخذُه بالمجان^(٨).
وقيل: لَتَكُنْ مشورتك بالليل، فإنه أجمع للرأي والفكر، وأعون على الذكر^(٩).

= اهتم أئمة الفقه والتشريع الإسلامي في بيان أهمية المشورة، ونصوا على أنها أصل في الدين، وسنة رب العالمين. كما اعتنوا بصفة المستشار والشروط الواجب توافرها فيه فذكروا من ذلك جملة شروط. كالعقل الكامل والتقوى والورع وسلامة الفكر والبراءة من الهوى. انظر: أدب الدنيا والدين، ص ٢٩٠، ٢٩١؛ بدائع السلك، ج ١ ص ٣٠٩ - ٣١٠.

(١) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري من الطبقة الرابعة من تابعي أهل المدينة، حافظ زمانه، وأعلم الناس في وقته، ثقة، كثير الحديث، ولد سنة ٥٨هـ في آخر خلافة معاوية، توفي سنة ١٢٤هـ وله من العمر ٧٢ سنة. النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٢١ - ١٢٥؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٦٢.

(٢) تقدمت ترجمته ص ٩٩.

(٣) بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١ ص ٣٠٩؛ الأخبار الموفقيات، ص ١٠٨؛ السنن الكبرى، م ١٠ ص ١١٢.

(٤) تقدمت ترجمته ص ١٨٠.

(٥) السنن الكبرى، م ١٠ ص ١١٣؛ بهجة المجالس، ق/١ ص ٤٥٠.

(٦) هو لقمان بن باعوداء بن ناحور بن تارح ابن أخت أيوب أو ابن خالته، وقيل كان من أولاد آزر، عاش ألف سنة وأدركه داود عليه السلام وكان يفتي قبل مبعث داود، فلما بعث قطع الفتوى. واختلف في نبوته والراجح أنه لم يكن نبياً في رأي أكثر الناس. المعارف، ص ٢٥؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ١٢٤.

(٧) في (ب - ج): (ما قام).

(٨) التمثيل والمحاضرة، ص ٣٥؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ١٢٥.

(٩) كتاب الأمثال، للتعاليبي، ص ٦٨؛ لباب الآداب، ص ٦٤.

بَابُ فِي مَدْحِ الْعَدْلِ وَإِثَارِهِ وَذَمِّ الْجَوْرِ وَآثَارِهِ

العدل ميزانُ اللَّهِ في أرضِهِ وَضَعَهُ لِلخَلْقِ وَنَصَبَهُ لِلْحَقِّ فَمَنْ ق/٢٠
خَالَفَهُ فِي مِيزَانِهِ وَعَارَضَهُ فِي سُلْطَانِهِ فَقَدْ عَرَّضَ دِينَهُ لِلْخَبَالِ وَدَوْلَتَهُ لِلزُّوَالِ
وَعِزَّهُ لِلذُّلِّ وَكَثْرَتَهُ لِلْقِلِّ^(١).

وَقِيلَ كُلُّ دَوْلَةٍ بُنِيَ أَسَاسُهَا عَلَى الْعَدْلِ أَمِنَتْ الْإِنْعَادَ وَسَلِمَتْ
الْإِنْهَادَ.

وَفِي الزُّبُورِ^(٢): الْعَدْلُ مِيزَانُ الْبَارِي فَلِذَلِكَ هُوَ مُبْرَأٌ مِنْ كُلِّ زَلَلٍ
وَمِيلٍ^(٣).

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَدْلٌ سَاعَةٌ فِي حُكُومَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةٍ
سِتِينَ سَنَةً»^(٤).

(١) وردت الجملة منسوبة لبعض البلغاء في كتاب أدب الدنيا والدين مع اختلاف في بعض
الألفاظ، ص ١٤١.

(٢) الزبور: كتاب أنزله الله على سيدنا داود عليه السلام.

(٣) مروج الذهب، ج ١ ص ٢٢٥؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٣٤.

(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، م ٥ ص ١٩٧، وفيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة وحد يقام في الأرض
بحقه أركى فيها من مطر أربعين عاماً وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه =

وقال بعض الحكماء: عدل السلطان خير من خضب الزمان^(١). وقال أردشير^(٢): المملكة لا تصلح إلا بأعداد الأجناد ولا تعد الأجناد إلا بإدراك الأرزاق ولا تدرك الأرزاق إلا بكثرة الأموال ولا تثمر الأموال إلا بعمارة البلاد ولا تعمّر البلاد إلا بالأمن والعدل في العباد^(٣).

= سعد بن غيلان الشيباني ولم أعرفه وبقيّة رجاله ثقات. ورواه المنذري في الترغيب والترهيب، ج ٣ ص ١٦٧ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا هريرة، عدل ساعة أفضل من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها» / كشف الخفاء، ج ٢ ص ٧٥ بلفظ عدل يوم واحد أفضل من عبادة ستين سنة، وأسندته من طريق أبي نعيم بلفظ عدل حكم ساعة خير من عبادة سبعين سنة.

(١) عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٥؛ غرر الخصائص، ج ١ ص ٥٢؛ الإعجاز والإيجاز، ص ٥١؛ غرر أخبار ملوك الفرس، ص ٤٨٣.

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٢١.

(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ١٧٨، مع اختلاف في بعض الألفاظ؛ عهد أردشير، ص ٩٨؛ غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، ص ٤٨٢.

(ومما استحسّن في هذا المعنى من غير الكتاب فصلح أن يذكر في هذا الباب: قيل وجد على قبة لأرسطو مئمة مكتوب باليونانية ثمان كلمات ابتدأ فيها بالعام وختم بالعالم، وهي:

العالم بستان سياجه الدولة والدولة سلطان تحوطه الشريعة والشريعة سنة يستنها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية عبيد يقيدهم العدل والعدل مألوف به قوام العالم^(*)).

(*) قول أرسطو هذا ليس من صلب كتاب (تهذيب الرياسة وترتيب السياسة) وإنما هو زيادة من الناسخ التي أشار إليها في بداية هذا القول كما أن النسخ المخطوطة والموجودة لدي لم تذكره من قريب أو بعيد وإنما زاده الناسخ لمناسبته لما قبله من الكلام. وذكره صاحب العقد الفريد للملك السعيد، ص ٥٣ ونسبه إلى علي بن أبي طالب.

وقال جعفر بن يحيى^(١) بن (خالد)^(٢): الخراج عماد الملك
فما استغزر بمثل العدل وما استنزر بمثل الجور^(٣).

ومما يدل على صحة هذا الكلام ما روي عن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه حين جنى سواد العراق مئة ألف ألف وتسعة وثلاثين ألف ألف ثم
جناه الحجاج في زمانه ثمانية عشر ألف ألف ثم جناه عمر بن عبدالعزيز في
خلافته مئة ألف ألف وأربعة وثلاثين ألف ألف وقال: إن عشت إلى قابل
جنيته كما جناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٤).

فانظر إلى هذا التفاوت العظيم بين جني العمرين وجني الحجاج
وليس لزيادته سبب ولا لنقصانه سبب سوى العدل والجور.

وقال أنوشروان^(٥): إن الملك إذا كثرت أمواله مما يأخذ من رعيته كان

(١) تقدمت ترجمته، ص ١٤٢.

(٢) ساقطة من (ج).

(٣) نهاية الأرب، ج ٦ ص ٣٥؛ خاص الخاص، ص ٩٠؛ بدائع الملك، ج ١ ص ٢٨٨؛
سراج الملوك، ص ١٠٧.

(٤) الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى، ص ١٨٥، وفيه أن عمر جنى الخراج فبلغ في
أيامه مئة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم ومقدار جبابة الحجاج ثمانية عشر ألف
ألف بغشمه وظلمه وعمر بن عبدالعزيز مئة وعشرين ألف ألف بعدله وعمارته. وذكر
ابن سعد في طبقاته، ج ٣ ص ٢٠٢ أنه بلغ خراج السواد والجليل على عهد عمر مئة
ألف ألف وعشرين ألف ألف وافـ والواف درهم ودانقان ونصف. وذكر المقدسي في
البدء والتاريخ، ج ٤ ص ٧٤، أن سهل بن حنيف جبأها لعمر مئة ألف ألف وثمانية
وعشرين ألف ألف درهم وجبأها الحجاج ثمانية عشر ألف ألف درهم.

(٥) هو أنوشروان بن قباذ بن فيروز ملك الفرس ثمان وأربعين سنة وهو الذي قتل مزدك
وجمع أهل مملكته على المجوسية وكان يدعى كسرى الخير وقد ذكرته الشعراء في أشعارها
كشعر عدي بن زيد / مروج الذهب، ج ١ ص ١٩٩.

كَمَنْ يُعَمِّرُ سَطْحَ بَيْتِهِ بِمَا يَقْتُلُ مِنْ قَوَاعِدِ بُنْيَانِهِ^(١).
وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى الْحَجَّاجِ فِي أَمْرِ أَهْلِ السَّوَادِ ابْقِ لَهُمْ
لِحُومًا يَعْقِدُوا بِهَا شُحُومًا^(٢).

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَا يَكُونُ الْعِمْرَانُ حَيْثُ يَجُورُ السُّلْطَانُ^(٣).
وَقِيلَ الْعَدْلُ أَقْوَى جَيْشٍ وَالْأَمْنُ أَهْنَى عَيْشٍ^(٤). وَقَالَ بَعْضُهُمُ الدُّوْلُ
إِذَا أَتَتْ بِلِ الْعَدْلِ امْتَدَّتْ أَمَادُهَا وَتَبَتَّ أَعْمَادُهَا.
وَمَنْ كِتَابُ الْمَبْهَجِ إِذَا مَلَكَ الْعَادِلُ زَالَ الرُّوْعُ وَأَفْرَخَ^(٥)، وَإِذَا مَلَكَ
الظَّالِمُ عَشَّشَ (الشُّرُ)^(٦) وَفَرَّخَ^(٧). وَقَالَ إِذَا نَطَقَ الْعَدْلُ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ فَلَهَا
الْبُشْرَى بِالْعِزِّ وَالْعِمَارَةِ^(٨). وَقَالَ عَدْلُ السُّلْطَانِ لِدِينِهِ أَحْوْطُ وَلِدُنْيَاهُ أَضْبَطُ
وَلِأَوْلِيَائِهِ أَثْبَتُ وَلِأَعْدَائِهِ أَكْبَتُ^(٩). وَقِيلَ إِذَا (عَقَدَ)^(١٠) السُّلْطَانُ بِالْعَدْلِ عَقِيدَتَهُ

(١) نهاية الأرب، ج ٦ ص ٨؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٢؛ غرر أخبار ملوك الفرس، ص ٦٠٧.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٧٠؛ خاص الخاص، ص ٨٧؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٤؛ الإعجاز والإيجاز، ص ٦٨.

(٣) غرر أخبار ملوك الفرس، ص ٤٨٢؛ عهد أردشير، ص ٩٩؛ شرح نهج البلاغة، م ٣ ص ٣٤.

(٤) أدب الدنيا والدين، ص ١٤٤؛ الإعجاز والإيجاز، ص ١١٠، ونسبه إلى أبي الحسين الأهوازي.

(٥) الفرخ: ولد الطائر وكل صغير من الحيوان والنبات. وأفرخ الأمر استبان بعد اشتباهه وأفرخ روعك أي سكن جأشك وفرخ بتشديد الراء الروع تفرخاً ذهب/ القاموس المحيط.

(٦) في (ب-ج) الجور.

(٧) المبهج الباب/ ٩ ورقة ٧.

(٨) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٥؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٢؛ المبهج الباب ٩ ورقة ٧.

(٩) المبهج الباب ٩ ورقة ٧.

(١٠) في (ب) إذا عدل.

وَطَوَى عَلَى الْإِحْسَانِ طَوَيْتُهُ فَلْيَبْشُرْ بِالنَّجْمِ الْأَسْعَدِ وَالْجَدِّ الْأَصْعَدِ^(١).

وَقَالَ مَا أُخْرِى الْمَلِكُ الْعَادِلَ بِالْإِرْتِفَاعِ إِلَى نَفَاعِ الْمَلِكِ وَالصُّعُودِ إِلَى سُعُودِ الْفَلَكِ^(٢).

قَالَ مَنْ عَدَلَ نَفَذَ حَكْمُهُ وَقَرَّطَسَ^(٣) فِي الْمَطَالِبِ سَهْمَهُ وَمَنْ ظَلَمَ تَعَجَّلَ زَوَالَ النِّعَمِ وَحَلُولَ النَّقَمِ^(٤). وَقِيلَ مَنْ عَدَلَ حَصَّنَ مُلْكُهُ وَمَنْ ظَلَمَ فَقَدْ اسْتَعْجَلَ هُلْكُهُ^(٥). (وَقِيلَ^(٦) مَنْ عَدَلَ زَادَ قَدْرُهُ وَمَنْ ظَلَمَ نَقَصَ عَمْرُهُ^(٧) وَقِيلَ مَنْ عَدَلَ فِي سُلْطَانِهِ اسْتَغْنَى عَنْ أَعْوَانِهِ^(٨). وَقِيلَ أَفْضَلُ الْمُلُوكِ مَنْ أَحْسَنَ فِي فِعْلِهِ وَنَيْتِهِ وَعَدَلَ فِي جُنْدِهِ وَرِعْيَتِهِ^(٩). وَقِيلَ مَنْ سَاءَتْ سِيرَتُهُ لَمْ يَأْمَنْ أَبَدًا وَمَنْ حَسُنَتْ سِيرَتُهُ لَمْ يَخَفْ أَحَدًا^(١٠).

(١) المبهج الباب ٩ ورقة ٧؛ الحكم بالعدل حتى لا يعتدي ظالم ولا يضعف مظلوم من أهم الواجبات التي أوجبها الشارع على ولي الأمر ولهذا نجد الإمام الرازي يقول أجمعوا على أن من كان حاكماً وجب عليه أن يحكم بالعدل. ويؤيد ابن الأزرقي في كتابه ما في العدل من فوائد دينية ودنيوية ترجع في معظمها إلى نصوص صريحة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم/ بدائع السلك، ج ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٢) المبهج الباب ٩ ورقة ٧.

(٣) القرطاس: ما يكتب فيه وكسر القاف أشهر والقرطاس وازن جعفر لغة فيه والقرطاس أيضاً قطعة من أديم تنصب للنضال فإذا أصابه الرامي قيل قرطس.

(٤) الأمثال للثعالبي، ص ٤٢، وفيه من عقل زال ظلمه ومن عدل نفذ حكمه.

(٥) الأمثال للثعالبي، ص ٤٢، وفيه من استعمل العدل حصن الله ملكه ومن استعمل الظلم عجل الله هلكه.

(٦) في (ب - ج) قال.

(٧) الأمثال للثعالبي، ص ٤٢.

(٨) الأمثال للثعالبي، ص ٣٨؛ لباب الآداب، ص ٥٨؛ غرر الخصائص، ص ٢٢.

(٩) لباب الآداب، ص ٥٥؛ الأمثال للثعالبي، ص ٤٠.

(١٠) الأمثال للثعالبي، ص ٣٨.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شَرُّ الرُّعَاةِ الْحُطَمَةُ»^(١)
قُلْتُ: الْحُطَمَةُ مِنَ الرُّعَاةِ هُوَ الْعَنِيفُ بَرَغْبَةِ الْمَالِ فَكَأَنَّهُ ق/٢١ يُحَطِّمُهَا أَيْ
يَكْسِرُهَا وَيَأْتِي عَلَيْهَا وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ»^(٢).

وَفِي التَّوَارِثِ مَنْ يَظْلِمُ يَخْرُبُ بَيْتَهُ^(٣). وَفِي الزُّبُورِ إِذَا ظَلَمْتَ مَنْ دُونِكَ
فَلَا تَأْمَنْ مَنْ فَوْقَكَ^(٤).

(وَفِي الْحَدِيثِ: دَارُ الظَّالِمِ خَرَابٌ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ)^(٥).

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ^(٦): أَنْقَضُ النَّاسَ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مَنْ هُوَ دُونُهُ^(٧).

وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ اتَّقُوا ظُلْمَ مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ^(٨).

(١) ورد الحديث كاملاً في مسند أحمد م ٥ ص ٦٤، بإضافة إياك أن تكون منهم، صحيح مسلم، ج ٦ ص ٩؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٦١؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٠؛ والحطمة هو الراعي الظلوم ضربه مثلاً لوالي السوء الذي يظلم الرعية ولا يرجعهم.

(٢) صحيح البخاري، ج ٣ ص ١٦٩؛ صحيح مسلم، ج ٨ ص ١٨؛ سنن الترمذي، ج ٤ ص ٣٧٧. وقال حديث حسن غريب مسند أحمد، م ٢ ص ١٠٦؛ السنن الكبرى، م ١٠ ص ٣٤، ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ظلمات يوم القيامة، قيل هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيام سبيلاً حين يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبإيمانهم ويحتمل أن الظلمات هي عبارة عن الانكال والعقوبات. (٣) خاص الخاص، ص ٣٥؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٧٦؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣.

(٤) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤، وفيه فلا تأمن عقاب من فوقك.

(٥) هذا الحديث غير موجود في (ب-ج). وذكر صاحب كتاب كشف الخفاء، ج ١ ص ٤٨٠، قول صاحب المقاصد لم أقف عليه ولكن يشهد له قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾.

(٦) هو معاوية بن أبي سفيان.

(٧) سراج الملوك، ص ١٣٣؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٩١؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ٤١.

(٨) لم أجد حديث بهذا اللفظ وإنما ذكر صاحب كشف الخفاء حديثاً في معناه بلفظ اشد =

وقيل: الهام الظلمِ ظلمُ الضَّعِيفِ^(١). (وقيل: الظلمُ مَسْلَبَةٌ لِلنَّعَمِ مجلبةٌ لِلنَّقَمِ)^(٢).

وقيل: أقربُ الأشياءِ صَرْعَةُ الظُّلومِ وَأَنْفَذُ السَّهَامِ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ^(٣).
قال صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تُرْفَعُ عَلَى الْغَمَامِ».

يقول الله عز وجل: ﴿وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ﴾^(٤).
وقال عليه الصلاة والسلام: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ، دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ودَعْوَةُ الْمَسَافِرِ ودَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ^(٥)». وقال عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِمَوْلَى لَهُ وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْحِمَى: اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا مُجَابَةٌ^(٦).

وقال بعضُ الحكماء: مَنْ سَاءَتْ سِيرَتُهُ سَرَتْ مَنِيتُهُ وَمَنْ قَبَحَ مُلْكُهُ

= غضب الله على من ظلم من لا يجد ناصراً غير الله) وقال رواه القضاعي والديلمي بسند فيه كذاب عن علي / كشف الخفاء، ج ١ ص ١٤٣، مثله حديث في المعجم الصغير للطبراني، ج ١ ص ١٣١.

(١) التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٢.

(٢) ساقطة من (ب-ج).

(٣) أدب الدنيا والدين، ص ١٤٢؛ كتاب الأمثال للشعالبي، ص ٣٨؛ الشفاء في مواضع الملوك والخلفاء، ص ٥٤.

(٤) ورد الحديث كاملاً في مسند أحمد، ج ٢ ص ٣٠٥؛ وفي سنن ابن ماجه، ج ١ ص ٥٥٧؛ وسنن الترمذي، ج ٤ ص ٨٠، وقال فيه هذا الحديث ليس إسناده بذلك القوي وليس هو عندي بمتصل.

(٥) الترغيب والترهيب، ج ٣ ص ١٨٧؛ سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ١٢٧٠؛ الترمذي، ج ٣ ص ٢١٠.

(٦) الخراج لأبي يوسف، ص ١١٣.

حَسَنَ هُلُكُهُ وَمَنْ طَالَ تَعَدِّيهِ كَثُرَ أَعَادِيهِ وَمَنْ طَالَتْ عِدَاوَتُهُ زَالَ سُلْطَانُهُ مَنْ
طَالَ اعْتِدَاؤُهُ قُرِبَ فَنَائُوهُ مِنْ تَغْدَى بِسُوءِ السَّيْرِ تَعَشَّى بِزَوَالِ الْقُدْرَةِ^(١).

وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ: الْمُلْكُ يَبْقَى عَلَى الْكُفْرِ وَلَا يَبْقَى عَلَى الظُّلْمِ^(٢).
وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: مَنْ ظَلَمَ يَتِمًّا ظَلَمَ أَوْلَادَهُ وَمَنْ أَفْسَدَ أَمْرَهُ أَفْسَدَ مَعَادَهُ^(٣).

وَمِنْ كِتَابِ الْمُبْهَجِ أَخْلِقَ بِالْمَلِكِ الظُّلْمَ أَنْ يَصِيرَ عِظَةً لِلرَّائِينَ وَعِبْرَةً
لِلرَّائِينَ. بَشَّرَ الْمَلِكُ الْغَشُومَ بِالْمَحْنِ مِنْ وَجْهِ الْمَنْحِ وَالنَّوَائِبِ مِنْ مَوَاضِعِ
الْمَوَاهِبِ وَالْفُتُوحِ مِنْ جِهَةِ الْفُتُوحِ.

إِذَا كَانَ الْمَلِكُ جَائِراً فَسَلَامٌ عَلَى سَلَامَةِ الرِّعْيَةِ.

أَخْلِقَ بِالظَّالِمِ أَنْ يَنْهَارَ فِي جُرْفٍ هَارٍ.

وَمِنْ نَتَائِجِ الظُّلْمِ قِصْرُ الْمُدَّةِ وَانْحِسَامُ الْمَادَةِ وَانْقِطَاعُ الْمَدَدِ وَانْفِصَالُ
الْعُدَدِ. ظِلُّ الْمَالِ الْمُسْتَشْمِرِ مِنْ ظُلْمِ الرُّجَالِ كَسَحَابٍ تَمْزُقُهُ أَيْدِي الْجَنُوبِ
وَالشُّمَالِ وَتُفَرِّقُهُ ذَاتُ الْيَمِينِ وَذَاتُ الشُّمَالِ^(٤).

(١) كتاب الأمثال للثعالبي، ص ٨. قريباً من هذا قول ابن الأرزق في مفاصد الظلم
الدينوية أنه يقصر مدة الملك والسلطان فإن الجائر أقصر من زمان العادل لأن
الجائر مفسد والعادل مصلح وإفساد الشيء أسرع من إصلاحه/ بدائع السلك، ج ١
ص ٢٣٤.

(٢) الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، ص ٥٤؛ التمثيل والماضرة، ص ١٣٠؛ أدب الدنيا
والدين، ص ١٤٢؛ بهجة المجالس ق/١، ص ٣٥٣.

(٣) كتاب الأمثال للثعالبي، ص ٤٠؛ لباب الآداب، ص ٥٥؛ الشفاء في مواعظ الملوك
والخلفاء، ص ٥٤.

(٤) المبهج الباب ١٠ ورقة ٧-٨، ولهذا قالوا من مفاصد الظلم ذهاب الرزق بدائع
السلك، ج ١ ص ٢٣٥.

قيل: الظالم قليل (المعونة)^(١) قبيح الذكر والأحدوثِ الظلم لا يُقال صريعُهُ ولا يساغُ صريعُهُ ما أبينَ سوءَ الشؤمِ في وجهِ الغشومِ^(٢).

قال ابنُ المعتزِّ^(٣): الظالمُ بعيدُ الوثبةِ قريبُ الصرعةِ^(٤). قيلَ مَنْ لَمْ يعدلْ عدَلَ اللهِ فيه وَمَنْ حَكَمَ لِنَفْسِهِ حَكَمَ اللهُ عليه^(٥)، وقالَ: اذكُرْ عِنْدَ الظُّلمِ عدلَ اللهِ فيكَ وعِنْدَ القُدرةِ قُدرةَ اللهِ عليك^(٦).

وقالَ: الظُّلمُ مِنَ اللُّؤمِ والإنصافُ مِنَ السَّخاءِ^(٧). وقالَ آخرُ: الظُّلمُ أَسْرَعُ إلى تبديلِ نِعْمَةٍ وتعجيلِ نِقْمَةٍ^(٨) وقيلَ: الظُّلمُ طريقٌ إلى سُخْطِ اللهِ تعالى^(٩) ووَقَّعَ يحيى بنُ خالدٍ البرمكيُّ^(١٠) بِشْنَ الزَّادِ إلى المَعَادِ (ظلمُ)^(١١) العِبَادِ^(١٢).

قالَ أبو العتاهية^(١٣):

-
- (١) في (ب) المغوثة.
 (٢) المبهج الباب ١٠ ورقة ٨.
 (٣) تقدمت ترجمته ص ٩٧.
 (٤) آداب ابن المعتز، ص ١٧١.
 (٥) آداب ابن المعتز، ص ١٧١.
 (٦) آداب ابن المعتز، ص ١٢٥؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٥٦٤؛ سراج الملوك، ص ١٣٩.
 (٧) آداب ابن المعتز، ص ١٥١.
 (٨) التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٢؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ٤٠.
 (٩) التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٢.
 (١٠) تقدمت ترجمته، ص ١٤٠.
 (١١) في (ب) العدوان.
 (١٢) التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٢؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٥٦٩؛ تحفة الوزراء، ص ١٤٧؛ جبهة رسائل العرب، ج ٤ ص ٣٨٧.
 (١٣) هو أبو إسحاق إسماعيل بن قاسم الشاعر المعروف ولد بعين التمر سنة ١٣٠هـ نشأ بالكوفة وسكن بغداد، كان في أول أمره يبيع الجرار واتصل بالخلفاء ومدحهم ثم ترك =

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ لُنُومٌ وما زالَ المُسِيءُ هو الظُّلُومُ
إلى دِيَانٍ يَوْمَ الدِّينِ نَمُضِي وعندَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ^(١)

وقال آخرُ:

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللَّهِ فَوْقَهَا وما ظالمٌ إِلَّا سَيُّلِي بظالمٍ^(٢)

وقال آخرُ:

إِذَا جَارَ الْأَمِيرُ وَكَاتِبَاهُ وقاضي الأرضِ أسرفَ في القَضَاءِ
فَوَيْلٌ لِلْأَمِيرِ وَكَاتِبِيهِ وقاضي الأرضِ من قاضي السَّمَاءِ^(٣)

= قول الشعر فسجنه المهدي فعاد إليه فأطلقه توفي سنة ٢١١هـ/ وفيات الأعيان، م ١ ص ٢١٩؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٢٥؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٦٥.

(١) ديوان أبو العتاهية، ص ٣٩٨.

(٢) بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٦٧؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٣؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٢٧٤.

(٣) بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٦٩؛ المستطرف، ج ١ ص ٩٧.

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ الْبَغْيِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾^(١).
وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ عُقُوبَةً مِنْ بُغْيٍ»^(٢).
وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ: لَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَجَعَلَهُ اللَّهُ دَكَّا^(٣).
قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ^(٤): رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ
الْبَغْيُ وَالنِّكَتُ وَالْمَكْرُ^(٥).

(١) آية ٦٠، من سورة الحج، ونصها في كتاب الله: ﴿وَذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ
ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَعَفُو غَفُورٌ﴾.

ذكر ابن كثير أنها نزلت في سرية من الصحابة لقوا جمعاً من المشركين في شهر
عرم فناشدتهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبى المشركون إلا قتالهم
وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون فنصرهم الله عليهم. وقد ذكر الأستاذ سيد قطب في
تفسيره لهذه الآية أن الذين يقع عليهم العدوان من البشر لا يحلمون ولا يصبرون
فيردون العدوان ويعاقبون بمثل ما وقع عليهم من الأذى فإن لم يكف المعتدون وعاودوا
البغي على المظلومين تكفل الله عندئذ بنصرة المظلومين على المعتدين وشرط النصر هنا
أن يكون العقاب قصاص على اعتداء لا عدواناً ولا تبطراً/ ظلال القرآن، ج ١٧
ص ١١٥.

(٢) كنوزالحقائق في حديث خير الخلائق على حاشية الجامع الصغير، ج ٢ ص ٧٦، وقال
المنائوي أخرجه البيهقي.

(٣) كنوز الحقائق، ج ٢ ص ٧٢، وقال أخرجه الحاكم؛ كشف الخفاء، ج ٢ ص ٢١٠،
وقال رواه البخاري في الأدب المفرد وأبو نعيم عن ابن عباس موقوفاً، ومثله في تمييز
الطيب من الخبيث، ص ١٣٤، وزاد طرقاً أخرى للحديث.

(٤) تقدمت ترجمته ص ١٧٩.

(٥) زهر الآداب، ج ١ ص ٣٣؛ نهاية الأرب، ج ٣ ص ٥؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٢
ص ١١١؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٨.

وَقِيلَ: مَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغِيِّ قُتِلَ بِهِ^(١). وَقِيلَ: الْبَغِيُّ (مَرْتَعُهُ)^(٢)
وَنَجِيمٌ^(٣).

وَقِيلَ: احْذَرِ مَصَارِعَ الْبَغِيِّ^(٤): قَالَ بَعْضُهُمْ: مِنْ ق/٢٢ سَلَّ سَيْفَ
الْبَغِيِّ أَغْمَدَ فِي رَأْسِهِ وَمَنْ أَسَّسَ أَسَاسَ الشُّوْءِ أَسَّسَهُ عَلَى نَفْسِهِ^(٥).

-
- (١) سراج الملوك، ص ٢٤؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٠؛ الإعجاز والإيجاز، ص ٣٣؛
العقد الفريد، ج ٢ ص ٢٣١.
(٢) في (ب) مصرعه.
(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٠.
(٤) التمثيل والمحاضرة (٤٥٠).
(٥) خاص الخاص، ص ٢٦؛ أدب الدنيا والدين، ص ٣٣٠.

بَابُ فِي ذِكْرِ الْعَفْوِ وَمَذَحِ مُسْتَعْمِلِهِ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ وَالِانْتِقَامِ وَمَحَلِّ اسْتِعْمَالِهِ

إِعْلَمُ أَنَّ (الْحَلَمَ) ^(١) محمودٌ فِي مَحَلِّهِ، وَالْعَفْوُ مُسْتَحْسَنٌ إِذَا اسْتُعْمِلَ مَعَ أَهْلِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ ^(٢).

وَقَالَ جَل وَعَلَا: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٣).

(١) فِي (ب - ج): الْجُود.

(٢) ٢٣٧ من سورة البقرة ونص الآية: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بَيْنَهُ عَقْدَةُ الْبَيْكَاكِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وهو خطاب للرجال والنساء في قول ابن عباس فغلب الذكور، واللام بمعنى إلى أي أقرب إلى التقوى. والآية تتحدث عن المطلقة قبل الدخول، التي فرض لها مهراً معلوماً، وفي هذه الحالة يجب لها نصف المهر المسمى، هذا هو القانون. ولكن القرآن يدع الأمر بعد ذلك للسماحة والفضل واليسر، فالزوجة ولوليتها إن كانت صغيرة أن تعفو، وتترك ما يفرضه القانون، والتنازل في هذه الحالة هو تنازل الإنسان الراضي، القادر العفو السمع الذي يعف عن مال رجل قد انفصمت منه عروته. ومع هذا فإن القرآن يظل يلاحق هذه القلوب كي تصفو، وتخلو من كل شائبة وأن تعفو أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير/ تفسير القرطبي، م ٢ ص ٢٠٤؛ الظلال، ج ٢ ص ٢١٢.

(٣) آية ١٣٤ من سورة آل عمران ونص الآية: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ =

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾^(١).

وَكَانَ معاوية^(٢) يقول: أَنَّى لِأَنْفٍ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ جَهْلٌ لَا يَسَعُهُ جِلْمِي، وَذَنْبٌ لَا يَسَعُهُ عَفْوِي، وَحَاجَةٌ لَا يَسَعُهَا جُودِي^(٣). وَأَغْلَظَ لَهُ رَجُلٌ أَسَمَعَهُ مَا يَكْرَهُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي لَمْ أَتَجَرَّعْ جُرْعَةً قَطُّ، هَيَّيْ أَلَدُّ عِنْدِي مِنْ جُرْعَةٍ غَيْظٍ وَحَقِّقْ، رَدَدْتُهَا بِعَفْوِي، لَسَقَيْتُ الْأَرْضَ مِنْ دَمِكَ، ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا^(٤). وَقَالَ اردشير^(٥) مَنْ عَاقَبَ عَلَى الذَّنْبِ فَقَدْ عَدَلَ، وَمَنْ صَفَحَ عَنْهُ

= وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

تقرر هذه الآية بعض صفات المتقين، الذين أعدت لهم الجنة فهم ينفقون في العسر واليسر، ويعرفون حق الله في أموالهم ويكظمون غيظهم ويعفون عن الناس. وقد قال الإمام القرطبي العفو عن الناس أجل ضرر فعل الخير حيث يجوز للإنسان أن يعفو، وحيث يتجه حقه وكل من استحق عقوبة فتركت له فقد عفى عنه واختلف في معنى عن الناس فقليل هم الممالك وهو قول الكلبي والزجاج، وقيل عن كل الناس وهذا هو ظاهر الآية.

ولقد ذكر الأستاذ سيد قطب في تفسيره لهذه الآية فقال: وكظم الغيظ هو المرحلة الأولى وهي وحدها لا تكفي، فقد يكظم الإنسان غيظه ليحقد ويضطغن فيتحوّل الغيظ الغائر إلى أحنة فائرة ويتحوّل الغضب الظاهر إلى حقد دفين... لذلك يستمر النصر، ليقرر النهاية الطليقة لذلك الحقد الكظيم في نفوس المتقين أنها العفو السمع العفو الجميل / تفسير القرطبي، م ٢ ج ٤ ص ٢٠٦ - ٢٠٧؛ ظلال القرآن، ج ٤ ص ٣٤. (١) آية ٣٧ من سورة الشورى، وذكر الأستاذ سيد قطب في تفسيره لهذه الآية أنها جاءت بعد الإشارة الخفية إلى سماحة الله مع الإنسان في ذنوبه وأخطائه، فتحبب في السماحة والمغفرة بين العباد. وتجعل صفة المؤمنين أنهم إذا ما غضبوا هم يغفرون / ظلال القرآن، ج ٢٥ ص ٤٦.

(٢) هو معاوية بن أبي سفيان، ترد ترجمته في القسم الثاني.

(٣) نهاية الأرب، ج ٦ ص ٧ - ٨؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٠؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٧٤٥؛ الطبري، ج ٧ ص ٢١٢؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ١١١.

(٤) المخلاة، ص ٥٨؛ بهجة المجالس، ق ١ ص ٣٧١؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ٥٠.

(٥) تقدمت ترجمته، ص ١٢١.

فَقَدْ تَفَضَّلَ، فَاجْعَلْ لَكَ مِنَ الْعَفْوِ مَا تَسْتَدْعِي بِهِ مِنَ اللَّهِ النَّصْرَ، وَتَسْتَنْزِلُ بِهِ جَمِيلَ الصَّنْعِ^(١).

وهذا نظير قول عبد الحميد الكاتب^(٢): الانتقام عدل، والتجاوز فضل، وأنا أعيذك بالله أن ترضى لنفسك بأبخس الحظين، واوكس^(٣) النصيب دون أن تبُلِّغَ (أعلى)^(٤) الدرجتين^(٥). واستشار المأمون الحسن بن سهل في قتل إبراهيم^(٦) بن المهدي فقال: يا أمير المؤمنين إن قتلته فلك نظير في قتله،

(١) عهد أردشير، ص ٨٧.

(٢) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد، مولي بني عامر، الكاتب البليغ الذي يضرب فيه المثل بالبلاغة فيقال: «فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد». أصله من قيسارية، سكن الشام وكان أولاً يعلم الصبيان ثم تقلبت به الأحوال إلى أن أصبح وزيراً لمروان بن محمد. وعنه أخذ المترسلون، ولطريقته لزوما ولأثارة اقتفوا، قتل مع مروان ببوصير سنة ١٣٢هـ/ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٥٥؛ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٢٢٨؛ الفهرست، ص ١١٧.

(٣) الوكس: النقص، وفي الحديث: «لها مهر مثلها لاوكس ولا شطط أي لا نقصان ولا زيادة»/ المصباح المنير؛ مختار الصحاح.

(٤) في (ب): إحدى.

(٥) البيان والتبيين، ج ٢ ص ٢٦٩؛ تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص ٢٦٤ - ٢٦٥؛ وتجمع هذه المصادر على أنها قيلت للمنصور من قبل رجل خرج على المنصور مع عبد الله بن علي، وأُتي به للعقوبة.

(٦) الحسن بن سهل: هو أبو محمد الحسن بن سهل الوزير. كان من بيت رياسة، أسلم أبوه في خلافة الرشيد، تولى الوزارة بعد أخيه الفضل، تزوج المأمون بابنته بوران، مات بسرخس، سنة ٢٣٦/ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٨٦؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٨٧.

(٧) هو أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي بن المنصور، ويعرف بابن شكله. ولد سنة ١٦٢هـ، ولاه الرشيد امرأة دمشق مدة سنتين ثم عزله عنها، خرج في خلافة المأمون ودعا لنفسه، وبايعه أهل بغداد، ثم ظفر به المأمون وعفى عنه، توفي سنة ٢٢٤هـ. يسر من رأى وصلى عليه ابن أخيه المعتصم/ وفيات الأعيان، م ١ ص ٣٩ - ٤٢؛ الطبري، حوادث سنة ٢٢٤؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٩٠.

وَأَنْ عَفَوْتَ عَنْهُ فَلَا نَظِيرَ لَكَ فَعَفَى عَنْهُ^(١). وَمِمَّا اسْتُحْسِنَ مِنْ اعْتِذَارِ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ قَوْلُهُ: إِنْ بَلَغَ جُرْمِي اسْتِحْلَالَ دَمِي، فَحُلِّمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَفَضْلُهُ، يَبْلُغَانِي عَفْوُهُ وَلِي بَعْدَ ذَلِكَ شُفْعَةُ الْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ وَحَقُّ الْأَبِ بَعْدَ الْأَبِ^(٢).
وقوله شِعْراً:

أَذْنَبْتُ ذَنْباً عَظِيماً وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
فَخُذْ بِحَقِّكَ أَوَّلًا فَاصْفَعْ بِحِلْمِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فِعَالِي مِنْ الْكِرَامِ فَكُنْهُ^(٣)
وقوله:

أَذْنَبْتُ ذَنْباً عَظِيماً وَأَنْتَ لِّلْعَفْوِ أَهْلٌ
فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ وَإِنْ جَزَيْتَ فَعَدْلٌ^(٤)
فَقَالَ الْمَأْمُونُ: لَوْلَمْ يَكُنْ فِي حَقِّ نَسَبِكَ، مَا يُقُومُ بِالصَّفْحِ عَنْكَ،
لَبْلَغَكَ مَا أَمَلْتُ: حَسَنُ تَنْصِيلِكَ وَلُطْفُ تَوْصِيلِكَ، وَأَنْ ذَنْباً أَوَّلُهُ هَفْوَةٌ، وَآخِرُهُ
تَوْبَةٌ لِحَقِيقُ أَنْ لَا يَكُونَ عَلَى مِثْلِهِ عَقُوبَةٌ^(٥). وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ
الْمَهْدِيِّ لَقَدْ أَشَارَ عَلَيَّ كُلِّ أَحَدٍ بِقَتْلِكَ، حَتَّى أَخِي أَبِي إِسْحَاقَ وَأَبْنِي
الْعَبَّاسِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُمْ نَصَحُوا لَكَ بِذَلِكَ فِي لَوَائِمِ الْخِلَافَةِ،
وَمَا جَرَتْ بِهِ أَحْكَامُ السِّيَاسَةِ، وَلَكِنْ يَا أَبَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَجْلِبَ النَّصْرَ
إِلَّا كَمَا عَوَّدَهُ اللَّهُ^(٦).

(١) زهر الآداب، ج ١ ص ٥٧٠، وفيه أن المأمون شاور أحمد بن أبي خالد الأحول،
الوزير فقال هذا القول، ومثله وفيات الأعيان، م ١ ص ٤١.

(٢) زهر الآداب، ج ١ ص ٥٦٩؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٢٠.

(٣) الأماي، لأبي علي القالي، ج ١ ص ٢٤٣؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ١١١.

(٤) المستجد من فعلات الأجواد، ص ٨١.

(٥) نهاية الأرب، ج ٦ ص ٦١؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ١٠٠.

(٦) المحاسن والمساوي، ج ٢ ص ١٧٨؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٢٠؛ بغداد في تاريخ
الخلافة العباسية، ص ١٠٥.

فَقَالَ الْمَأْمُونُ قَدْ مَاتَ حِقْدِي، لِحَيَاةِ عُدْرِكَ، وَعَفَوْتُ عَنْكَ. وَأَعْظَمُ
مِنْ عَفْوِي عَنْكَ أَنِّي لَمْ أُجْرِعَكَ امْتِنَانَ الشَّافِعِينَ. ثُمَّ سَجَدَ الْمَأْمُونُ طَوِيلًا ثُمَّ
رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَتَدْرِي لِمَ سَجَدْتُ فَقُلْتُ شُكْرًا لِلَّهِ ظَفَرَكَ بَعْدُ
ذَوَلَّتِكَ، فَقَالَ مَا أَرَدْتُ هَذَا وَلَكِنْ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى مَا أَلْهَمَنِيهِ مِنَ الْعَفْوِ عَنْكَ^(١)
فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ:

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَارِمَ حَارَها	فِي صُلْبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ السَّابِعِ
مَلِئْتُ قُلُوبَ النَّاسِ مِنْهُ مَهَابَةً	وَيَضِلُّ يَكْلُؤُهُمْ بِقَلْبِ خَاشِعٍ
فَعَفَوْتُ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ	عَفْوٌ وَلَمْ يَشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعٍ
وَرَحِمْتُ أَطْفَالًا كَأَفْرَاحِ الْقَطَا	وَحَنِينٍ وَالِدِهِ بِقَلْبِ جَزَاعٍ
رَدُّ الْحَيَاةِ عَلَيَّ بَعْدَ ذَهَابِهَا	كَرَّمَ الْمَلِكِ الْقَادِرِ الْمُتَوَاضِعِ ^(٢)

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: لَا تَثْرِبَ عَلَيْكَ قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ، وَرَدَدْتُ مَا لَكَ
وَضِياعَكَ^(٣). (فَقَالَ فِي ذَلِكَ)^(٤):

رَدَدْتُ مَالِي وَلَمْ تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهِ	وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي
فَأَبْتُ عَنْكَ وَقَدْ خَوَّلْتَنِي نِعْمًا	هُمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمٍ
فَلَوْ بَذَلْتُ دَمِي أَبْغِي رِضَاكَ بِهِ	وَالْمَالُ حَتَّى أَسْلُ النُّعْلَ مِنْ قَدَمِي

-
- (١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٨٤؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٢٧١.
(٢) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٨٢ - ٨٣، مع اختلاف في البيت الثاني.
وذكر الطبري في تاريخه، ج ١١ ص ١٠٧٩، هذه الأبيات غير مرتبة مع اختلاف
في بعضها كالإختلاف الحاصل في البيت الرابع فقد ذكره:
فرحمت أطفالا كأفراح القطا وعويل عانسة كقوس النازع
(٣) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٨٣.
(٤) زيادة من (ب) - (ج).

ما كَانَ (ذَاكَ) ^(١) سِوَى عَارِيَةٍ رَجَعْتُ إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تُعْرِهَا كُنْتُ لَمْ تَلَمْ
فَإِنْ جَحَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نَعَمَ إِنِّي لَفِي اللَّوْمِ أَحْطَى مِنْكَ فِي الْكِرْمِ ق/ ٢٣

وكان إبراهيم بن المهدي قد ادعى الإمامة لنفسه، في زمن المأمون وبويع له ببغداد، ومكث على ذلك مدة وأصحاب المأمون يحاربونه إلى أن ظفروا ^(٣) به فعفى عنه كما تقدم. وكان إبراهيم يقول والله ما صفح المأمون عني صلة لرحمي، ولكن طار له اسم في العفو، فأحب أن يسديه إلي ^(٤).

وكان المأمون يقول: لقد ^(٥) لي العفو حتى حسبتني لا أتاب عليه ^(٦).

وكتب معمر ^(٧) مولى سليمان من الحبس إلى الرشيد لست في عقابي إذا كنت سقيماً بأعظم ثواباً منك في تخيلتي إن كنت بريئاً.

وقال أردشير: وجدنا للذة العفو ما لم نجد للذة العقوبة ^(٨). وأمر الحجاج بقتل أقوام، فلما قديم أخذهم للقتل بعد قتل جماعة منهم، قال:

(١) في (ب): ذا.

(٢) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٨٣، مع اختلاف في البيت الأخير، زهر الآداب، ج ١ ص ٥٧٠؛ وذكر الأمالي، ج ١ ص ٢٤٣، الأربعة الأولى، وأغفل البيت الخامس.

(٣) في (ج) إلى أن ظفر به المأمون.

(٤) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج ١ ص ٧٣٢؛ آداب السياسة بالعدل، مصور رقم ٢٣٠٠، ص ٢٢٧.

(٥) في (ب) حبيب.

(٦) شذرات الذهب، ج ٢ ص ٤٠؛ غرر الخصائص، ص ٢٣٤.

(٧) لم أعثر على ترجمة له فيما لدي من المراجع.

(٨) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ١٧٩؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٧٤٢؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ٨؛ وتنسب المصادر السابقة إلى أنوشروان.

وَاللَّهِ لَأَنْ كُنَّا أَسْنَا فِي الذَّنْبِ، فَمَا أَحْسَنْتَ فِي الْعَفْوِ فَقَالَ الْحِجَاجُ أَمَا كَانَ فِي هَؤُلَاءِ الْجَيْفِ مَنْ يُحْسِنُ مِثْلَ هَذَا وَعَفَى عَنْهُ وَعَمَّنْ بَقِيَ مِنْهُمْ^(١). وَقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ^(٢) لِلْسَفَاحِ إِذَا قَتَلْتَ أَكْفَاءَكَ فَبِمَنْ تَبَاهِي بِمَلِكِكَ^(٣). وَقَالَ معاوية أُولَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ «أَقْدَرُهُمْ عَلَى^(٤) الْعُقُوبَةِ»^(٥).

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ^(٦): أَحَقُّ النَّاسِ بِالْإِحْسَانِ مَنْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَأَوْلَاهُمْ بِالْعَفْوِ مَنْ بَسَطَ اللَّهُ بِالْقُدْرَةِ يَدَيْهِ^(٧).

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ كَفَى بِالظُّفْرِ شَفِيعاً لِلْمَذْنِبِ إِلَى الْحَلِيمِ^(٨). وَقَالَ حَسْبُكَ مِنْ عَدُوِّكَ ذَلِكَ فِي قَدْرَتِكَ^(٩). وَقَالَ أَيْضاً مَا عَفَى عَنِ الذَّنْبِ مَنْ

(١) ربيع الأبرار، ج ١ ص ٧٣٠؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٣٩؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ١٠٣؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ٦٤.

(٢) هو عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ولد سنة ١٠٤هـ، وكان في القرب لبعده مناف بمنزلة يزيد بن معاوية. ولي إمرة دمشق والموسم والمدينة والبصرة، توفي سنة ١٨٥هـ/ شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٠٧؛ النجوم الزاهرة، ج ١٠ ص ١٨٦؛ المختصر في أخبار البشر، ج ٢ ص ١٦؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٨٦.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٥؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٥٠، وفيه أنه عزم عبد الله بن علي على قتل بني أمية بالحجاز، فقال له عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، إذا أسرعت بالقتل في أكفائك فبمن تباهي بسلطانك. (٤) في (ج) أقدرهم على الانتقام.

(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ٣١؛ سراج الملوك، ص ١٣٣؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٥٣.

(٦) عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي، ترد ترجمته في القسم الثاني.

(٧) عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٧٦؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٨؛ الإعجاز والإيجاز، ص ٤٢.

(٨) آداب ابن المعتز، ص ١٠٠؛ سراج الملوك، ص ١٧٢؛ غرر الخصاص، ص ٢٥٠، وفيها كفى بالظفر شافعاً للمذنب إلى القادر.

(٩) آداب ابن المعتز، ص ١٠٠.

قَرَعَ^(١) بِهِ. وَقَالَ لَا تُثِشْ وَجَهَ الْعَفْوِ بِالتَّائِبِ^(٢). وَقَالَ آخَرُ: أُولَى السَّائِلِينَ
بِالْإِسْعَافِ مَنْ طَلَبَ الْعَفْوَ^(٣) وَقَالَ آعَفَ عَمَّنْ أَبْطَأَ بِالذَّنْبِ وَأُسْرَعَ بِالنَّدَمِ^(٤).
وَقَالَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الْمَعَالِي^(٥): الْعَفْوُ عَنِ الْمَجْرِمِ مِنْ وَاجِبِ الْكَرَمِ، وَقَبُولُ
الْمَعْدِرَةِ مِنْ مُحَاسِنِ الشِّيمِ^(٦)، قِيلَ: اعْتَذَرَ أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ الْكَاتِبِ^(٧)
إِلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ^(٨) بِعُذْرِ فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ وَاللَّهِ لَا قَبْلَتُ عَذْرَكَ
حَتَّى أَسِيسَءَ إِلَيْكَ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَاللَّهِ لَأَنْ فَعَلْتُ لَا سَتَعْدِيْتُ عَلَيْكَ إِلَّا نَفْسَكَ
وَلَا أَطْمَعِنِي فِيكَ إِلَّا ظُلْمُكَ. فَاسْتَحْيَا مِنْهُ وَقَبِلَ عُذْرَهُ^(٩). وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ:
لَيْسَ مِنْ عَادَةِ الْكِرَامِ إِسْرَاعُ الْإِنْتِقَامِ، وَلَا مِنْ شَرَطِ الْكِرَامِ إِزَالَةُ النَّعَمِ، وَلَا
تَأْخُذُ بِالسَّهْوِ وَلَا تَرْهَدُ فِي الْعَفْوِ وَارْحَمَ مَنْ دُونَكَ يَرْحَمَكَ مَنْ فَوْقَكَ^(١٠).

وَهَذَا الْمَعْنَى قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ

(١) آداب ابن المعتز، ص ٨٢.

(٢) آداب ابن المعتز، ص ٦٩؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٧٧١؛ غرر الخصائص،
ص ٢٥٠.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ٤١٢.

(٤) آداب ابن المعتز، ص ١٨٨.

(٥) ... تقدمت ترجمته ص ١٧٤.

(٦) كمال البلاغة، (رسائل شمس المعالي)، ص ٤٢.

(٧) لم أجد له ترجمة فيما لدي من المراجع.

(٨) هو أحمد بن أبي خالد الأحول، وزير المأمون، كان جليل القدر من عقلاء الرجال
بصيراً بالأمر كاتباً بليغاً، مات حتف أنفه سنة ٢١٠هـ / الفخري في الآداب
السلطانية، ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٩) كتاب الفاضل والكمال (أو وصايا الملوك) مخطوط رقم ش ٢٣، أدب، دار الكتب،
ورقة ٢٠.

(١٠) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٣٧؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٥٢.

يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ: آرَحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ»^(١). وَقَالَ
بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: عَفُوُ (الْمُلُوكِ)^(٢)، أَبْقَى لِلْمَلِكِ^(٣).

(١) سنن الترمذي، ج ٣ ص ٢١٧، وقال حديث حسن صحيح؛ سنن أبي داود، ج ٤ ص ٢٨٥؛ السنن الكبرى، م ٩ ص ٤٠، تكفل الله لمن رحم عباده بالرحمة منه ومن ملائكته ورحمة الملائكة لأهل الأرض دعاؤهم لهم بالرحمة والمغفرة والرحمة مقيدة باتباع الكتاب والسنة، فإقامة الحدود والانتقام لحرمة الله تعالى لا ينافي كل منهم الرحمة/ عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ج ١٣ ص ٢٨٥.

(٢) في (ج): الملك.

(٣) هذا نص حديث ذكره صاحب تميز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث، ص ١٠٧، وقال رواه الرافي من حديث على به مرفوعاً وذكره السيوطي في الجامع الصغير، ج ٢ ص ٦٠، من رواية الرافي عن علي.

فَصَلِّ: واعلم أنه ليس لسُرْعَةِ الانتقام
وتعجيل العقوبة والإعراض عَنِ
الصفحِ وقَلَّةِ الرَّغْبَةِ فِي العفوِ سبَبُ
(سوى)^(١) قُوَّةِ الغَضَبِ، فلنذكرُ مِنْهُ
جُمْلًا موجزةً:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا
الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٢).

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ كَظَمَ غِيظًا وَهُوَ يَقْدِرُ أَنْ (يَمْضِيَهُ)^(٣)
مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا»^(٤). وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا غَضِبَ
أَحَدُكُمْ وَكَانَ قَائِمًا فَلْيَقْعُدْ أَوْ كَانَ قَاعِدًا فَلْيُضْطَجِعْ»^(٥). وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(١) فِي (ب): الْا. وَفِي نَسْخَةِ (ج): غَيْر.

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، ج ٨ ص ٣٤؛ صَحِيحُ مُسْلِمٍ، ج ٨ ص ٣٠؛ مُوطَأُ مَالِكٍ بِشَرْحِ
الزُّرْقَانِيِّ، ج ٤ ص ٢٦٠؛ مُسْنَدُ أَحْمَدَ، م ٢ ص ٢٣٦. وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَيْسَ الْقَوِيُّ
هُوَ الَّذِي يَصْرَعُ الرِّجَالَ، بَلِ الْقَوِيُّ هُوَ الَّذِي يَصْرَعُ غَضَبَهُ، فَيَكْظِمُهُ وَيَمْلِكُ نَفْسَهُ فِي
ثَوْرَةِ الْغَضَبِ، فَهَذَا هُوَ صَاحِبُ الْقُوَّةِ لِأَنَّهُ قَهَرَ النَّفْسَ شَيْءً صَعَبًا، فَإِذَا تَغَلَّبَ عَلَيْهَا
وَمَلَكَهَا يَكُونُ قَدْ قَهَرَ أَقْوَى أَعْدَائِهِ وَشَرَّ خُصُومِهِ.

(٣) فِي (ج): إِنْفَازَهُ.

(٤) سَنَنُ أَبِي دَاوُدَ، ج ٤ ص ٢٤٨ بِاخْتِلَافٍ فِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ؛ سَنَنُ التِّرْمِذِيِّ، ج ٣
ص ٢٥١، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٥) سَنَنُ أَبِي دَاوُدَ، ج ٤ ص ٢٤٩؛ مُشْكَاةُ الْمَصَابِيحِ، ج ٣ ص ١٤١٥؛ مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ،
ج ٨ ص ٧٠، أَمَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُعُودِ عِنْدَ الْغَضَبِ، لِأَنَّ الْقَائِمَ
مُنْتَهِيءٌ لِلْحَرَكَةِ وَالْبَطْشِ وَالْقَاعِدُ دُونَهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَالْمُضْطَجِعُ مَمْنُوعٌ مِنْهَا فَيُشَبَّهُ أَنْ
يَكُونَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرُهُ بِالْقُعُودِ وَالْمُضْطَجِعُ لَثَلًا يَبْدُرُ مِنْهُ فِي حَالِ
قِيَامِهِ وَقُعُودِهِ مَا يَنْدَمُ عَلَيْهِ؛ عَوْنُ الْمَعْبُودِ، شَرْحُ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ، ج ١٣ ص ١٤٠.

«إِذَا عَصَبْتَ فَاسْكُتْ»^(١). وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ^(٢).
 وَقِيلَ: الْغَضَبُ غَوْلُ الْعَقْلِ^(٣). وَقِيلَ الْغَضَبُ مِفْتَاحُ الشَّرِّ. وَقَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ: الْغَضَبُ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ الْعَسَلَ^(٤). وَقِيلَ: إِذَا دَخَلَ
 الْغَضَبُ عَلَى (الرَّجُلِ)^(٥) الْعَاقِلِ الْوَرَعَ، أَذْهَبَ مِنْهُ الْعَقْلُ وَالْوَرَعُ، فَكَيْفَ
 بِمَنْ لَا عَقْلَ وَلَا وَرَعَ.

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ^(٦): ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمَجَانِينِ وَإِنْ كَانُوا مِنَ الْعُقَلَاءِ:
 الْغَيْرَانُ وَالْغَضَبَانُ وَالسَّكَرَانُ^(٧). وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتِزِّ: الْغَضَبُ يُصِدِّي الْعَقْلَ،
 حَتَّى لَا يَرَى صَاحِبَهُ (صُورَةً)^(٨) حَسَنٍ فَيَفْعَلُهُ وَلَا صُورَةَ قُبْحٍ

(١) الجامع الصغير، ج ١ ص ٣١، وقال: حديث حسن؛ مسند أحمد، م ١ ص ٢٨٣ عن
 ابن عباس.

(٢) صحيح البخاري، ج ٨ ص ٣٥؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ٢٥٠ - ٢٥١، وقال: هذا
 حديث حسن صحيح، وقد تكلم الإمام الغزالي في الاحياء عن الغضب وبين أسبابه
 وحقيقته وعلاجه فليرجع إليه هناك.

(٣) عيون الأخبار، م ١ ج ٣ ص ٢٨٨؛ مجمع الأمثال، ج ٢ ص ٦١ ومعناه أن الغضب
 يهلك العقل. يقال: غاله يغوله: إذا أهلكه، وجاء بلفظ: الغضب غول الحلم.

(٤) بدائع السلك، ج ١ ص ٤٦٤.

(٥) ذكره صاحب تمييز الطبيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث،
 ص ١١١، وقال: رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وسنده ضعيف؛ كشف
 الخفاء، ج ٢ ص ١٠٣.

(٦) ساقطة من (ب - ج - د).

(٧) سهل بن هارون: هو أبو عمرو سهل بن هارون بن راهبون من أهل نيسابور، انتقل
 إلى البصرة وخدم المأمون فكان صاحب خزانة الحكمة، وكان حكيماً فصيحاً شاعراً
 فارسي الأصل، شعوبي المذهب شديد التعصب على العرب، له مصنفات تدل على
 بلاغته وحكمته، كانت وفاته بعد عام ٢٠٠ هـ. سرج العيون، ص ٢٤٣؛ فوات
 الوفيات، ج ٢ ص ٨٤؛ الفهرست، ص ١٢٠.

(٨) عيون الأخبار، م ٢ ج ٤ ص ٤٩؛ البيان والتبيين، ج ٢ ص ٣١٠؛ بهجة المجالس،
 ق/١ ص ٥٤٤.

(٩) في (ب - ج): صوره.

فِيحْتَنَبُهُ^(١) وَقَالَ: أَوَّلُ الْغَضَبِ جُنُونٌ وَآخِرُهُ نَدَمٌ^(٢). وَقَالَ: لَا يَحْمِلُنْكَ الْحَقُّ عَلَى اقْتِرَافِ إِثْمٍ، فَتُشْفَى غِيْظُكَ وَتُسْقِمَ دِيْنُكَ^(٣). وَقَالَ: قُوَّةُ الْحُلْمِ عَلَى الْغَضَبِ أَفْضَلُ مِنْ قُوَّةِ الْإِنْتِقَامِ^(٤). وَقَالَ: ابْقِ لِرِضَاكَ مِنْ غَضَبِكَ^(٥). وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ رَأْسُ الْأَدَبِ قَطْعُ الْغَضَبِ. وَقَالَ: (أَسْرَعُ)^(٦) النَّاسِ جَوَاباً مَنْ لَمْ يَغْضَبْ^(٧). وَقَالَ آخَرُ: مَنْ يَمْلِكُ غَضَبَهُ وَيَكْظِمُ غِيْظَهُ فَقَدْ كَمَلَ عَقْلُهُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: التَّبَاعُدُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ أَنْ لَا يَغْضَبَ الْعَبْدُ، فَإِنْ ق/٢٤
بَدَأَ الْغَضَبُ مِنَ الْكِبَرِ وَالْحَمِيَّةِ وَالْإِنْفَةِ^(٨). قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ^(٩): أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنَ الْعَبْدِ غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا غَضَبَ^(١٠). وَنَظَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى الرَّشِيدِ وَقَدْ اشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى رَجُلٍ، فَخَافَ أَنْ يَسْتَفْزَهُ الْغَضَبُ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ

(١) آداب ابن المعتز، ص ١٢١؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ١٠٠٩؛ بدائع السلك، ج ١ ص ٤٦٤.

(٢) آداب ابن المعتز، ص ١٢٤؛ بدائع السلك، ج ١ ص ٤٦٤؛ سراج الملوك، ص ٧٤.

(٣) آداب ابن المعتز، ص ١٢٥؛ غرر الخصاص، ص ٢٥٠.

(٤) آداب ابن المعتز، ص ١٥٢.

(٥) آداب ابن المعتز، ص ١٢١؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٠، وفيه: أبقي لرضاك من سخطك إذا طرت فاقع قريباً.

(٦) في (ج): أسلم.

(٧) بدائع السلك، ج ١ ص ٤٦٤؛ سراج الملوك، ص ٧٢؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤٤٩.

(٨) بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٧٥ منسوب إلى عيسى بن مريم عليه السلام بلفظ: يباعذك من غضب الله أن لا تغضب.

(٩) هو عويمر بن مالك وقيل عامر بن مالك وعويمر لقب الخزرجي الأنصاري أسلم بعد بدر وكان فقيهاً عالماً حكيماً، أخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمان الفارسي، وشهد ما بعد أحد من المشاهد، ولي قضاء دمشق لمعاوية في خلافة عثمان، توفي سنة ٣١هـ. الاستيعاب، ق/٤ ص ١٦٤٦؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٩.

(١٠) البيان والتبيين، ج ٢ ص ١٠؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٥٠؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤٩٤.

المؤمنين إنما تغضبُ إليه فلا تغضبُ بما (لا تغضبُ به لنفسك فيغضب عليك) (١).
وفي بعض كتب الله المنزلة: يا بن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك
حين أغضب (٢).

(وقال بعض الحكماء: احتمال الصبر عند الغضب أسلم من إطفائه) (٣)
بإظهار السفه. وقيل: ينبغي للسلطان العجول أن يحذر (الطيش) (٤)، والغضب
والحد، فإن السلطان الغضوب المفرط في العقوبة يهلك نفسه وسلطانه ورعيته.
ودفع أردشير (٥) إلى رجل كان يقوم على رأسه ثلاثة كتب، وقال: إذا
رأيتني وقد اشتد غضبي على أحد فادفع إلي الكتاب الأول، ثم الثاني، ثم
الثالث، فاشتد يوماً غضبه على رجل فدفع إليه الأول فإذا فيه أمسك فإنك
لست بإله، وإنما أنت جسد يوشك أن يفنى، ويأكل بعضك بعضاً، ودفع إليه
الثاني فإذا فيه أرحم العباد، ترحم في المعاد، ودفع إليه الثالث فإذا فيه
احمل الخلق على الحق، فلا يسعك إلا ذلك (٦). قال معاوية: ما غضبي
على من لا أملك وما غضبي على من أملك (٧).

-
- (١) في (ب - ج): (لا تغضب بما لا يغضب به لنفسه فيغضب عليك)، وقد وردت الجملة
في بدائع السلك، ج ١ ص ٤٦٥؛ سراج الملوك، ص ٧١؛ الفرج بعد الشدة، ج ١
ص ٣٨٧، وتجميع هذه المصادر على أن هذه الواقعة حصلت من جعفر بن محمد بن
الاشعث عندما دخل على الرشيد وهو غضبان.
(٢) سراج الملوك، ص ١٢٨؛ المخلاة، ص ٢٩؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٥١، ونسبه
الطرطوشي في سراج الملوك إلى الإنجيل.
(٣) ساقطة من (ج). (٤) في (ب): العلس. (٥) تقدمت ترجمته ص ١٢١.
(٦) عهد أردشير، ص ٨٨؛ غرر الخصائص، ص ٢٣؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٣
ص ٢٧٣، وفيه: دفع أردشير الملك إلى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً.
(٧) زهر الآداب، ج ١ ص ٥٣؛ الإعجاز والإيجاز، ص ٦٤؛ التمثيل والمحاضرة،
ص ٣١؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ٨، ويريد بذلك: إني إن كنت مالكا للذنوب فإني
قادر عليه فلم ألزم نفسي الغضب وإن لم أملكه فليس يضره غضبي فلا أغضب عليه
حتى لا أضمر نفسي ولا أضره.

فَصْلٌ:

في الانتقامِ مِمَّنْ يُجْرِيهِ العَفْوُ
على (الافتحام) ^(١) الجرائمِ والآثامِ

قال بعضُ البلغاءِ: لا يَكُنْ عَفْوُكَ وإِغْضَاؤُكَ سَبَباً لِلْجَرَاءَةِ عَلَيْكَ، وَعِلَّةً
لِلْإِسَاءَةِ إِلَيْكَ، فَإِنَّ النَّاسَ رَجُلَانِ، عَاقِلٌ يَكْتَفِي بِالْعَذْلِ ^(٢) وَالتَّائِبِ، وَجَاهِلٌ
يُحَوِّجُ إِلَى الضَّرْبِ وَالتَّأْدِيبِ ^(٣). وَقَالَ: الْعَفْوُ احْتِمَالُ الذَّنْبِ الَّذِي لَا يَكُونُ
عَنْ عَمْدٍ، وَلَا يَقْضِي بِوُجُوبِ حَدٍّ، فَأَمَّا الذَّنْبُ الَّذِي يُرْكَبُ عَمْداً وَيُوجِبُ
حَدّاً فَذَلِكَ مَا (لا) ^(٤) تَحْمِلُهُ السِّيَاسَةُ وَلَا تَطَابِقُهُ الشَّرِيعَةُ ^(٥). قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْثَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا فِي الْحُدُودِ» ^(٦). قَالَ

(*) لما تكلم عن الغضب وأضراره الدنيوية والدنيوية، أراد أن ينبه إلى حقيقة هامة وهي أنه
يجب أن لا يؤدي الإفراط في العفو، إلى تهاون الناس بالملك والسلطان وعيبتهم
بالمحارم. ومن هنا نجد الغزالي يقسم الناس في الغضب ثلاث درجات: إفراط،
وتفريط، واعتدال. فلا يحمّد الإفراط كما أن التفريط مذموم، وخير الأمور الوسط
ولذلك قال: من مال غضبه إلى الفتور وأحس بنفسه ضعف الغيرة، فينبغي أن يعالج
نفسه. الاحياء، م ٣ ص ١٦٩.

(١) في (ب): اقتحام.

(٢) عذلته عذلاً: لمته فاعتدل، أي لام نفسه ورجع. المصباح المنير.

(٣) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٤؛ لباب الآداب، ص ٦٣.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) لباب الآداب، ص ٦٣؛ كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٤ مع اختلاف في بعض
الألفاظ.

(٦) سنن أبي داود، ج ٤ ص ١٣٣؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ٣٣٤؛ كشف الخفاء،
ج ١ ص ١٨٣. وقال الشافعي: ذوو الهيئات الذين يقولون عثراتهم الذين لا يعرفون
بالشر يزل أحدهم زلة.

المنصور: إِذَا كَانَ الْحِلْمُ مَفْسَدَةً، كَانَ الْحُكْمُ مَعْجَزَةً^(١). وَقِيلَ: مَنْ عَفَى عَمَّنْ يَسْتَوْجِبُ الْعُقُوبَةَ، كَانَ كَمَنْ عَاقَبَ مَنْ يَسْتَوْجِبُ الْمَثُوبَةَ^(٢)، وَقِيلَ: الْعَفْوُ يُفْسِدُ مِنَ اللَّئِيمِ، بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُ مِنَ الْكَرِيمِ^(٣).

قال أبو الطيب المتنبي^(٤):

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ
وَوَضَعَ النَّدَى مَوْضِعَ السَّيْفِ بِالْعُلَى
وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا
مُضِرُّ كَوْضَعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَا^(٥)

وَقَالَ (أَيْضاً)^(٦):

إِذَا قِيلَ رِفْقاً كَانَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ
وَعِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلٌ^(٧)

(١) خاص الخاص، ص ٨٧؛ زهر الأداب، ج ١ ص ٢١٢؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٤٩، وتطبق هذه المصادر على نسبة هذا للسفاح وتذكره بلفظ: إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٨.

(٢) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٤ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٣) نهاية العرب، ج ٦ ص ٦٧؛ غرر الخصاص، ص ٢٤٧؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٧٣٣.

(٤) تقدمت ترجمته ص ١٥٤.

(٥) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي، ج ٢ ص ١١، ومعنى البيتين: أن الكريم يقدر الإكرام، فإذا أنت أكرمته صار كأنه مملوكاً لك. أما اللئيم فإنك إذا أكرمته زاد عتواً وجراءة عليك. ويبين في البيت الثاني ما يجب أن يعامل به الناس فمن استحق العطاء لم يستعمل معه السيف ومن استحق القتل لم يكرم بالعطاء، ومن فعل هذا أضر بعلاه، وهدم أركان دولته.

(٦) زيادة من (ج).

(٧) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي، ج ٣ ص ٣٠٥. ومعنى البيت: أنه إذا طلب إليه الرفق في ساحات الوغى والحرب قال، قال: موضع الحلم والرفق في السلم أما الحرب فلا رفق فيها والمتحلم فيها جاهل أحمق يضع الشيء في غير موضعه. والشطر الأول من البيت في الديوان:

إذا قيل رفقاً قال للحلم موضع

وهذا مِنْ قولٍ للأحنفِ بنِ قيسٍ^(١)، قيلَ لَهُ: أينَ الجِلْمُ، فقالَ: عِنْدَ الحيي^(٢). وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي^(٣) طالبٍ عليه السَّلامُ: السَّيْفُ أنمى عدداً وأكثرَ ولداً^(٤).

(وقوله)^(٥): القتلُ أنفَى لِلقتلِ^(٦). وَهُوَ معنى قولِهِ تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٧).

-
- (١) تقدمت ترجمته، ص ١٦٦.
- (٢) عيون الأخبار، م ١ ج ٣ ص ٢٨٥.
- (٣) تقدمت ترجمته ص ١٨٠.
- (٤) نهاية العرب، ج ٣ ص ٢٢٦؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٤٣؛ البيان والتبيين، ج ٢ ص ٣٧٠. وقال الجاحظ بعد نقله لهذا القول: «ووجد الناس ذلك بالبيان الذي صار إليه ولده، من نهك السيف، وكثرة الدرع، وكرم النجل».
- (٥) في (ب): قولهم.
- (٦) خاص الخاص، ص ٣٧؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ١٠٣٥، ونسبه إلى علي رضي الله تعالى عنه؛ ثمار القلوب في المضاف المنسوب، ص ١٧٨ ونسبه إلى أردشير؛ الإعجاز والإيجاز، ص ١٢.
- (٧) آية ١٧٩ من سورة البقرة. ومعنى الآية الكريمة: أن القصاص إذا أقيم وتحقق الحكم فيه، ازدجر من يريد قتل آخر، مخافة أن يقتص منه فيحيي بذلك معاً. وكانت العرب إذا قتل الرجل الآخر حمى قبيلهما، وتقاتلوا وكان ذلك داعياً إلى القتل الكثير، فلما شرع الله القصاص قنع الكل به، فلهم في ذلك حياة. وقال أبو: «بالة: جعل الله القصاص حياة فكم من رجل يريد أن يقتل فتمنعه مخافة أن يقتل. وقد روي عن مجاهد وسعيد بن جبير والحسن وغيرهم. ولا شك أن هذه الآية أبلغ قولاً وأحسن بياناً وتفصيلاً وأوجز لفظاً مما كانت العرب تعتبره قمة البيان، نحو قولهم السابق: القتل أنفَى للقتل، فهذا هو صاحب كتاب العقد الفريد للملك السعيد يعقد مقابلة بين قول العرب وبين ما صرحت به الآية. فيقول:
- أجمع أرباب علم المعاني والبيان، على أن قولهم: القتل أنفَى للقتل أوجز كلمة كانت العرب تستعملها ويعدونها واسطة عقد الإيجاز ويحمدونها بلسان التفضيل والامتياز، فلما نزل القرآن الكريم وفيه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ وقرعت آياته أسماعهم وقطعت فصاحته عن معارضته أطماعهم، أذعنوا له واعترفوا=

وَلَمَّا أُنشِدَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ^(١) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
قَوْلُهُ:

= برجحان قول الله لما فيه من الكشف والبيان، والتكملة والإيضاح وأوجه التفضيل هي
خمسة أمور:

الأول: أن قوله في القصاص حياة، عري عن تكرار اللفظ، خلى عن إعادته،
وقولهم القتل أنفى للقتل، مشتمل على تكرار لفظ القتل، وذكرها مرتين والتكرار يسقط
فصاحة الكلام وجزالته.

الثاني: أن الآية أوجز وأخصر في العبارة وأقل تطويلاً فإن حروفها أقل عدداً من
حروف قولهم.

الثالث: أن قول الله أحسن تأليفاً للحروف المباشرة، فإن الخروج عند النطق من
الفاء إلى اللام، في قوله تعالى في القصاص أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة، في
قولهم القتل أنفى، وهي آخر القتل وأول أنفى، لبعد خرج ما بين الهمزة واللام،
وكذلك أيضاً الخروج من الصاد إلى الحاء آخر القصاص وأول حياة، أعدل من الخروج
من الألف إلى اللام، وهي آخر أنفى ولام تعريف القتل، إذ الهمزة تسقط وحسن
تأليف الحروف أدخل في الفصاحة.

الرابع: اشتماله على إقامة العدل والإنصاف بذكر القصاص الدال على المساواة،
فإن القصاص مأخوذ من التساوي، ومنه سمي المقص مقصاً لاستواء جانبيه واعتدال
طرفيه، ولا كذلك لفظة القتل، وما كان مشتملاً على إقامة العدل والإنصاف كان
أرجح.

الخامس: تصريحه بالفرض المطلوب المرغوب فيه، وهو الحياة ولا كذلك قولهم
فظهر بهذه الوجوه تفضيل أدلة الرجحان وتفضيل الجزالة والإيجاز. العقد الفريد للملك
السعيد، ص ١٤٩ - ١٥٠؛ تفسير القرطبي، م ١ ج ٢ ص ٢٥٦؛ تفسير ابن كثير،
ج ١ ص ٢١١.

(١) هو قيس بن عبد الله بن عدس، يكنى أبا ليلى أحد القدماء المشهورين والشعراء
المخضرمين، أقام ثلاثين سنة منقطعاً عن الشعر، ثم نبغ فيه ومن هنا سمي بالنابغة،
وكان ممن أنكر الخمر والأوثان في الجاهلية. ورد على النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه
بقصيدته التي مطلعها:

بلغنا الساء مجدنا وجدودنا وإنا لنجوا فوق ذلك مظهرا

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: فأين المظهر يا أبا ليلى، فقال إلى الجنة.
فلما أتم القصيدة دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: «أجدت سلم فالك» وشهد =

ولا خَيْرَ في حلمٍ إذا لم تَكُنْ لَهُ بوادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أن يُكَدِّرَا
ولا خَيْرَ في جهلٍ إذا لم يَكُنْ لَهُ حلِيمٌ إذا ما أورد الأمرُ أَصدرا^(١)

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَفُضُّ فَاكٌ»^(٢).

وَلِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ^(٣):

تَعَفَّرَ الْمَلُوكُ عَنِ الْكَبِيرِ مِنْ الذُّنُوبِ لِفَضْلِهَا
وَلَقَدْ تُعَاقَبُ فِي الْقَلِيلِ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِجَهْلِهَا^(٤)
(إِلَّا لِيُعَرَفَ فَضْلُهَا وَخَافَ شِدَّةَ نَكْلِهَا)^(٥)

وَقَالَ آخَرُ:

فَلَا يَغْرُزُكَ طَوْلُ الْحَلَمِ مِنِّي فَمَا أَبْدَأُ تَصَادِفُنِي حَلِيمًا^(٦)

= مع الإمام علي كرم الله وجهه صفيين وظاهره بيده ولسانه، توفي سنة ٥٨هـ بعد أن عمر ١٨٠ سنة. الإصابة، ج ٣ ص ٥٣٧؛ تاريخ الطبري، ج ١٣ ص ٢٣٩٧؛ الشعر والشعراء، ج ١ ص ٢٨٩.

(١) نهاية العرب، ج ٦ ص ٥٦؛ إنسان العيون (السيرة الحلبية)، ج ٣ ص ٣٧١؛ معجم الشعراء، ص ١٩٥؛ الشعر والشعراء، ج ١ ص ٢٨٩.

(٢) في (ب - ج): لا يفضض الله فاك.

(٣) هو أبو قابوس النعمان بن المنذر بن امرئ القيس أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية وهو ممدوح النابغة الذبياني، كان له يومان: يوم بؤس ويوم نعيم. وقتل عبيد بن الأبرص الشاعر يوم بؤسه وكان أتاها يمدحه ولم يعلم أنه يوم بؤسه. المعارف، لابن قتيبة، ص ٢٨٣؛ تاريخ اليعقوبي، م ١ ص ٢١٢ - ٢١٤؛ الكامل في التاريخ، م ١ ص ٢٨٦.

(٤) عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ١٠٠؛ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج ١ ص ٧٣٣ مع اختلاف في البيت الأول إذ ورد فيه: تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها.

(٥) ساقطة من (ب - ج).

(٦) التمثيل والمحاضرة، ص ٤١٣؛ المخلاة، ص ١٣٣.

وقال آخر:

بَطِرْتُمْ فِطْرَتِمْ وَالْعَصَا زَجَرُ مَنْ عَصَا وتقويمُ عبدِ الهونِ بالهونِ رادِعُ^(١)

وقال بشار^(٢):

الْحُرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ^(٣)
 وقال ابنُ دريد^(٤):

وَاللُّومُ لِلْحُرِّ مُقِيمٌ رَادِعٌ والعَبْدُ (لا يردُّعُه)^(٥) إِلَّا الْعَصَا

(١) خاص الخاص، ص ١٥٩؛ زهر الأداب، ج ١ ص ٢٦٩؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٢٢ منسوب إلى أبي الفتح علي بن محمد الحسين بن العميد.

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٨٦.

(٣) ديوان بشار، ج ٢ ص ٢٢٤؛ الشعر والشعراء، ج ١ ص ٣٥٥.

(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي. ولد بالبصرة سنة ٢٢٣هـ ونشأ بها، وسكن عُمان ثم عاد إلى البصرة ورحل في نواحي فارس وصحب ابن مكيال فقلده ديوان فارس فأفاد مالا عظيما إلا أنه لسخائه لم يكن يمسك درهما، ثم انتقل إلى بغداد سنة ٣٠٨هـ واتصل بالخليفة المقتدر بالله، فأجرى عليه خمسين ديناراً في كل شهر، توفي ببغداد سنة ٣٢١هـ. وفيات الأعيان، م ٤ ص ٣٢٣؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٢٨٩؛ النجوم الزاهرة، ج ٣ ص ٢٤٠؛ تاريخ بغداد، ج ٢ ص ١٩٥.

(٥) في (ب، ج): يزره.

(٦) مقصورة ابن دريد بشرح الخطيب التبريزي، ص ٨٦.

باب في (ذكر) (١) الأناة
وذم العجلة في الأمور التي لا يستعقب ق/ ٢٥
فوتها ضرر ولا يخشى من تأخيرها غرر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس (٢) إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة (٣). وقال عليه الصلاة والسلام «التؤدة والاقتصاد والتثبت جزء من ستة وعشرين جزءاً من النبوة» (٤).

وقال عليه الصلاة والسلام «من تأنى أصاب أو كاد، ومن عجل أخطأ

(١) في (ب): مدح.

(٢) اختلف في اسمه فقيل هو عبد الله بن عوف الأشج، وفي الاستيعاب هو المنذر بن عائذ بن المنذر بن النعمان من عبد القيس يعرف بالأشج سيد قومه وقائدهم إلى الإسلام وفد على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال له: «إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة» المعارف، ص ١٤٧؛ الاستيعاب ق/ ٤ ص ١٤٤٨.

(٣) السنن الكبرى، م ١٠ ص ١٠٤؛ سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ١٤٠١؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ٢٤٧؛ مسند أحمد، م ٤ ص ٢٠٦، وفيه الحلم والحياء.

(٤) سنن الترمذي، ج ٣ ص ٢٤٧، ونص الحديث (السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة) وقال حسن غريب ومعنى هذا الحديث أن هذه الخلال من شمائل الأنبياء وخصالهم، وليس معنى ذلك أن النبوة تتجزؤ ولا أن من جمع هذه الأجزاء كان فيه جزء من النبوة فإن النبوة غير مكتسبة ولا يجتلبه بالأسباب إنما هي كرامة من الله تعالى. والحديث ذكره البخاري في الأدب المفرد بلفظ (الهدى الصالح والسمت والاقتصاد جزء من سبعين جزءاً من النبوة) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، ج ١ ص ٥٥٥.

أو كاد^(١). (وَقَالَ)^(٢) الْأُنَاةُ حِصْنُ السَّلَامَةِ وَالْعَجَلَةُ مِفْتَاحُ النَّدَامَةِ^(٣).
(وَقَالَ)^(٤): مَنْ رَكِبَ الْعَجَلَ أَذْرَكَ الرُّكْلَ^(٥).

قال القِطامي^(٦):

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَأَنَّى بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعِجِلِ الرُّكْلُ^(٧)
وقيل: التَّائِي فِي الْأُمُورِ أَوَّلُ الْحَزْمِ وَالتَّسْرُعُ فِي الْأُمُورِ عَيْنُ
الْجَهْلِ^(٨).

وقيل: إِذَا لَمْ تُدْرِكْ الْحَاجَةَ بِالرَّفْقِ وَالِدَّوَامِ فَبَآئِي شَيْءٍ تَذْرُكُ^(٩).

وقيل: مَنْ اسْتَعْمَلَ الرَّفْقَ غَنِمَ، وَمَنْ اسْتَعْمَلَ الْخَرْقَ نَدِمَ، وَمَنْ اقْتَحَمَ
الْأُمُورَ لَقِيَ الْمَحْذُورَ، الْعَجُولُ مُخْطِئٌ وَإِنْ مَلَكَ، وَالْمُتَأَنِّي مُصِيبٌ وَإِنْ
هَلَكَ^(١٠).

(١) مجمع الزوائد، ج ٨ ص ١٩؛ الجامع الصغير، ج ٢ ص ١٦٨. وذكره عن الطبراني في الكبير، وفي كشف الخفاء، ج ١ ص ٣٥٠، قال: روي بهذا اللفظ عن الطبراني والعسكري والقضاعي من حديث ابن لهيعة عن عقبة بن عامر.

(٢) في (ب - ج): وقيل.

(٣) زهر الآداب، ج ٢ ص ٩٨٤، ونسبه إلى يحيى بن معاذ؛ بدائع السلك، ج ١ ص ٤٧٩.

(٤) في (ب - ج): وقيل.

(٥) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٥١.

(٦) القِطامي: هو عمير بن شبيب، من بني جشعم شاعر غزل، عده ابن سلام من الطبقة الثانية من شعراء الإسلام / طبقات فحول الشعراء، ص ٤٥٢.

(٧) زهر الآداب، ج ٢ ص ٥٩٢؛ بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٢٦؛ عيون الأخبار، ج ٨ ص ١٢١؛ آمالي المرتضى، ج ٢ ص ١٨؛ نهاية الأرب، ج ٣ ص ٧٤.

(٨) بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١ ص ٤٧٩.

(٩) آداب ابن المعتز، ص ١٢١؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤٢٠؛ غرر الخصائص، ص ٢١٩.

(١٠) الأمثال، للثعالبي، ص ٥٠، وقد ورد بعض هذه الجملة في ص ٥٣ - ٥٤.

وقال ابن المعتز: العجلة تضمن العثرة بكل مكروه^(١). وقال: الخرق بالرفق يلحم^(٢). وقال غيره: (بالتأني)^(٣) تدرك الغرض^(٤).

(١) آداب المعتز، ص ١٧١.

(٢) آداب ابن المعتز، ص ١٥٢؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤٢١؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٧٧١.

(٣) زيادة من (ب - ج).

(٤) التمثيل والمحاضرة، ص ٤٢٠، ويلاحظ من كل هذه الأقوال حاجة الناس إلى التثبت في الأمور والتأني مخافة الندم من التعجيل، كما يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾... (آية ٦ من سورة الحجرات).

فصل: اعلم أن الأناة إنما قُصِدَت للاستظهار والاستبصار

والنَّظَرُ في العواقِبِ، وانفساحُ مذهبِ الرَّأيِ في المطالبِ، وبَصْرُ أَحْسَنِ الأَمْرَيْنِ، وأنهجِ المسلِّكينِ، وعند العجلة والمغافضة يُفَوَّتُ ذَلِكَ (فَالْخَوَاطِرُ)^(١) كالبروقِ الخواطِفِ لیسَ لها ثباتٌ، فربَّما لَاحَ لَهُ رَأْيٌ وَخَطَرَ لَهُ فِكْرٌ فَعَمِلَ بِهِ قَبْلَ الثَّبَتِ والتَّأَمُّلِ، ثُمَّ يَتَبَيَّنُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ الصَّوَابَ كَانَ فِي غَيْرِهِ، فَيَنْدُمُ حِينَ لَا يُغْنِي النَّدَمُ وَلَا يَنْفَعُ السَّدْمُ^(٢)، فَأَمَّا مَا وَضَحَ فِيهِ وَجْهُ الصَّوَابِ السَّدَادِ وَأَمَّنَ فِي عَوَاقِبِهِ دَوَاعِي الفسادِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْتَهَزَ فِيهِ الْفُرْصَةَ عِنْدَ (امْكَانِهَا)^(٣) وَيَبَادِرَهَا قَبْلَ تَعَدُّرِهَا وَفَوَاتِهَا.

قَالَ السَّفَاحُ^(٤): الْأَنَاءَةُ مَحْمُودَةٌ إِلَّا عِنْدَ إِمْكَانِ الْفُرْصَةِ^(٥). وَقَالَ غَيْرُهُ الْفُرْصُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ^(٦). وَقَالَ آخَرُ: تَجَرَّعُ مِنْ عَدُوِّكَ الْغُصَّةَ، إِلَى أَنْ تَجِدَ الْفُرْصَةَ فَإِذَا وَجَدْتَهَا فَانْتَهِزْهَا قَبْلَ أَنْ يَفُوتَكَ الدَّرْكُ أَوْ يَعِينَهُ الْفُلُكُ^(٧).

قال الشاعرُ:

-
- (١) في (ب): والخواطر.
(٢) السدم بفتح الحاء النون والهمزة، ورجل سادم نادم، وسدمان ندمان / مختار الصحاح.
(٣) في (ج): أمكانه.
(٤) ترد ترجمته في القسم الثاني.
(٥) زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٣. تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٨.
(٦) شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٢٥٢. وهذا القول، منسوب لأمير المؤمنين علي، كرم الله وجهه، بلفظ انتهزوا الفرص فلما تمر مر السحاب. قوانين الوزارة، ص ١٥٣.
(٧) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٥. غرر الخصاص، ص ٢٠٣.

وإن فرصةً أمكنت مرةً فلا تَبْدَ فعلك إلا بها
فلن لم تلج بابها مُسرِعاً أتاك عدوك من بابها^(١)
ولاخر:

إذا هبَّت رياحك فاغتنمها فعقبى كُلِّ عاصِفَةٍ سكونُ
ولا تَغْفُلْ تداركها سريعاً فما تدري السكونُ متى يكون^(٢)
ولا بن الرومي^(٣):

عيبُ الأناءِ وإن كانت مباركةً أن لا خلودَ وأن ليسَ الفتى حَجَراً^(٤)
قيل: مَنْ غافَصَ الفرصَ أَمِنَ الغصَصَ^(٥). «وقيل إذا كان الموتُ غيرَ مأمونٍ
طرفَةً عينٍ فَمَنْ الخَرَقِ تأخيرُ ما أمكن»^(٦). «قالَ بعضُ الحكماءِ: مَنْ انتظرَ
الفرصةَ، مؤاجلةً الاستقصاءِ سلبتهُ الأيامُ فرصتهُ لأنَّ صِناعَةَ الأيامِ السلبُ
وشرطُ الزمانِ الافاتة»^(٧).

(١) ديوان ابن المعتز، ص ٣١. غرر الخصائص، ص ٢٠٤. الحلة السيرة، ج ١ ص ٣٤.
(٢) ديوان الإمام علي بن أبي طالب، ص ١٢٦. نهاية الأرب، ج ٦ ص ١٣٨. قوانين
الوزارة، ص ١٥٦.

(٣) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، المعروف بابن الرومي، الشاعر المشهور،
صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب، ولد سنة ٢٢١هـ ببغداد، وتوفي سنة ٢٨٣هـ
مسموماً. وفيات الأعيان، م ٣ ص ٣٥٨. شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٨٨. البداية
والنهاية، ج ١١ ص ١٧٤.

(٤) ديوان ابن الرومي، ج ٣ ص ١١٤٧.

(٥) الأمثال، للشعالبي، ص ٥٣، وفيه من قانص الفرص أم الغصص.

(٦) ساقطة (ب - ج).

(٧) ساقطة من (ب - ج).

بابُ في إِيثارِ السَّلمِ والمِوادعةِ على الحربِ والمنازعةِ وكيفيةِ الدُّخولِ (على)^(١) الحربِ عِنْدَ الحملِ عَلَيْهَا والاضطرارِ إِلَيْهَا

إِعلمُ أنَّ السَّلمَ بابُ السَّلامةِ (وسببُ الاستقامة)^(٢).

قالَ الثَّعالبيُّ: السَّلمُ سُلمُ السَّلامةِ^(٣). قالَ غيرُهُ: اغْمِذْ سَيْفَكَ ما نَابَ
عنه لِسائِكَ واسْتَمِلْ عَدُوَّكَ ما مالَ به إِحسانُكَ^(٤). وقيلَ: مِنْ أَتَمَّ النُّصْحِ
الإِشارةُ بالصُّلحِ^(٥). وقالَ بَعْضُهُمْ مَنْ اسْتَصْلَحَ عَدُوَّهُ زادَ في عَدَدِهِ ومن
اسْتَفْسَدَ صَدِيقَهُ نَقَصَ مِنْ عَدَدِهِ^(٦). وفي الزُّبورِ: مَنْ كَثُرَ عَدُوُّهُ فليَتَوَقَّعْ
الصُّرْعَةَ^(٧). وقالَ داودُ^(٨)، عليه السَّلامُ:

(١) في (ب): وكيفية الدخول في الحرب.

(٢) ساقطة من (ب - ج).

(٣) الأمثال، للثعالبي، ص ٥٦، وفيه السلم علة السلامة وسبب الاستقامة.

(٤) الأمثال، للثعالبي، ص ٥٩.

(٥) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٥٥. لباب الآداب، ص ٦٠.

(٦) آدب الدنيا والدين، ص ١٨٢. لباب الآداب، ص ٦٠.

(٧) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤. الآداب الشرعية والمنح المرعية، ج ١ ص ٦٣.

(٨) هو داود بن إيشا بن عويد بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، آتاه الله الملك والنبوّة، بعد طالوت، فلما اجتمعت بنو إسرائيل على داود، بعد أن كان ملكاً على بني ياهوذا خاصة أنزل الله عليه الزبور، وعلمه صنعة الحديد، وآلانه له ولم يعط الله فيها يذكرون أحداً من خلقه مثل صوته، كان إذا قرأ الزبور فيها يذكرون ترنوه له الوحش حتى يأخذ بأعناقها، وكان شديد الاجتهاد دائب العبادة كثير البكاء كما وصفه الله عز =

لا تشتري عداوةً واحدٍ بصدقةِ ألفٍ^(١).

قال الشاعرُ:

وليسَ كثيراً ألفُ خِلٍ وصاحبٍ وإنَّ عَدُوًّا واحدًا لكثيرُ^(٢)
وقال بعضهم: لا تفتح باباً يعيبك سُدُّه، ولا تُرسلَ سهمًا يُعجزُكَ رَدُّه،
ولا تُفسدَ أمراً يعيبك إصلاحُه، ولا تُغلِقَ باباً يُعجزُكَ افتتاحُه^(٣).

وقيلَ: لا لا يغرُنكَ المُرْتقى السَّهلُ إذا كانَ المنحدرُ وعراً^(٤). وقيلَ:
تَبَقُّ كُلُّ التُّوقِي وَلَا حَارِسَ مِنَ الْأَجَلِ، وَتَوَكَّلْ ق/ ٢٦ كُلُّ التَّوَكُّلِ وَلَا عُدَرَ
في التَّغْيِيرِ^(٥). وَمِنْ كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدَمَنَةِ أَرْبَعَةٍ لَا يَرْكُبُهَا إِلَّا أَهْوَجُ وَلَا يَسْلُمُ مِنْهَا
إِلَّا الْقَلِيلُ، مَنَاجِزَةُ الْعَدُوِّ، وَرَكُوبُ الْبَحْرِ، وَشَرْبُ السَّمِّ لِلتَّجَرِبَةِ وَأَتَمَانُ
النِّسَاءِ عَلَى الْأَسْرَارِ^(٦). وفيه أيضاً القليلُ مِنْهَا كبيرُ النارِ والعداوةِ

= وجل في القرآن: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، سورة ص: آية ١٧.

^١ الطبري، ج ١ ص ٥٥٩ - ٥٦٦. اليعقوبي، م ١ ص ٥١. المعارف، ص ٢١.

(١) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥. الآداب الشرعية والمنح المرعية، ج ١ ص ٦٣.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ص ٤٢٨. الصداقة والصدق، ص ١٣٣. أدب الدنيا والدين، ص ١٨٢، ونسبه لابن الرومي. الموشى أو الظرف والظرفاء، ونسبه إلى علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، ديوان الإمام علي بن أبي طالب، ص ٦٧.

(٣) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٥٦. لباب الآداب، ص ٦٠.

(٤) زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٥٧. نهاية الأرب، ج ٦ ص ١١. من كلمات تكلم بهن رجل عند هشام بن عبد الملك.

(٥) قوانين الوزارة، ص ٤٥. وهذا القول معنى حديث (لا يغني حذر من قدر). رواه السيوطي، في الجامع الصغير، ج ٢ ص ٢٠٥.

(٦) كتاب كليله ودمنة، ص ١٣٧. وفيه وقد قالت العلماء إن ثلاثة لا يجترى عليهن إلا أهوج، ولا يسلم منهن إلا قليل وهي صحبة السلطان، وأتتمان النساء على الأسرار وشرب السم للتجربة. التمثيل والمحاضرة، ص ٤٧١. بهجة المجالس، ق/ ٢ ص ١٢٩.

والمرضى^(١). وَقِيلَ: كُلُّ شَيْءٍ يُنْفَقُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ، إِلَّا الْحَرْبُ فَإِنَّ النِّفْقَةَ (عليها)^(٢) مِنَ النَّفُوسِ^(٣).

قال الشاعر:

كم بين قوم انما نفقاتهم مال وقوم ينفقون نفوسا^(٤)
وكان السلف، رضي الله عنهم يستحسنون قول (عمرو بن معدى)^(٥).

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فِتْنَةً تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهْلٍ
حَتَّى إِذَا اشْتَدَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا وَلَّتْ عَجُوزاً غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلٍ
شَمَطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَهَا وَتَنَكَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ^(٦)

(١) كليلة ودمنة، ص ٢٨٧. وفيه ويقال أربعة أشياء لا يستقل قليلها النار والمرضى والعدو والدين. الأدب الصغير، ص ١٥١. بهجة المجالس، ق/٢ ص ١٣٤.

(٢) في (ج): عليه.

(٣) نهاية الأرب، ص ٣٥٠. الأعجاز والإيجاز، ص ٤٠. عيون الأخبار، م ١ ج ٢
ص ١١٢. وقد وردت فيه منسوبة إلى كتب الهند، الحازم يحذر عدوه على كل حال،
ويكره القتال ما وجد بدا، لأن النفقة فيه من الأنفس، والنفقة في غيره من المال.

(٤) ديوان أبي تمام، ص ١٥٥.

(٥) ساقطة من (ج). وهو عمرو بن معد كرب بن عبد الله الزبيدي، وكنيته أبو ثور، وفد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة، فأسلم ثم ارتد مع الأسود
العنسي، فسار إليه خالد بن سعيد بن العاصي وأسرته دفعه إلى أبي بكر، فأنبه
واستتابه، وعاش إلى أيام عثمان وأبلى في وقائع الإسلام بلاء حسناً مثل يوم القادسية
واليرموك، توفي سنة ٢٨هـ، وهو من شعراء العرب وفرسانها المعدودين. طبقات ابن
سعد، ج ٥ ص ٣٨٣ - ٣٨٤. البداية والنهاية، ج ٧ ص ١١٩. الشعر والشعراء،
ص ١٤٣. سراج العيون، ص ٤٣٦.

(٦) الشعر والشعراء، ج ١ ص ٣٧٣. مروج الذهب، ج ١ ص ٥٣٧. عيون الأخبار،
م ١ ج ٢ ص ١٢٧ - ١٢٨. صحيح البخاري، ج ٩ ص ٦٨، ونسبها إلى امرئ
القيس، ديوان امرئ القيس، ص ٣٥٣. من زيادات نسخة ابن النحاس. غرر
الخصائص، ص ٢٠٥. سراج الملوك، ص ١٥٣.

وقال زهير^(١):

وَمَنْ يَعْصِرُ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكْبَتٌ لِكُلِّ لَهْذَمٍ^(٢)
يقول: مَنْ عَصَى الصُّلْحَ وَالْمَوَادَّعَةَ، قَبْلَ الْقِتَالِ، طَلَبَ ذَلِكَ وَرَضِيَ
بِهِ وَأَطَاعَهُ، بَعْدَ أَنْ ضَرَّسَتْهُ الْحَرْبُ وَنَالَتْ مِنْهُ الْفِتْنَةُ.

قال الشاعر:

وَسَالَمْتُ لَمَّا طَالَتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا إِذَا لَمْ تُظْفَرْكَ الْحُرُوبُ فَسَالِمٍ^(٣)
قال زهيرُ يَصِفُ الْحَرْبَ:

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمْ مَتَى تَبْعُثُوهَا تَبْعُثُوهَا ذَمِيمَةً
وَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرُّحَى بِثَفَالِهَا وَتَنْتَجِ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشْأَمَ كُلِّهِمْ
فَتُغْلِلُ لَكُمْ مَا لَا تَغْلُ لِأَهْلِهَا قَرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهِمٍ^(٤)
وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ وَتَضْرِي إِذَا ضَرِيْتُمُوهَا فَتَضْرِمُ
وَتَلْقَحُ كِشَافاً ثُمَّ تَحْمِلُ فَتَنْتِمِ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَفْطِمُ
قَرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهِمٍ^(٤)

(١) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح بن قرة من مزيه من مضر، أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، وهم امرئ القيس، وزهير، والنابعة الذبياني، وكان عمر بن الخطاب يسميه شاعر الشعراء. الأغاني، ج ٩ ص ١٤٦ - ١٥٨. الشعر والشعراء، ج ١ ص ١٣٧.

(٢) ديوان زهير، ص ٣٢، وفيه ومن يعصر أطراف الزجاج، فإنه يطيع العوالي ركبت لكل لهزم. والعوالي جمع عالية، وهي التي يكون فيها السنان. واللهزم الحاد القاطع. ديوان الحماسة، للبحري، ص ١٦٩.

(٣) يتيمة الدهر، ج ٣ ص ١٥٠، ونسبه إلى الشريف الرضي. التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٤.

(٤) ديوان زهير، ص ٢٥ - ٢٦. ومعنى الأبيات، أن زهيراً يقصد تنفير قومه من الحرب وولاياتها، فمعنى البيت الأول: وما حديثي عن الحرب وتخويفكم وولاياتها بالحديث المفتري، بل أنتم قد علمتم شر الحروب وولاياتها فلا تقربوها.

ومعنى البيت الثاني: أن الحرب إذا أنبت وشب أوارها انبعثت ذميمة مكروهة من كل عاقل.

فصل:

وينبغي لمن ابتلي بعدو أن يكون معه
كما قال بعض وزراء العجم

قال: ينبغي للملِك أن يني أمره مع عدوه، على أربعة أوجه على اللين والبذل، والكيد، والمكاشفة، ومثل ذلك (مثل) ^(١) الخراج أول علاجه التمكين، فإن لم ينفع فالانضاج والتحليل وإن لم ينفع (فالمضامد) ^(٢)، فإن لم ينفع فالكِي، وهو آخر العلاج ^(٣). ومن الدليل على (التدابير) ^(٤) في أمر العدو باللين، حيث يتوقع نُجْعُهُ، ويُرْتَجَى نفعُهُ، أوصوبُ وإلى استبدال المودة عن العداوة أقرب (قال الله) ^(٥) جل ذكره: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ^(٦).

= ومعنى البيت الثالث: أنكم إن هيجتم الحرب وأشعلتم نارها، كنتم وقودها فتطحنكم كالرحى وتدوم عندها زمناً طويلاً، فتكون كالناقة التي تحمل حملتين في عامين متتالين، ثم هي لا تلد إلا توأمين.

ومعنى البيت الرابع: أن هذه الحرب قد يطول أمرها فتنتج لكم غلمان شوم كأحر عاد وهو خطأ من زهير، فإن الأحمر من ثمود واسمه قدار بن سالف عاقر الناقة، فكان زهيراً سمع بعاد وثمود، فنسب الأحمر إلى عاد على ما توهم وهو من ثمود، وهو الذي ذكره الله في القرآن في سورة الشمس آية ١٢، بقوله ﴿إِذَا انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾. قال ابن كثير أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف. تفسير ابن كثير، ج ٤ ص ٥١٧. ثمار القلوب، ص ٨٠. ومعنى البيت الخامس: أن الحرب إن طال غلت لكم غلة من نوع آخر لا كغلات قرى العراق وإنما تغل لكم غلة هي الموت والهلاك.

(١) ساقطة من (ب).

(٢) في (ب) فالشطى.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٥؛ سكران السلطان، ص ٣٧٣؛ آداب السياسة بالعدل، مخطوط رقم ٤٣٠٠؛ أدب، ص ١٩٧.

(٤) في (ب) البداية.

(٥) في (ب) قول الله.

(٦) آية ٣٤، من سورة فصلت وقد قيل أن هذه الآية نسخت بآية السيف وبقي المستحب =

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ (يَنْدَارٍ) ^(١) إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَقْطَعَ يَدَ عَدُوِّكَ فَقَبْلِهَا ^(٢).
ومما يدلُّ على أَنَّ الْبَذْلَ يُكْسِبُ الْمَحَبَّةَ وَيَنْفِي الْعَدَاوَةَ مَا رَوَى عَنْ صَفْوَانَ بْنِ
أُمَيَّةَ ^(٣) أَنَّهُ قَالَ: مَا كَانَ أَحَدٌ أَكْرَهَ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

= من ذلك، حسن العشرة والاحتمال والاعضاء فقد روي عن ابن عباس أنه قال في
تفسير هذه الآية أي ادفع بحلمك، جهل من يجهل عليك وعنه أيضاً هو الرجل يسب
الرجل فيقول الآخر إن كنت صادقاً غفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك وقوله
تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ قال مقاتل نزلت في أبي سفيان
ابن حرب كان مؤذياً للنبي صلى الله عليه وسلم فصار ولياً في الإسلام حميماً بالقرابة،
وقيل كان هذا الأمر قبل الأمر بالقتال. وقد ذكر الأستاذ سيد قطب في تفسيره ظلال
القرآن: (إن النهوض بواجب الدعوة أمر شاق ولكنه عظيم الشأن. . ولا على الداعية بعد
ذلك أن تتلقى كلمته بالإعراض، أو بسوء الأدب أو بالتبجح والإنكار، فهو إنما يتقدم
بالحسنة فهو في المقام الرفيع وغيره يتقدم بالسيئة فهو في المكان الدون (ولا تستوي
الحسنة ولا السيئة). . وليس له أن يرد بالسيئة، فإن الحسنة لا يستوي أثرها،
كما لا تستوي قيمتها مع السيئة، والصبر والتسامح والاستعلاء، على رغبة النفس في
مقابلة الشر، يرد النفوس الجائعة إلى الهدوء والثقة، فتقلب من الخصومة إلى الولاء
ومن الجحاح إلى اللين ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي
حميم ﴿وتصدق هذه القاعدة في الغالبية من الحالات، وينقلب الهياج إلى وداعة
والغضب إلى سكينة، والتبجح إلى حياء على كلمة طيبة ونبرة هادئة وبسمة حانية، في
وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمام، ولو قيل بمثل فعله ازداد هياجاً وغضباً
وتبجحاً، ومروداً وخلع حياءه نهائياً وأفلت زمامه وأخذته العزة بالإثم / القرطبي، م ٨
ج ١٥ ص ٣٦١-٣٦٢؛ تفسير ابن كثير، ج ٤ ص ١٠٠-١٠١؛ ظلال القرآن،
ج ٢٤ ص ١٣٠-١٣١.

(١) في (ب-ج) محمد بن يزداد: هو محمد بن يزداد بن سويد المروزي أحد كتاب المأمون
وزرائه كان إماماً كاتباً فاضلاً، مات بسر من رأى سنة ٢٣٠هـ بعد ما لزم داره سنين /
النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٥٨.

(٢) عيون الأخبار، م ٣ ج ٧ ص ١١٢؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٧؛ أمراء البيان
لمحمد كردعلي، ص ٢٢٠.

(٣) هو صفوان بن أمية بن خلف القرشي الجمحي، من أشرف قريش هرب يوم الفتح
فاستؤمن له، فعاد وشهد حينئذ مع النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر له من غنائمها، =

فَمَا زَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعْطِينِي حَتَّى أَنَّهُ لِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ^(١).

وَرَوَيْ أَنَّهُ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ^(٢) أَرْضٌ مُتَاخِمَةٌ لِأَرْضِ مُعَاوِيَةَ^(٣) قَدْ جَعَلَ فِيهَا عبيدًا مِنَ الزُّنُوجِ يَعْمُرُونَهَا فَدَخَلُوا فِي أَرْضِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَمَّا بَعْدُ: يَا مُعَاوِيَةُ فَإِنَّهُ عَبْدُكَ عَنْ الدُّخُولِ فِي أَرْضِي وَإِلَّا كَانَ لِي وَلَكَ شَأْنٌ فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْكِتَابِ دَفَعَهُ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ^(٤)، فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ يَا بَنِيَّ مَا تَرَى، قَالَ أَرَى أَنَّ تَنْفَذَ إِلَيْهِ جَيْشًا، أَوَّلُهُ عِنْدَهُ، وَآخِرُهُ عِنْدَكَ يَأْتُوكَ بِرَأْسِهِ قَالَ أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ يَا بَنِيَّ عَلَيَّ بِدَوَاةٍ وَقِرَاطِ فُكْتَبَ إِلَيْهِ وَفَقْتُ، عَلَى كِتَابِ ابْنِ حَوَارِي^(٥) رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَاءَ نِي

— فأسلم وأقام بمكة توفي سنة ٤١هـ/ الاستيعاب، ق/ ٢ ص ٧١٨؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٥٢؛ الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ٣٣٢؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٢١؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٢٣.

(١) مسند أحمد، م ٣ ص ٤٠٣؛ الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ٣٢٢؛ السنن الكبرى، م ٧ ص ١٩.

(٢) هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي، يكنى أبا بكر على ما عليه أهل السير وأهل الأثر، وله كنية أخرى أبو خبيب، أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين رضي الله عنها، وهو أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة. بويح له بمكة سنة أربعة وستين وبإيعه أهل العراق وولي أخاه مصعباً البصرة واجتمع على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخرسان وقتل رحمه الله في أيام عبدالملك سنة ٧٣هـ وهو ابن ٧٢ سنة وكان عبدالله كثير الصلاة كثير الصيام شديد البأس كريم الجادات والأمهات والخالات/ الاستيعاب، ق/ ٣ ص ٩٠٥ - ٩١٠؛ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٧١ - ٧٥.

(٣) ترد ترجمته في القسم ٢ ص ٢٣٣.

(٤) ترد ترجمته في القسم ٢ ص ٢٤٩.

(٥) ذكر البخاري أن الزبير كان من حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن جابر رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب» قال الزبير: أنا، ثم قال: «من يأتيني بخبر القوم»، قال الزبير: أنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن لكل نبي حواريًا وحواريي» الزبير: البخاري، ج ٤ =

ما ساءه والدنيا عندي بأشرها هينة في جنب رضاه وقد كتبتُ على نفسي صكاً بالأرض والعبدان له وأشهدتُ عليّ فيه، فليستضيفها مع عبدانها إلى (أرضه وعبدانهِ) ^(١) والسلام فلما وقفَ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبير على كتاب معاوية كتبَ إليه وقفتُ على كتاب أمير المؤمنين أطلالَ اللَّهِ بقاءهُ ولا (عدمه) ^(٢) الرأي الذي أحلّه من ق/ ٢٧ قريشٍ هذا المحلُّ والسلام فلما وقفَ معاوية على كتاب عبدِ اللَّهِ بنِ الزبير رماه إلى ابنه يزيد فلما قرأه أسفر وجههُ (وقال) ^(٣) يا بُنَيَّ إذا (بليت) ^(٤) بِمثلِ هذا الداءِ فداؤهُ بِمثلِ هذا الدواءِ ^(٥).

= ص ٣٣؛ سنن الترمذي، ج ٥ ص ٣١٠. وقال حديث حسن صحيح، مسند أحمد، ج ٤ ص ٤.

(١) في (ج) أرضك وعبدانك.

(٢) في (ج) إعدامه.

(٣) في (ب) فقال.

(٤) في (ج): إذا رميت.

(٥) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٣٤ - ٣٥؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ١١٣ - ١١٤.

فصل:

ف(أما)^(١) إذا كَانَ العدوُّ مِمَّنْ لَا
يُرْجَى (انصلاحه)^(٢) بالبذلِ واللينِ
فيجبُ أَنْ يُسَارَعَ بالكيدِ (المبين)^(٣)
إلى حسمِ مادتهِ واستئصالِ شأفتهِ

فقد قيلَ: (إن)^(٤) الكيدَ أبلغُ مِنَ الأيْدِ^(٥) وقالَ: المكيدةُ أبلغُ مِنَ
النَّجْدَةِ^(٦). وقالَ ابنُ المعتزِّ^(٧): أوْهَنُ الأعداءِ كيداً أَظْهَرُهُمْ لِعَدَاوَتِهِ^(٨).

وقالَ الشَّاعِرُ:

(إذا كنتَ)^(٩) لَا أُرْمِي الضُّبَاءَ فَإِنِّي أَدُسُّ لَهَا تَحْتَ التُّرَابِ دَسَائِسَا^(١٠)

وبالجملة فينبغي أَنْ لَا يَدْخُلَ فِي الْحَرْبِ وَيَكْاشِفَ بِهَا مَا دَامَ يَطْمَعُ فِي

(١) في (ب سج - د): وأما.

(٢) في (د) استصلاحه.

(٣) في (د) المتين.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٢ (آد يئيد أيداً وآد: قوي واشتد؛ المصباح المنير.

(٦) البيان والتبيين، ج ٢ ص ٣٠٨، من وصية المهلب لبنيه / العقد الفريد، ج ١ ص ٨٧؛

الأمناح والمؤانسة، ج ٢ ص ١٥٠؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ١٧٦.

(٧) تقدمت ترجمته، ص ٩٧.

(٨) آداب ابن المعتز، ص ١٠٠؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ١٠٢.

(٩) في (ب - د) وإن كنت.

(١٠) الأمل للقلالي، ج ٢ ص ٢١٣، ونص البيت - كما أورده:

فإن كنت لا أرمي الضباء فإنني أدس لها تحت التراب الدواها

التمثيل والمحاضرة، ص ٣٦١.

بلوغ مآربه ونجاح مطالبه أن لا يدخل في الحرب ويكاشف بها ما دام يطمع
في بلوغ مآربه ونجاح مطالبه (بما) (١) هودونها.
قال أبو الطيب (٢): وإنما الحرب غاية المكاييد (٣).
فحينئذ، ينبغي أن (يعاجله) (٤) قبل أن تتمكن بوائقه وتتسع طرائقه فكل
أمر لا يداوى من قبل أن يعضل ولا يدبر قبل أن يستفجل عيي به مداويه
وصعب (تداركه) (٥) وتلافيه.
قال بعضهم: تفقد عدوك قبل أن يمتد باعه ويطول ذراعه وتكبر شكيمته
وتشتد شوكته ويعضل دأؤه ويعجز دأؤه (٦). ومن أمثال العرب دواء للشقي أن
يحص فيه (٧). فيستعين عليه حينئذ بالدخول في الهيجاء ومكاشفة الأعداء.
قال الشاعر:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً فلا رأي (للمضطر) (٨) إلا ركوبها (٩)

(١) في (ب - د) ما هو دونها.

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٥٤.

(٣) هذا عجز بيت قاله أبو الطيب من قصيدة له يمدح بها عضد الدولة أباشجاع وصدر
البيت:

يَبْدَأُ مِنْ كَيْدِهِ بِغَايَتِهِ وَإِنَّمَا الْحَرْبُ غَايَةُ الْكَائِدِ

ومعنى ذلك، أن عدوكم إن بادر إلى محاربتكم من أول وهلة فيكون قد ابتدأ
الكيد من آخره لأن الحرب لا يلجأ إليها إلا إذا لم تجد الوسائل / ديوان المتنبي بشرح
البرقوقي، ج ٢ ص ١٧٧.

(٤) في (ب) يكابده.

(٥) ساقطة من (ب - ج).

(٦) كتاب الأمثال للثعالبي، ص ٦٦؛ لباب الآداب، ص ٦٤.

(٧) مجمع الأمثال، ج ١ ص ١٠، ونص هذا المثل أن دواء الشق أن تحوصه والحوص
الخيطة يضرب في رتق الفتق وإطفاء النائرة.

(٨) في (ب) للمحمول.

(٩) نهاية الأرب، ج ٣ ص ٧٤؛ عيون الأخبار، م ٢ ج ٧ ص ١١٢؛ زهر الآداب، ج ١
ص ٣٨١، والبيت منسوب في هذه المراجع للكيميت بن زيد الأسدي.

ولآخر:

ولا أتمنى الشرَّ والشرُّ تَارِكِي ولكن متى أحمل على الشرِّ أركب^(١)
وهذا مثل قولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تتمنوا لقاء العدو وإذا
لقيتموه فاصبروا»^(٢).

قال الشاعر:

لم أكن في جنباتها يعلم الله وأني بحرها صالي^(٣)
وقال آخر:

الحرب يلحق فيها الكارهون كما تدنو الصّحاح من الجربى فتعديها^(٤)
وقال أبو الطيّب^(٥):

لا تلق أشجع منك تعرفه إلا إذا ما ضاقت الحيل^(٦)

(١) نهاية الأرب، ج ٣ ص ٧٣، ونسبة إلى زياد بن زيد؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٢٩٤،
ونسبه إلى هذبه العذري؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٣ ص ٢٧٦، ونسبه إلى البعيث؛ شعر
هدية بن الخشرم العذري، ص ٦٩.

(٢) صحيح البخاري، ج ٤ ص ٧٧، بلفظ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم، قال: «لا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموه فاصبروا» سنن أبي داود،
ج ٣ ص ٤٢، برواية أخرى؛ السنن الكبرى، م ٩ ص ١٥٢؛ سنن الدارمي، ج ٢
ص ٢١٦؛ وحكمة النبي أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر. وقيل إنما نهي عن تمني
لقاء العدو، لما فيه من صورة الإعجاب والانتكال على النفوس، والثوق بالقوة وقلة
الاهتمام بالعدو، وكل ذلك يبين الاحتياط والأخذ بالحزم/ عون المعبود، شرح سنن
أبي داود، ج ٧ ص ٢٩٤.

(٣) ديوان الحماسة للبحتري، ص ٣٣؛ ٤٣؛ المحاسن والمساوي، ج ٢ ص ٢٨٧؛ منسوب
للحارث بن عباد فارس النعمانية.

(٤) حماسة ابن تمام، ج ١ ص ١٥٤: التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٤ ويريد بهذا البيت أن
شر الحرب يعدي إعداد الحرب وتنال مضرتها غير الجاني إذا دخل مع الجناة كما يدنو
الصحيح إلى الأجر فيعديه.

(٥) تقدمت ترجمته أبو الطيب المتنبي، ص ١٥٤.

(٦) ديوان المتنبي بشرح البرقوق، ج ٤ ص ٢٥، والبيت في الديوان:
لا تلق أفرس منك تعرفه. يريد بذلك أن الحزم أن لا تعارض من هو أقوى
منك إلا إذا اضطرت إلى ذلك.

فصل

ويجب أن يستعمل الحزم في تدبيره،
ويلاحظ العواقب في جميع أموره،
فمن نظر في العواقب سلّم من
(المعاطب)^(١)، ومن آخر تدبيره تقدّم

تدميره

وقيل: مَنْ نَظَرَ بالرأي غَنِمَ وَمَنْ نَظَرَ في العواقب سَلِمَ وَمَنْ أَخْلَدَ إلى التواني حَصَلَ على الأمانى وَمَنْ تَرَكَ حَزْمَهُ أَعَانَ خَصْمَهُ^(٢).

قال ابن دُرَيْدٍ^(٣):

مَنْ ضَيَّعَ الحَزْمَ جَنَى لِنَفْسِهِ نَدَامَةً أَلْذَغَ مِنْ سَفْعِ الذِّكْرِ^(٤)
وقال آخر: الحزم إن ضيعته أبشر بقرب التلف^(٥).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحزم سوء الظن»^(٦).

(١) في (ج) المعاطف.

(٢) كتاب الأمثال للثعالبي، ص ٥٢ مع اختلاف في بعض الألفاظ فقد وردت الجملة بلفظ من عمل بالرأي غنم، ومن نظر بالعواقب سلم، ومن أخلد إلى التواني لم يحصل على الأمانى، ومن قل حزمه كثر غمه.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢١٩.

(٤) مقصورة ابن دريد بشرح الخطيب التبريزي، ص ٨٣.

(٥) البصائر والذخائر، م ١ ص ٤٢٧.

(٦) كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق على هامش الجامع الصغير، ج ١ ص ١٢٠، وقال حديث ضعيف، ونسبه السيوطي في تاريخ الخلفاء إلى الإمام علي كرم الله وجهه، ورفع صاحب المنهج السلوك في سياسة الملوك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير إسناد/ كشف الخفاء، ج ١ ص ٤٢٥، وقال أخرجه الديلمي في مسنده عن علي من قوله وهو ضعيف. وقال الميداني في مجمع الأمثال أنه من كلام أكثم بن صيفي، ج ١

وَقِيلَ لِمَعَاوِيَةَ^(١): مَا بَلَغَ مِنْ حَزْمِكَ قَالَ لَمْ أَثِقُ بِأَحَدٍ^(٢).

(قال بعض الحكماء: الاحتراس من كل أحد حزم وقلة الاسترسال إلى الناس أسلم)^(٣). وَكَتَبَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ^(٤) إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ^(٥) هَذِهِ الْأَبْيَاتُ:

رُكُوبُكَ الْهَوْلَ مَا لَمْ تَلَقْ فُرْصَةً جَهْلٍ ورأيتُ في الاقحامِ تَغْرِيرُ
(أهونُ بِدُنْيَا يَنَالُ الْمُخْطِئُونَ بِهَا حَظُّ الْمَصِيبِينَ وَالْمَغْرُورُ مَغْرُورُ)^(٦)
فَإِنْ ظَفِرْتَ بِعَجِزٍ أَوْ نَجَوْتَ بِهِ قالوا جَهْلٌ أَعَانَتْهُ الْمُقَادِيرُ
وَإِنْ حُرِمْتَ بِحَزْمٍ أَوْ هَلَكْتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْدُورُ^(٧)

ولآخر في المعنى:

عَلَى كُلِّ حَالٍ فَاجْعَلِ الْحَزْمَ عِدَّةً لِمَا أَنْتَ بَاغِيهِ وَعَوْنًا عَلَى الدُّهْرِ

= ص ٢٠٨؛ وكذلك قال النويري عنه في نهاية الأرب، ج ٣ ص ١٥؛ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، ج ٢ ص ٨٠؛ منتخب كنز العمال، ج ١ ص ١٦٤.
(١) ترد ترجمته ص ٢٣٣.

(٢) البصائر والذخائر، م ١ ص ٣٢٦؛ نثر الدرر للأبي مخطوط رقم ٢٢٨٠؛ أدب، ج ٢ ص ١٢ وفيه قيل معاوية ما بلغ من عقلك، قال: لم أثق بأحد.
(٣) ساقطة من (ب-ج).

(٤) هو أبو الطيب طاهر بن الحسين بن مصعب نائب العراق وخرسان، ولد سنة ١٥٩هـ وهو الذي انتزع بغداد والعراق من يد الأمين وقتله وخلع المأمون في أواخر أيامه وعزم على الخروج عليه وخطب ولم يدعو للمأمون فوجد في فراشه ميتاً، بعدما صلى العشاء الأخيرة فاستبطأ أهله خروجه لصلاة الفجر فدخل عليه أخوه وعمه فوجده قتيلاً سنة ٢٠٧هـ/ وفيات الأعيان، م ٢ ص ٥١٧؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٦؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٦٠.

(٥) تقدمت ترجمته ص ٢٠٣.

(٦) زيادة من النخسة (ب).

(٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج ٢ ص ٢٧٤؛ مجمع الحكم والأمثال، ص ١٣٤؛ لباب الآداب، ص ٧٤ مع تقديم وتأخير بعض الأبيات.

فَإِنْ نِلْتَ أَمْرًا نِلْتَهُ بِعَزِيمَةٍ وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْكَ الْحَظُوظُ فَعَنْ عَذْرٍ^(١)

(وهذا المعنى مأخوذ مِنْ قَوْلِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ: اسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي الْأُمُورِ وَلَيْسَ عَلَيْكَ مَا قَضَى اللَّهُ مِنْهَا فَإِنْ فُزْتَ بِحِظٍّ أَحْرَزْتَ إِلَيْهِ حَمْدًا وَإِنْ غَرِمْتَهُ عَوِضْتَ عَلَيْهِ عَذْرًا)^(٢).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَذْكَرُ حَسْرَاتِ التَّفْرِيطِ يَلِدُ لَكَ الْحَزْمُ^(٣). وَمِنْ الْحَزْمِ أَنْ لَا يَحْتَقِرَ عَدُوٌّ، وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا، وَلَا يَسْتَصْغِرُهُ وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا، (فَإِنَّ ذَلِكَ عُنْوَانُ الْخِذْلَانِ وَفِيهِ تَرَكُّ لِلْحَزْمِ وَتَوْهِينٌ لِلْعَزْمِ)^(٤).

قَالَ ابْنُ نَبَاتَةَ^(٥):

فَلَا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا رَمَاكَ وَإِنْ كَانَ فِي سَاعِدِيهِ قِصَرٌ
فَإِنَّ السُّيُوفَ تَحْزُرُ الرِّقَابَ وَتَعْجِزُ عَنْ مَاتِنَاكَ الْأَبْرَ^(٦)
قِيلَ ق/ ٢٨ لِلْمُهَلَّبِ^(٧): مِنْ أَحْزَمِ النَّاسِ قَالَ مَنْ يَوْهَمُ عَلَيْهِ الْجَبْنَ مِنْ

(١) غرر الخصائص، ص ٢٠٣.

(٢) ساقطة من (ب - ج - د).

(٣) لباب الآداب، ص ٦٦.

(٤) في (ب - ج): فكم برغوث أسهر فيلا، ومنع الرقاد ملكاً جليلاً.

(٥) هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد السعدي، من الشعراء المجيدين جمع بين حسن السبك وجودة المعنى. مدح الملوك والرؤساء وله في سيف الدولة بن حمدان جملة قصائد توفي سنة ٤٠٥هـ، شذرات الذهب، ج ٣ ص ١٧٥؛ النجوم الزاهرة، ج ٤ ص ٢٣٨؛ البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٥٥.

(٦) ديوان ابن نباتة السعدي، ج ٢ ص ٧٣ وفيه فإن الحسام يحز الرقاب؛ يتيمة الدهر، ج ٢ ص ٣٩٥؛ خاص الخاص، ص ١٦٩.

(٧) المهلب: هو ظالم بن سراق بن صبح الأزدي، ولد عام الفتح في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كان جواداً شجاعاً ولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير وانتدب لقتال الأزارقة فشردهم، ولاء عبد الملك بن مروان خراسان توفي سنة ٨٣هـ في خلافة عبد الملك بن مروان، الطبقات الكبرى، ج ٧ ص ٩٤؛ المعارف، ص ٧٥؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٤٣.

شِدَّة احتياطِهِ. وَكَانَ فِي قِتَالِ الْأَزَارِقَةِ^(١) يَبْتُ الْأَحْرَاسَ فِي الْأَمْنِ كَانَ يَبْتُهُمْ فِي (الْأَمْنِ)^(٢)، وَيَذْكِي الْعِيُونَ فِي الْأَمْصَارِ كَمَا يُذْكِيهَا فِي الصَّحَارِي وَيَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِالتَّحَرُّزِ وَيَخَوِّفُهُمُ الْبَيَاتَ وَإِنْ بَعْدَ (عَنْهُمْ)^(٣) الْعَدُوَّ وَيَقُولُ أَنْظُرُوا أَنْ تَكَادُوا كَمَا تَكِيدُونَ، وَلَا تَقُولُوا هَذِهِ مِنَّا وَلَا عَلَيْنَا^(٤)، فَإِنَّ الْقَوْمَ خَائِفُونَ وَجِلُونَ وَإِنَّ الضَّرُورَةَ تَفْتَحُ بَابَ الْحِيلَةِ^(٥).

(١) الْأَزَارِقَةُ: هُمُ أَتْبَاعُ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ إِلَى الْأَهْوَازِ وَغَلَبُوا عَلَيْهَا فِي أَيَّامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَأَنْفَذَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَارِثٍ بِصَاحِبِ جَيْشِهِ مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْسٍ فَقَتَلَهُ الْخَوَارِجُ وَتَوَلَّى الْمَهْلَبُ أَمْرَ حَرْبِهِمْ مَدَّةَ تِسْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَمِنْ بَدْعِهِمْ إِبَاحَةُ قَتْلِ أَطْفَالِ الْمُخَالِفِينَ وَنِسَائِهِمْ وَإِسْقَاطُ الرَّجْمِ عَنِ الزَّانِي وَإِسْقَاطُ حَدِّ الْقَذْفِ عَنْ قَذْفِ الْمُحَصِّنِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَإِنْ مِنْ أَرْتَكَبَ كَبِيرَةً مِنَ الْكِبَائِرِ كَفَرَ مَلَّةً خَرَجَ بِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ جَمْلَةً / الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ، ج ١ ص ١١٨ - ١٢٢.

(٢) فِي (ب - ج - د): الْخَوْفُ وَهُوَ الصَّوَابُ.

(٣) فِي (ب) مِنْهُمْ.

(٤) فِي الْكَامِلِ وَلَا تَقُولُوا هَزَمْنَاهُمْ وَغَلَبْنَاهُمْ، وَفِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ وَلَا تَقُولُوا هَزَمْنَاهُمْ وَغَلَبْنَاهُمْ.

(٥) شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، م ١ ص ٣٨٥؛ الْكَامِلُ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، ج ٢ ص ٢٢٨.

فَصْلُ

وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ فِي حَالِ مُحَارِبَتِهِ وَقِتَالِهِ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ^(١) فِي وَصِيَّةٍ لَهُ (لِقَائِدٍ)^(٢) فِي مُقَدِّمِ جَيْشٍ مَضَى إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فَقَالَ إِنَّكَ تَاجِرٌ لِلَّهِ لِعِبَادِهِ فَكُنْ كَالْمُضَارِبِ الْكَيْسِ إِنْ رَأَيْتَ رِبْحًا لَا يَشُكُّ فِيهِ اتَّجَرْتَ وَإِلَّا احْتَفِظْتَ بِرَأْسِ الْمَالِ لَا تَطْلُبُ الْغَنِيمَةَ حَتَّى تَحْرَزَ السَّلَامَةَ وَكُنْ فِي احْتِيَالِكَ عَلَى عَدُوِّكَ أَخَوْفَ مِنْ احْتِيَالِ عَدُوِّكَ عَلَيْكَ^(٣).

وَكَانَتْ الْفُرْسُ إِذَا بَعَثَتْ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ قَالَتْ احْفَظْ مَا يُلْقَى إِلَيْكَ وَانْتَهِزْ الْفُرْصَةَ فَإِنَّهَا خَلْسَةٌ، وَأُثْبِتْ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ لَا عِنْدَ ذَنْبِهِ، وَإِيَّاكَ وَشَفِيعًا مَهِيًّا، وَإِيَّاكَ وَالْعَجْزَ فَإِنَّهُ أَوْطَأُ مَرْكَبٍ، وَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فَإِنَّهُ سَبَبُ الظَّفَرِ، وَلَا تَخْضُصْ الْعَمَرَ^(٤)، حَتَّى تَعْرِفَ الْقَدَرَ^(٥).

وَقَالَ قَطْرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ^(٦): وَقَدْ ذَكَرَ الْمَهْلَبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ لِأَصْحَابِهِ هُوَ

(١) الصواب هو عبد الملك بن صالح كما أطبقت على ذلك المراجع كالعقد الفريد، ج ١ ص ٩٤؛ وشرح نهج البلاغة، م ٣ ص ٤٢٩.

وغرر الخصائص، ص ٢١٧؛ وعبد الملك هذا هو أبو عبد الرحمن عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه وكانت منبج إقطاعاً له وكان مقيماً بها وتوفي سنة ١٩٩ هـ بالرقعة وله بلاغة وفصاحة، وفيات الأعيان، م ٦ ص ٣٠.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) عيون الأخبار، م ١ ج ٢ ص ١٠٩.

البيان والتبيين، ج ٢ ص ٢٦٨؛ نثر الدرر مخطوط، ص ٢٥٦.

(٤) الغمر: بوزن الجمر الكثير من الماء والمغمر بضمها الملقى بنفسه في المهالك والشدائد/ مختار الصحاح، القاموس المحيط.

(٥) العقد الفريد للملك السعيد، ص ٩٦، ونسبه لعبد الله بن المقفع مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٦) هو أبو نعمة قطري بن الفجاءة المازني أحد رؤساء الخوارج وفرسانهم المعدودين، معدود في جملة خطباء العرب المشهورين حارب المهلب بن أبي صفرة سنين وادعى أمرة المؤمنين =

مَنْ قَدْ عَرَفْتُمُوهُ، إِنْ أَخَذْتُمْ بِطَرْفِ ثَوْبٍ أَخَذَ بِطَرْفِهِ الْآخِرَ يَمُدُّهُ إِذَا أُرْسِلْتُمُوهُ
وِيرْسَلُهُ إِذَا مَدَدْتُمُوهُ وَلَا يَبْدُوكُمْ حَتَّى تَبْدُوهُ إِلَّا أَنْ يَجِدَ فُرْصَةً فَيَنْتَهِزَهَا فَهُوَ
الليثُ الْمَبْرُزُ وَالثَّعْلَبُ الرَّوَاعُ^(١).

وَقَالَ مَرَّةً: إِنْ جَاءَكُمْ الْمَهْلُبُ^(٢) لَا يُنَاجِزُكُمْ حَتَّى تَنَاجِزُوهُ، وَيَأْخُذَ
مِنْكُمْ وَلَا يُعْطِيكُمْ، فَهُوَ الْبَلَاءُ اللَّازِمُ وَالْمَكْرُوهُ الدَّائِمُ^(٣).

وَكَانَتْ الْخَوَارِجُ^(٤) (تُسَمِّيهِ)^(٥) السَّاجِرَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُدَبِّرُونَ الْأَمْرَ
فَيَجِدُونَهُ قَدْ احْتَرَسَ مِنْهُمْ، وَيَدَبِّرُونَ التَّدْبِيرَ لِأَنْفُسِهِمْ فَيَجِدُونَهُ قَدْ سَبَقَ إِلَى
بَعْضِ تَدْبِيرِهِمْ^(٦). وَسَأَلَ الْحَجَّاجُ بَرِيداً وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ الْمَهْلَبِ، أَيَّامَ
حَرْبِهِ لِلْأَزَارِقَةِ عَنِ الْمَهْلَبِ وَالْعَجْدِ الَّذِينَ مَعَهُ فَقَالَ يَسُوسُهُمْ سِيَاسَةُ الْمُلُوكِ
وَيَقَاتِلُ بِهِمْ قِتَالُ الصُّعْلُوكِ^(٧).

= وسلم عليه بها، حتى توجه إليه سفيان الأبرد الكلبي فظهر عليه وقتله في سنة ٧٨هـ/
شذرات الذهب، ج ١ ص ٨٦-٨٧؛ وفيات الأعيان، م ٤ ص ٩٣.

(١) الكامل في اللغة والأدب، ج ٢ ص ٢٤٢.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ٢٣٨.

(٣) الكامل في اللغة والأدب، ص ٢٤٧.

(٤) كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان
الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان
والأئمة في كل زمان إلا أن هذا الاسم غلب على بعض الفرق كالأزارقة والنجدات
والعجاردة أصحاب عبد الكريم العجود والاباضية والصفرية/ الملل والنحل، ج ١
ص ١١٤.

(٥) في (ج): يسمونه.

(٦) الكامل في اللغة والأدب، ج ٢ ص ٢٥٤.

(٧) زهر الأدب، ج ٢ ص ٧٨٧ من قول بشر بن مالك لما أرسله المهلب إلى الحجاج يبشره
بالانتصار على الحرورية.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ^(١) خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ لِمَعَاوِيَةَ إِنَّكَ لَتَقْدُمُ إِقْدَاماً أَرَاكَ
تَتَعَرَّضُ لِلْقَتْلِ، وَتَتَأَخَّرُ تَأَخُّراً أَرَاكَ تَهْمُ بِالْهَرَبِ، فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَتَقَدَّمُ لِأَقْتُلَ،
وَلَا أَتَأَخَّرُ لِأَهْرَبُ، وَلَكِنِّي أَتَقَدَّمُ إِذَا كَانَ التَّقَدُّمُ غُنْماً وَاتَّأَخَّرُ إِذَا كَانَ التَّأَخُّرُ
حِزْماً^(٢). كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

شَجَاعٌ إِذَا مَا أَمَكَّنَنِي فِرْصَةً وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لِي فِرْصَةً فَجَبَانٌ^(٣)
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: احْتَلَّ لِلشَّمْسِ (وَالْقَمَرِ)^(٤) وَالرَّيْحُ أَنْ يَكُونَا مَعَكَ
لَا عَلَيْكَ^(٥). وَقِيلَ: الْإِقْدَامُ أَنْفَى لِلْعَارِ وَأَدْرَكَ لِلثَّأْرِ^(٦). وَالشَّجَاعُ مَوْقَى
وَالْجَبَانُ مُلْقَى^(٧).

وقال المتنبي^(٨):

يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانُ وَقَدْ يَعْجِزُ عَنْ قَطْعِ بُخْنِي الْمَوْلُودِ

(١) نسبت المراجع هذا القول لعدة أعلام ففي نثر الدرر للأبي، ج ٣ ص ١٢ أن الذي قال
لمعاوية هو خالد بن الوليد، وفي مروج الذهب، ج ٢ ص ١٣ - ١٤. أن الذي قال
لمعاوية هو عمرو بن العاص ومثله في العقد الفريد، ج ١ ص ٧١؛ عيون الأخبار، م ١
ج ٢ ص ١٦٣؛ وفي لباب الآداب، ص ١٩٣ أن قائله لمعاوية هو عبدالرحمن بن
خالد بن الوليد.

(٢) بهجة المجالس، ق ١ ص ١٠٠؛ نثر الدرر مخطوط، ج ٣ ص ١٢.

(٣) مروج الذهب، ج ٢ ص ١٤، ونسب البيت الذي استشهد به معاوية إلى القطامي.

(٤) زيادة من (ب - ج).

(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣ بدون كلمة القمر.

(٦) الاعجاز والايجاز، ص ٤٥ ونسبه إلى الاسكندر المكدوني، التمثيل والمحاضرة،
ص ١٥٢.

(٧) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٢؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٧٢؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٢
ص ١٢٥ وفيه تقول العرب الشجاع موقى وهذا نظير قول الصديق لخالد بن الوليد
أحرص على الموت توهب لك الحياة/ غرر الخصائص، ص ٢٢٢.

(٨) تقدمت ترجمته، ص ١٥٤.

وَيُوقَى الْفَتَى الْمَخْشَى وَيَذْخَوْضَ . فِي مَاءِ لَبَّةِ الصَّنْدِيدِ^(١)
 ومن أمثال العرب: إِنَّ الْجَبَانَ حَتَفُهُ مِنْ فَوْقِهِ^(٢). عصى الجبان
 أطول^(٣). مُحَرَّضٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ^(٤). إِذْكَاءُ الْعَيُونِ أَنْفَى لِلظُّنُونِ^(٥).
 لَا تَغْفُلُ الْحَسَكُ^(٦) إِنَّ كُنْتَ نَازِلًا، وَالْخَنْدَقُ إِنَّ كُنْتَ مُقِيمًا^(٧). إِذَا ابْتَلَيْتَ
 بِالْبَيَاتِ فَعَلَيْكَ بِالثَّبَاتِ^(٨). الْإِنْصِرَافُ قَبْلَ الْهَزِيمَةِ هَزِيمَةٌ^(٩). الْحَرْبُ سِبْجَالٌ
 وَعَشْرَاتُهَا لَا تُقَالُ^(١٠).

(١) ديوان المتنبي، ج ٢ ص ٤٦ ومعنى البيت الأول: أن العاجز الجبان قد يقتل فلا تظنن
 أن العجز والجن من أسباب البقاء، البخنق: خرقه يقنع بها الرأس وتشد تحت الحنك
 ومعنى البيت الثاني: أن الشجاع المغوار قد يسلم وقد خاض الحروب حتى غاص في
 دماء الصناديد بحث على الاقدام كما نهى عن الجبن قبله، والمخش: الجريء في الأمور
 والحروب وخوض: بالغ في الخوض واللبة: أعلى الصدر وماؤها: دمها، والصنديد:
 الشجاع.

(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٤؛ مجمع الأمثال، ج ١ ص ١٠؛ العقد الفريد، ج ٣
 ص ٥٣، يشير بذلك أن الحنف إلى الجبان أسرع منه إلى الشجاع لأنه يأتيه من حيث
 لا مدفع له وأول من قال هذا المثل عمرو بن أمية في شعره:

لقد حسوت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فسوقه

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٤؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٦٢٨؛ مجمع
 الأمثال، ج ٢ ص ١٩. وإنما يطول الجبان عصاه من فشله يرى أن طولها أشد ترهيباً
 لعدوه من قصرها.

(٤) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣.

(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣.

(٦) الحسك: حسك السعدان، والحسك أيضاً ما يعمل من الحديد على مثاله وهو من آلات
 العسكر/ مختار الصحاح.

(٧) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣؛ الاعجاز والايجاز، ص ٤٥.

(٨) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣.

(٩) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣ وفيه الانصراف قبل التمكن هزيمة.

(١٠) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٢؛ الاعجاز والايجاز، ص ٦١ ونسبه إلى المنذر بن ماء
 الساء.

وقال عليه الصلاة والسلام (الحربُ خَدْعَةٌ)^(١).
ومن أمثال العرب: إذا لَمْ تغلب فاخلب^(٢). المحاجزة قبل
المناجزة^(٣).

التغريبُ مفتاحُ البؤس^(٤). لا تمنعُ عدوكُ السَّيْلَ في هزيمته^(٥).

الهَارِبُ لا يُعْرِجُ على صاحب^(٦). الليل جنة الهارب^(٧).

الفرار في وقته ظفر^(٨). وقال بعضهم الفرارُ (عِنْدَ)^(٩) الخوفِ من سننِ

(١) صحيح البخاري، ج ٤ ص ٧٧؛ سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ٩٤٥؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ١١٢. وقال حديث حسن صحيح قوله خدعة فيها ثلاث لغات مشهورات أفصحهن خدعة بفتح الخاء وإسكان الدال قيل هي لغة الرسول صلى الله عليه وسلم، والثانية بضم الخاء وإسكان الدال، والثالثة بضم الخاء وفتح الدال. واتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب كيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجل/ عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ج ٧ ص ٢٩٨.

(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٤؛ مجمع الأمثال، ج ١ ص ٣٤. ويريد بذلك أن نفاذ الرأي في الحرب أنفذ من الطعن والضرب. يقال خلب يخلب يخلب به وهي الخديعة ويراد به الخدعة في الحرب.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٤، خاص الخاص، ص ٨١؛ مجمع الأمثال، ج ١ ص ٤٠. وفيه إن أردت المحاجزة فقبل المناجزة هذا المثل يروى عن أكثم بن صيفي وقال أبو عبيد معناه انج بنفسك قبل لقاء من لا تقاومه. فالمحاجزة الممانعة وهو أن تمنعه عن نفسك وتمنعك عن نفسه.

(٤) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣.

(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣.

(٦) خاص الخاص، ص ٨١؛ بدائع السلك، ج ١ ص ١٦٨.

(٧) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣.

(٨) خاص الخاص، ص ٨١ وفيه الهرب في وقته ظفر، نهاية الأرب، ج ٣ ص ٣٥٠.

(٩) في (ج) قبل.

المرسلين^(١)، قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ق/٢٩ ﴿فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾^(٢).

ومن أمثال العرب: الفرار بقراب أكيس^(٣).

ومن أمثال العامة (فر^(٤)) أخزاه الله خير من قتل رحمته الله^(٥).

ومن أبلغ ما قيل في الاعتذار من الفرار. قول الحارث بن هشام^(٦) حيث يقول:

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى علوا فرسي بأشقر مزيد

(١) خاص الخاص، ص ١٩ وفيه الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٠. ولكنه يكون عندها على نية التحرف للقتال والتحيز إلى فئة حتى لا يكون فاراً من الزحف الذي حرمه الله على المرسلين والمؤمنين في أكثر من آية.

(٢) آية ٢١ من سورة الشعراء ونص الآية ﴿ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين﴾.

(٣) مجمع الأمثال، ج ٢ ص ٧٦، خاص الخاص، ص ١٩. وهذا المثل لجابر بن عمرو المازني وذلك أنه كان يسير في طريق فرأى أثر رجلين وكان خائفاً. فقال أرى أثر رجلين شديداً كليهما عزيزا سلبهما والفرار بقرار أكيس.

(٤) زيادة من (ج).

(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣، نعم إنه قول العوام من الناس والجهلة الذين لا يعرفون ما أعد الله للمرابطين من الأجر وجيل الثواب ولا يعرفون أمر الله الذي أمر به المؤمنين من مصابرة عدوهم وحرمة الفرار عليهم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران: آية ٢٠٠.

(٦) هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله القرشي، شهد بدرًا كافرًا مع أخيه أبي جهل وفر حينئذ وقتل أخوه وغير بفراره فاعتذر عن هذا الفرار بما زعم الأصمعي أنه لم يسمع بأحسن من اعتذاره ذلك، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وشهد مع الرسول حينئذ فأعطاه كما أعطى المؤلف قلوبهم خرج إلى الشام أيام عمر رغبة في الرباط والجهاد مات في طاعون عمواس سنة ١٨هـ/ الاستيعاب، ق ١ ص ٣٠١؛ الطبقات الكبرى، ج ٧ ص ١٢٦.

وعلمتُ أني إن أُقاتِلَ واحداً أُقتلُ ولا يبكي عدوي بمشهدي
فصدرتُ عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مُرصد^(١)
(وقال هبيرة بن أبي وهب المخزومي^(٢)):

لعمرك ما وليتُ ظهري مُحمداً وأصحابه جنأ ولا خيفة القتلِ
ولكنني قلبتُ أمري فلم أجذ لسيفي غناء إن ضربتُ ولا نبلي
وقفتُ فلما خفتُ ضيعة موقفي رجعتُ بعود كالهزبر إلى القتل^(٣)

(١) نهاية الأرب، ج ٣ ص ٣٥٢؛ ديوان الحماسة للبحري، ص ٤٠؛ حماسة أبي تمام، ج ١ ص ٥٦-٥٧؛ الاستيعاب، ق ١ ص ٣٠١. ومعنى البيت الأول أنه ما إنهمز حتى جرح فرسه فعلاه دمه أو جرح هو فعلاً فرسه دمه.
ومعنى البيت الثاني: أنه إذا بقيت وحدي في ساحة الوغى أقتل لا محالة لكثرة من فر ولا يضر ذلك عدوي شيئاً.

ومعنى البيت الثالث: أنني أعرضت عن عدوي طمعاً في مقابلتهم في يوم آخر أدرك به ثاري.

(٢) هو هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن مخزوم أحد شعراء المشركين هرب إلى نجران لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً وأقام هناك حتى مات كافراً/ الطبري، ج ٣ ص ١٦٤٦-١٦٤٧؛ سيرة ابن هشام، ج ٤ ص ٣٤.

(٣) هذه الأبيات ساقطة من نسخة الأصل وذكرت في النسخة (ب-ج-د): ونسبها البحتري في ديوان الحماسة لصاحبها، ص ٥٧؛ سيرة ابن هشام، ج ٣ ص ٢٢٣-٢٢٤ ويعتذر فيها عن فراره يوم الخندق ويبيكي عمرو بن عبدود.

بَابُ فِي ذَمِّ الْحِجَابِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ شَيْئًا فَاحْتَجَبَ عَنْهُمْ احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ) ^(١) دُونَ حَاجَتِهِ وَفَاقَتِهِ وَفَقْرِهِ ^(٢). وَلَمَّا أُخْبِرَ مَعَاوِيَةُ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَعَلَ عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ رَجُلًا ^(٣). وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ ^(٤) سَهْلٍ لِثُمَامَةَ بْنِ ^(٥) الْأَشْرَسِ مَا أَذْرِي مَا أَصْنَعُ فِي كَثْرَةِ طُلَابِ الْحَوَائِجِ وَغَاشِيَةِ الْبَابِ فَقَالَ زُلْ عَنْ مَوْضِعِكَ وَعَلَيَّ أَنْ لَا يَلْقَاكَ أَحَدٌ قَالَ صَدَقْتَ وَقَعَدَ لَهُمْ ^(٦).

وَفِي مَعْنَى قَوْلِ ثُمَامَةَ (قَوْلُ) ^(٧) الشَّاعِرِ:

-
- (١) ساقطة من (ج).
 (٢) سنن أبي داود، ج ٣ ص ١٣٥؛ سنن الترمذي، ج ٢ ص ٣٩٥، وقال حديث غريب، وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه؛ المستدرک، ج ٢ ص ٩٤، وقال صحيح الإسناد؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١١٠٠.
 (٣) سنن الترمذي، ج ٢ ص ٣٩٥؛ بدائع السلك، ج ١ ص ٣٧٠؛ الشفاء في مواضع الملوك والخلفاء، ص ٦٨.
 (٤) تقدمت ترجمته، ص ١٦٢.
 (٥) هو أبو معن ثمامة بن أشرس النميري، من كبار المعتزلة كان على اتصال بالرشيد ثم المأمون، وقال عنه الشهرستاني في الملل والنحل أنه كان جامعاً بين سفاهة الدين وخلاعة النفس مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد في النار، توفي سنة ٢١٣هـ، تاريخ بغداد، ج ٧ ص ١٤٥؛ الملل والنحل، ج ١ ص ٧٠.
 (٦) وفيات الأعيان، ج ٤ ص ٤٢؛ نثر الدرر - مخطوط، ج ٢ ص ١٤٨.
 (٧) في (ب - ج): قال.

فلا تَعْتَذِرَ بِالشُّغْلِ عني فَإِنَّمَا تُنَاطُ بِكَ الْحَاجَاتُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ^(١)
(وقول)^(٢) الآخر:

أَفْرُغْ لِحَاجَاتِنَا مَا دَمْتَ مَشْغُولًا فَلَوْ فَرَّغْتَ لَقَدْ أَصْبَحْتَ مَمْلُوءًا^(٣)

(قلنا)^(٤) وَلَيْسَ المرادُ بتركِ الحجابِ، أَنْ يَبْرَزَ السلطانُ إِلَى العوامِ عَلَى الدوامِ، فِي الطَّرَاقِ وَيَبَاشِرَ بِنَفْسِهِ أَحْوَالَ الرِّعِيَةِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ إِنَّمَا المرادُ بِذلكِ أَلَّا يَحْجَبَ (عَنْ مَجْلِسِهِ خَوَاصَ النَّاسِ، وَذَوِي الْمَرَوَاتِ وَأَرْبَابِ الشَّرَفِ وَالْبَيُوتَاتِ)^(٥) وَأَنْ يَأْذَنَ لِلْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الدِّينِ إِذَا اسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ لِإِبْلَاجِ نَصْحِهِ، يَرْجِعُ صَلَاحُهُ إِلَيْهِ وَإِلَى كَافَةِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَنْ يُصْغِيَ بِنَفْسِهِ إِلَى مَخَاطِبِهِمْ وَيَأْذَنَ لِكَلَامِهِمْ (وَمَحَاوِرَاتِهِمْ)^(٦) وَلَا يَكِلْ ذَلِكَ إِلَى وَزَرَاتِهِ وَحُجَّابِهِ وَسَائِرِ مَنْ يَتَعَمَّدُ عَلَيْهِ مِنْ نَوَابِهِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَذَوِي الرِّيَاسَةِ وَالنَّبْلِ قَدْ يَأْتِفُونَ مِنْ رَفَعِ حَاجَتِهِمْ إِلَى مَنْ لَعَلَّهُ دُونَهُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ فِي الْقَدْرِ وَالْمَنْزِلَةِ، وَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ قَدْ أَهْلُهُ مِنَ الرِّيَاسَةِ لِمَا (هُوَ أَهْلُهُ)^(٧) وَرُبَّمَا اسْتَشْعَرَ بِذلكِ عَلَيْهِمْ شَرَفًا وَفَخْرًا وَشَمَخَ بِأَنفِهِ عَلَيْهِمْ صُلْفًا وَكِبَرًا وَذَوِي الْمَنَاصِبِ الْعَلِيَّةِ قَدْ لَا تَسْمَحُ أَنْفُسُهُمُ الْأَبِيَّةُ بِقَبُولِ ذَلِكَ وَإِنْ عَمَّتْهُمْ الْبَلِيَّةُ

(١) نهاية الأرب، ج ٣ ص ٩٣، والبيت منسوب إلى أبي علي البصير (الفضل بن جعفر الكوفي) المتوفى سنة ٢٥١هـ؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢٨٦؛ عيون الأخبار، م ٢ ج ٨ ص ١٢٥؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٠٣، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) زيادة من (ب - ج).

(٣) عيون الأخبار، م ٢ ج ٨ ص ١٢٥، والبيت من شعر الحمدوني في الحسين بن أيوب والي البصرة.

(٤) في (ب - ج - د): قلت.

(٥) زيادة من (ب - ج - د).

(٦) في (ب - ج - د): محاورتهم.

(٧) في (ب - د): لما أهله.

ودهمتهم الرزية^(١)، ورُبُّما قلَّدَهُم بِمَا يَرْفَعُ مِنْ مَّارِبِهِمْ وَيُنْجِحُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ مَطَالِبِهِمْ مِنْهُ يَصْعَبُ عَلَى مِثْلِهِمْ مِنْ مِثْلِهِ تَحْمِلُهَا (ويعسر^(٢)) عَلَيْهِمْ تَقْلُدُهَا وَأَيْضاً (فقد^(٣)) لَا يَنْقَلُونَ لَفْظُهُمْ عَلَى صِيغَتِهِ وَلَا يُصِيبُونَ الْمَعْنَى الْمُرَادَ عَلَى حَقِيقَتِهِ فَيَصِيرُونَ لِسُوءِ نَقْلِهِمْ وَنَقْصَانِ عَقْلِهِمْ، الْمَدْحَ قَدْحاً، وَالتَّلَطُّفَ تَعَسُّفاً، وَالتَّوَدُّدَ تَهْدُداً وَالْإِبَانَةَ (نِيَابَةً)^(٤)، وَالْأَمَانَةَ خِيَانَةً. ثُمَّ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ إِذَا اتَّخَذَ حَاجِباً أَنْ يَكُونَ أَمِيناً عَاقِلاً، أَدِيباً فَاضِلاً عَارِفاً بِمَقَادِيرِ النَّاسِ وَمَنَازِلِهِمْ وَعَالِماً بِحَقِّهِمْ وَخُرْمَتِهِمْ، لِيَأْذَنَ لَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَحْوَالِهِمْ وَيَقْدِّمَهُمْ فِي الدُّخُولِ عَلَى حَسَبِ دَرَجَاتِهِمْ.

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِأَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ^(٥)، حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى مِصْرَ: اعْرِفْ حَاجِبَكَ وَكَاتِبَكَ وَجَلِيسَكَ فَإِنَّ الْغَائِبَ عَنْكَ يَخْبِرُهُ عَنْكَ كَاتِبُكَ وَالْمُتَوَسِّمَ لَكَ يُعْرِفُكَ بِحَاجِبِكَ (وَالْخَارِجَ)^(٦) يُعْرِفُكَ بِجَلِيسِكَ^(٧). قَالَ رَجُلٌ

(١) الرزية: المصيبة والجمع رزايا.

(٢) فِي (ب): يَصْعَبُ.

(٣) سَاقِطَةٌ مِنْ (ج - د).

(٤) فِي (ب - ج - د): عُنَايَةٌ، أَوَّلُ مِنْ رَتَبِ الْمَرَاتِبِ فِي الدُّخُولِ عَلَى السُّلْطَانِ زِيَادَ بْنِ أَبِيهِ فِي الْعِرَاقِ، وَلَعَلَّهُ اقْتَبَسَهَا مِنَ الْفَرَسِ فَجَعَلَ الْإِذْنَ لِلنَّاسِ عَلَى الْبُيُوتَاتِ، ثُمَّ عَلَى الْإِنْسَانِ، ثُمَّ عَلَى الْأَدَابِ، فَصَارَ ذَلِكَ قَاعِدَةً مَرْعِيَةً فَلِذَا اسْتَأْذَنَ جَمَاعَةٌ فِي الدُّخُولِ، قَدَّمَ أَشْرَفَهُمْ نِسْباً، ثُمَّ أَكْبَرَهُمْ سِنًا، ثُمَّ أَكْثَرَهُمْ أَدَباً، وَضَلَّتْ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ مَرْعِيَةً فِي سَائِرِ الْعُصُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

(٥) هُوَ أَبُو عَمْرِو عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، وَلِيَ مِصْرَ عَشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ مَوْلَدُهُ بِالْمَدِينَةِ وَكَانَ وَلِيَ الْعَهْدَ بَعْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَقَدَ لَهَا أَبُوهَا كَذَلِكَ، فَلَمَّا مَاتَ عَقَدَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْبَيْعَةَ لَوْلَدِهِ تُوْفِي سَنَةَ ٨٥هـ وَتَوَلَّى مِصْرَ مِنْ بَعْدِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ، ج ١ ص ١٧١ - ١٧٤؛ شَذَرَاتُ الدَّاهِبِ، ج ١ ص ٩٥.

(٦) فِي (ب): وَالدَّخْلُ.

(٧) عَيُونُ الْأَخْبَارِ، م ١ ج ١ ص ٤٤، وَفِيهِ وَالدَّخْلُ عَلَيْكَ يَصْرَفُكَ بِجَلِيسِكَ؛ نَثَرُ الدَّرَرِ - مَخْطُوطٌ، ج ٣ ص ٢٩.

لزياد أن حاجبك يبدأ بالأذن لمعارفه، فقال قد أحسن فالمعرفة تنفع عند الكلب العقور والجمل العضوض، كن من معارفه أنت أيضاً^(١). ثم يُقيم الحوائج الناس (وتعريفها)^(٢) إليه، من خواصه أروعهم وآدبهم وأحرصهم على الخير وطلب الأجر، (وتجنب)^(٣) العار والوزر واكتساب الثناء والشكر، ثم يجعل لعوام الناس وكافة ذوي الحوائج والمتظلمين يوماً في الأسبوع أو في الشهر، على قدر الحاجة إليه، يأذن لهم في الدخول عليه ليستدرك (كل)^(٤) منهم ما عجز عن تداركه بالوسائط والذرائع ويصل من حقه إلى ق/ ٣٠ ما (لم)^(٥) يوصله إليه القضاة (وأرباب الصنائع وعجز عن إنصافه)^(٦) ولأه المظالم (وكاد يخرج عما هو فيه عن معلوم المعالم)^(٧). فهذه أحمد

(١) المحاسن والمساوىء، ج ١ ص ٢٦٤؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٥١، ونسبه لمعاوية؛ الكامل للمبرد، ج ١ ص ٥٤، ونسبه للمغيرة بن شعبة؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٣٢، ونسبه لزياد؛ فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، ج ٢ ص ٦٨١، ونسبه للمغيرة بن شعبة.

(٢) في (ب): وتبليغها.

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) زيادة من (ب - ج - د).

(٥) زيادة من (ب - ج - د).

(٦) ساقطة من (ب - ج - د).

(٧) ساقطة من (ب - ج - د).

إلى كل هذا ذهب ابن الأزرق فيما بعد، عندما قسم الظهور الواجب على السلطان، للنظر في سياسة ملكه ورعيته، فجعله نوعين: الأول للعامة ونقل قول ابن حزم أنه يوم من الجمعة، لا يمنع منه مشتكي كائناً من كان وهو نفس ما ذهب إليه الإمام القلعي وإن كان الإمام قد قلل منه فجعله يوماً في الأسبوع أو في الشهر. النوع الثاني: للخاصة المستعان بهم في التدبير وقد جعله ابن حزم سائر الأيام، وهو عين ما ذهب إليه المؤلف وتكلم الطرطوشي في سراج - الملوك عن الحجاب، وأن شدته قد تضر بالسلطان فقال: وأما الاحتجاب فهو أوحى الخلال في هدم السلطان، وأسرعها خراباً للدول، ثم شبهه بالموت الحكمي وقال لا تزال الرعية ذات سلطان =

السَّيَرِ وَأَرْضَاهَا عِنْدَ ذَوِي الرَّأْيِ وَالنَّظَرَةِ وَمَا قِيلَ فِي ذِمِّ الْحُجَابِ قَوْلُ
(أَبِي) (١) الْعَتَاهِيَةِ (٢) فِي أَحْمَدَ بْنَ يَوْسَفَ (٣) وَقَدْ حُجِبَ عَنْهُ.

لَأَن عَدْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ أَنِّي لظَالِمٌ سَاصِرُفٌ وَجَوِي حَيْثُ تُبْغَى الْمَكَارِمُ
مَتَى يَظْفِرُ الْغَادِي إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ وَنَصْفُكَ مُحْجُوبٌ وَنَصْفُكَ نَائِمٌ (٤)؟

وَقَالَ أَيْضاً: فِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ (٥):

أَتَيْتُكَ يَا هَذَا فَأَغْلَقْتَ بَابَكَ أَكُنْتُ تَرَانِي حَيْثُ أَبْغِي بَابَكَ
وَلَيْسَ لَشَيْءٍ غَيْرُ تَسْلِيمٍ مَرَّةً أَتَيْتُكَ فَأَشْدُدُ مَا بَقِيَ حِجَابِكَ
لَكَ اللَّهُ أَلَا جِئْتُ بِابِكَ غَيْرَ مَا فَعَلْتُ وَلَا كَلَفْتُ نَفْسِي طِلَابَكَ

وَلِأَحْمَدَ (بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) (٦) مُؤَلِّفِ كِتَابِ الْعَقْدِ فِي آخِرِهِ:

مَا بَالُ بِأَبْكَ مُحْجُوبٌ بِنَوَابٍ تَحْمِيهِ مِنْ طَارِقٍ يَأْتِي وَمَتَابٍ

= واحد، ما وصلوا إلى سلطانهم، فإذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة. انظر: بدائع

السلك، ج ١ ص ٣٦٢ - ٣٧٢؛ سراج الملوك، ص ٥٠.

(١) في (ج - د): أبو.

(٢) أبو العتاهية تقدمت ترجمته، ص ١٩٧.

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح، كاتب المأمون على ديوان الرسائل

كان من أفضل الكتّاب في عصره وأذكاهم وأجمعهم للمحاسن، يقول الشعر الجيد توفي

سنة ٢١٣هـ، النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٠٦؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٦٩.

(٤) ديوان أبي العتاهية، ص ٤١٠؛ المحاسن والمساوي، ج ١ ص ٢٦٧؛ عيون الأخبار،

م ١ ج ١ ص ٨٥.

(٥) عمرو بن العلاء: لم أجد له ترجمة فيما لدي من المراجع.

(٦) في (ب - ج - د): ابن عبد ربه وهو الصواب - كان من العلماء. الكثيرين من

المحفوظات، والاطلاع على أخبار الناس وصنف كتاب العقد وهو من الكتب الممتعة

وله ديوان شعر وكانت ولادته سنة ٢٤٦هـ، وتوفي سنة ٣٢٨هـ ودفن في مقبرة بني

العباس بقرطبة، وفيات الأعيان، م ١ ص ١١٠ - ١١٢.

لا تحجب وجهك الممقوت من أحدٍ
واعزل عن الباب من قد ظل يحرسه
فالمقت يحجبه من غير حجابٍ
فإن وجهك طلسم على الباب^(١)
وقال آخر:

حجابك من مهائيه عسير
خرجت كما دخلت إليك إلا
وخيرك من برّ يده يسير
تراباً طار في جفني كثير^(٢)

(١) ديوان ابن عبد ربه، ص ٢٤، والبيت الأول في الديوان ورد:

ما بال بابك محروساً بيواب يحميه من طارق يأتي ومنتاب
العقد الفريد، ج ١ ص ٥٧.

(٢) العقد الفريد، ج ١ ص ٥٥ - ٥٦، والشعر منسوب لمحمود البغدادي مع اختلاف في البيت الأول فقد روى في كتاب العقد:

حجابك من مهائيه عسير وخيرك في اليدين غدا يسيرا

القسم الثاني من الكتاب: في الحكايات عن
الخلفاء والوزراء والعمال والأمرأة الدالة
على مناقبهم وارتفاع مراتبهم ولنبدأ بذكر
معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه،
لقرب عهده ثم من بعده على ترتيب وجودهم
وتعاقب أزميتهم إلى حيث ينتهي بنا الكلام
وبالله التوفيق..

رُوي أن معاوية^(١) كان يجلس ويأذن كل يوم خمس مرات كان إذا
صلّى الفجر جلس فيقرأ القصص (ويقضي حاجة من حصر ثم يأخذ

(١) هو معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس الأموي، كان أبوه
صخر بن حرب أحد أشياخ مكة، وأمه هند بنت عتبة، يكنى أبا عبد الرحمن أسلم
يوم الفتح على المشهور، وذكر ابن سعد في الطبقات انه أسلم عام الحديبية، ولكنه كان
يكتنم لإسلامه من أبي سفيان ولكن المشهور انه من مسلمة الفتح شهد مع رسول الله
صلّى الله عليه وسلم حنيناً والطائف وأعطاه رسول الله من غنائم حنين، مائة من الإبل
وأربعين أوقية وزنها له بلال، وحسن إسلامه وجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من
كتبة الوحي، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة وثلاثة وستين حديثاً، بعضها
في الصحيحين وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، وكان موصوفاً بالدهاء والحلم
حتى قال فيه عمر: تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية ومرة أخرى يقول
فيه: احذروا فتى قریش وابن كريمها الذي لا ينأى إلا على الرضى، ويضحك عند
الغضب وهو يتناول من فوقه ومن تحته. ولقد كان عمر خبيراً بالرجال عندما قال لمعاوية
وقد لقيه في موكب وبهرجه وأنبه على ذلك فقال له ان العدو قريب منا ولهم عيون
وجواسيس فأردت أن أظهر عزة الإسلام، فقال له عمر إن هذا لكيد رجل لبيب، =

.....

= أوخذعه رجل أريب. ويوضح لنا معاوية سياسته التي مكنته من الوصول إلى سدة الحكم وامرة المؤمنين، فلقد كان يكرر «لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت إذا رخواها شددتها وإذا شدوها أرخيتها». وهذا ابن طباطبا يصف لنا معاوية فيقول كان عاقلاً في دنياه، لبيباً عالمًا، حليماً ملكاً قوياً، جيد السياسة حسن التدبير لأمر الدنيا، عاقلاً حكيمًا فصيحاً بليغاً يحلم في موضع الحلم ويشدد في موضع الشدة، إلا أن الحلم أغلب عليه. ومما يدل على سعة حلمه أنه قال لقيس بن سعد يا قيس والله كنت أود أن تنكشف الحروب التي بيني وبين علي وأنت حي، فقال قيس إني كنت أكره أن تنكشف تلك الحروب وأنت أمير المؤمنين. فلم يحرك معاوية منه ساكنًا. وأجمع أهل التواريخ على أنه من دهاة العرب المعدودين، الذي لا تعجزه الحيلة ولا تنطلي عليه الأمور. فقد كان بحق كما قال الفخري في الآداب السلطانية مربى دول، وسائس أمم، وراعي ممالك ابتكر في الدولة أشياء لم يسبقه أحد إليها. تولى أمرة الشام لعمر بعد موت أخيه، وأقره عثمان عليها اثنتي عشرة سنة، فعامل أهلها باللطف واللين حتى وصل إلى قلوبهم وبهم حارب علياً بن أبي طالب خمس سنين. واجتمع الناس عليه سنة ٤١هـ بعد تنازل الحسن بن علي، رضي الله عنه، في عام الجماعة، فساس معاوية دولة مترامية الأطراف متباعدة الأجناس، فكان يمزج اللبن بالقوة والحلم والكرم بحد السيف فكان يعطي المقارب، ويداري المبعاد، ويعامل كل طائفة بما يناسبها يشدد في موضع الشدة، ويلين حيث ينفع اللين، ويجود حيث ينفع الجود فلقد لامه قومه في إغداقه على بني هاشم، فقال ويحكم أن الحرب تتطلب نفقات أكثر. ولقد اعتمد معاوية في تثبيت أركان دولته على رجال محنكين ضمهم إليه من أمثال المغيرة وعمر بن العاص وزباد بن أبيه فهم الذين ساعدوه في ضبط زمام الأمور وإشاعة الأمن والهدوء في أرجاء دولته المترامية الأطراف. ولقد اعجب المؤرخون قديماً وحديثاً بسياسة معاوية وأخلاقه فنجد المسعودي يقول ولقد تبعه في سياسته، عبد الملك بن مروان وغيره، فلم يدركوا حلمه ولا اتقانه للسياسة. وهذا نلكسون يقول كان معاوية سياسياً محنكاً لا يقل في مضممار السياسة عن ريشيليو فقد مكنته معرفته التامة بالطبائع البشرية من أن يجذب إليه الرجال ذوي الآراء المعتدلة في جميع الأحزاب المعارضة، توفي بدمشق، سنة ٦٠هـ. ودفن بها وهو ابن ٧٨ سنة وكانت خلافته تسع عشرة سنة ونصف وهو أول من جعل ابنه ولي العهد بعد، وأول من اتخذ ديوان الخاتم وأول من قام على رأسه، وكان يقول أنا أول الملوك/ الاستيعاب ق/ ٣ ص ١٤١٦ - ١٤٢٢؛ الطبقات الكبرى، ج ٧ ص ٧ ص ١٢٨؛ الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٠٣ - ١١١؛ الطبري، ج ٧ =

المصحف فيقرأ أجزاء من القرآن الكريم^(١)، ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ فَيَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ يَقْعُدُ فِي مَجْلِسِهِ وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ خَاضِعَةً التَّخَاضِعَ وَيَدْعُو بِالْغَدَاءِ الْأَصْغَرَ مِنْ (فَضْلَاتِ)^(٢) الْعِشَاءِ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِكَرْسِيِّهِ حَيْثُ الْمَقْصُورَةُ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَيَأْتِيهِ ابْنُ السَّبِيلِ وَالْأَعْرَابِيُّ، وَمَنْ تُسْتَدْعَى مِنْ (الاماء)^(٣) وَالْعَجَائِزِ وَالصَّبِيَّانِ فَيَقْضِي حَوَائِجَهُمْ، وَلَا يَضْجُرُ، ثُمَّ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ (فَيَأْتِيهِ)^(٤) أَشْرَافُ النَّاسِ وَالْعُلَمَاءِ فَيَقْضِي لَهُمُ الْحَوَائِجَ، ثُمَّ يَدْعُو بِغَدَائِهِ الْأَكْبَرِ، فَيَطِيلُ الْأَكْلَ وَيُضْغِي لِكُلِّ أَصْحَابِ الْحَوَائِجِ، ثُمَّ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ إِلَى الظُّهْرِ فَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ، ثُمَّ يَخْرُجُ يُصَلِّي الظُّهْرَ وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ الْخَوَاصُّ، فَإِنْ كَانَ أَيَّامُ الشَّتَاءِ دَعَا بِالْحُلُوتِ الْيَابِسَةِ وَإِنْ كَانَ صَيْفًا دَعَا بِالْفَوَاكِهِ، فَيَأْخُذُ (مِنَ الْأَكْلِ)^(٥) إِلَى الْعَصْرِ، ثُمَّ يَجْلِسُ عَلَى سَرِيرِهِ وَيَأْذُنُ لِلنَّاسِ إِلَى الْغُرُوبِ، ثُمَّ يَأْذُنُ لِمَا خَصَّتْهُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ يَسَامُرُونَهُ، وَيَنَامُ الثَّلَاثَ الْأَوْسَطَ، وَيُصَلِّي الثَّلَاثَ الْآخِرَ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٦). قِيلَ سَمِرَ مَعَاوِيَةُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَذَكَرَ كَلَامَ الزُّرْقَاءِ^(٧) بِنْتِ عَدِيٍّ، امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مِمَّنْ نَصَرَ عَلِيًّا (عَلَيْهِ

= ص ١٩٨ - ٢١٦؛ تاريخ الخلفاء، ص ١٩٤ - ٢٠٥؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ١١٧؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٥٣ - ١٥٤؛ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ١ ص ٢٨٤؛ الكامل في التاريخ، م ٣ ص ٢٦٢؛ تاريخ ابن خلدون، م ٣ ص ٤.

- (١) ساقطة من (ج - د).
- (٢) في (ج - د): فضول.
- (٣) في (ب - د): النساء.
- (٤) في (د): ويحضر.
- (٥) في (ج): بالأكل.
- (٦) مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٣ - ٢٤؛ باختلاف يسير في بعض الأمور؛ بدائع السلك، ج ١ ص ٣٦٥.
- (٧) من ربات الفصاحة والبلاغة والعقل، كوفية الأصل ناصرت علي بن أبي طالب يوم =

السلام^(١) يومَ صَفِين^(٢) فقال لأصحابه أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَ الزَّرْقَاءِ، فقالوا كُلُّنَا يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْفَظُهُ فقال فما تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا، فقالوا نَشِيرُ بِقَتْلِهَا، فقال بِشَسِّ الرَّأْيِ رَأَيْتُمْ أَيُّحْسِنُ بِمِثْلِي أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ (عَلَى)^(٣)، أَنِي قَتَلْتُ امْرَأَةً بَعْدَمَا مَلَكَتْ فَظَفَرْتُ ثُمَّ دَعَا بِكَاتِبِهِ، فَكَتَبَ إِلَى وَالِيهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ أَوْفِدَ إِلَى الزَّرْقَاءِ بِنْتِ عَدِيٍّ مَعَ نَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهَا (وَعِدَةٍ مِنْ فُرْسَانٍ قَوْمِهَا)^(٤) وَمَهَّدَ لَهَا وَطَاءً لِنَا^(٥) فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا فَأَقْرَأَهَا الْكِتَابَ، فَقَالَتْ أَمَّا أَنَا فغَيْرُ زَائِغَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ، فَإِنْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ الْاِخْتِيَارَ إِلَيَّ لَمْ أَرْمِ مِنْ بَلَدِي، وَإِنْ كَانَ حَتَمَ الْأَمْرَ فَالْسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَهُ، فَحَمَلَهَا (عَلَى أَحْسَنِ مَطِيَّةٍ)^(٦) فِي هَوْدَجٍ وَجَعَلَ غِشَاءَهُ خِزًّا مُبْطَنًا، وَأَحْسَنَ صَحْبَتَهَا فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مَعَاوِيَةَ، قَالَ لَهَا مَرْحَبًا وَأَهْلًا خَيْرٌ مُقَدِّمٌ قَدِمَهُ وَأَفْذُ كَيْفَ حَالُكِ يَا خَالَةَ، وَكَيْفَ رَأَيْتِ ق/ ٣١ مَسِيرَكَ فَقَالَتْ خَيْرٌ مَسِيرَ كَأَنِّي رَبِيبَةٌ (بَيْتٍ)^(٧) أَوْ طِفْلٌ فِي مَهْدٍ، فَهَلْ تَعْلَمِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَتْ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ أَلَسْتَ رَاكِبَةً الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ يَوْمَ صَفِينَ، وَأَنْتِ بَيْنَ الصُّفِينِ تُوقَدِينَ نَارَ الْحَرْبِ، (وَتَحْضِينَ)^(٨) عَلَى الْقِتَالِ، قَالَتْ بَلَى قَالَ فَمَا حَمَلُكِ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَتْ

= صَفِينَ، وَلَمَّا تَمَّ الْأَمْرُ لِمَعَاوِيَةَ اسْتَقْدَمَهَا وَأَكْرَمَهَا، وَكَتَبَ إِلَى وَالِي الْكُوفَةِ بِالْوَصِيَّةِ بِهَا وَبِعَشِيرَتِهَا/ أَعْلَامُ النِّسَاءِ، ج ٢ ص ٣٢.

(١) فِي (ج، د): رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مَعْرَكَةُ بَيْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَمَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ سَنَةَ ٣٦ هـ، وَكَانَ بَعْدَهَا التَّحْكِيمُ الَّذِي كَانَ سَبَبَ خُرُوجِ الْخَوَارِجِ.

(٣) فِي (د): عَنِي.

(٤) فِي (د): وَعِدَةُ فُرْسَانٍ مِنْ قَوْمِهَا.

(٥) أَيُّ فَرَّاشٍ.

(٦) سَاقِطَةٌ مِنْ (ب - ج - د).

(٧) سَاقِطَةٌ مِنْ (د).

(٨) فِي (د): تَحْضِينَ النَّاسِ.

يا أمير المؤمنين إنه قد مات الرأس وبتَر الذنب، والدَّهْرُ ذو غير^(١)، ومن تفكَّر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر. قال صدقَ فهل تحفظين كلامك، قالت لا والله، قال لله أبوك لقد سمعتك تقولين: أيها الناس انكم في فتنة (عمياء صماء)^(٢) غشيتكم جلابيب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجة فيا لها من فتنة لا يُسمع لقائلها، ولا تنقاد لسائقها^(٣)، أيها الناس إن المصباح لا يضيئ في الشمس وإن الكواكب لا تنير مع القمر وإن البغل لا يسبق الفرس، ولا يقطع الحديد إلا الحديد، ألا من استرشد أرشدناه ومن سألنا أخبرناه أن الحق كان يطلب ضالته (فوجدها)^(٤)، فصبراً يا معاشر المسلمين من المهاجرين والأنصار (على الغصص)^(٥) فكانه قد التأم شعب الشتات وظهرت كلمة (العدل)^(٦) وغلب الحق باطله، فلا يعجلن^(٧) أحدكم يقول كيف ذلك ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، إن خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير في الأمور عواقب، أيها^(٨) إلى الحرب قدماً غير ناكسين فهذا يوم له ما بعده، قال يا زرقاء لقد شاركت علياً (عليه السلام)^(٩)

(١) غير أحداث جمع غيره بالكسر ومنه تغايرت الأشياء اختلفت وغير الدهر أحداثه المفيدة / القاموس المحيط.

(٢) ساقطة من (د).

(٣) في صبح الأعشى ولا تسلس لقائدها.

(٤) في (د) فأصاها.

(٥) زيادة من صبح الأعشى وجمهرة خطب العرب.

(٦) في (د): الهدى.

(٧) في جمهرة خطب العرب وصبح الأعشى فلا يجهلن أحد.

(٨) أية اسم فعل فإذا قلت لغيرك أية بلا تنوين فقد أمرته أن يزيدك من الحديث الذي بينكما المعهود وان وصلته بكلام آخر نونته وقد أمرته أن يزيدك حديثاً ما لأن التنوين تنكير/ مختار الصحاح؛ المصباح المنير.

(٩) ساقطة من (ب - ج - د).

في كُلِّ دَمٍ سَفَكُهُ، قَالَتْ أَحْسَنَ اللَّهُ بِشَارَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ سَلَامَتَكَ
مِثْلَكَ بَشَرٌ بِخَيْرٍ وَسَرٌّ جَلِيلٌ قَالَ لَهَا وَقَدْ سَرَّكَ ذَلِكَ، قَالَتْ نَعَمْ وَاللَّهِ سَرَّنِي
قَوْلُكَ وَأَنْتَ لِي بِتَصَدِيقِهِ قَالَ معاويةُ وَاللَّهِ لَوْ فَأَوْكُمُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، أَعْجَبُ إِلَيَّ
مَنْ حُبِّكُمْ لَهُ فِي حَيَاتِهِ، أَذْكُرِي حَاجَتَكَ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي آلَيْتُ
عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا أَعْنَتْ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَمِثْلُكَ مَنْ أَعْطَى مِنْ غَيْرِ
مَسْأَلَةٍ، وَجَادَ مِنْ غَيْرِ طُلْبَةٍ قَالَ صَدَقْتَ ثُمَّ اقْطَعِهَا ضَبْعَةً اسْتَغْلَتْ مِنْهَا أَوَّلُ
سَنَةِ عَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ^(١).

وَذُكِرَ أَنَّ سُودَةَ بِنْتَ عِمَارَةَ^(٢) بِنَ أُسَيْدٍ اسْتَأْذَنْتْ عَلَيْهِ فَلَمَّا أُذِنَ (لَهَا)^(٣)
قَالَ هِيَ يَا بِنْتَ الْأُسَيْدِ الْقَائِلَةُ يَوْمَ صِفِّينَ:

شَمَّرُ كَفْعَلٍ أَيْبِكِ يَا بِنَ عِمَارَةَ	يَوْمَ الطَّعْمَانِ وَمُلْتَقَى الْأَقْرَانِ
وَانْصُرُ عَلِيًّا وَالْحُسَيْنَ وَرَهْطَهُ	وَاقْصِدْ لِهِنْدٍ وَابْنَهَا بِهَوَانٍ
إِنَّ الْإِمَامَ أَخُو النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ	عَلَّمَ الْهَدْيَ وَمَنَارَةَ الْإِيمَانِ
فَقْدِ الْجِيُوشَ وَسِرِّ أَمَامَ لَوَائِهِ	قَدُمًا بِأَيْضِ صَارِمٍ وَسِنَانِ

فَقَالَتْ بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا مِثْلِي مَنْ رَغِبَ عَنِ الْحَقِّ وَلَا اعْتَذَرَ
بِالْكَذِبِ قَالَ فَمَا حَمْلُكَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَتْ حُبٌّ عَلَيٍّ وَاتِّبَاعُ الْحَقِّ، فَقَالَ وَاللَّهِ
مَا أَرَى عَلَيْكُمْ مِنْ أَثَرِ عَلِيٍّ شَيْئًا، فَقَالَتْ نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ
إِعَادَةَ مَا مَضَى وَتَذْكَارِ مَا خَلَا، فَقَالَ هِيَ هَاتِ مَا مِثْلُ مَقَامِ أَخِيكَ يُنْسَى،

(١) العقد الفريد، ج ١ ص ٢٩٤ - ٢٩٥؛ صبح الأعشى، ج ١ ص ٢٥٢ - ٢٥٣؛
جهرة خطب العرب، ج ١ ص ٣٧٣ - ٣٧٤؛ العقد الفريد للملك السعيد،
ص ١١٢ - ١١٣؛ أعلام النساء، ج ٢ ص ٣٢ - ٣٤.

(٢) هي سودة بنت الأشتر الهمداني، شاعره من شواعر العرب ذات فصاحة وبيان وفدت
على معاوية بن أبي سفيان فانصفها وقومها/ أعلام النساء، ج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧٢.

(٣) زيادة من (ب).

وما لقيتُ مِنْ أَحَدٍ ما لقيتُ مِنْ أَخِيكَ (وقومك) ^(١)، قالتْ صدقتْ يا أَمِيرَ المؤمنينَ لَمْ يَكُنْ أَخِي واللَّهِ دَهِشَ ^(٢) (المقال) ^(٣)، ولا خفيَ المكانِ، وكانَ والله كما قالتِ الخنساء ^(٤):

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّ هـ عَلمٌ في رَأْسِهِ نارٌ ^(٥)

وأنا أسأَلُ أَمِيرَ المؤمنينَ إِعْفائيَ مما استعفيتهُ مِنْهُ، فقالَ قد فعلتُ فما حاجتُكَ فقالَتْ يا أَمِيرَ المؤمنينَ إِنَّكَ أَصْبَحْتَ لِلنَّاسِ سَيِّدًا، وَلَأَمْرِهِم واليًّا، واللَّهِ سائِلُكَ عَنْ أَمُورِنَا، وما افترضَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنْ حَقِّنَا، وما يَزَالُ يُقَدِّمُ عَلَيْنَا مَنْ يَهْجُمُ بِعِزِّكَ وَيَبْطِشُ بِسُلْطَانِكَ، فيحصدنا حَصْدَ السُّنْبُلِ وَيَدُوسُنَا دُوسَ البَقْرِ، ويسومنا الخِشْفَ، هَذَا ابْنُ أَرَاطَةَ ^(٦) قَدِمَ عَلَيْنَا فَقَتَلَ

(١) زيادة من (ب - ج - د).

(٢) دهش الرجل تحير، ودهش دهشا فهو دهش ذهب عقله حياء أو خوفًا/ غتار الصحاح؛ المصباح المنير.

(٣) في (ج - د): المقام.

(٤) هي تماضر بنت عمرو بن الشريد، الشاعرة المعروفة بالخنساء قدمت على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مع قومها بني سليم، فأسلمت معهم وكان الرسول يستشهدا الشعر. اشتهر شعرها في أخيها صخر حضرت القادسية، ومعها بنوها الأربعة فاستشهدوا كلهم فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم. وكان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يعطي الخنساء أرزاق أولادها الأربعة/ الاستيعاب ق/٤، ص ١٤٢٩.

(٥) ديوان الخنساء، ص ٤٥؛ طبقات الشعراء، ج ١ ص ٢١٠.

(٦) هو بسر بن أراطه بن أبي أراطه القرشي العامري، يكنى أبا عبد الرحمن لم يسمع من النبي، صلى الله عليه وسلم، لأن رسول الله قبض وهو صغير، كان فارساً فتاكاً، ذبح ابني عبيد الله بن العباس وهما صغيرين بين يدي أمهما، فتولعت عليهما وأشرع القتل في أهل البيت حتى خد لهم الأخاديد، وسبى النساء المسلمات ولذلك يجمع أهل السير أنه رجل سوء مات بالمدينة وقيل بل مات بالشام في بقية من أيام معاوية/ الحلة السيرة، ج ٢ ص ٣٢٤؛ الاستيعاب ق/١، ص ١٥٧؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٦٨؛ الطبقات الكبرى، ج ٧ ص ١٣٠.

رجالاً وأخذ أموالاً، ولولا الطاعة لكانَ فينا عزٌّ ومنعةٌ، فإما عزلته فشكرناك، وإلا عرفناك فقال معاويةُ أبقومك تُهدِّديني لقد هممتُ أحملك على قتبٍ أشرسٍ^(١) فاردك إليه فينفذ فيك حكمه، فاطرقت وبكت. وأنشأت تقول:

صلى الإله على (قبر)^(٢) تظمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفوناً
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والإيمان مقرّوناً

قال ومن ق/ ٣٢ ذلك قالت (أمير المؤمنين)^(٣) علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٤) قال وما علمك بذلك، فقالت أتيت في رجلٍ (ولاه علينا)^(٥) لم يكن بيننا وبينه إلا ما بين الغبّ والسمين، فوجدته قائماً يصلي فلما نظر إليّ انتفل من صلاته فقال برأفةٍ ورحمةٍ ألك حاجة، فأخبرته فبكى وقال اللهم أشهد (علي وعليهم)^(٦) إني لم أمرهم بظلم أحدٍ من خلقك ولا بترك شيءٍ من حَقِّك، ثم أخرج من جيبه قطعة جلد، وكتب فيها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾^(٧) وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾^(٨).

إذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك، حتى يقدم (عليك)^(٩) من

(١) أشرس: أي سيء الخلق، وهو من القتب الخشن الغليظ والقلب: هو ما يوضع على ظهر البعير/ يختار الصحاح؛ المصباح المنير.

(٢) في (ج - د): روح.

(٣) ساقطة من (د).

(٤) في (ب - ج - د): كرم الله وجهه.

(٥) في جمهرة خطب العرب ولأه صدقاتنا.

(٦) زيادة من (ج - د).

(٧) سورة الأعراف: آية ٨٥.

(٨) سورة هود: آية ٨٥ - ٨٦.

(٩) في (ب - ج): إليك.

يَقْبِضُهُ مِنْكَ وَالسَّلَامُ. فَأَخَذَتْهُ مِنْهُ وَاللَّهُ مَا حَزَمَهُ بِحَزَامِهِ، وَلَا خَتَمَهُ بِطِينٍ فَعَزَلَهُ بِهِ. فَقَالَ معاويةُ اكْتُبُوا لَهَا بِرِدِّ مَالِهَا، وَالْعَدْلَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ إِلَيَّ خَاصَّةٌ أَمْ لِقَوْمِي عَامَّةٌ فَقَالَ مَا أَنْتِ وَقَوْمُكَ فَقَالَتْ هِيَ وَاللَّهِ الْفَحْشَاءُ (إِذْنُ اللَّؤْمِ) ^(١)، إِنْ كَانَ عَدْلًا شَامِلًا، وَإِلَّا فَأَنَا كَسَائِرِ قَوْمِي. قَالَ هِيَهَاتَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ (لِمَظْكَمِ) ^(٢) عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْجُرَّاءُ عَلَى السُّلْطَانِ، اكْتُبُوا لَهَا بِحَاجَتِهَا وَلِسَائِرِ قَوْمِهَا ^(٣). (وَرُوِيَ) ^(٤) أَنَّهُ أُتِيَ معاويةُ بِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ (أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) ^(٥) عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ^(٦) كَانَ قَدْ أَبْلَى مَعَهُ بَلَاءً حَسَنًا فَقَالَ معاويةُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ فَقَالَ لَا تَقُلْ ذَلِكَ وَلَكِنْ قُلْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَإِنَّهَا مُصِيبَةٌ، قَالَ وَأَيُّ نِعْمَةٍ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ اللَّهُ قَدْ أَظْفَرَنِي بِرَجُلٍ، قَتَلَ بِسَاعَةٍ وَاحِدَةٍ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِي، اضْرَبَا عَنْقَهُ فَقَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ أَنَّ معاويةَ لَمْ يَقْتُلْنِي فِيكَ وَلَا أَنَّكَ رَضِيتَ قَتْلِي وَلَكِنْ يَقْتُلْنِي عَلَى سَبِيلِ الْغَلْبَةِ عَلَى حُطَامِ هَذِهِ الدُّنْيَا، (فَإِنْ فَعَلَ فافْعَلْ بِهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ) ^(٧) وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فافْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، قَالَ معاويةُ قَاتِلْكَ اللَّهُ لَقَدْ سَبَبْتَ فَاَبْلَغْتَ بِالسَّبِّ وَدَعَوْتَ فَاَبْلَغْتَ فِي الدُّعَاءِ خَلِيَا عَنْهُ ^(٨).

(١) ساقطة من (ب - ج - د).

(٢) تلمظ إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه وأخرج لسانه فمسح به شفتيه/ غتار الصحاح.

(٣) العقد الفريد، ج ١ ص ٢٩١ - ٢٩٢؛ جمهرة خطب العرب، ج ٢ ص ٣٧٥ - ٣٧٧؛ بلاغات النساء، ص ٣٥.

(٤) في (ب - ج - د): ذكر.

(٥) ساقطة من (ب - ج - د).

(٦) في (ب - د): رضي الله عنه.

(٧) في (ب - د): فإن فعل فافعل به ما أنت أهله.

(٨) عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٩٩؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٣٨؛ مروج الذهب، ج ٢ ص ٣٧؛ وفيه أن اسم ذلك الرجل جميل بن كعب الثعلبي وكان من سادات ربيعة، وشيعة علي وأنصاره.

وَرَوَيْ عَنْ معاوية^(١) أَنَّهُ قَالَ اجْعَلُوا لِلشَّعْرِ أَكْثَرَ هَمِّكُمْ^(٢) وَأَحَدَ دَأْبِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ مَآثِرَ أَسْلَافِكُمْ، وَمَوَاضِعَ إِرْشَادِكُمْ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ الْهَرِيرِ^(٣) وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى الْهَرَبِ، فَمَا يَرُدُّنِي إِلَّا قَوْلُ عَمْرٍو بْنِ الْإِطَنْابَةِ^(٤) (حَيْثُ يَقُولُ)^(٥):

أَبْتُ هِمَّتِي وَأَبَى حَيَاثِي وَأَخْذِي الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرِّيحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأْتُ وَجَاشْتُ مَكَانِكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي
وَاقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيحِ
لَأَنِّي عَالِمٌ أَنَّ سَوْفَ تَنُتَا مَسَافَةً بَيْنَ جُثْمَانِي وَرُوحِي^(٦)
وقال معاوية:

كَأَنَّ الْجَبَانَ يَرَى أَنَّهُ يُدَافِعُ عَنْهُ الْفِرَارُ الْأَجْلُ
فَقَدْ تَدْرُكُ الْحَادِثَاتُ الْجَبَانَ وَيَسْلُمُ مِنْهَا الشَّجَاعُ الْبَطْلُ^(٧)

(١) تقدمت ترجمته، ص ٢٥٣.

(٢) في (ب - د) اجعلوا الشعر أكبر همكم.

(٣) يقال ليلة الهرير. كانت بصفين فاشتد فيها القتال، وكشفت الحرب عن ساقها، وتناثرت الرؤوس وكثر عدد القتلى، وكان علي، رضي الله عنه، كلما قتل واحداً كبير تكبيرة، فأحصيت تكبيراته تلك الليلة فبلغت سبعمائة وضرب المثل بهذه الليلة في الشدة واستفحال المطاردة/ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٦٣٧.

(٤) عمرو بن الاطنابة: هو عمرو بن عامر بن زيد الكعبي الخزرجي، شاعر جاهلي فارس كان أشرف الخزرج، واشتهر بنسبته إلى أمه الاطنابة بنت شهاب ومن الرواة من يعده من ملوك العرب في الجاهلية، كانت إقامته بالمدينة، وكان على رأس الخزرج في حرب لها مع الأوس/ الأعلام، ج ٥ ص ٢٥٠.

(٥) ساقطة من (ب - د).

(٦) وفيات الأعيان، م ٥ ص ٢٤١؛ الكامل في اللغة، ج ٢ ص ٣٥١؛ شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٢٨٦؛ العمدة لابن رشيقي، ج ١ ص ٢٩، ولم تذكر هذه المراجع البيت الأخير؛ ديوان الحماسة، ص ٩.

(٧) الكامل في اللغة والأدب، ج ٢ ص ٣٠٢، وفيه أكان الجبان يرى أنه...؛ غرر =

وقال معاوية لعبدالرحمن بن الحكم^(١) يا ابن أخي إنك (لقد)^(٢) لهجت
تقول الشعر، وإياك والتشبيب، فتعبر شريفاً، وإياك والهجاء، فتهجي كريماً
أو تنربةً لثيماً، وإياك والمدح، فإنه كسبُ الخسيس، ولكن أفر بماثر قومك
وقل في الأمثال، ما تزين نفسك وتؤدب به غيرك، فإن لم تجد بدءاً من
المديح، فكن كالمبرار حين مدح، فإنه شفع بنفسه حين بدأ بغيره فقال:
أنزلت نفسي في بني ثعلٍ إن الكريم للكريم مجل^(٣)
وقيل حجّ معاوية فلما دخل المدينة، قال الحسين^(٤) بن علي لأخيه الحسن^(٥)
بن علي صلوات الله عليهم أجمعين لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج قال

= الخصائص، ص ٢٢٢؛ بهجة المجالس، ق ١ ص ٤٧٨؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٢
ص ١٦٥، وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين.

(١) هو أبو مطرف عبدالرحمن بن الحكم بن أبي عاصم الأموي، شاعر إسلامي، متوسط
الحال في شعراء زمانه، وهو أخو مروان بن الحكم شهد يوم الدار وهجا معاوية حين
استلحق زياداً، فغضب عليه وحلف أن لا يرضى عنه حتى يرضى عنه زياد، فخرج
عبدالرحمن إلى زياد فاسترضاه، فرضي وكتب إلى معاوية برضاه عنه، توفي في حدود
السبعين للهجرة؛ فوات الوفيات، ج ٢ ص ٢٧٧ - ٢٧٩.

(٢) في (ب - ج - د): قد.

(٣) المحاسن والمساوي، ج ٢ ص ١٧٢؛ الطبري، ج ٧ ص ٢١٣ - ٢١٤؛ نثر الدرر -
مخطوط، رقم ٢٢٨٠، ج ٣ ص ١١، والبيت لأمرئ القيس في ديوانه، ص ١٩٩،
ونصه في الديوان: أحللت رجلي في بني ثعل.

(٤) هو أبو عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم
وربّانته، ولد بعد أخيه الحسن سنة ٤ للهجرة، سماه رسول الله حسيناً. أشبه الناس
برسول الله صلى الله عليه وسلم جسداً، وكان الرسول يحبه والصديق يكرمه وعمر
وعثمان يحفظون له قرابته، أخرجه أهل الكوفة فصار إليهم، فلما قرب من الكوفة
عرض له ابن مرجانة عبيد الله بن زياد فقتله وأهل بيته سنة ٦١ هـ فباؤا بإثمه حتى
يبعث الله من في القبور ويحصل ما في الصدور؛ المعارف، ص ٩٣؛ شذرات الذهب،
ج ١ ص ٦٦؛ الاستيعاب، ق ١ ص ٣٩٢ - ٣٩٩.

(٥) تقدمت ترجمته، ص ١٨٣.

الحسنُ إن علينا ديناً ولا بد من إتيانه، فركب في أثره فليحقه فسلم عليه وأخبره بدينه، فمروا عليه ببختي^(١) عليه ثلاثون ألف دينار، قد أعمى وتخلّف عن الإبل وقوم يسوقونه فقال معاوية ما هذا فذكر له فقال اصبرفوا ما عليه لأبي محمد^(٢).

قال زياد^(٣): ما غلبني معاوية في شيء من أمور السياسة قط، إلا في شيء واحد، وذلك أنني استعملت رجلاً، على دست ميسان^(٤) فكسر عليه الخراج فلحق بمعاوية، فكتبت إليه أسأله تسليمه إلي (فكتب في جوابه)^(٥) أما بعد فليس ينبغي لمثلي ومثلك، أن نسوس الناس جميعاً بسياسة واحدة لكن ق/٣٣ تكون أنت للغلظة والفظاظة، وأكون أنا للرفقة والرحمة، فإذا هرب هارب وجد له باباً يلج فيه والسلام^(٦).

وقيل لمعاوية أنت أدهى أم زياد، فقال إن زياداً (ليس يدع)^(٧) الأمور

(١) البخت: نوع من الإبل الواحد بختي والجمع بخاتي، مختار الصحاح.
(٢) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٣ - ١٤؛ غرر الخصاص، ص ١٥٥. ولكن ياترى هل كان الخلفاء، يهبون العطايا الطائلة والمبالغ الكبيرة من أموالهم الخاصة أم من بيت مال المسلمين، وهو أمر لم يذكر فيه المؤرخون نصاً صريحاً وإن كانت أغلب الروايات تشير إلى أنه يدفع من المال العام، فالخليفة يرى نفسه مسؤولاً عن مال الدولة، فهو ينفقه في ما يعود على الدولة بفائدة قد يكون منها إدناء المباعدين، وكسب تأييد من يخشى منه خلافاً ولنا على ذلك تحفظ كبير.

(٣) تقدمت ترجمته، ص ١٣٢.

(٤) دست ميسان: بفتح الدال وسين مهملة ساكنة، وتاء مثناه من فوق وميم مكسورة، وياء مثناه من تحت، وسين أخرى مهملة، وآخره نون مكسورة كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز، معجم البلدان، م ٢ ص ٤٥٥.

(٥) في (ب - ج - د): فكتب إلي في جوابه.

(٦) العقد الفريد، ج ٥ ص ١٠٦؛ البداية والنهاية، ج ٦ ص ١٣٦؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٢؛ بدائع السلك، ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٧) في (ب - ج - د): لا يدع.

تتفرق عليه، بل يجمعها قبل ذلك، وإنها لتتفرق عليّ ثم أجمعها^(١).

(قال قوم لزياد^(٢)) بَمَ ضَبَطَتِ الْعِرَاقَ، قَالَ بِالسَّيْفِ، قَالَ أَنَا ضَبَطْتُ الْعِرَاقَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ بِالْحِلْمِ.

وَلَمَّا هَمَّ معاوية بالبيعة لابنه يزيد^(٣)، كتب إلى زياد يستشيره فيه فدعا زياداً. عبد بن كعب النميري^(٤)، فأوفده على معاوية فقال إن لكل مستشير ثقة، ولكل سير مستودعاً، وإن الناس قد ابتدعت لهم خصلتان، إضاعة السر وإفساد النصيحة، وليس يستودع إلا (عند^(٥)) رجلين: رجل يرجو ثواب الآخرة، ورجل له حسب وعقل، يصون حسبه وعقله، وإن أمير المؤمنين يستشيرني، وعلاقة الإسلام وضمانه شديد، لأن يزيد صاحب لعب وتهاون، مع ما أوقع فيه من الصيد. فالتقى أمير المؤمنين مؤدياً عني، فأخبره وقل له رويدك في الأمر يستقيم، فإن ذرئاً في تأخير خير من تعجيل. أخاف عاقبته ولا تدري إلى ما يصير الأمر فلماً (بلغه^(٦)) الرسالة، أخذ معاوية برأي زياد وأخر بيعته^(٧). وكتب إلى سعيد بن العاص^(٨) يستشيره، فرجع جوابه إليه أنه

(١) نثر الدرر للأبي - مخطوط، رقم ٢٢٨٠، ج ٣ ص ١١، وفيه قيل له أنت أنكر أم زياد فقال أن زياد لا يدع الأمر يتفرق عليه وإنه يتفرق عليّ فأجمعه.

(٢) في (ب - ج - د): قال له يوماً.

(٣) ترد ترجمته عند الكلام على خلافته.

(٤) الصواب عبيد كان صاحباً أكيداً لزياد، البداية والنهاية، ج ٨ ص ٧٩.

(٥) ساقطة من (د).

(٦) في (د): بلغ.

(٧) استشارة معاوية لزياد، بشأن البيعة ليزيد، وجواب زياد ذكرت في تاريخ الطبري،

ص ٧٤ - ١٧٥؛ الكامل في التاريخ، ج ٣ ص ٢٤٩ - ٢٥٠؛ البداية والنهاية، ج ٨

ص ٧٩.

(٨) هو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، القرشي الأموي قتل أبوه يوم بدر كافراً وكان عمر سعيد يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين، وكان من =

قد بقيت مشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فريداً بهذا الأمر، لعلهم ينقضون. فقال معاوية صدق سعيد فأخر البيعة ولم يزل يُداري الناس، بعد ذلك (سبع) ^(١) سنين، إلى أن تم له الأمر.

وقيل إنه استشار الأحنف ^(٢) (بن قيس) ^(٣)، فقال أدخل على يزيد فأدخله عليه، فلما خرج قال له معاوية كيف رأيت يزيد، فقال رأيت شاباً وجلداً ونشاطاً، ثم قال نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا، وأنت أعلم يا أمير المؤمنين بلبله ونهاره، ومدخله ومخرجه ^(٤)، وسره ^(٥) (وجهاره) ^(٥)، وإيراده وإصداره، فإن كنت تعلم أن فيه لله رضى، ولهذه الأمة صلاحاً، فلا تشاور الناس، وإن كنت تعلم منه غير ذلك، فلا تزوده الدنيا وأنت عائذ إلى الآخرة وإنما علينا السمع والطاعة فقال معاوية جزاك الله عن الطاعة خيراً ^(٦).

ولما أخذ معاوية (في) ^(٧) البيعة ليزيد، قال له يا بني، لقد ذلت لك الشدة، ومنحتك اللين، وتحملت دونك الغلظة، وقد وليتك أمراً عظيماً من

= سادات المسلمين والأجواد المشهورين، تولى الكوفة لعثمان، وولي المدينة مرة معاوية واعتزل الفتنة، وكانوا يقولون أن عربية القرآن، أقيمت على لسان سعيد بن العاص، لأنه كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم توفي سنة ٥٩ هـ ودفن بالبيعة، شذرات الذهب، ج ١ ص ٦٥؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٥٢ - ١٥٣؛ انطبقات الكبرى، ج ٥ ص ١٩؛ البداية والنهاية، ص ٨٣ - ٨٧.

- (١) في (ب - ج - د): تسع.
- (٢) تقدمت ترجمته، ص ١٦٦.
- (٣) زيادة من (ب - ج - د).
- (٤) زيادة من (ب - د).
- (٥) في (د): علانيته.
- (٦) الكامل في التاريخ، م ٣ ص ٢٥٠ - ٢٥١؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٨٠؛ الكامل في اللغة، ج ١ ص ٣٠؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٤٥.
- (٧) ساقطة من (ب - ج - د).

أمر الأمة، وليس حيٍّ من أحياء العرب إلا ولَّه عِنْدِي تَرَةً^(١)، قَدْ كُنْتُ أَشْغِلُهُ عَنْهَا بِمَحْسَنِ الْوَفَادَةِ، وَجَزِيلِ الرَّفْدِ، حَتَّى تَرَكْتُ قُلُوبَهُمْ كَالطَّيْنَةِ (الْمُؤْتَنَةِ)^(٢) فَلَا تَخَالِفَنَّ فِعْلِي فِيهِمْ فَعْلِيكَ بِإِدْرَارِ عَطِيَّتِكَ، وَمُبَاشَرَةِ أُمُورِكَ، وَلَا تَشْغَلْ نَفْسَكَ بِمُفَاكِهِةِ الْإِمَاءِ وَمَدَاعِيَّتِهِنَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ ضَعْفَةِ الرُّجَالِ. وَأَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةَ مِنْ قَرِيشٍ، أَمَّا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فَإِنِّي قَدْ أَوْصَيْتُكَ فِيهِ بِحِفْظِ قَرَابَتِهِ وَرِعَايَةِ حَقِّ رَحِمِهِ فَإِنَّ الْقُلُوبَ إِلَيْهِ جَانِحَةٌ فَاجْعَلْ لَهُ عِنْدَ ظَفَرِكَ نَصِيحاً مِنْ رَحِمِكَ، وَاطْوِي كَشْحاً عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَابْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَإِنَّهُمَا (كَمَثَلِ)^(٣) الْهَقْلِ^(٤) لَا يَحْمِلُ ثِقَلاً وَلَا يَجْمَعُ نَهَوْضاً وَأَمَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَكَالْتَعَلْبِ رَوَّاعٍ بِالْحِيلَةِ وَكَاللَيْثِ صَالٍ بِالْجَرَاءَةِ^(٥).

وفي روايةٍ أُخْرَى أَنَّهُ قَالَ: أَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ^(٦) فَقَدْ شَغَلَتْهُ الْعِبَادَةُ

(١) ترة: الترهات الطرق الصغار الغير جادة تشعب عنها الواحدة وهي أيضاً الداهية والريح والسحاب واستعيرت للأباطيل والأقاويل الخالية من الطائل، القاموس المحيط؛ تختار الصحاح.

(٢) في (ب - ج - د): المنة.

(٣) في (ب - د): كَمَثَلِي.

(٤) الهقل: بالكسر الفتى من النعام والطويل الأخرق، القاموس المحيط.

(٥) وردت وصية معاوية لولده يزيد، بروايات كثيرة مختلفة، تدور كلها حول نصيحته ليزيد، بأن يأخذ حذره، ويحسن سياسته، وأن يشارف الأمور بنفسه وتذكر بعض هذه المصادر أنها كانت من معاوية ليزيد. والبعض الآخر يذكر أن يزيداً كان غائباً، وأن معاوية أوصى الضحاح بن قيس أن يؤدي عنه هذه الرسالة إلى يزيد بعد عودته، الكامل لابن الأثير، م ٣ ص ٢٥٩؛ الفخري في الآداب السلطانية، ص ١١١ - ١١٢؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٢٢٩؛ وذكر الروايتين الطبري، ج ٧ ص ١٩٦ - ١٩٧؛ تاريخ ابن خلدون، م ٣ ص ١٨.

(٦) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل، القرشي العدوي أسلم مع أبيه صغيراً، لم يبلغ الحلم أول مشاهدته الخندق وكان رضي الله عنه من أهل الورع والعلم، كثير الاتباع لأنار رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد التحري والاحتياط والتوقي في =

وأما عبد الرحمن بن أبي بكر^(١) فليس له همة إلا في النساء واللهو^(٢).
فلما بُويع يزيد^(٣) حَجَّ بالناسِ وقَسَمَ بمكة والمدينة أموالاً كثيرة وقال له

= فتواه وكل ما يأخذ به نفسه، حتى قال فيه جابر بن عبدالله: ما منا أحد إلا مالت به الدنيا ومال بها ما خلا عمر وابنه عبدالله. توفي بمكة سنة ٨٣هـ، الاستيعاب، ق ٣ ص ٩٥٠-٩٥٣؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٨١.

(١) هو أبو عبدالله عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، شهد بدرًا وأحدًا مع قومه كافرًا، ثم أسلم وحسن إسلامه، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم في هذة الحديبية، وكان عبد الرحمن من أشجع رجال قريش، حضر اليمامة مع خالد بن الوليد، فقتل سبعة من كبارهم، وكان عبد الرحمن أسن أولاد أبي بكر توفي سنة ٥٣هـ على المشهور، الاستيعاب، ق ٢ ص ٨٢٤-٨٢٦؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٥٩؛ المعارف، ص ٧٦.

(٢) وعلق الفخري على هذه الوصية بأنها دليل على ما سبق من وفور رغبته في تدبير الملك، وشدة كلفه بالرياسة، ويبدو على الروايتين آثار التحريف، لأن فيهما الوصية بأربع، ومن جملتهم عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان قد توفي قبل موت معاوية بسنوات، والثابت أن الوصية كانت سنة ٦٠هـ قبيل موت معاوية، وهذا ما نبه إليه ابن الأثير وابن كثير.

(٣) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية. يكنى بأبي خالد ولد سنة ٢٦ للهجرة، وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية، بُويع له بالخلافة بعد موت أبيه معاوية سنة ٦٠هـ، وكان ضخمًا سمينًا مجذوراً وله ديوان لا يصح عنه إلا القليل. واختلف في عده من الصحابة فقد سئل علي بن محمد بن علي الطبري الملقب عماد الدين المعروف بالكيا الهراسي عن يزيد بن معاوية، فقال: إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد في أيام عمر بن الخطاب، وأما قول السلف فيه ففيه لأحمد قولان تلويح وتصريح، وبالمالك قولان تلويح وتصريح، ولأبي حنيفة قولان تلويح وتصريح ولنا قول واحد، التصريح دون التلويح، وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد، والمتصيد بالفهود، ومدمن الخمر. وقد أفنى الغزالي رحمه الله بعدم جواز لعن يزيد، فقد سئل عمن صرح بلعن يزيد، هل يحكم بنفسه فأجاب لا يجوز لعن المسلم أصلاً، ومن لعن مسلماً فهو ملعون، ويزيد صح إسلامه. لكن نقل الأتابكي في النجوم الزاهرة أن رجلاً قال في مجلس عمر بن عبد العزيز عن يزيد، هذا أمير المؤمنين فقال له عمر بن عبد العزيز تقول أمير المؤمنين وأمر به فضرب عشرين سوطاً تعزيراً له وكان فارساً شجاعاً استعمله =

(عبدالله بن الزبير)^(١)، إذا خرجت فاخرج معك الحسين بن علي، واطلب من مروان داره فإنك لا تأتي بفائدةٍ مثلها، فقال ما أتهم رأيك، أما الحسين فلاني أوفد إليه فإن خرج معهم وأقام بالشام، عرفنا حقه، ورعينا قرابته وإن رجع إلى أهله، لم ندع صلته، فقد أقام دهره بالمدينة، لم يأتنا منه ما نكره

وكتب معاوية إلى سعيد بن العاص^(٢)، وهو أمير بالمدينة، بالقبض على مال مروان بن الحكم^(٣)، فلم يفعل فراجع فيه، ثم كتب كتاباً ثانياً^(٤) (فدافعه)^(٥) واحتفظ ق/٣٤ بالكتابين، فلما عزل سعيد وولي مروان بن الحكم المدينة وكتب إليه بالقبض على أموال سعيد فأرسل مروان

= معاوية على الحج غير مره، وأغزاه في الصوائف وأمره على أول جيش أرسل لفتح القسطنطينية وهياً له معاوية الأمر قبل موته، وعقد له البيعة في حياته توفي سنة ٦٤هـ فكانت خلافته ثلاثة سنين وسبعة أشهر، تاريخ الطبري، ج ٧ ص ٤٢٧ - ٤٢٩؛ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٢٨٧ - ٢٨٨؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣؛ البدء والتاريخ، ج ٦ ص ٦؛ فوات الوفيات، ج ٤ ص ٣٢٧ - ٣٣٢؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٧١ - ٧٢؛ المعارف، ص ١٥٣.

(١) في (ب - د): عبد الرحمن بن الزبير.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ٢٦٥.

(٣) هو أبو الحكم مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني سنين، عده ابن سعد من الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة وكان من سادات قريش وفضلائها، استكتبه عثمان وكان معه يوم الدار تولى الخلافة ثم عهد إلى ولده عبد الملك من بعده توفي سنة ٦٥هـ، الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ٢٢٤؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٢٥٧؛ فوات الوفيات، ج ٤ ص ١٢٥؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٧٣؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٦٩.

(٤) في (ب - ج - د): ثم كتب إليه ثانياً.

(٥) ساقطة من (د).

بالكتاب مع ابنه عبد الملك^(١) إلى سعيد وقال لو لم يكن الكتاب لتجافيت عن ذلك، فدعا سعيد بالكتابين، فأعطاهما عبد الملك فجاء بهما إلى مروان، فلما قرأهما قال هو أفضل منا فكف عن قبض أموال سعيد^(٢).

وقال سعيد لولده من أتاكم في مجالسكم، فقد وجب حقه عليكم ومن أتاكم في منازلكم، فقد وجبت حرمة عليكم، ومن أتاكم في حاجة فلا تدخروه شيئاً، فمته عليكم أعظم إذ راكم موضعاً لحاجتكم.

ولما حضرت سعيد بن العاص الوفاة، قال لبيته أيكم يكفل بديني فقال ابنه عمرو الأشدق^(٣)، وكم دينك، قال ثمانون ألفاً، قال وفيه استندتها قال سددت بها خلة من كريم واشتريت بها عرضي من لثيم، فإذا أنا بها زعيم، قال هذه خصلة واحدة (يا بني)^(٤) وخصلتان قال ما هما قال بناتي لا تزوجوهن إلا من الأكفاء، ولو تعلق جبل من الشعر، قال علي يا أبتني قال وإخواني إن فقدوا وجهي لم يفقدوا معروفني قال علي يا أبتني قال والله يا بني، ما زلت أعرف الكرم في وجهك، وحماليق عينيك، وأنت في المهدي، والله يا بني ما شمت أحدًا، منذ كنت رجلاً، ولا زاحمت بركبتي رجلاً ولا كلفت من

(١) ترد ترجمته عند الكلام على خلافته.

(٢) الطبري، ج ٧ ص ١٦٤؛ الكامل في التاريخ، م ٣ ص ٢٤٦؛ جهرة رسائل العرب، ج ٢ ص ٥٢؛ أنساب الأشراف، ق ١ ج ٤ ص ٢٥.

(٣) هو عمرو بن سعيد بن العاص، أحد الأشراف الأمويين ولي المدينة ليزيد بن معاوية، وكان يسمى الأشدق لشداقه في الكلام، استخلفه عبد الملك بن مروان بعد تأمينه سنة ٧٠هـ، سير أعلام النبلاء، ج ٣ ص ٢٩٧؛ الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ١٧٦؛ فوات الوفيات، ج ٣ ص ١٦١؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٧٧؛ مروج الذهب، ج ٢ ص ٧٨ - ٧٩.

(٤) ساقطة من (ج).

يرتجيني أن يسألني^(١). وقال زياد^(٢) استوصوا بثلاثة منكم خيراً الشريف، والعالم، والشيخ والله لا يأتيني شريف بوضع، (استخف)^(٣) به إلا ضربته، ولا يأتيني شيخ بشاب استخف به إلا أوجعته، ولا يأتيني عالم بجاهل استخف به إلا نكلت به^(٤). (ولهذا قال ارحموا ثلاثة: غني قوم، افتقر، وعزيز قوم ذل، وعالماً بين جهال)^(٥).

واختصم إلى زياد رجلان، فقال أحدهما أصلح الله الأمير إن هذا يدُلُّ بخاصته، يزعم أنها له منك، قال صدق وسأخبرك بما ينفعه عندي من مودته، إن كان الحق له عليك أخذتُك به أخذاً عنيفاً، وإن كان الحق لك عليه (أقضي)^(٦) عليه، ثم أقضي عنه^(٧).

وكان زياد إذا ولّى رجلاً، قال له خذ عهدك وسِر إلى عمليكَ، واعلم أنك مصروف رأس (سنتك)^(٨)، وأنت تصير إلى إحدى (ثلاث خصال)^(٩)،

(١) المراثي والتعازي، ص ١٢٧؛ تهذيب تاريخ ابن عساكر؛ البداية والنهاية ج ٨ ص ٨٧، ونسب ابن كثير قول سعيد: ما شتمت رجلاً منذ كنت رجلاً إلى ابنه عمرو الأشدق، البداية والنهاية، ج ٨ ص ٣١١؛ أنساب الأشراف، ج ٤ ق ٢ ص ١٣٣؛ غرر الخصائص، ص ١٥٤.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ١٣٢.

(٣) في (ب - ج - د): يستخف.

(٤) الكامل في اللغة، م ٢ ص ٦٧؛ البيان والتبيين، ج ٢ ص ٢٨٧؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٧٤؛ العقد الفريد، ج ٤ ص ١٧٤.

(٥) زيادة من (د).

(٦) في (ب): أقصر.

(٧) عيون الأخبار، م ١ ص ٧٠؛ تاريخ البعقوبي، م ٢ ص ٢٣٥؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٧٤؛ المحاسن والمساوي، ج ٢ ص ٢٤٣؛ البيان والتبيين، ج ٢ ص ٣٦٢.

(٨) في (د): سيلك.

(٩) في (ج - د): أربع خصال.

فاختر لنفسك، إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا أمانتك وإن وجدناك خائناً قوياً استهنا بقوتك وأحسننا على خيانتك أدبك وأوجعنا ظهرك وإن وجدناك قوياً أميناً زدنا في عملك ورفعنا لك ذكرك وأوطئنا (كعبك) ^(١) وكثرنا مالك ^(٢).

وكان لزياد سياسة عظيمة، حتى إنه كان لا يخلق أبواب الحوانيت في الليل ^(٣). وما ذكر من حسن تدبيره أنه أتى بإمرأة كانت قد خرجت مع الخوارج في الحرب، فقتلها ثم عراها. فلم يخرج النساء عليه بعد ذلك وكُنَّ إذا دعين إلى الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا إلى الخروج ^(٤). وكان يقتل المظاهر بالخروج، ويستصلح المسر منهن، حتى يستكفي شرهم، وخرجهم عليه وكان يبعث إلى الجماعة منهن، فيقول ما أحسب الذي يمنعكم من إتياني إلا الرجل ^(٥) فيقولون أجل، فيحملهم فيقول أغشوني الآن، واسمروا عندي ^(٦).

وكان (عمر بن عبد الرحمن رحمه الله) ^(٧) يقول: قاتل الله زياداً جمع

(١) في (ب - ج): عقبك.

(٢) بدائع السلك، ج ١ ص ٣٣٩؛ نهج البلاغة، م ٤ ص ٦٢؛ الأمالي، ج ٢ ص ٩١؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٥٥، وتطبق هذه المصادر على قول زياد (تصير إلى أربع خلال، وليس ثلاث وتزيد خصلة رابعة، وهي أن جمعت بين الجرمين جمعنا عليك العقوبتين وإن وجدناك قوياً أميناً زدنا عملك).

(٣) الطبري، ج ٧ ص ٧٧، وفيه أن المرأة كانت تبني فلا تغلق عليها بابها، الكامل في التاريخ، م ٣ ص ٢٢٤، وذكر فيه شيء من سياسة زياد، ومنها ولا يغلق أحد بابه.

(٤) العقد الفريد، ج ١ ص ١٥١.

(٥) رجل ورجلان إذا لم يكن له ظهر يركبه والرجلة بالضم بياض في إحدى رجلي الدابة، القاموس المحيط.

(٦) الكامل في اللغة، ج ٢ ص ١٩٢.

(٧) في (ب - ج - د) عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وهو الصواب.

لَهُمْ كَمَا تَجْمَعُ الذَّرَّةُ، وَحَاطَهُمْ كَمَا تَحُوطُ الْأُمُّ الْبَرَّةَ، وَأَصْلَحَ الْعِرَاقُ بِأَهْلِ
الْعِرَاقِ، وَتَرَكَ أَهْلَ الشَّامِ فِي شَأْمِهِمْ^(١).

وَلَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ سَلَمَ بْنَ زِيَادٍ^(٢) قَالَ: إِنَّ أَبِي اسْتَكْفَى أَبَاكَ
كَبِيرًا، وَقَدْ اسْتَكْفَيْتُكَ صَغِيرًا، فَلَا تَتَكَلَّنْ عَلَيَّ عُذْرَ مَنِي فَقَدْ اتَّكَلْتُ عَلَى
كِفَايَةِ مَنكَ، وَإِيَّاكَ مِنِّي قَبْلَ أَنْ أَقُولَ لِإِيَّايَ مَنكَ، فَإِنَّ الظَّنَّ إِذَا أَخْلَفَ مَنكَ
أَخْلَفَ لَكَ، وَأَنْتَ فِي أَدْنَى حَظِّكَ، فَاطْلُبْ أَقْصَاهُ وَقَدْ أَتَيْتَكَ أَبْرَكَ،
فَلَا تَرِيحَنَّ نَفْسَكَ، وَاطْلُبْ فِي يَوْمِكَ أَحَادِيثَ غَدِكَ، وَكُنْ لِنَفْسِكَ
تَكُنْ لَكَ^(٣).

وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ^(٤) عَلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ فَأَكْرَمَهُ، وَقَالَ بِكُمْ كَانَ
يَصْلُكَ مَعَاوِيَةَ، فَقَالَ كَانَ يَصْلُنِي بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ (وَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ)^(٥). قَالَ

(١) الكامل في اللغة، ج ٢ ص ١٩٢؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٤٤٠؛
محاضرات الأدباء، ج ١ ص ٨١؛ وفي جميع هذه المصادر إلى عمر بن عبدالعزيز رضي
الله عنه.

(٢) هو سلم بن زياد بن أبيه، ولاء يزيد بن معاوية خراسان وكان جواداً أحبه الناس ومدحه
الشعراء، ومات بالبصرة سنة ٧٣هـ/ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٩٠.

(٣) عيون الأخبار، م ١ ج ٢ ص ١١٠؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٩٩٢-٩٩٣؛ تهذيب
تاريخ ابن عساكر، ج ٦ ص ٢٣٧، مع اختلاف في بعض ألفاظ الوصية فقد ذكرت
المصادر أن يزيداً قال لسلم، إن أباك كفى أخاه (يعني معاوية) عظيماً وقد استكفيتك
صغيراً..

(٤) هو أبو جعفر عبدالله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أول مولود ولد في
الإسلام بأرض الحبشة، آخر من رأى النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم. وكان
من أسخى الناس ويسمى بحر الجود توفي بالمدينة سنة ٨٠هـ وهو ابن ٩٠ سنة وصل
عليه أمير المدينة إبان بن عثمان / الاستيعاب، ق/ ٣ ص ٨٨٠-٨٨١؛ سير أعلام
النبلاء، ج ٣ ص ٣٠١.

(٥) في (ب-ج-د) رحمه الله.

يزيد: وَقَدْ زِدْنَاكَ أَلْفَ أَلْفٍ أُخْرَى، لَتَرْحِمَكَ عَلَيْهِ^(١).

أَخَذَ مُصْعَبُ بْنُ الزَّبِيرِ^(٢) رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ^(٣)، فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، مَا أَقْبَحَ مِنْ أَنْ أَقُومَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى صَوْرَتِكَ هَذِهِ الْحَسَنَةِ، وَوَجْهَكَ هَذَا الْحَسَنِ، الَّذِي يُسْتَضَاءُ بِهِ فَاتَعَلَّقُ ق/ ٣٥ بِأُطْرَافِكَ فَأَقُولُ أَيُّ رَبِّ سَلِّ مُصْعَبًا فَيَمَّ قَتْلَنِي، فَقَالَ أَطْلُقُوهُ، قَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ اجْعَلْ مَا وَهَبْتَ لِي مِنْ (عُمْرِي)^(٤) فِي خَفْضٍ، قَالَ: قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَإِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ تَعَالَى وَأَشْهَدُ الْأَمِيرَ، أَنَّ لَابِنَ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ^(٥) نَصَفَهَا، قَالَ: وَلَمْ قَالَ لِقَوْلِهِ:

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٢٢٠؛ سير أعلام النبلاء، ج ٣ ص ٣٠٣؛ غرر الخصائص، ص ١٥٥.

(٢) هو أبو عيسى وقيل أبو عبدالله بن الزبير بن العوام، كان من أحسن الناس وجهاً، وأشجعهم قلباً، ولي أمرة العراقيين لأخيه عبدالله حتى قتله عبدالملك بن مروان، على نهر دجيل عند دير الجثاليق، وكان من أجود الناس وأكثرهم عطاء، لا يستكثر ما يعطى، وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة سنة ٧٢هـ/ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٨٧؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٧٩؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٣١٧.

(٣) هو المختار بن أبي عبيد أسلم أبوه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم نشأ المختار في ثقيف وكان من ذوي الشجاعة والدهاء، وقلة الدين متلوناً كذاباً كان يدعو لمحمد بن الحنفية وادعى آخر الأمر أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء فلما تحقق عبدالله بن الزبير منه ذلك أرسل إليه أخاه مصعب فقتله سنة ٦٧هـ/ شذرات الذهب، ج ١ ص ٧٤؛ سير أعلام النبلاء، ج ٣ ص ٣٥٣؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٨٠.

(٤) في (ب-ج-د) حياتي..

(٥) هو عبيدالله بن قيس بن شريح بن مالك، من أشهر شعراء العصر الأموي، لقب بابن قيس الرقيات لأنه كان يشبب بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية، وكان صاحب مصعب بن الزبير وخرج معه على عبدالملك بن مروان فلما قتل مصعب سكن الكوفة، واستأمن عند عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وأقام بالشام حتى توفي بنحو من سنة ٨٥هـ/ الشعر والشعراء، ص ٢١٢؛ الأعلام، م ٤ ص ٥٢.

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكٌ رَحْمَةٌ لَيْسَ فِيهِ جَبْرُوتٌ مِنْهُ وَلَا كِبَرِيَاءُ
يَتَقَى اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ هُمُهُ الْإِتْقَاءُ^(١)
فَصَحِّحْكَ مُصْعَبُ، وَقَالَ: أَرَى فِيكَ مَوْضِعاً لِلصَّنِيعَةِ، فَأَحْسَنَ
جَائِزَتَهُ^(٢).

وَلَمَّا بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُبَيْرِ^(٣)، قَتَلَ أَخِيهِ مُصْعَبَ (خَطَبَ النَّاسِ)^(٤)
فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَذِلُّ مَنْ يَشَاءُ إِنَّهُ لَمْ يَذِلَّ مَنْ كَانَ
الْحَقُّ نَعْمَهُ، وَإِنْ كَانَ فَرْدًا، وَلَمْ يُعِزَّ مَنْ كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ
وَإِنْ كَانَ مَعَهُ الثَّقَلَانِ. أَتَانَا خَبَرٌ مِنَ الْعِرَاقِ، أَحْزَنَنَا، وَأَفْرَحَنَا، قَتَلَ مُصْعَبُ
يَرْحَمُهُ اللَّهُ، فَأَمَّا الَّذِي أَحْزَنَنَا، فَإِنَّ لِفِرَاقِ الْحَمِيمِ لَوْعَةً، يَجِدُهَا حَمِيمُهُ عِنْدَ
الْمُصِيبَةِ، ثُمَّ يَرْعَوِي ذَوِي الرَّأْيِ، إِلَى جَمِيلِ الصَّبْرِ وَكَرِيمِ الْعِزَاءِ، وَأَمَّا
الَّذِي أَفْرَحَنَا فَعَلِمْنَا أَنَّ قَتْلَهُ شَهَادَةٌ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَنَا وَلَهُ فِيهِ الْخَيْرَةُ. أَلَا وَإِنَّ أَهْلَ
الْعِرَاقِ أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ؛ (بَاعُوهُ)^(٥) بِأَقْلٍ ثَمَنٍ كَانُوا يَأْخُذُونَهُ مِنْهُ، إِنَّا
وَاللَّهِ مَا نَمُوتُ حَبَجًا، وَمَا نَمُوتُ إِلَّا قِصْعًا بِالرَّمَاكِ، وَتَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ
وَلَيْسَ كَمَا يَمُوتُ بَنُو مِرْوَانَ، حَبَجًا، وَاللَّهِ إِنْ قُتِلَ مِنْهُمْ رَجُلًا فِي جَاهِلِيَّةٍ
وَلَا إِسْلَامٍ إِلَّا وَإِنَّ الدُّنْيَا عَارِيَةٌ مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى، فَإِنْ تُقْبِلْ عَلَيَّ لَا أَخْذُهَا
أَخْذَ الْبَطْرِ الْأَشْرِ^(٦)، وَإِنْ تَدْبِرْ عَنِّي لَا أَبْكِي عَلَيْهَا بِكَاءِ الْحَزَنِ الْمَهْتَرِ^(٧).

(١) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص ٩١.

(٢) العمدة لأبن رشيقي، ص ٧١؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٧٤٩؛ المحاسن والأضداد
للمجاط، ص ٣٠؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٣٨.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢٣١.

(٤) ساقطة من (د).

(٥) في (ج) باحوه.

(٦) أشر أشراً، بطر وكفر النعمة فلم يشكرها/ المصباح المنير.

(٧) الطبري، ج ٨ ص ٨١٨ مع اختلاف في بدايتها وبعض ألفاظها؛ الكامل في التاريخ، =

قلتُ الحبيجُ، إنَّ ينتفخَ بطنُ الدابةِ، مِنْ كثرةِ الأكلِ فتموتَ. والقصْعُ أنْ يَطْعَنَ ويضربَ، فيموتَ مكانُهُ في الحالِ. والمهتر الذي يسقطُ في كلامِهِ من الكِبَرِ. وقالَ المهلبُ^(١): (بُنْ أَبِي صَفْرَةَ)^(٢) لَبْنِيهِ: يَا بَنِيَّ إِنَّ ثِيَابَكُمْ عَلَى غَيْرِكُمْ أَحْسَنُ مِنْهَا عَلَيْكُمْ، وَإِنَّ دَوَابَّكُمْ تَحْتَ غَيْرِكُمْ، أَحْسَنُ مِنْهَا تَحْتَكُمْ^(٣).

وقالَ أيضاً لَبْنِيهِ: (لَا تَتَكَلَّوْا)^(٤) عَلَى مَا سَبَقَ مِنْ فِعْلِي، وَافْعَلُوا مَا يُنْسَبُ إِلَيْكُمْ. (وَأَنشُدْ)^(٥):

إِنَّمَا الْمَجْدُ مَا بَنَا وَالِدُ الصَّدْقِ وَأَحْيَا فِعَالَهُ الْمَوْلُودُ^(٦)

وقالَ لَابْنِيهِ يَزِيدُ^(٧): اخْفِضْ جَنَاحَكَ، وَاشْتَدَّ فِي سُلْطَانِكَ فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ لِلسُّلْطَانِ، أَهْيَبَ مِنْهُمْ لِلْقُرْآنِ^(٨).

= م ٤ ص ١٦؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٣٢٢-٣٢٣؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٥ ص ٢٤٠-٢٤١.

(١) تقدمت ترجمته ص ٢٣٨.

(٢) ساقطة من (ب-ج-د).

(٣) وفيات الأعيان، م ٥ ص ٣٥٣؛ المحاسن والمساوي، ج ١ ص ٣١١؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٠؛ سرح العيون، ص ٢٠٤.

(٤) في (ب-ج-د) لا تتعلموا.

(٥) ساقطة من (د).

(٦) المحاسن والمساوي، ج ١ ص ٣١١، وفيها تتكلوا على ما سبق من فعلي وافعلوا ما ينسب إليّ، وهو خطأ.

(٧) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ولد سنة ٥٨ هـ ولي البصرة والعراق وخراسان، ونشبت حروب بينه وبين مسلمة بن عبد الملك انتهت بتغلب مسلمة. وقتل يزيد سنة ١٠٢ هـ وكان يزيد كريماً كثير الغزو والفتوح / شذرات الذهب، ج ١ ص ١٢٤؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٢٢٠.

(٨) بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٤٣.

ومر في الكوفة بحياً من همدان، في نادٍ لهم فقال رجلٌ منهم والله ما يساوي إلا خمسمائة درهم، وكان المهلبُ أعوراً، فنظر إلى الرجل حتى أثبتته، فلما خرج بالعشى، حمل في كفه خمسمائة درهم، ثم ضرب دابته حتى وقف في نادي همدان، فبصر بالشاب فقال: افتح جحرَكَ، وقال دواك يا بن أخِي قيمة عمك. فوالله لو قومتَه بأكثر من هذا لجاءتك فقال الفتى واسوأ تأه قال المهلبُ: لا ضير، فقال شيء من همدان: ما أخطأ من سؤدك^(١).

وقدِمَ زيادُ بنُ الأعجم^(٢)، على المهلبِ بنِ أبي صُفرة (الأزدِي)^(٣) بخرسانَ فنزلَ على ابنه حبيب^(٤) فجلسا على شرابٍ، وفي الدارِ شجرةٌ عليها حمامةٌ فجعلت تُغرّدُ فقال زيادُ:

تَغْنِي أَنْتِ فِي ذِمِّي وَعَهْدِي وَذِمَّةُ وَالدي أَنْ لَا تُضَارِي
إِذَا غَنَيْتِ أَوْ طَرَبْتِ يَوْمًا ذَكَرْتُ أَحَبَّتِي وَذَكَرْتُ دَارِي
فإِذَا يَقْتُلُوكَ طَلَبْتُ نَأْرِي بِقَتْلِهِمْ لَأُنْكَ فِي جَوَارِي
فَأَخَذَ حَبِيبُ سَهْمًا، فَرَمَاهَا فَأَثْبَتَهَا، (بِه فَمَاتَتْ)^(٥). فقال زيادُ: قَتَلْتُ جَارِي، بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْمَهْلَبُ، ثُمَّ أَتَى الْمَهْلَبُ، فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ يَا حَبِيبُ ادْفَعْ إِلَى أَبِي أُمَامَةَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ حَبِيبُ: أَعَزَّ اللَّهُ الْأَمِيرَ إِنَّمَا كُنْتُ أَلْعَبُ،

(١) سرح العيون، ص ٢٠٤؛ المخلاة، ص ٩٥.

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٤٦.

(٣) زيادة من (ب-ج-د).

(٤) هو حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، صحب والده في حرب الأزارقة تولى إمارة كerman ثم عزله الحجاج عنها سنة ٨٧هـ، ثم صحب أخاه يزيد وقتل معه سنة ١٠٢هـ/ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢١٣؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٢٢١.

(٥) ساقطة من (د).

فَقَالَ: مَعَ هَذَا اللَّعِبِ جَارُ أَبِي أَمَامَةِ جَارِي، فَذَفَعَ حَبِيبٌ إِلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ،
فَأَنْشَأَ زِيَادٌ يَقُولُ:

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ قَضِيَّةٍ قَضَاهَا فَأَمْضَاهَا الْأَمِيرُ الْمَهْلُبُ
قَضَى أَلْفَ دِينَارٍ لَجَارِ أَجْرُهُ مِنَ الطَّيْرِ خَضَانٌ عَلَى الْبَيْضِ يَنْعَبُ
رَمَاهُ حَبِيبٌ بِنِ الْمَهْلُبِ رَمِيَةً فَأَنْفَذَهُ بِالسَّهْمِ وَالشَّمْسُ تَغْرُبُ
فَالزَّمَهُ عَقْلَ الْقَتِيلِ بِأَسْرِهِ فَقَالَ حَبِيبٌ إِنَّمَا كُنْتُ أَلْعَبُ
فَقَالَ زِيَادٌ لَا يَرَوْعُ جَارُهُ وَجَارُهُ جَارِي بَلْ مِنَ الْجَارِ أَقْرَبُ

فَلَمَّا سَمِعَهَا الْمَهْلُبُ أَجَازَهُ بِجَائِزَةٍ حَسَنَةٍ وَصَرَفَهُ مَكْرَمًا. فَبَلَغَ ذَلِكَ
الْحِجَاجُ فَقَالَ مَا أَخْطَأْتُ الْعَرَبَ إِذْ جَعَلْتُ الْمَهْلُبَ شَيْخَهَا^(١).

وَقَفَّ أَعْرَابِيٌّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ^(٢)، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُكَ
اللَّهُ أَنَّهُ مَرَّتْ (بِنَا)^(٣) سَنُونَ ثَلَاثٌ أَمَّا إِحْدَاهَا (فَأَخَذْتُ)^(٤) الْمَوَاشِي وَأَمَّا
الثَّانِيَةُ فَتَفَضَّتِ اللَّحْمَ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَخَلَصَتْ إِلَى الْعِظَمِ، وَعِنْدَكَ مَالٌ فَإِنْ يَكُنْ
لِلَّهِ فَأَعْطِهِ عِبَادَ اللَّهِ وَأَنْ يَكُنْ لَكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا، إِنْ اللَّهُ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ
فَأَعْطَاهُ عَشْرَةَ آلَافٍ دَرَاهِمٍ وَقَالَ: لَوْ كَانَ النَّاسُ يُحْسِنُونَ يَسْأَلُونَ مَا حَرَمْنَا
أَحَدًا^(٥). (ذَكَرْتُ نَسْخَةً (ب-ج-د) قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ مَعَ
الْحِجَاجِ الْوَارِدَةِ فِي صَفْحَةِ ١٤٤ - ١٤٦ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَلَمَّا كُنْتُ أَحَقِّقُ

(١) المستجد من فعلات الأجواد، ص ٢٠٤ - ٢٠٦؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب،
ص ٢٣٧؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٤١١ - ٤١٤.

(٢) هذه الواقعة منسوبة إلى هشام بن عبد الملك كما جاء في المراجع التاريخية مثل أخبار
الدول وآثار الأول، ص ١٤١؛ والأخبار الموفقيات، ص ١٤٦.

(٣) في (ب-ج-د) علينا.

(٤) في (د) فأهلك.

(٥) البيان والتبيين، ج ٢ ص ٢٤٧؛ سراج الملوك، ص ٢٨؛ غرر الخصائص، ص ١٦٥
وفيه أن ذلك الأعرابي هو درواس بن حبيب العجلي.

الأصل فَقَدْ اكْتَفَيْتُ بِذِكْرِهَا هُنَاكَ وَكَمَا وَرَدَتْ فِي الْأَصْلِ مِرَاعَاةً
لِحَرَمَةِ الْأَصْلِ).

وَلَمَّا وَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ^(١)، الْحَجَّاجُ^(٢) كَتَبَ إِلَيْهِ إِنِّي قَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى

(١) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أمير المؤمنين بويح له بالخلافة بعهد من أبيه، في خلافة ابن الزبير ثم تغلب على ابن الزبير ودانت له البلاد. يكنى أبا الوليد استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة وكان عابداً ناسكاً، حتى عُذ من فقهاء المدينة فقال أبو الزناد فقهاء المدينة سعيد بن المسيب وعبد الملك بن مروان، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب وكان له سبعة عشر ولداً. لقب برشح الجير لبخله، وفي أيامه حولت الدواوين إلى العربية، ونقشت الدنانير والدراهم بالعربية سنة ٧٦هـ وكان من أول من منع مراجعة الخلفاء، ونهى عن الكلام بحضرتهم، وكان الناس قبله يراجعون الخلفاء ويعترضون عليهم فيما يفعلون توفي سنة ٨٦هـ بعد أن عهد بالخلافة إلى ولديه الوليد، ثم سليمان من بعده/ المعارف، ص ١٥٥؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢١٢؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٩٧.

(٢) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، ولده عبد الملك الحجازي فقتل ابن الزبير ثم عزله عنها وولاه العراق. وقال ابن خلكان أن أم الحجاج هي الفارعة بنت همام، كانت تحت الحارث بن كلد، فطلقها وتزوجها يوسف بن أبي عقيل فولدت له الحجاج مشوهاً، لا دبر له. وذكر ابن عبدربه أن الحجاج وأباه كان يعلمان الصبيان بالطائف، ثم لحق الحجاج بروح بن زنباع الجذامي، وزير عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته. قالوا وكان مولد الحجاج في سنة ٣٩هـ وقيل في سنة ٤٠هـ ثم نشأ بليباً فصيحاً، بليغاً حافظاً للقرآن، حتى قال أبو عمر بن العلاء ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري، وكان الحسن أفصح منه. ويكاد يجمع المؤرخون على خبثه وشناعة فعله، وحبسه لسفك الدماء. فهذا الأتابكي في النجوم الزاهرة يقول: هو مشؤوم هو وأجداده وعليهم اللعنة والخرزي، فإنه كان مع الظلمة، وإسرافه في القتل مشؤوم الطلعة. ويقول ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب عن السنة التي هلك فيها الحجاج وفيها أراح الله العباد والبلاد بموت الحجاج بن يوسف الثقفي هلك سنة ٩٥هـ/ وفيات الأعيان، م ٢ ص ٢٩ - ٥١؛ شذرات الذهب، ج ١٠٦ ص ١١٠؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١؛ المعارف، ص ١٧٣.

العراقيين، صَدَمَةٌ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمَا كَمِيشَ الْأَزَارِ، شَدِيدَ الْعِذَارِ، مُنْطَوِيَّ
الْخَصِيلَةَ، قَلِيلَ الثَمِيلَةِ، غَرَارَ النَّوْمِ، طَوِيلَ الْيَوْمِ.

فَلَمَّا دَخَلَ الْحِجَااجُ الْكَوْفَةَ، أَتَاهُمْ آتٍ فَقَالَ إِنَّ الْحِجَااجَ قَدْ قَدِمَ أَمِيرًا
عَلَى الْعِرَاقِ فَاشْرَأَبَ النَّاسُ نَحْوَهُ، وَتَطَاوَلُوا ثُمَّ أَفْرَجُوا لَهُ فُرْجَةً عَنْ صَحْنِ
الْمَسْجِدِ، فَإِذَا هُوَ يَتَبَهَّنِسُ فِي مِشْيَتِهِ، مُتَلَثِّمًا بِعِمَامَةِ خِزِّ حَمْرَاءَ، مُتَنَكِّبًا قَوْسًا
عَرَبِيَّةً يُوِّمُ الْمَنْبَرَ فِرْقَاهُ وَجَلَسَ. وَأَهْلُ الْكَوْفَةِ إِذْ ذَاكَ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَفِي الْمَسْجِدِ
عُمَيْرُ بْنُ ضَابِي^(١)، فَقَالَ لِمَحْمَدِ بْنِ عَطَاءٍ^(٢): هَلْ لَكَ أَنْ أَحْصِبَهُ فَقَالَ:
لَا حَتَّى نَسْمَعَ كَلَامَهُ، فَقَالَ: لَعَنَ اللَّهُ بَنِي أُمَيَّةٍ حَيْثُ يَسْتَعْمِلُونَ عَلَيْنَا هَذَا
لَوْكَانَ هَذَا كُلُّهُ كَلَامًا، لَمْ يَكُنْ شَيْئًا.

فَقَالَ الْحِجَااجُ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ (أَنَا)^(٣) لَا أَعْرِفُ قَدَرَ اجْتِمَاعِكُمْ أَفْقَدُ
اجْتِمَعْتُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ: قَدْ اجْتَمَعْنَا (أَعَزَّ اللَّهُ الْأَمِينَ)^(٤) فَسَكَتَ هَنِيهَةً
لَا يَتَكَلَّمُ، فَقَالُوا يَمْنَعُهُ الْعِيَّ وَالْحَضَرُ ثُمَّ قَامَ (فَحَدَرَ)^(٥) اللَّثَامَ وَقَالَ:

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا مَتَى أَضْعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي
صَلِيبُ الْعُودِ مِنْ سَلَفِي نِزَارٍ كَنْصَلِ السَّيْفِ وَضَااحِ الْجَبِينِ

(١) هورجل من أهل الكوفة، من الذين دخلوا على عثمان يوم الدار، فلما قتل عثمان داس
عمير أضلاعه، فكسر ضلعين من أضلاعه. وهو الذي أراد أن يحصب الحجاج وهو على
المنبر فلما نزل الحجاج قيل له هذا الذي صنع بعثمان ما صنع فأمر بضرب عنقه/
الفخري في الآداب السلطانية، ص ٩٨؛ وفيات الأعيان، م ٢ ص ٣٣ - ٣٤؛ الكامل
للمبرد، ج ١ ص ٢٢٥.

(٢) لم نعثر له على ترجمة فيما لدينا من المراجع.

(٣) في (ب-ج-د) أنى.

(٤) في (ب-د) أعزك الله.

(٥) في (ب-د) فحسر اللثام.

أخو خمسين مجتمع أشدي ونجذني مداورة الشؤون^(١)
يا أهل العراق إني أرى رؤوساً، قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها
وكأني أنظر إلى الدماء، بين العمائم واللحى.

ليس أوان عشك فادرجي ليس أوان يكثر الخلاط
قد لفها الليل بعصبي أزوع خراج من الدوي
مهاجر ليس بأعرابي

.....
قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم^(٢)
إني والله يا أهل العراق، ما يغمر جانبي من اللين، ولا يقف لي
بالشنان^(٣) ولقد فررت عن تجربة، وأجريت مع الغاية، وأن أمير المؤمنين نكت
كيناته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني أمرها عوداً، وأصلبها مكسراً
فوجهني إليكم.

فوالله لأعصبنكم عصب السلمة، ولألحونكم لحو العود، وأضربنكم
ضرب غرائب الإبل، ولأخذن الولي بالولي، حتى تستقيم لي قناتكم، حتى
يلقى أحدكم أخاه فيقول انج سعد فقد قتل سعيد ألا وأياي وهذه السقفاء

(١) الأبيات لسحيم بن وثيل الرياحي من قصيدة له ذكرها الأصمعي في الأسمعيات
وذكرها البحتري منسوبة لصاحبها في ديوان الحماسة، ص ١٣، ونسب المبرد في كتابه
الكامل البيت الأول لسحيم ولم يورد بقية الأبيات.

(٢) الأبيات من شعر رشيد بن رويض العنبري أحد بني عزة يقول في شريح بن ضبيعة
حين غزا اليمن في جموع جمعها من ربيعة/ ديوان الحماسة لأبي تمام، ج ١
ص ١٣٢ - ١٣٣؛ الكامل في اللغة، ج ١ ص ٢٢٤.

(٣) الشنان القربة البالية تحرك إذا أرادوا حث الإبل على السير مثل يضرب لمن لا يروعه
ما لا حقيقة فيه.

والزرافات، فإنني لا أجِدُ أحداً من الجالسين في زرافة، إلا ضربتُ عنقه. فاستوسقوا واعتدلوا، ولا تملؤا وأطيعوا. واعلموا أنه ليس مِنِّي الاكثار والإهدار ولا معي ذلك الفرار والتعرار، وإنما هو انتصائي هذا السيف، ثم لا أغمده الشتاء ولا الصيف حتى يظهر أمر الله، وبذل لأمير المؤمنين صعبكم، ويستقيم له أودكم وصعركم، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطياتكم، وأشخاصكم إلى مجاهدة عدوكم، وقد أمرتكم بذلك، وأجلتكم ثلاثاً، وأعطيت الله عهداً لأن تخلف أحد منكم، بعد قبضه عطائه يوماً واحداً لأضربن عنقه، ولأنهين ماله. يا غلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين، فقرأه ثم دخل دار الإمارة^(١).

وهذه الحكاية قد اشتملت على ألفاظ كثيرة، من الغريب، وأنا أشير إلى بيانها على سبيل الاختصار. قوله صدمة، أي ضربة واحدة ودفعة واحدة، وكميش الأزار، مُشمر الأزار ويقال في المثل لمن جد في الشيء ومُشمر فيه هو كميش الأزار، شديد العذار، والخصيلة، لحم الفخذين ولحم الساقين وأراد بذلك الاسراع والجد في الأمر. والشميلة، البقية من الطعام والشراب في بطن الإنسان، أراد أن لا يستكثر من الطعام ويشغل بصنوفه، ولكن اقتصر على ما لا بد منه فعل الجاد المُشمر وقرار النوم، قليله ويقال لمن عَمِلَ في يومه ق/٣٧ وجد فيه، ولم يشغل بلهو ولا لعب هو طويل اليوم، فإن اشغل بالشراب واللهو قيل هو قصير اليوم. وشراب الناس تطاولوا وأشرفوا.

تبهنس: تمايل في مشيته وتخيل ويقال لمن كان ظاهراً مشهوراً غير

(١) تاريخ الطبري، ج ٨ ص ٨٦٣-٨٦٦؛ الكامل في التاريخ، م ٤ ص ٣٣-٣٤؛ عيون الأخبار، م ٢ ج ٥ ص ٢٤٣-٢٤٤؛ الكامل للمبرد، ج ١ ص ٢٢٣-٢٢٤؛ جمهرة خطب العرب، ج ٢ ص ٢٨٨-٢٩١؛ البيان والتبيين، ج ٢ ص ٣٦٥-٣٦٦.

خافٍ ولا خامِلٌ هُوَ ابْنُ جَلَا. والثَّنايا: ما ارتفعَ مِنَ الأرضِ وَعَظُظٌ يَقَالُ لِمَنْ لَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ أَفْعَالاً شَرِيفَةً هُوَ طَلَّاعُ الثَّنايا. ويقالُ للقَوِيِّ فِي أمرِهِ هُوَ صَلِيبُ العودِ، والأَشَدُّ، جَمْعُ شِدَّةٍ وَهُوَ القُوَّةُ، يَقَالُ لِمَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ وَأَحْكَمَهَا هُوَ مَنْجَذٌ وَالنَّاجِذُ: أَقْصَى الْأَضْرَاسِ، والشُّؤُونُ جَمْعُ شَأْنٍ يَقَالُ أَيْنَعَتِ الثَّمَرَةُ إِذَا أَدْرَكَتْ وَبَلَغَتْ وَقُطِفَتِ الثَّمَرَةُ أَخَذَهَا فَشَبَّهَ الرَّؤُوسَ بِذَلِكَ، لَيْسَ أَوَانُ عَشَكٍ فَادَّرَجِي يُضْرَبُ مَثَلًا لِلْمُطْمَئِنِّ وَقَدْ أَظْلَهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَحْتَاجُ إِلَى مَبَاشَرَتِهِ وَالْقِيَامِ بِأَمْرِهِ. وَالْخِلَاطُ الْفَسَادُ وَهُوَ شَبِيهٌ بِالْمَثَلِ الْأَوَّلِ. وَيَقَالُ الْعَصْلِيُّ الشَّدِيدُ مِنَ الرِّجَالِ فَجَعَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ نَاقَةٍ أَوْ إِبِلٍ لِرَجُلٍ قَوِيٍّ شَدِيدٍ يَسْرِي عَلَيْهَا وَتَتَّبِعُهَا وَلَا يَزْكُرُ إِلَى دَعَةٍ وَلَا سَكُونٍ، فَجَعَلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَلَفَّ: جَمَعَ وَأَرَوَعَ: جَمِيعٌ. والدَّأَوِي: جَمَعَ دَاوِيَةً وَهِيَ الْفَلَاةُ يَرِيدُ أَنَّهُ صَاحِبُ أَصْفَارٍ وَرَحْلٍ، وَالْحُطْمُ: الْعَنِيفُ مِنَ السُّوقِ وَهُوَ شَبِيهٌ بِالْمَثَلِ الْأَوَّلِ: وَالْوَضِمُّ: كُلُّ مَا وَقِيتَ بِهِ اللَّحْمُ مِنْ خَوَانٍ أَوْ حَصِيرٍ أَوْ غَيْرِهِ، يَقَالُ يُقَعِّقُ بِالشَّنَانِ: أَيُّ يُحَرِّكُ الشَّنَانَ وَهُوَ مَا خَلَقَ مِنَ الْأَسْقِيَةِ وَأَصْلُهُ أَنَّ يُحَرِّكُ الشَّنَّ، حَتَّى يُسْمَعَ لَهُ صَوْتُ، لِيَقَرَّ بِهِ الْوَحُوشُ وَيَجْلِبَ بِهِ عَلَى الطَّيْرِ وَشَبَّهَهَا، يَقُولُ لَسْتُ بِمَنْ يَرُوعُ بِالْأَبَاطِيلِ وَيَقْرَعُ بِالتَّخِيلَاتِ، وَقَوْلُهُ فَرَرْتُ عَنْ تَجْرِيَةِ أَصْلِهِ أَنَّ يَفِرُّ الدَّابَّةُ أَيُّ يَكْشِفُ جَحْفَلَتَهَا، لِيَنْظُرَ إِلَى أَسْنَانِهَا فَيَعْرِفَ بِهَا سِنَّهَا وَالْكِنَانَةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا السَّهَامُ، وَنَكْنَهَا أَيُّ كَبَّهَا وَصَبَّ مَا فِيهَا، وَالْعَجْمُ الْإِخْتِبَارُ يُرِيدُ أَنَّهُ اخْتَبَرَهَا، لِيَعْلَمَ صَلَابَتَهَا مِنْ خَوَرِهَا وَقَوِيَّتِهَا مِنْ ضَعِيفِهَا، وَعَضْبُ السَّلْمَةِ يَقَالُ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا حَطَبَهَا شَدَّهَا بِنَسْعَةٍ لَثَلَا يَصِيبُهُ شَوْكُهَا، يَضْرَبُ مَثَلًا لِمَنْ عَصَبَتْهُ بَشْرٌ وَأَمْرٌ شَدِيدٌ، يُقَالُ لِحَوْتُ الْعُودِ وَلَحِيَّتُهُ إِذَا قَشَرْتُهُ، يُقَالُ فِي الْمَثَلِ ضَرَبَهُ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ الْإِبِلَ إِذَا وَرَدَتْ فَدَخَلَ فِيهَا غَرِيْبُهُ (لَيْسَتْ مِنَ الْإِبِلِ) (١) عَنْ الْمَاءِ وَضُرِبَتْ حَتَّى تَخْرُجَ عَنْهَا، وَيَقَالُ فِي الْمَثَلِ لِمَنْ يُعْنَى

(١) فِي (ب - د): لَيْسَتْ مِنَ إِبِلِ أَهْلِهَا.

برحمه أو حميمه أنج سَعْدٌ فَقَدْ قُتِلَ سَعِيدٌ وَأَصْلُهُ أَنَّ سَعْدًا وَسَعِيدًا (ابني) (١)
ضَبَّهُ خَرَجًا يَطْلُبَانِ (أَبَاهُمَا) (٢) فَرَجَعَ سَعْدٌ وَلَمْ يَرْجِعْ سَعِيدٌ، وَالزَّرَافَاتُ:
الْجَمَاعَاتُ، وَأَمَّا السَّقْفَاءُ فَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ لَهَا تَفْسِيرًا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهَا
تَصْحِيفٌ وَإِنَّمَا هُوَ الشُّفْعَاءُ وَهُمْ الَّذِينَ يَشْفَعُونَ عِنْدَ السُّلْطَانِ فِي الْمَذْنَبِ
فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ (٣).

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ (٤) لكَثِيرِ بْنِ هَرَاثَةَ الْكَلَابِيِّ (٥). هَذَا الْحَجَّاجُ
قَادِمًا مِنَ الْعِرَاقِ، وَقَدْ شَمَخَ بِأَنْفِهِ وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي مَنْخَرِهِ، فَإِذَا دَخَلَ عَلَيَّ
فَتَعَرَّضَ لَهُ بِمَا يَكْرَهُ، قَالَ أَفْعَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَلَمَّا دَخَلَ الْحَجَّاجُ وَأَخَذَ
مَجْلِسَهُ وَأَفَاضُوا فِي الْحَدِيثِ، قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ مَا تَقُولُ فِي ثَقِيفٍ يَا حَجَّاجُ
فَقَدْ زَعَمَ أَنَّا أَنَسُ أَتَاهُمْ مِنْ إِيَادٍ وَقَالَ آخَرُونَ مِنْ قَيْسٍ، وَأَنْتَ أَعْرَفُ بِقَوْمِكَ
فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَقُّ أَبْلَجُ وَطَرِيقُ الرَّشِدِ أَبْهَجُ (وَلَنْ) (٦) يَجِدَ
مَنْ رَكِبَ الْحَقَّ وَقَصَدَ الصِّدْقَ نَحْنُ مِنْ قَيْسٍ ثَابِتُهُ أَصُولُنَا، نَابِتُهُ غُصُونُنَا
بَاسِقَةُ فُرُوعِنَا (فَعَلَى) (٧) ذَلِكَ قَوْمُنَا. فَقَالَ كَثِيرٌ لَقَدْ كَانَ لَكَ مُنْذُ دَهْرٍ طَوِيلٍ،
وَهُوَ عَلَى أَهْلِهِ عَارٌ وَبِيلٌ، وَخَطْبٌ جَلِيلٌ، دَخُولُ رَجُلٍ فِي قَوْمٍ لَيْسَ مِنْهُمْ
وَتَرْكُهُ قَوْمَهُ رَغْبَةً (عَنْهُمْ) (٨). قَالَ الْحَجَّاجُ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا مَكَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) فِي (ب - ج - د): ابنا ضبه.

(٢) (ب - ج - د): ابلاهما.

(٣) وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْفَيْرُوزُ أَبَادِي فِي الْقَامُوسِ الْمَحِيطِ فِي بَابِ الْفَاءِ فَصَلَّ السِّينَ مَادَّةِ
سَقْفٍ فَقَالَ وَقَوْلُ الْحَجَّاجِ إِيَايَ وَهَذِهِ السَّقْفَاءُ تَصْحِيفٌ صَوَابُهُ الشُّفْعَاءُ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ
عِنْدَ السُّلْطَانِ فَيَشْفَعُونَ فِي الْمَرِيبِ.

(٤) تَقَدَّمَ تَرْجَمَتُهُ، ص ٢٦٠.

(٥) لَمْ أَجِدْ لَهُ تَرْجَمَةً فِيمَا لَدَيَّ مِنَ الْمَرَاجِعِ.

(٦) فِي (ب - ج - د): وَلَمْ.

(٧) فِي (ج - د): يَعْلَمُ.

(٨) فِي (د) عَنْهُ.

لاستوعرت موطنك، ولاستعظمت مركبك، ولأوردتك مورداً يعبأ بالاصدار عنه
ذوو القوة. فقال كثيرٌ أنت أضعفُ كوعاً وأملئ روعاً، ولن تنال ذلك بشيءٍ
يا حجاجُ على ما ضيغت من الأمانة وأظهرت من الخيانة مع سوء سيرة
وقبح - سياسة، فإنك خربت وما عمّرت، وأفسدت وما أصلحت، وجرت
وما عدلت وتركت الحق إذ حكمت ق/٣٨. فقال الحجاجُ أما إنك
(يا كثير) (١) لتمدّ يداً قصيرة، وأنامل حقيرة. لا يستعاض بك في المظالم
ولا يستعان (بك) (٢) في المغارم ولا تؤهل لدفع المظالم. فلما خشي
عبد الملك أن يعظم بينهما الخطب عزم عليهما أن يسكتا، فخرج كل واحد
منهما مملياً غيظاً وحقدًا ولم يلبث الحجاج أن خرج إلى العراق وقدم وفد من
العراق على عبد الملك فلما أرادوا الانصراف. قال لكثير بن هراثة انطلق مع
هؤلاء القوم، إلى الحجاج حتى تقوم خطيباً، وتذكر السمع والطاعة لولاة الأمر،
وكيف ينزل بأهل الخلاف والشقاق من النعمة في العاجل والأجل. فقال له
كثير إنك قد علمت يا أمير المؤمنين ما بيني وبينه وأنت لي ملجأ إن قهرت،
وعزاً إن أذلت (٣) فإن أصابني جائحة أو حلت بي مصيبة من الحجاج
فأنت (المطالب) (٤) بثاري، وأنت بعد الله ثقتي، وقد بعثني أمير المؤمنين
إلى بلد أتخوف أهله وأميراً أحذر فعله، وقد شمع بأنفِهِ نحو السماء واجترأ
على سفك الدماء، وليس بحضرتي حفدة (٥) يعينوني (عليه) (٦) ولا أنصار

(١) زيادة من (ب - ج - د).

(٢) زيادة من (ب - ج - د).

(٣) في (ج) ذلت.

(٤) في (ج - د): الطالب.

(٥) حفد حفداً: خدم والحفد محركة الخدم والأعوان وحفدة الرجل بناته وأولاد أولاده/

القاموس المحيط، المصباح المنير.

(٦) زيادة من (ج).

ينصرونني. فقال له عبد الملك أنفذ لأمرى، فلعمري الحجاج أحكم رأياً أن يأخذك بأحنة^(١) ويعرفك بسيئة، ولعمري لأن فعل لأحولن (زعامتة)^(٢)، ولأنبذن منزلته ليفارقن كرامته وبالحرى أن يكون قد أحكمته تجاربه، وقصدت به مذهباً وعزب عنه جهله وثاب إليه حلمه فخرج إليه كثير في أصحابه حتى قديم عليه فلما دخل (إليه)^(٣) قال له مرحباً بكثير بن هراثة من قوم سادة كرام قادة بها ليل^(٤) زاده. قال له (هراثة)^(٥) قد كانت بيني وبين الأمير أشياء امتلأت منها رعباً، وضقت بها ذرعاً، والأمير صحيح الأديم في الحسب الصميم والشرف القديم، لا يشتكي منه الضعف، ولا يخاف منه العنف. فقال الحجاج ما احتجنا إلى ثنائك، ولا رغبنا في دعائك ولا تلام على فعلك ولا يعاقب مثلك وأجاره وفضله على أصحابه فلما قديم على عبد الملك قال كيف (رأيت رأيي)^(٦) في الحجاج يا كثير ألم تجده مضيعاً، لا يأخذ في أمره بالعجلة حتى يرى من عدوه الغرة. قال بلى يا أمير المؤمنين ما أحسن لفظه، وأدوم لحظه وأسكن فوره وأبعد غوره. والله لو لم يسهل من أمره ما توعر لطحني طحن المروءة الملممة^(٧)، متساقط حب الجمجم^(٨).

(١) أحن الرجل يأحن حقد وأضمر العداوة والأحنة اسم منه والجمع أحن / المصباح المنير.

(٢) في (ب - ج): عزامته.

(٣) في (ب - د): عليه.

(٤) البهلول: الضحاك والسيد الجامع لكل خير / القاموس المحيط، مختار الصحاح.

(٥) في (ب - ج - د): كثير.

(٦) في (ج - د): كيف رأيت رأيك ورأيي.

(٧) المروءة: حجارة بيض براقه تقدح منها النار، الواحدة منها مروءة / القاموس المحيط، مختار الصحاح.

(٨) كتاب الكامل والفاضل (وصايا الملوك مخطوط رقم ش أدب ٢٣، ورقة ١٥ - ١٦.

والجمة: بالضم مجتمع شعر الرأس وجمجم الرجل وتجمجم إذا لم يبين كلامه، والجمجمة القدح من خشب / مختار الصحاح.

وكان الشعبي^(١) مِمَّنْ خَرَجَ. مع ابن الأشعث^(٢)، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى الْحِجَاجِ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ الْأَشْعَثِ، قَالَ وَأَنْتَ أَيْضاً مِمَّنْ خَرَجَ عَلَيْنَا يَا شَعْبِي قَالَ أَحْزَنَ الْمَنْزِلَ، وَأَجْدَبَ الْجَنَابُ، وَاکْتَحَلْنَا السُّهْرَ، وَاسْتَحَلَسْنَا الْخَوْفَ، وَوَقَعْنَا فِي حَرْبِهِ لَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَّةً أَتْقِيَاءَ، وَلَا فَجْرَةً أَقْوِيَاءَ. قَالَ صَدَقَ وَاللَّهِ مَا بَرَوْا بِخُرُوجِهِمْ عَلَيْنَا، وَلَا قَوَّوْا إِذْ بَرَزُوا إِلَيْنَا، أَطْلَقَا عَنْهُ^(٣).

وَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ أَبِي لَيْلَى^(٤) وَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، مَشْهُورَ النَّصِيحَةِ صَحِيحَ الْأَدِيمِ، شَاكِرَ اللِّسَانِ خَرَجَ أَبِي مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَهَدَمَ مَنَزِلِي وَحَلَّقَ عَلَى اسْمِي^(٥) وَحُرِمْتُ عَطَائِي، فَقَالَ أَوْ مَا سَمِعْتَ الشَّاعِرَ حَيْثُ يَقُولُ:

جَانِيكَ مَنْ يَجْنِي عَلَيْكَ وَقَدْ تُعْدِي الصَّحَاخَ مَبَارِكُ الْجُرْبِ
وَلَرُبُّ مَا خُوِذَ بِذَنْبٍ قَرِيبِهِ وَنَجَا الْمُقَارِفُ صَاحِبُ الذَّنْبِ

قَالَ لَا وَلَكِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: غَيْرَ هَذَا فِي إِخْوَةِ يَوْسُفَ ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾^(٦).

(١) تقدمت ترجمته، ص ١٧٨.

(٢) هو أبو محمد عبدالرحمن بن الأشعث، استعمله الحجاج على سجستان فحارب الترك ثم خلع طاعة الحجاج وانقاد له أهل البصرة والكوفة ثم خلع طاعة عبدالملك بن مروان، فحاربه الحجاج في دير الجماجم وقتله سنة ٨٤هـ / مروج الذهب، ج ٢ ص ١٠١؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٥٤٠؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٩٤.

(٣) الفرج بعد الشدة، ج ١ ص ٣٣٤؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ١٠٤؛ صبح الأعشى، ج ٢ ص ٢٢٢؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ٤٤.

(٤) هو عبدالرحمن بن أبي ليلى. واسم أبي ليلى يسار، أدرك مائة وعشرين من الصحابة وهو من الطبقة الأولى من التابعين. خرج على الحجاج بن يوسف قتل بدجيل مع ابن الأشعث سنة ٨٣هـ / النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٠٦؛ الطبقات الكبرى، ج ٦ ص ٧٤؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٩٢.

(٥) أي ضرب عليه بحلقة من المداد، وكانوا يفعلونه إذا أرادوا حبس العطاء عن صاحبه.

(٦) آية ٧٨ - ٧٩ من سورة يوسف.

فَقَالَ يَا غُلَامَ عَلِيٍّ بِيَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ^(١) فَتَأْتُهُ فَقَالَ ابْنُ لَهُ دَارُهُ وَارْدُهُ
اسْمُهُ وَاعْطِهِ عَطَاءَهُ^(٢).

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِأَسْمَاءَ بِنِ خَارِجَةَ^(٣) بَلِّغْنِي عَنْكَ خِصَالُ
فَحَدَّثَنِي بِهَا (قَالَ)^(٤) هِيَ مِنْ غَيْرِي أَحْسَنُ مِنْهَا مِنِّي فَقَالَ عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا
حَدَّثْتَنِي فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا مَدَدْتُ رَجُلِي بَيْنَ (يَدَي) ^(٥) جَلِيسٍ لِي قَطُّ
وَلَا صَنَعْتُ طَعَاماً فَدَعَوْتُ عَلَيْهِ قَوْمًا إِلَّا كَانُوا آمَنَ عَلَيَّ مِنْهُمْ وَلَا نَصَبُ لِي
رَجُلٌ وَجْهَهُ يَسْأَلُنِي حَاجَةً فَاسْتَكْثَرْتُ شَيْئًا أُعْطِيَتْهُ إِيَّاهُ^(٦).

وَلَمَّا وَلِيَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٧) بْنُ مَرْوَانَ الْخِلَافَةَ ق/ ٣٩ عَدَلَ فِي

(١) هو أبو العلاء يزيد بن أبي مسلم، كان مولى الحجاج وكاتبه استعمله الحجاج على خراج
العراق، وأقره الوليد ثم عزله سليمان وبعث مكانه يزيد بن المهلب. وكان عمر بن
عبد العزيز يقول لسليمان أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تحمي ذكرى الحجاج
باستكتات كاتبه قال سنة ١٠٢هـ / وفيات الأعيان: م ٦ ص ٣٠٩ - ٣١٢.

(٢) العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢. وفيه أن الداخل على الحجاج هو سليك بن سلكه وهو
خطأ فلعلة المعروف بابن سلكه المسمى بفرعون بن عبد الرحمن؛ البداية والنهاية، ج ٩
ص ١٢٤؛ محاضرات الأدباء، ج ١ ص ١١٩.

(٣) هو أسماء بن خارجة الفزاري، أحد الأجواد من الطبقة الأولى من التابعين من الكوفة.
ساد الناس بمكارم الأخلاق، وقد على عبد الملك بن مروان وتوفي في سنة ٨٢هـ / النجوم
الزاهرة، ج ١ ص ٢٠٤؛ فوات الوفيات، ج ١ ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٤) في (د): فقالت.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) المستجد من فعلات الأجواد، ص ٢٢٢؛ فوات الوفيات، ج ١ ص ١٦٨؛ النجوم
الزاهرة، ج ١ ص ٢٠٤.

(٧) هو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي بويع له بالخلافة، بعد
وفاة أبيه سنة ٨٦هـ، وكان الوليد أسن ولد عبد الملك، وكان يحبه فتراخى في تأديبه،
لشدة حبه إياه، فكان لئناً حتى قال عبد الملك أضربنا في الوليد حبنا له. وكان الوليد
عند أهل الشام أفضل خلفائهم، وأكثرهم فتوحاً، وأعظمهم نفقة في سبيل الله.

الرعية، وأحسن السيرة، وأعطى (المحرومين)^(١)، وقال لا تسألوا الناس شيئاً. وأعطى كُلَّ مُقْعِدٍ خادِماً وَكُلَّ ضَرِيرٍ قائداً. وَكَانَ يَمُرُّ بِالْبُقَالِ فيقفُ عليه فيأخذُ حزمةَ البقلِ، فيقولُ بكمْ هذه، فيقولُ بفلسٍ فيقولُ زدْ عليها^(٢).

وروي عن الزهري^(٣) أَنَّهُ قَالَ دخلْتُ (على عبد الملك)^(٤) مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم بالمدينة، عامَ حَجٍّ، ففترَّقَ النَّاسُ مِنَ المسجدِ، وبقيَ سعيدُ بنُ المسيبِ^(٥) قاعداً في مجلسه، فلم يتحركْ عَنْهُ فجعلتُ أطوفُ بالوليدِ، في نواحي بعيداً عن مجلسِ سعيدٍ واشغَلُهُ (بالحديث)^(٦)، مخافةً أَن يَرى مكانَهُ، فحانتُ مِنْهُ التفاته فَرَأَهُ. فقال لي

= استعمل عمر بن عبدالعزيز على المدينة، وتوفي الحجاج في خلافته. ونقل السيوطي قول الذهبي في الوليد أنه أقام الجهاد في أيامه، وفتحت فيها الفتوحات العظيمة، كأيام عمر بن الخطاب فكان عهده عهد يسر ورخاء واتسعت الدولة في أيامه شرقاً وغرباً، توفي سنة ٩٦هـ بدير مروان من دمشق وصلى عليه أخوه سليمان. وكانت مدة ملكه ٩ سنين و ٨ أشهر فوات الوفيات، ج ٤ ص ٢٥٤؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١١١؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٣ - ٢٢٥؛ تاريخ الطبري، ج ٨ ص ١٢٦٩ - ١٢٧١.

(١) في (ب - ج - د): المجذومين.

(٢) الكامل في التاريخ، م ٤ ص ١٣٧؛ تاريخ ابن خلدون، م ٣ ص ٦٨؛ تاريخ الطبري، ج ٨ ص ١٢٧١؛ الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٢٧؛ العقد الفريد، ج ٥ ص ١٦٠؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٣) تقدمت ترجمته، ص ١٨٨.

(٤) في (ب - ج - د): مع الوليد بن عبد الملك وهو الصحيح كما أشارت إليه رواية الزهري في تكملة القصة وكما أشارت إلى ذلك المراجع في حج الوليد سنة ٩١هـ.

(٥) هو الإمام أبو محمد سعيد بن المسيب المخزومي، سيد التابعين ولد في السنة الثانية من خلافة عمر وكان من أروع الناس وأكثرهم زهداً، روى عن عمر وعثمان وعلي، وغيرهم وكان معدوداً من فقهاء التابعين، مات بالمدينة سنة ٧٤هـ في خلافة الوليد بن عبد الملك / الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ٨٨؛ المعارف، ص ١٩٣؛ شذرات الذهب،

ج ١ ص ١٠٢.

(٦) في (د) بالكلام.

يا محمدُ مَنْ هذا الشيخُ، قلتُ سعيدُ بنُ المسيبِ، وَقَدْ كَفَّ بَصْرُهُ، وَلَا عِلْمَ لَهُ بِمَكَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَوْ عَلِمَ لَكَانَ قَدْ أَدَّى الْوَاجِبَ عَلَيْهِ، مِنَ الْحَقِّ فَقَالَ بَلْ نَحْنُ أَحَقُّ (بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ) ^(١)، وَالزِّيَارَةَ لَهُ. فَجَاءَهُ الْوَلِيدُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَجَلَسَ عِنْدَهُ، وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ. فَوَاللَّهِ مَا قَامَ لَهُ سَعِيدٌ، وَلَا تَزْحَرَحَ عَنْ مَكَانِهِ فَلَمَّا انصرفت الوليدُ قَالَ لي يا محمدُ هذا مِنْ بَقِيَّةِ النَّاسِ ^(٢).

وَرَوَى الشَّافِعِيُّ ^(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عَمِّهِ مُحَمَّدٍ (بْنِ عَلِيٍّ) ^(٤) بْنِ

(١) في (ب - د): أحق بالوصول إليه.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٨ ص ١٢٣٢ - ١٢٣٣؛ تاريخ اليعقوبي، م ٢ ص ٢٨٤؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٨٢. وفيها أن الوليد قال لعمر بن عبدالعزيز الذي كان والياً على المدينة وكان يرافقه داخل المسجد هذا فقيه الناس.

(٣) هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع، القرشي المطلبي، ولد بغزة. وقيل بعسقلان، وقيل باليمن سنة ١٥٠هـ، ومات أبوه وهو صغير فحملته أمه إلى مكة وهو ابن ستين. لثلاث يضيع نسبه، فنشأ بها وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر، وأفنى وله من العمر خمس عشرة سنة. تفقه على مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة ولازم الإمام مالك مدة، وأخذ عنه الموطأ، وأعجب بحفظه، ثم رحل إلى بغداد سنة ١٩٥هـ فاجتمع عليه علماؤنا وأخذوا عنه، وصنف بها مذهبه القديم، ثم عاد إلى مكة، ومنها خرج إلى مصر، وصنف فيها مذهبه الجديد. وقد أثنى الأئمة على الشافعي، فقال أبو عبيد: ما رأيت أفصح ولا أعقل ولا أورع من الشافعي. وكان أحمد بن حنبل يدعو له في صلاته نحواً من أربعين سنة، ويجعله المعني بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» فعمر بن عبدالعزيز على رأس المئة الأولى والشافعي على رأس المئة الثانية، توفي بمصر سنة ٢٠٤هـ عن أربع وخمسين سنة، وقبره مشهور بزار، بنى الملك الكامل القبة على ضريحه. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٥١ - ٢٥٥؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٧٦؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٩ - ١١؛ وفيسات الأعيان، م ٤ ص ١٦٣ - ١٦٩.

(٤) زيادة من (ب - ج - د).

شافِع^(١) قال: دَخَلَ سَلِيمَانُ^(٢) بَنُ يَسَارٍ، عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٣)، فَقَالَ لَهُ يَا سَلِيمَانُ مَنْ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ^(٤)، فَقَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنُ سَلُولٍ^(٥)، فَقَالَ: كَذَبْتَ لَا أَمَّ لَكَ هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ أَنْتَ أَعْلَمُ وَمَا تَقُولُ، قَالَ: فَمَا حَدِيثُ حَدَّثَنَا بِهِ أَهْلُ الشَّامِ أَيْنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا اسْتَرْعَى عَبْدًا رَعِيَّةً، كَتَبَ لَهُ الْحَسَنَاتِ وَلَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ السَّيِّئَاتِ، قَالَ لَا أَدرِي، ثُمَّ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ، فَقَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنُ سَلُولٍ، فَقَالَ كَذَبْتَ لَا أَمَّ لَكَ، هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ)^(٦) فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ الْكَذِبُ مَكْتُوبًا بَيْنَ الدُّفْتَيْنِ بَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَبَاحَهُ لِي أَوْ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ، أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَبَاحَ الْكَذِبَ مَا رَأَيْتَنِي أَتَحَلَّى بِهِ.

حدثني عددٌ مِنَ الرِّجَالِ، مِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ^(٧)، وَعَلْقَمَةُ بْنُ

(١) لم أقع له على ترجمة.

(٢) هو أبو أيوب ويقال أبو عبد الرحمن سليمان بن يسار، مولى ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، روى عن ابن عباس وأبي هريرة وأم سلمة رضي الله عنهم. وروى عنه الزهري وجماعة من الأكابر وكان المستفتي إذا أتى سعيد بن المسيب يقول له: إذهب إلى سليمان بن يسار فإنه أعلم من بقي اليوم، توفي سنة ١٠٧ هـ وهو ابن ٧٣ سنة. وفيات الأعيان، م ٢ ص ٣٩٩؛ الطبقات الكبرى، ج ٢ ص ١٣٢.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢٨٨.

(٤) يشير بذلك إلى قوله تعالى في سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ. وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آية ١١).

(٥) هو عبد الله بن أبي بن سلول، زعيم الكفر ورأس المنافقين، توفي في السنة التاسعة من البعثة. شذرات الذهب، ج ١ ص ١٣؛ البداية والنهاية، ج ٥ ص ٣٤ - ٣٥.

(٦) في (ب - ج - د): رضي الله عنه.

(٧) تقدمت ترجمته ص ٢٨٩.

وَقَاصٍ^(١) وعروة بن الزبير^(٢) وأبو سلمة بن عبد الرحمن^(٣) وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود^(٤) عن عائشة^(٥) رضي الله عنها أن الذي تولّى كِبْرَهُ عبد الله بن أبي بن سلول، قال صدقت. إنما أردت أن أعلم، هل أحد ينكرُ باطلاً ثم قال يا محمد، ما حديثُ حَدَّثَنَا بِهِ أهلُ الشَّامِ، قال: وما الحديثُ، قال: حَدَّثُونَا أن الله إذا استرعى عبداً رعيةً كتبَ لَهُ الحسناتِ ولمْ يكتبْ عَلَيْهِ السيئاتِ، قال (كذبت)^(٦) والله يا أمير المؤمنين. قال: وكيف ذلك، قال: آتيكَ بحديثٍ (من كتابِ الله^(٧) الذي) لا يأتيهِ الباطلُ مِنْ بَيْنِ

(١) هو علقمة بن محصن، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ثقة قليل الحديث، توفي بالمدينة في خلافة عبد الملك بن مروان. الاستيعاب، ق/٣ ص ١٠٨٨.

(٢) هو أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي. ولد سنة ٢٩هـ وكان أحد فقهاء المدينة السبعة، جمع العلم والسيادة والعبادة وكان يصوم الدهر، ومات صائماً، ولخضوره في الصلاة قطعت رجله فلم يتحرك، توفي سنة ٩٤هـ. الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ١٣٢؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٨٨؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٠١؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٠٣.

(٣) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بن عبدعوف الزهري. قيل اسمه عبد الله وقيل اسماعيل، وقيل اسمه كنيته، روى عن أبيه وعثمان وطلحة وعبادة بن الصامت وجمع كثير، وأمّه قماضر بنت الاصبع الكلبيّة، كان من كبار التابعين وأحد فقهاء المدينة المشهورين، فقيهاً ثقة، كثير الحديث، توفي سنة ٢٤هـ، وقيل سنة ١٠٤هـ وهو ابن ٧٢ سنة. تهذيب الأسماء واللغات، ج ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤١؛ تهذيب التهذيب، م ١٢ ص ١١٦.

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي وكان ثقة كثير الحديث والعلم، شاعراً. وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز، وكان الزهري يلازمه وأخذ عنه، توفي بالمدينة سنة ٩٨هـ. الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ١٨٥؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٧٧؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٣٦.

(٥) تقدمت ترجمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ص ١٠٢.

(٦) في (ب): كذب والله أهل الشام يا أمير المؤمنين.

(٧) زيادة من (ج).

يديهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(١).

فهذا وَعِيدُ اللَّهِ لِنَبِيِّ هُوَ خَلِيفَةُ، فَيَكْفَ وَعِيدُهُ لَخَلِيفَةِ (غَيْرِ) نَبِيِّ، قَالَ صَدَقْتُ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ (وَوَضَعَ خَدَّهُ فِي) الثُّرَابِ، وَقَالَ: يَغْرُونَا عَنْ دِينِنَا، ثُمَّ أَغْرَى جُلَسَاءَهُ بَابِنِ شِهَابٍ فَقَالَ: عَنْ مِثْلِ هَذَا يُؤْخَذُ الدِّينُ^(٢). وَلَمَّا وُلِّيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٣) أَطْلَقَ الْمُحْسِنِينَ، وَأَحْسَنَ إِلَى

(١) سورة ص: آية ٢٦.

(٢) زيادة من (ب - ج - د).

(٣) زيادة من (ب - د).

(٤) تفسير القرطبي، م ٦ ج ١٢ ص ١٩٨؛ تفسيرات ابن كثير، ج ٣ ص ٢٦٩ وكلها تنص على أن الذي تولى كبره (أي حديث الألفك هو عبدالله بن أبي بن سلول) وذكر القرطبي من حديث الزهري عن عروة عن عائشة والذي تولى كبره عبدالله بن أبي بن سلول؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٤٥؛ سراج الملوک، ص ٣٢-٣٣؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ١٠-١١؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٣ وفيها بيان الزهري للوليد بن عبد الملك بطلان ما حدث به وجهه أمامه بالحق وصدعه بأمر الله حتى رجع الوليد عن غيه وثاب إلى رشده.

(٥) هو أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم. ولد سنة ٥٤هـ بالمدينة، ونشأ بالشام عند أبيه، وكان فصيحاً مفوهاً، محباً للعدل والغزو ذاهمة عالية، جهز الجيوش لحصار القسطنطينية. ولي الخلافة بعهد من أبيه سنة ٩٦هـ ومن غحاسه أن عمر بن عبدالعزيز كان له كالوزير يمثّل أوامره في الخير. وعزل عمال الحجاج، وأحيا الصلاة لأول مواعيقتها، وكان بنو أمية أماتوها بالتأخير. قال فيه ابن سيرين: يرحم الله سليمان، افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لمواقيتها، واختتمها باستخلافه عمر بن عبدالعزيز، توفي بدابق سنة ٩٩هـ عن ٤٥ سنة وكانت خلافته دون ثلاث سنين. وفيات الأعيان، م ٢ ص ٤٢٠-٤٢٦؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٤٠-٢٤١؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١١٦؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٥-٢٢٦؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٧٧.

الناسِ وسموه مفتاح الخير. وفي أيامه فُتِحَت القسطنطينية، وَلَوْلَمْ يَكُن لَهُ حَسَنَةُ إِلَّا (استخلافه) ^(١) عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَهُ لَكَانَ كَافِيًا ^(٢).

وَرَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِّ سَلِيمَانَ، فَقَالَ: إِنِّي مُكَلِّمُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَلَامٍ فَاحْتَمَلُهُ، وَإِنْ كَرِهْتُهُ فَإِنَّ وِرَاءَهُ مَا تُحِبُّ إِنْ قَبِلْتَهُ. قَالَ هَاتِ، قَالَ: إِنِّي سَأَطْلُقُ لِسَانِي، بِمَا خَرَسْتُ عَنْهُ الْأَلْسُنُ مِنْ عِظَمَتِكَ، تَأْدِيَةً بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقِّ إِمَامَتِكَ، (إِنَّهُ) ^(٣) قَدْ اكْتَنَفَكَ رِجَالًا، أَسَاءُوا الْاِخْتِيَارَ لَأَنْفُسِهِمْ، فَابْتَاغُوا (دُنْيَاهُمْ) ^(٤) بِدِينِهِمْ، وَرِضَاكَ بِسَخِطِ اللَّهِ، خَافُوكَ فِي اللَّهِ، وَلَمْ يَخَافُوا اللَّهَ فِيكَ، (فَهُمْ) ^(٥) حَزَبٌ لِلْآخِرَةِ، سَلِمَ الدُّنْيَا، فَلَا تَأْمَنُهُمْ عَلَى مَا ائْتَمَنَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَأْلُوا الْأَمَانَةَ تَضْيِيعًا، وَالْأَمَةَ خُسْفًا، وَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَمَّا اجْتَرَحُوا، وَلَيْسُوا مَسْئُولِينَ عَمَّا اجْتَرَحْتَ، فَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاهُمْ بِفَسَادِ آخِرَتِكَ فَإِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ غُبْنًا، مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ. فَقَالَ: أَمَّا أَنْتَ يَا أَعْرَابِيٌّ فَقَدْ سَلَلْتَ لِسَانَكَ وَهُوَ أَقْطَعُ مِنْ سَيْفِكَ، قَالَ: أَجَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ لَا عَلَيْكَ ^(٦).

(١) في (ب - د): إلا استخلافه لعمر.

(٢) الكامل في التاريخ، م ٤ ص ١٥١؛ البدء والتاريخ، ج ٦ ص ٤١؛ خلاصة الذهب المسبوك، ص ١٣؛ العقد الفريد، ج ٥ ص ١٦٢، والصواب أن القسطنطينية لم تفتح في عهد سليمان وإن كان قد حاول فتحها وقد جهز جيشاً على رأسه مسلمة بن عبد الملك، فوصلوا إلى أسوار القسطنطينية ولكن اليونان امبراطور الروم، خدع مسلمة بن عبد الملك، واستولى على مؤن الجند، حتى أكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر حتى فنى أكثرهم وبقيت القسطنطينية عاصمة الروم حتى فتحها محمد الفاتح؛ الكامل في التاريخ، م ٤ ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٣) في (ب - ج - د): أنك.

(٤) في (ب - ج): دينك بدنياهم.

(٥) زيادة من عيون الأخبار.

(٦) عيون الأخبار، م ٢ ج ٦ ص ٣٣٧ - ٣٣٨؛ سراج الملوك، ص ٣٠.

وَرَوَى أَنَّ سَعِيدَ بْنَ خَالِدٍ^(١)، دَخَلَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ سَعِيدُ جَوَادًا، فَإِذَا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا كَتَبَ لِمَنْ يَسْأَلُهُ الصِّكَاكَ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَخْرَجَ عَطَاؤُهُ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ تَمَثَّلَ بِهَذَا الْبَيْتِ ق/٤٠ :
إِنِّي سَمِعْتُ مَعَ الصُّبَّاحِ مَنَادِيًّا يَا مَنْ يُعِينُ عَلَى الْفَتَى الْبِعَوَانِ
ثُمَّ قَالَ: حَاجَتُكَ، قَالَ: دَيْنِي، قَالَ: فَكَمْ هُوَ؟ قَالَ: ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، قَالَ: لَكَ دَيْنُكَ وَمِثْلُهُ^(٢).

وَرَوَى رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ^(٣) أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ،
لَمَّا كَتَبَ الْعَهْدَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٤) وَمَنْ بَعْدَهُ يَزِيدُ بْنُ

(١) هو سعيد بن خالد بن عبدالله بن أسيد. كانت تصيبه موتة أو ما يشبه الصرع نصف سنة، ونصف سنة يصح فيجود ويمتح، فطلبوا له الطب لمعالجته فتكلمت امرأة على لسانه، وقالت: أنا رقية بنت ملحان سيد الجن ولو علمت مكان رجل أشرف منه لعلقته وإن عاجلتموه قتلته، فتركوا علاجه. حياة الحيوان، للجاحظ، ج ٦ ص ١٧٠.
(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج ١ ص ٥٩٥ - ٥٩٦؛ المستجد من فعلات الأجواد، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٣) هو أبو المقدم رجاء بن حيوة الكندي، الشامي الفقيه، تابعي جليل القدر، فاضلاً، روى عن معاوية وطبقته. قال فيه مكحول: هو سيد أهل الشام في أنفسهم. وكان وزير صدق لخلفاء بني أمية، أثنى عليه غير واحد من الأئمة، ووثقوه في الرواية، توفي سنة ١١٢هـ. البداية والنهاية، ج ٩ ص ٣٠٤؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٤٥؛ الطبقات الكبرى، ج ١ ص ١٦١.

(٤) هو أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي. ولد بمصر وقيل بالمدينة سنة ٦٠ للهجرة، وقيل ٦١ للهجرة، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاطب. وكان يلقب أشج بني أمية، جمع القرآن وهو صغير وبعثه أبوه من مصر إلى المدينة، ليتأدب فيها فكان يختلِف إلى عبيد الله بن عبدالله بن مسعود يسمع منه العلم. وكان قبل الخلافة على قدم من الصلاح والورع، إلا أنه كان يبالغ في التمتع، ولما مات أبوه طلبه عمه عبدالملك فضمه إلى ولده، وزوجه بابنته فاطمة. ولده الوليد المدينة ومكة والطائف من سنة ٨٦هـ - سنة ٩٣هـ وأقام للناس الحج، وبني في مدة ولايته هذه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من أحسن الناس معاشرة لأهل المدينة، وأعدلهم سيرة حتى =

عبد الملك^(١) وَخَتَمَهُ وَدَفَعَهُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَخْرِجْ إِلَى
النَّاسِ، فَمَرُّهُمْ بِالْمَبَايَعَةِ عَلَى مَا فِيهِ مَخْتوماً، فَلَمَّا دَعَاهُمْ
رَجَاءً إِلَى ذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُمْ بِقَوْلِ سُلَيْمَانَ امْتَنَعُوا، وَقَالُوا: لَا نَبَايَعُ حَتَّى نَعْلَمَ
(مَنْ)^(٢) فِيهِ، فَرَجَعَ إِلَى سُلَيْمَانَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: إِنِ انْطَلَقَ بِأَصْحَابِ
الْحَرَسِ وَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَإِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ، فَمَرُّهُمْ بِالْبَيْعَةِ عَلَى مَا فِي
الْكِتَابِ فَمَنْ أَبِي فَاضْرِبْ عُنُقَهُ، (فَفَعَلْتُ)^(٣) ذَلِكَ فَبَايَعُوا عَلَى مَا فِيهِ^(٤).
قَالَ رَجَاءٌ: فَلَمَّا خَرَجُوا خَرَجْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي الطَّرِيقِ إِذْ سَمِعْتُ
جَلْبَةً مُوَكَّبَةً فَالتَفْتُ فَإِذَا هُشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالَ: يَا رَجَاءُ قَدْ عَلِمْتَ
مَوْقِعَكَ مِنَّا وَأَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ صَنَعَ شَيْئاً، مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَأَنَا أَتَخَوَّفُ
أَنْ يَكُونَ قَدْ أزالها عَنِّي، إِنْ يَكُنْ أزالها عَنِّي فَاخْبِرْنِي مَا دَامَ فِي الْأَمْرِ نَفْسٌ،

= أنه إذا وقع أمر مشكل، جمع فقهاء المدينة عليه، وعين عشرة منهم فكان لا يقطع أمراً
بدونهم. بويح له بالخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩هـ فملأ الأرض عدلاً، ورد المظالم
وأحيا السنن الحسنة، ورد ما كان غصبه بنو أمية من أموال المسلمين وصدق ميمون بن
مهران، حيث يقول: إن الله كان يتعاهد الناس بنبي بعد نبي وإن الله تعاهد الناس
بعمر بن عبد العزيز، توفي بدير سمعان سنة ١٠١هـ وصلّى عليه يزيد بن عبد الملك
وكانت خلافته ستين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً. فوات الوفيات، ج ٣
ص ١٣٣ - ١٣٤؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٨ - ٢٣٥؛ شذرات الذهب، ج ١
ص ١١٩ - ١٢٠؛ الكامل، لابن الأثير، ج ٤ ص ١٦١؛ البداية والنهاية، ج ٩
ص ١٩٢ - ١٩٦؛ وفيات الأعيان، ج ٦ ص ٣٠١ - ٣٠٦.

(١) هو أبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان. كان يسمى يزيد الماجن، تولى الخلافة بعد
عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ وله من العمر ٣٧ سنة، وتوفي سنة ١٠٥ وكانت أيامه
أربع سنوات وشهر. فوات الوفيات، ج ٤ ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٢) في (د): ما .

(٣) في (ب - ج - د): ففعل.

(٤) البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٨٢؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٦ - ٢٢٧؛ تاريخ الطبري،
ج ٩ ص ١٣٤١ - ١٣٤٢.

حتى أنظر في هذا الأمر، قبل أن يموت سليمان. فقلت: سبحان الله، يستكثمني أمير المؤمنين أمراً أطلعك عليه، لا يكون ذلك أبداً، فداراني فأبيت فانصرفت، فبينما أنا أسير سمعتُ جلبة خلفي، فالتفتُ فإذا عمر بن عبد العزيز، فقال: يا رجاء إنه قد وقع في نفسي، أمر كبير من هذا الرجل، أتخوف أن يكون قد جعلها إليّ ولست أقوم بهذا الشأن، فأعلمني مادام في الأمر نفس، لعلّي أتخلص مادام حياً. فقلت: سبحان الله العظيم، يستكثمني أمير المؤمنين أمراً أطلعك عليه، فداراني فأبيت، قال رجاء: فلما مات سليمان أجلسته وحيأته، وخرجتُ إلى الناس فقالوا: كيف أمير المؤمنين، فقلت: قد أصبح ساكناً، وقد أحب أن تسلموا عليه وتبايعوا على ما في الكتاب بين يديه، فدخلوا عليه، وأنا قائم عنده، فلما دنوا قلت: أمير المؤمنين يأمركم بالوقوف، ثم تقدمت إليهم بالكتاب، فقلت: أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا على ما في هذا الكتاب بمرأى منه وسمعه فبايعوا أجمعين^(١).

فلما فرغوا من مبايعتهم، (قال)^(٢) لهم: أخرجكم الله في أمير المؤمنين. قالوا: فمن ففتحوا الكتاب فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز، فلما قرأوا عمر بن عبد العزيز تغيرت وجوههم فلما قرأوا من بعده يزيد بن عبد الملك تراجعوا، فقالوا أين عمر بن عبد العزيز فطلبوه فلم يجدوه في القوم، فنظروا فإذا هو في (مؤخر)^(٣) المسجد، فأتوه فسلموا عليه بالخلافة،

(١) الكامل في التاريخ، م ٤ ص ١٥٢-١٥٣؛ الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ٢٤٧-٢٤٨؛ خلاصة الذهب المسبوك، ص ١٨-١٩؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٨٢-١٨٣؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٧.

(٢) في (ب-ج-د) قلت.

(٣) في (ج) آخر.

فَعَقَرَ فَلَمْ يَسْتَطِعِ النَّهْوَضَ حَتَّى أَخَذُوا بِضَبْعِيهِ فَسَارُوا إِلَى الْمَنْبَرِ فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَرْقَى حَتَّى أَصْعَدُوهُ، فَجَلَسَ طَوِيلًا لَا يَتَكَلَّمُ. فَلَمَّا رَأَوْهُمْ رَجَاءً جُلُوسًا قَالَ أَلَا تَقُومُونَ فَتَبَايَعُونَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَنَهَضَ الْقَوْمُ إِلَيْهِ فَبَايَعُوهُ رَجُلًا رَجُلًا قَالَ فَمَا مَدَّ يَدُهُ إِلَيْهِمْ. فَلَمَّا صَعِدَ هِشَامُ مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ. وَقَالَ هِشَامُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَقَالَ عُمَرُ نَعَمْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ حِينَ صَارَ لِي هَذَا الْأَمْرَ أَنَا وَأَنْتَ ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي لَسْتُ بِقَاضٍ وَلَكِنِّي مُنْفَذٌ، وَلَسْتُ بِمَبْتَدِعٍ وَلَكِنِّي مُتَّبِعٌ وَإِنْ حَوْلَكُمْ (كثيرون)»^(١) مِنْ الْأَمْصَارِ وَالْمَدِينِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا كَمَا أَطَعْتُمْ فَأَنَا وَلِيُّكُمْ وَإِنْ هُمْ ائْتَمَرُوا فَلَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَالِيٍّ»، ثُمَّ نَزَلَ يَمْشِي فَأَتَاهُ صَاحِبُ الْمَرَاقِبِ، قَالَ مَا هَذَا قَالَ مَرَاقِبُ الْخَلِيفَةِ، قَالَ لَا حَاجَةَ لِي بِهَذَا فَأَتَوْنِي بِدَابَّتِي فَأَتُوا بِدَابَّتِي، فَرَكِبَهَا ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجُوا مَعَهُ، فَقَالُوا نَسِيرُهَا هُنَا قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ فَقَالُوا: إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي يُهَيَّأُ لِلْخَلِيفَةِ، فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ، انْطَلِقُوا بِي إِلَى مَنْزِلِي، فَأَتَى مَنْزِلَهُ فَتَزَلَّ عَنْ دَابَّتِهِ، ثُمَّ دَعَا بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ وَجَعَلَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ إِلَى الْعُمَالِ وَالْأَمْصَارِ وَيَمْلِي عَلَى نَفْسِهِ^(٢). وَقِيلَ أَنَّهُ كَانَ رُبَّمَا اشْتَرَيْتُ لَهُ الْجِلَّةَ بِالْقَلْبِ دِرْهَمٍ قَبْلَ

(١) زيادة من (ج).

(٢) تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٧؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٨٢، وفيه أن كل هذا كان قبل دفن سليمان، بدليل قوله بعد أن ساق الخطبة ثم نزل فأخذوا في جهاز سليمان قال الأوزاعي فلم يفرغوا منه حتى دخل وقت المغرب فصلى عمر بالناس صلاة المغرب، ثم صلى على سليمان ودفن بعد المغرب. فلما انصرف عمر أتى بمراكب الخلافة فأبى أن يركبها وهذا يخالف ما ذكره ابن سعد في الطبقات، ج ٥ ص ٢٥٠ من أنه لما دفن سليمان بن عبد الملك أتى بدابة سليمان فلم يركبها ثم خرج إلى المسجد فحمد الله وأثنى عليه. ثم ساق الخطبة وذكر المسعودي في مروج الذهب، ج ٢ ص ١٤٤، أن هشام لم يبايع إلا بعد يومين. ورواية الطبري، ج ٩ ص ١٣٤٤، تؤيد رواية ابن كثير وأن هشاماً بايع في نفس اليوم وأن المبايعات حصلت قبل دفن سليمان/ الكامل في التاريخ، م ٤ ص ١٥٢-١٥٣.

الخلافة فيقول أما وجدتم ألبين من هذه فلما ولي الخلافة كان يشتري له الحلة بأربعة دراهم فيقول: أما وجدتم أغلظ منها، فقبل له في ذلك فقال إن لي نفساً تواقه لا تصل إلى منزلة إلا تاقت إلى ما هو أعلى منها، فلما نالت الخلافة تاقت إلى ما هو أعلى منها فلم تجد في الدنيا ما هو أرفع من الخلافة فتاقت إلى الآخرة وإلى ما أعد الله فيها^(١).

وقيل ق/٤١ إن ثيابه قومت عليه يوم الجمعة، وهو يخطب باثني عشر درهم وكانت قميصاً وسراويل وِعمامة ورداء. ملأ الأرض عدلاً ورفع (السب)^(٢) (عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه)^(٣) على المناير وأمر الخطباء أن يقولوا في آخر الخطبة، في الموضع الذي كانوا يذكرون اللعن^(٤) فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٥). ولما حضرته الوفاة دعا بنيه وكانوا أحد عشر رجلاً، ولم يخلف غير بضع عشر دينار، فأمر أن يكفن ويشتري له موضع يدفن فيه (بخمسة دنانير)^(٦) ويُقصد المال على وارثيه فأصاب كل ابن منهم نصف دينار وربع دينار وقال: يا بني ليس لي مال فأوصي فيه ولكني قد تركتكم وما لأحد عندكم تبع ولا يقع على أحد منكم

(١) البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٨٤ و ٢٠٨؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٣ ص ٢٣١؛ بدائع السلك، ج ١ ص ١١٣؛ مروج الذهب، ج ٢ ص ١٤٥-١٤٦؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٣٦.

(٢) في (ج-د) اللعن.

(٣) ساقطة من (ب-ج-د).

(٤) تاريخ الخلفاء، ص ٢٤٣-٢٤٤؛ الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٢٩؛ شرح نهج البلاغة، م ١ ص ٣٥٧؛ المختصر في أخبار البشر، ج ١ ص ٢٠١.

(٥) آية ٩٠، من سورة النحل.

(٦) في (ج) أحد عشر دينار.

عَيْنُ أَحَدٍ إِلَّا وَيَرَى لَكُمْ عَلَيْهِ حَقًّا. فَقَالَ لَهُ مُسْلِمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ^(١) أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ هَذِهِ ثَلَاثُ مِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ، فَرَقَهَا فِيهِمْ وَإِنْ شِئْتَ فَتَصَدَّقْ بِهَا، وَأَوْصِرْ فِيهَا بِمَا شِئْتَ، فَقَالَ أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ يَا مُسْلِمَةُ تَرُدُّهَا إِلَى مَنْ أَخَذَتْهَا مِنْهُ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ لَكَ بِحَقٍّ. ثُمَّ قَالَ إِنَّ وَلَدِي أَحَدَ رَجُلَيْنِ، فَإِمَّا صَالِحٌ فَاللَّهُ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ، وَإِمَّا فَاسِقٌ فَلَا أَحِبُّ أَنْ أَتْرَكَ لَهُ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَقَالَ مُسْلِمَةُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَيًّا وَمَيِّتًا، فَقَدْ أَلَنْتَ لَنَا قُلُوبًا قَاسِيَةً وَذَكَرْتَهَا وَكَانَتْ نَاسِيَةً وَأَبْقَيْتَ لَنَا فِي الصَّالِحَاتِ ذِكْرًا، فَيَقَالُ إِنَّهُ مَا رُؤِيَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلَادِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَّا وَهُوَ غَنِيٌّ وَلَقَدْ شُوهِدَ أَحَدُهُمْ وَقَدْ جَهَّزَ مِنْ خَالِصٍ مَالِهِ، مِائَةَ فَارِسٍ عَلَى مِائَةِ فَارِسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى^(٢). وَلَمَّا حَضَرَتْ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٣) الْوَفَاةَ،

(١) هو أبو سعيد مسلمة بن عبد الملك بن مروان، القرشي الأموي من رجالات بني أمية. ولي الموسم، أيام أخيه الوليد، غزى الروم غزوات وحاصر القسطنطينية تولى العراقيين ليزيد بن عبد الملك ثم عزله وولاه أرمينيا وقيل أنه كان في غزواته كخالد بن الوليد في أيامه وهذا رأي ابن كثير في البداية والنهاية، أوصى بثلاث ماله لأهل الأدب توفي سنة ١٢٠هـ وقيل سنة ١٢١هـ / البداية والنهاية، ج ٩ ص ٣٢٨؛ المعارف، ص ٢٤٨ - ٢٤٩؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٨٥.

(٢) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٨٣ - ١٨٤؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٢١٠؛ العقد الفريد، ج ٥ ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٣) هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم. يكنى أبا الوليد، ولد سنة ٧٢ للهجرة وبويع له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك بعهد منه إليه وكان له من العمر أربع وثلاثون سنة، وهو الرابع من ولد عبد الملك الذين ولوا الخلافة وكان هشام في خلافته حازم الرأي شديد الجمع للمال قليل البذل متيقظاً، لا يغيب عنه شيء من أمر ملكه وكان مع ذلك فيه حلم وأناة، ذا سياسة حسنة. ويعتبره المؤرخون بحق ثالث خلفاء بني أمية بعد معاوية وعبد الملك. حتى قال المسعودي ختمت به أبواب السياسة وحسن السيرة وكان المنصور في أكثر أموره وتدبيره وسياسته متبعاً لهشام بن عبد الملك في أفعاله لكثرة ما كشف عن أخبار هشام توفي بالرصافة سنة ١٢٥هـ وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام وكانت أيامه تسعة عشر سنة وسبعة أشهر / مروج الذهب للمسعودي، ج ٢ =

خَلَفَ أَحَدَ عَشَرَ ابْنًا، كَمَا خَلَفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَأَوْصَى فَأَصَابَ كُلُّ ابْنٍ أَلْفَ أَلْفٍ دِينَارٍ. فَيَقَالُ إِنَّهُ مَا رُؤِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَهُوَ فَقِيرٌ وَلَقَدْ شُوهِدَ أَحَدُهُمْ وَهُوَ يَوْقَدُ فِي الْأَتُونِ^(١). وَوَجَدْتُ فِي كِتَابِ تَفَاوُتِ التَّوَارِيخِ أَنَّ هِشَامَ ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ كُلِّ سَنَةٍ مَائَتِي دِرْهَمٍ وَأَنَّهُ كَانَ دِيَوَانُهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، كَدِيَوَانِ بَعْضِ الْجُنْدِ^(٢). وَحُكِيَ عَنِ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ أَرْسَلَنِي هِشَامٌ إِلَى خَرَسَانَ وَكَانَ عَلَيْهِ إِذْ ذَاكَ، قِبَاءٌ أَخْضَرُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ مِنْ خَرَسَانَ (رَأَيْتُهُ عَلَيْهِ)^(٣)، قَالَ تَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْقِبَاءِ، وَاللَّهِ كَانَ عَلَيَّ قَبْلَ الْخِلَافَةِ وَمَالِي غَيْرُهُ^(٤). وَفَقَدْ بَعْضُ (أَوْلَادِهِ)^(٥) فِي الْجُمُعَةِ فَسَأَلَهُ عَنْ تَأَخَّرِهِ فَقَالَ نَفَقْتُ دَابَّتِي، يَعْنِي مَاتَتْ، فَقَالَ أَعْجَزْتَ عَنِ الْمَشْيِ، ثُمَّ تَسْقُطُ عَنْكَ

= ص ١٦١ - ١٦٥؛ فَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ، ج ٤ ص ٢٣٨ - ٢٣٩؛ تَارِيخُ الْخُلَفَاءِ، ص ٢٤٧ - ٢٥٠؛ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ، ج ١ ص ١٦٣ - ١٦٤؛ تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ، ج ٩ ص ١٧٢٨ - ١٧٣٢؛ الْعَقْدُ الْفَرِيدُ، ج ٥ ص ١٧٩ - ١٨٤.

(١) الْمُسْتَجَادُ مِنْ فَعَلَاتِ الْأَجْوَادِ، ص ١٨٤؛ وَفِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ، ج ٩ ص ٢١٠. وَلَقَدْ رَأَيْنَا بَعْضَ أَوْلَادِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَحْمِلُ عَلَى ثَمَانِينَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَانَ بَعْضُ أَوْلَادِهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ كَثْرَةِ مَا تَرَكَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ يَتَعَاطَى، وَيَسْأَلُ مِنْ أَوْلَادِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، لِأَنَّهُ عَمَرُ وَكُلُّ وَلَدِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسُلَيْمَانُ وَغَيْرُهُ إِنَّمَا كَلُونُ أَوْلَادَهُمْ إِلَى مَا يَدْعُونَ لَهُمْ، فَيُضِيعُونَ وَتَذْهَبُ أَمْوَالُهُمْ فِي شَهَوَاتِ أَوْلَادِهِمْ.

(٢) ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ، ج ٩ ص ١٧٣١ - ١٧٣٢، أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ بَنِي مُرْوَانَ يَأْخُذُ الْعَطَاءَ إِلَّا عَلَيْهِ الْغَزْوُ فَمِنْهُمْ مَنْ يَغْزُو وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْرُجُ بَدَلًا وَكَانَ لِهِشَامِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَوْلَى يَقَالَ لَهُ يَعْقُوبُ فَكَانَ يَأْخُذُ عَطَاءَ هِشَامِ مَائَتِي دِينَارٍ وَدِينَارٍ يَفْضُلُ بِدِينَارٍ فَيَأْخُذُهَا يَعْقُوبُ وَيَغْزُو.

(٣) فِي (د) رَأَيْتُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْقِبَاءَ.

(٤) الطَّبْرِيُّ، ج ٩ ص ١٧٣٠ وَفِيهِ أَنَّ الَّذِي ذَكَرَ ذَلِكَ هُوَ عَقَالُ بْنُ شَيْهِ وَهُوَ الَّذِي وَجَّهَهُ إِلَى خَرَسَانَ / الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ، ج ٩ ص ٣٥٣، وَفِيهِ أَنَّهُ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى هِشَامٍ وَعَلَيْهِ قِبَاءٌ فَتَكَ أَخْضَرَ فَوَجَّهَنِي إِلَى خَرَسَانَ ثُمَّ جَعَلَ يَوْصِيَنِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْقِبَاءِ فَقَطَنَ وَقَالَ مَالِكُ تَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْقِبَاءِ.

(٥) فِي (ب - ج - د) وَلَدِهِ.

الْجُمُعَةُ فَمَنْعَهُ (الرَّكُوبُ) (١) سَنَةً (٢). وَرَوَى أَنَّ عُرْوَةَ بِنَ أَذْيَنَةَ (٣) أَتَى مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَانْتَسَبَهُمْ فَانْتَسَبُوا فَلَمَّا انْتَسَبَ لَهُ عُرْوَةُ قَالَ أَلَسْتُ الْقَائِلُ:

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ (٤) مِنْ خُلُقِي أَنَّهُ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُعِينَنِي تَطْلُبُهُ وَلَوْ أَقَمْتُ أَتَانِي لَا يُعِينَنِي فَقَالَ نَعَمْ أَنَا قَائِلُهَا، قَالَ أَفَلَا قَعَدْتَ حَتَّى يَأْتِيكَ رِزْقُكَ، وَغَفَلَ عَنْهُ هِشَامُ فَخَرَجَ مِنْ وَتَيْهِ وَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَمَضَى مِنْصَرِفًا. فَتَفَقَّدَهُ هِشَامُ فَعَرَفَ خَبْرَهُ فَاتَّبَعَهُ بِجَائِزَتِهِ وَقَالَ لِلرَّسُولِ (قُلْ لَهُ) (٥) أَرَدْتُ أَنْ تَكْذِبُنَا وَتُصَدِّقَ نَفْسَكَ، فَمَضَى الرَّسُولُ فَلَحِقَهُ، وَقَدْ نَزَلَ عَلَى مَاءٍ يَتَغَذَّى عَلَيْهِ فَأَبْلَغَهُ رِسَالَتَهُ وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْجَائِزَةَ، فَقَالَ قُلْ لَهُ قَدْ صَدَّقَنِي رَبِّي وَكَذَّبَكَ (٦).

وَوَفَدَ عَلَى هِشَامٍ وَفَدَ أَهْلَ الْحِجَازِ فَتَكَلَّمُوا رَجُلًا رَجُلًا حَتَّى قَامَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ (٧) بِنِ حَذِيفَةَ الْعَدَوِيِّ وَكَانَ أَعْظَمَ الْقَوْمِ قَدْرًا وَأَكْبَرَهُمْ سِنًا،

(١) فِي (ج-د) فَمَنْعَهُ الدَّابَّةُ.

(٢) الطَّبْرِي، ج ٩ ص ١٧٣٣؛ الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، ج ٩ ص ٣٥٢.

(٣) هُوَ عُرْوَةُ بِنَ أَذْيَنَةَ اللَّيْثِي الشَّاعِرُ الْحِجَازِي الْمَشْهُورُ، كَثِيرُ الْقِنَاعَةِ وَلَهُ فِي ذَلِكَ أَشْعَارُ سَائِرَةٌ رَوَى عَنْهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ وَكَانَ مِنْ فَحُولِ الشُّعْرَاءِ وَفَدَّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ تَوَفَّى فِي حُدُودِ ١٣٠هـ/ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ، م ٢ ص ٣٩٥-٣٩٦.

(٤) فِي الْأَصْلِ الْإِسْرَافُ وَهِيَ الْأَشْرَافُ بِالشِّينِ لِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفِي عَنْ نَفْسِهِ الْحِرْصَ وَالتَّهَالُكَ وَمِنَهُ الْحَدِيثُ: «مَنْ أَخَذَ الدُّنْيَا بِأَشْرَافٍ لَمْ يَبَارِكْ لَهُ فِيهَا».

(٥) زِيَادَةُ مِنْ (ج).

(٦) وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ، م ٢ ص ٣٩٥-٣٩٦؛ الْفَرَجُ بَعْدَ الشَّدَةِ، ص ١٤٧-١٤٨.

(٧) الصَّوَابُ أَنَّهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ، كَمَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ لِبَابِ الْأَدَابِ، وَصَاحِبُ الْمُسْتَجَادِ، وَالْأَمَالِي، وَلَيْسَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ لِأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْجَهْمِ وَلَدَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَتْلَ يَوْمِ الْحَرَّةِ سَنَةَ ٦٣هـ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ، ج ٥ ص ١٢٨؛ الْاِسْتِيعَابُ، ق/٣ ص ١٣٦٨، بَيْنَمَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ =

فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ إِنَّ خُطْبَاءَ قَرِيشَ، قَدْ قَالَتْ فِيكَ فَأَقُلْتُ وَاكْتَرَتْ وَأَطْنَبَتْ، وَوَاللَّهِ مَا بَلَغَ قَائِلُهُمْ قَدْرَكَ، وَلَا أَحْصَى (مُطْنِبُهُمْ) ^(١) فَضْلَكَ، فَإِنْ أَذْنَتْ فِي الْقَوْلِ قُلْتُ قَالَ: قُلْ وَأَوْجِزْ قَالَ تَوَلَّاكَ اللَّهُ بِالْحُسْنَى وَزَيْنَكَ بِالتَّقْوَى وَجَمَعَ لَكَ خَيْرَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى. إِنَّ لِي حَوَائِجَ فَأَذْكُرُهَا، قَالَ هَاتِهَا قَالَ كَبُرَ سَنِي وَدَقَّ عَظْمِي (وَمَالَ) ^(٢) الدَّهْرُ مِنِّي فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يُجْبَرَ كَسْرِي وَيُنْفَى فَقَرِي فَعَلَ قَالَ وَمَا الَّذِي يَنْفِي ق/٤٢ فَقَرَكَ، وَبِجَبَرِ كَسْرَكَ، قَالَ أَلْفُ دِينَارٍ وَأَلْفُ دِينَارٍ وَأَلْفُ دِينَارٍ فَأَطْرَقَ هِشَامُ (قَلِيلًا) ^(٣)، ثُمَّ قَالَ هِيَهَاتَ (هِيَهَاتَ) ^(٤) يَا ابْنَ أَبِي الْجَهْمِ بَيْتَ الْمَالِ لَا يَحْتَمِلُ مَا سَأَلْتُ، ثُمَّ قَالَ هِيَه وَمَا هِيَه أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوَاجِدٌ، وَلَكِنَّ اللَّهَ آثَرَكَ لِمَجْلِسِكَ، فَإِنْ تُعْطِنَا فَحَقًّا أَذْبِتْ، وَإِنْ تَمْنَعُنَا فَنَسْأَلِ الَّذِي بِيَدِهِ مَا حَوَيْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْعَطَاءَ مَحَبَّةً وَالْمَنْعَ مِبْغَضَةً وَاللَّهُ لَيُنْ تَعْطِنِي فَأُحِبُّكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ (تَحَرَمَنِي) ^(٥) فَأَبْغَضُكَ قَالَ فَالْفُ دِينَارٍ لِمَاذَا قَالَ أَقْضِي بِهَا ذَيْنًا عَلَيَّ حَمَّ قَضَاؤُهُ وَأَذَانِي حَمْلُهُ وَأَضْرَبِي أَهْلَهُ، قَالَ فَلَا بَأْسَ بِتَنْفِيسِ كُرْبَةٍ وَتَأْيِيدَةِ أَمَانَةٍ، وَأَلْفُ دِينَارٍ لِمَاذَا قَالَ أَزْوَجُ بِهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ (أَوْلَادِي) ^(٦)، قَالَ نَعَمْ الْمَسْلُوكُ سَلَكَتْ، غَضَضْتُ بَصْرًا، وَأَعْفَفْتُ فَرْجًا، وَرَجَوْتُ نَسْلًا. قَالَ فَالْفُ دِينَارٍ لِمَاذَا قَالَ أَشْتَرِي بِهَا أَرْضًا يَعِيشُ بِهَا وَلَدِي، وَأَسْتَعِينُ بِفَضْلِهَا عَلَى

= ولد سنة ٧٢هـ وبويع له بالخلافة سنة ١٠٥هـ ولم ينسبها إلى محمد بن أبي الجهم إلا صاحب العقد الفريد وهو خطأ.

(١) في (د) مصيبيهم.

(٢) في (ب) جـ د ونال.

(٣) في (ب) جـ د طويلاً.

(٤) زيادة من (ب) د.

(٥) في (ج) تمنعني.

(٦) في (ب) ولدي.

نوايبِ دهرِي، وتكونُ دُخْرًا لِمَنْ بَعْدِي. قَالَ: فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِمَا سَأَلْتَ
فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ فَاتَّبَعَهُ هِشَامُ بِصَرَّةٍ وَقَالَ: إِذَا كَانَ الْقَرْشِيُّ، فليَكُنْ
مِثْلَ هَذَا، مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَوْجَزَ فِي مَقَالٍ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ إِنَّا لَنَعْرِفُ الْحَقَّ
إِذَا نَزَلَ وَنَكْرُهُ الْإِسْرَافُ وَالْبَخْلُ، فَلَا نُعْطِي تَبْذِيرًا، وَلَا نَمْنَعُ تَقْتِيرًا، وَمَا نَحْنُ
إِلَّا خُزَانُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ، وَأَمْنَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، فَإِنْ أَذِنَ أَعْطَيْنَا، وَإِنْ مَنَعَ أَبَيْنَا،
فَلَوْ كَانَ كُلُّ قَائِلٍ يُصَدِّقُ وَكُلُّ سَائِلٍ يَسْتَحِقُّ مَا حَرَمْنَا سَائِلًا وَلَا جَبَهْنَا قَائِلًا.
فَنَسَأَلُ مَنْ بِيَدِهِ مَا اسْتَخْفَضْنَاهُ أَنْ يَجْزِيَهُ عَلَى أَيْدِينَا فَإِنَّهُ يَفْتَحُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بَعَادِهِ خَيْرٌ بِصِيرًا. فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ تَكَلَّمْتَ فَأُبْلَغْتَ،
وَمَا بَلَغَ فِي كَلَامِهِ مَا قَصَصْتَ فَقَالَ إِنَّهُ مَبْتَدِئٌ وَلَيْسَ الْمُقْتَدِي كَالْمَبْتَدِي^(١).
(وَحَطَبَ)^(٢) خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ^(٣) وَقَدْ أُرْجِفَ بِمَوْتِ هِشَامِ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ مَا هَذِهِ الْجَمَاعَةُ الَّتِي قَدْ أَلْفَهَا الطُّيُشُ وَاسْتَخَفُّهَا الْجَهْلُ
وَأَقْبَلَتْ (دَبَّ)^(٤) الْوَجُوهُ قَدْ أَشْخَصَ لَهَا الرَّجِيمُ نَصْبًا فَأَوْقَصَتْ إِلَيْهِ وَأَنَاخَ قَعُودَ
الضَّلَالَةِ فَاحْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَوْكُلَمَا خَطَرَتْ لِلشَّيَاطِينِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ (خَطُوءَ)^(٥)

(١) المستجد من فعلات الأجواد، ص ٢١٤ - ٢١٥؛ ولم يكمل القصة حتى النهاية، صبح
الأعشى، ج ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٥؛ الأماي، ج ١ ص ١٨٤؛ العقد الفريد، ج ٥
ص ١٨٢ - ١٨٣؛ لباب الآداب، ص ١٤٦ - ١٤٧.
(٢) في (د) كتب.

(٣) هو خالد بن عبدالله بن يزيد القسري، والقسري بفتح القاف وسكون السين نسبة إلى
قسر بن عبقّر بطن من بجيلة كان أمير العراقين من جهة هشام بن عبد الملك الأموي.
ولي مكة سنة ٨٩ للهجرة ولجده يزيد صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وزعموا أن خالدًا كان من جملة خطباء العرب، وكان جواداً كثير العطاء. وإن كان
الأتابكي في النجوم الزاهرة يقول: وكان بخيلاً على الطعام جداً. وقال ابن معين فيه
خالد رجل سوء يقع في علي رضي الله عنه ولي العراق لهشام وهلك تحت التعذيب سنة
١٢٦ هـ وله ستون سنة / شذرات الذهب، ج ١ ص ١٦٩؛ النجوم الزاهرة، ج ١
ص ٢٩٨؛ وفيات الأعيان، م ٢ ص ٢٢٦، ٢٣١.

(٤) في (ب) ربد.

(٥) في (ب - ج - د) خطرة.

أَوْكَادَ كَمْ يَنْكُرُ، أَوْبَعَثَ فَيْكُمْ مُنْكَرًا، أَقْبَلْتُمْ قَمَصًا^(١)، وَسَعَيْتُمْ حَرْصًا. فَتُغَسَّأُ وَتُكْسَأُ قَلْتُمْ مَاتَ هِشَامُ، أَفْبَدَعُ الْمَوْتُ أَوْمَسْتَنْكَرُ أَوْمَبَرَأُ مِنْهُ أَحَدٌ قَدْ مَاتَ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَأَتْكَتَهُ أَخْرَجُوا يَا فَرَّاشَ النَّارِ وَبَقِيَّةَ الْأَشْرَارِ.

وَحَظَبَ مَرَّةً فَارْتَجَّ عَلَيْهِ^(٢) فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْقَوْلَ يَجِيئُ أَحْيَانًا، وَيَعْزُبُ أَحْيَانًا، فَيَتَسَرُّ عِنْدَ مَجِيئِهِ سَبَبُهُ، وَيَعْزُ عِنْدَ ذَهَابِهِ طَلَبُهُ، وَرَبَّمَا طَلَبَ قَابَسَى وَكُوْبِرَ فَعَصَى، فَالْتَأَنِي لِمَجِيئِهِ أَيْسَرُ مِنَ التَّعَاطِي لِأَبِيهِ وَقَدْ يَخْتَلِجُ مِنَ الْجَرِيءِ جَنَانُهُ، وَيَرْتَجُّ عَلَى الْبَلِغِ لِسَانُهُ فَلَا يَغَيِّرُهُ الْمُنْطَقُ إِذَا امْتَنَعَ كَمَا لَا يَبْطِرُهُ الْقَوْلُ إِذَا اتَّسَعَ^(٣).

وَدَخَلَتْ امْرَأَةً مِنْ بَنِي كِلَابٍ، عَلَى خَالِدِ الْقِسْرِيِّ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ وَأَنْشَدَتْهُ شِعْرًا. فَقَالَ لَهَا خَالِدٌ مَا حَاجْتُكَ، قَالَتْ عِنْدِي لِلْأُمِيرِ نَصِيحَةٌ. قَالَ وَمَا هِيَ قَالَتْ أَكْبُّ عَلَى ذَهْرٍ بِجَرَانِهِ^(٤)، وَعَضْنَا بَنَابِهِ، فَمَا تَرَكَ لَنَا سَبْدًا، وَلَا لُبْدًا^(٥) وَلَا مَاهِيًا^(٦)، وَلَا صَافِيًا^(٧)، فَمَا بَنَا خَفَضُ وَلَا نَبْضُ.

-
- (١) قمص الفرس وغيره يقمص قمصاً بالضم والكسر إذا صار عادة له / القاموس المحيط.
 (٢) ارتج على القارئ إذا لم يقدر على القراءة وقيل الرتاج الباب المغلق / مختار الصحاح.
 (٣) بهجة المجالس وأنس المجالس، ق/١ ص ٧٤؛ العقد الفريد، ج ٤ ص ٢٠٣؛ آمال المرتضى، ج ٢ ص ١٠٢، ثم قال تعقيباً فيما روي حصر أبلغ منه، عيون الأخبار، م ١ ج ٥ ص ٢٥٧؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٨.
 (٤) الجران: مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره، فإذا برك البعير ومد عنقه على الأرض قيل ألقى جرانه بالأرض / القاموس المحيط.
 (٥) السبد: حلق الشعر كالأسباد والتسييد وبالكسر الذئب والداهية وماله سبد ولا لبذ محركتان أي لا قليل ولا كثير / القاموس المحيط.
 (٦) الماهي: من المهور الرطب واللؤلؤ واللبن الرقيق الكثير الماء.
 (٧) والصفى خالص كل شيء والناقة الغزيرة: القاموس المحيط. تريد أن تقول ذهبت الإبل وما ينتج عنها.

فكنت أنت المتتبع^(١) وإليك المفزع. فنصحتني أصلح الله الأمير، أن تأمر لي بخادم، وما يصلحني وإياه فوالله لقد عودت الرخاء، وما قاسيت الشقاء. قال خالد هذه نصيحة لك دوننا قالت أيها الأمير ليست لي دونك، لك أجرها وذخرها، وحمدها وشكرها، ولي منفعتها مع أن الأجواد لو لم يجدوا، من يقبل العطاء ما ذكروا بالسخاء قال صدقت فهل لك من زوج، قالت والله مالي زوج، ولا وجدت كفتاً ولا أتزوج (دنياً)^(٢)، وإن كان مترفاً غنياً، ولئن كنت فقدت نسباً، ما فقدت حساباً، وما كنت أشتري عاراً يبقى، بمالٍ يفنى. أعود بجلال الله من ذلك، ومالي أبق الله الأمير بزواج من أرب. فأمر لها بخادم، وما يصلحها، وأمر صاحب نفقاته أن يجري لهما ما وسعهما.

وروي ق/٤٣ عن الوليد بن يزيد^(٣) مع ما كان فيه من الخلاعة واللعب، والتهاون بالدين أنه لما ولى أجرى على الزمنى والعميان، وكساهم وأعطى كل واحد منهم خادماً، وزاد الناس، على ما كان يعطيهم هشام، ولم يسأل سائلاً قط، إلا قال نعم وأعطاه^(٤). وكان أديباً شاعراً، فمن أحسن قوله

(١) انتجع القوم إذا ذهبوا لطلب الكلاء في موضعه ونجع الدواء ظهور أثره / المصباح المنير.
(٢) في (ج-د) غنياً.

(٣) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، الخليفة الفاسق لقب بخلع بن مروان والقاتك والزنديق. ولد سنة ٩٠هـ، وقيل ٩٢هـ، وأمه بنت محمد بن يوسف الثقفي، فالحجاج عم أمه. بويغ له بالخلافة سنة ١٢٥هـ، وهو مقيم بالرصافة فصدرت عنه الأمور القبيحة، من شرب الخمر والفجور، وانتهاك محارم الله. فخرج الناس عليه، ففتح المصحف يقرأ فتسوروا عليه، فضربه عبد السلام اللخني على رأسه، وضربه آخر على وجهه وحزوا رأسه، وكان ذلك سنة ١٢٦هـ، وله أربعون سنة وكانت أيامه سنة وشهرين وأياماً. فوات الوفيات، ج ٤ ص ٢٥٦ - ٢٥٩. النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٩٨ - ٢٩٩. تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٠ - ٢٥١. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٦ - ٨. مروج الذهب، ج ٢ ص ١٦٧.

(٤) الطبري، ج ٩ ص ١٧٥٤. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٤.

ما (حدّثني) ^(١) اسحاق الموصلي ^(٢) قال: دخلت يوماً على الرشيد، وهو مستلقٍ وهو يقول أحسن والله أظرف قريش، وأفتاها (وأسخاها) ^(٣)، وأشعرها وأغزلها. فقلت من هو يا أمير المؤمنين وفي أي شيء، فقال: أمّا بعد ما سمعت مني في وصفه فلا أسميه ولكن أذكر الشعر فإن كنت تعرفه فاكتبم عني ما سمعت مني وهو الذي يقول:

لا أسأل الله تغييراً لما صنعت نامت وإن أسهرت عيني عيناها
فالليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاها ^(٤)
أعرفه قلت لا بصوت ضعيف، قال بحياتي، فقلت بلى وحياتك هو
الوليد بن يزيد، فضحك وقال ما قلت في وصفه إلا دون ما يستحق ولكن
المُلك عقيم.

وكتب إلى هشام بن عبد الملك برسالة وفي آخرها شعر:

رأيتك تبني دائماً في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
تشر علي الباقي مني ضغينة فويل لهم إن مت من شر ما تبني
كأني بهم والليت أكثر قولهم ألا ليتنا كنا إذا ليت لا تُغني ^(٥)

(١) في (ب - ج): حدث.

(٢) هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم التيمي. ولد سنة ١٥٠هـ، وكان إماماً عالماً، إخبارياً نافق السوق عند الخلفاء. وبعد من الأجواد، وكان المأمون يقول: لولا ما سبق لإسحاق على السنة الناس، واشتهر بالغناء، لوليت القضاء، توفي سنة ٢٣٥هـ. وفيات الأعيان، م ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٥. شذرات الذهب، ج ٢ ص ٨٢. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣١٤. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٨٠.

(٣) ساقطة من (ب - ج - د).

(٤) فوات الوفيات، ج ٤ ص ٢٥٨. شعر الوليد بن يزيد، ص ١٣١.

(٥) شعر الوليد بن يزيد، ص ١٢٥. الفخري، في الآداب السلطانية، ص ١٣٤. تاريخ الخلفاء، ص ٢٥١. تاريخ الطبري، ج ٩ ص ١٧٤٩.

وقال أيضاً وَقَدْ رَجَعَ إِلَيْهِ جَوَابُ هِشَامٍ بِمَا يَكْرَهُهُ :

أليس عجيباً أَنْ أرى كُلَّ وارِدٍ
وأرجع مجذوذَ الرِّجاءِ مُصَرِّداً
حياضَكَ يوماً صادراً بالنِّوافلِ
بتخلُّيه عَن ورِدِ تلكِ المناهلِ^(١)
وقال أيضاً فيه :

أنا النَّذيرُ لمُسْدي نِعْمَةٍ أَبداً
إِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ بُطْراً
إلى المَقاريفِ ما لَمْ يَخْبِرِ الدَّخْلا
وإنْ أَهْتَتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ ذُلًّا
أَتَشْمُخُونَ وَمِنَّا رَأْسُ نِعْمَتِكُمْ
سَوَى الكَلْبِ فاضْرِبُهُ لَهُمْ مَثَلاً
انْظُرْ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مَثَلٍ لَهُمْ
يَنِمَّا يُسَمِّنُهُ لِلصَّيْدِ صَاحِبُهُ
حَتَّى إِذَا ما قَوِيَ مِنْ بَعْدِما هَزالاً
عَدا عَلَيْهِ فَلَمْ تَضُرُّهُ عَدَوْتُهُ
وَلَوْ يَطِيقُ لَهُ أَكْلاً لَقَدْ أَكَلَا^(٢)
وذلكَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ المَلِكِ، كانَ قَدْ أَخَذَ البَيْعَةَ لِأَخِيهِ هِشامِ، ثُمَّ مِنْ
بَعْدِهِ لابنِهِ الوليدِ. وَلَمَّا قَتَلَ يَزِيدُ بْنُ الوليدِ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ^(٣)، الوليدُ بْنُ
يَزِيدٍ^(٤)، وَوَلِيَ الخِلافةَ خَطَبَ فَحَمَدَ اللّٰهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ أَيُّها النّاسُ واللّٰهَ ما

(١) شعر الوليد بن يزيد، ص ١٠٤.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٩ ص ١٧٤٥. شعر الوليد بن يزيد، ص ٩٤.

(٣) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. لقب بالناقص لأنه نقص ما كان زاده الوليد، في اعطيات الناس، وهي عشرة دراهم ورده إياهم إلى ما كان الأمر عليه في زمن هشام. ولد في الكعبة سنة ٩١ للهجرة، في حياة جده عبد الملك، وأمه شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد، بويع له بالخلافة سنة ١٢٦هـ وله من العمر ٣٥ سنة، وكانت خلافته خمسة أشهر ويومين، توفي في ذي الحجة سنة ١٢٦هـ، ويقال أنه كان من أبلغ بني أمية. وكان فيه زهد وعدل، لكنه كان قدري، فلقد ذكر صاحب شذرات الذهب عن الشافعي قوله: ولي يزيد بن الوليد فدعا الناس إلى القدر وحلهم عليه. شذرات الذهب، ج ١ ص ١٦٧. النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٩٩ - ٣٠٠. فوات الوفيات، ج ٤ ص ٣٣٣.

(٤) تقدمت ترجمته، ص ٣٠٦.

خَرَجْتُ (بَطْرًا وَلَا أَشِيرًا)^(١)، وَلَا رِيَاءًا وَلَا حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا، وَلَا رَغْبَةً فِي الْمَلِكِ. وَمَا بِي اطِّرَاءً لِنَفْسِي إِنِّي لظَلُومٌ لَهَا إِلَّا مَا يَرْحَمُنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَلَكِنِّي خَرَجْتُ غَضَبًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِدِينِهِ، دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا هُدِّمَتْ مَعَالِمُ الدِّينِ، وَأُطْفِئَ نَوْرُ التَّقْوَى، وَظَهَرَ الْجَبَّارُ الْعَنِيدُ، (مُسْتَخْفًا بِكُلِّ حَرَمَةٍ)^(٢) وَرَاكِبًا لِكُلِّ بِدْعَةٍ، الْكَافِرُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَإِنَّهُ لَا بَنُ عَمِّي فِي النَّسَبِ وَكُفْتِي فِي الْحَسَبِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، اسْتَخَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى فِي أَمْرِهِ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَكْنِيَنِي (عَلَى نَفْسِي)^(٣)، وَدَعَوْتُ إِلَى ذَلِكَ مَنْ أَجَابَنِي مِنْ أَهْلِ وَلَايَتِي حَتَّى أَرَاخَ اللَّهَ مِنْهُ الْعِبَادَ، وَطَهَّرَ مِنْهُ الْبِلَادَ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، لَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ عَلَيَّ أَنْ لَا أَضَعُ لَبَنَةً عَلَى لَبَنَةٍ وَلَا حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ وَلَا أَكْتِرَ مَالًا وَلَا أُعْطِيهِ زَوْجًا وَلَا وَلَدًا وَلَا أُنْقِلُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ أُخْرَى حَتَّى أَسُدَّ (فَقْرًا)^(٤) يَلِكَ الْبَلَدِ وَلَا أَجْبِرْكُمْ فِي ثُغُورِكُمْ، حَتَّى أَفْتِنَ أَهْلِيكُمْ، وَلَا أُغْلِقُ بَابِي دُونَكُمْ، فَيَاكُلَ قُوَّتُكُمْ ضَعِيفَكُمْ، وَلَا أَحْمِلَ عَلَى أَهْلِ جَزِيرَتِكُمْ، مَا أَجْلِيهِمْ بِهِ عَنْ بِلَادِهِمْ، وَأَقْطَعُ بِهِ نَسْلَهُمْ، وَلَكِنْ أَدْرِقْ/ ٤٤ الْعِطَاءَ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَالرِّزْقَ فِي كُلِّ شَهْرٍ حَتَّى تَسْتَوِيَ بِكُمْ الْحَالُ، فَيَكُونَ أَفْضَلُكُمْ كَادِنَاكُمْ. فَإِنْ أَنَا وَفَيْتُ لَكُمْ، فَعَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَحُسْنُ الْمُؤَاذَرَةِ وَالْمَكَاتِفَةِ، وَإِنْ لَمْ أَفِ لَكُمْ، فَلَكُمْ أَنْ تَخْلَعُونِي إِلَّا أَنْ تَسْتَيَّبُونِي فَإِنْ تَبْتُ، قَبَلْتُمْ تَوْبَتِي، وَإِنْ عَرَفْتُمْ أَحَدًا بِالصَّلَاحِ، يُعْطِيكُمْ مِنْ نَفْسِي مِثْلَ الَّذِي أُعْطِيْتُكُمْ، فَارْدُّهُمْ أَنْ تَبَايَعُوهُ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَبَايَعُهُ، وَيَدْخُلُ فِي طَاعَتِهِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ

(١) في (ب - ج): أشرا ولا بطر.

(٢) في (ج): المستخف بكل حرمة.

(٣) في (ب - ج - د): إلى نفسي.

(٤) في الطبري، ثغر ذلك البلد.

الخالق أقول هذا واستغفر الله لي ولكم، ولجميع المسلمين إنه غفور رحيم^(١).

وكتب إلى مروان بن محمد^(٢) وقد بلغه تلكه في بيعته. أما بعد: فإنني أراك تقدم رجلاً، وتؤخر أخرى، فاعتمد على أيهما شئت، والسلام^(٣).

ولما تفرق الأمر على مروان بن محمد وأيقن بزوال ملكه، وغلبة بني هاشم عليه، قال لعبد الحميد بن يحيى^(٤) كاتبه إنني قد احتجت، أن تكون مع عدوي علي، وتظهر لهم (الغدر)^(٥) بي فإن أعجابهم بأدبك، وحاجتهم إليك تدعوهم إلى حسن الظن بك. فإن استطعت أن تنفعني في حياتي، وإلا

(١) الطبري، ج ٩ ص ١٨٣٤. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٣. البيان والتبين، ج ٢ ص ٢٨٤. الفخري، في الآداب السلطانية، ص ١٣٦. تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٢) هو أبو عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم. آخر خلفاء بني أمية، يلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعدي درهم، وبالحمار لأنه كان لا يجف له لهد في محارة الخوارج. وقيل لأن العرب تسمي كل مئة سنة حماراً، فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة، لقبوا مروان بالحمار لذلك. ولد بالجزيرة سنة ٧٧هـ، وكان أبوه المتولي عليها، من قبل ابن عمه الخليفة عبد الملك بن مروان، فنشأ في دولة أقاربه وولي الولايات الجلييلة قبل الخلافة، وافتتح عدة فتوح، وكان مشهوراً بالفروسية والإقدام، والدهاء والعسف، بويغ له سنة ١٢٧هـ، وكانت أيامه أيام فتن، وهرج ومرج، فلم تطل أيامه حتى هزمته جيوش بني العباس، وتبعته إلى مصر، فقتل في قرية بوسير، سنة ١٣٢هـ. فوات الوفيات، ج ٤ ص ١٢٧ - ١٢٨. النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٣٢٣. تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٤ - ٢٥٥. الفخري، ص ١٣٨. تاريخ يعقوب، م ٢ ص ٣٣٨. شذرات الذهب، ج ١ ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٣) العقد الفريد، ج ٥ ص ١٩٥. صبح الأعشي، ج ٦ ص ٣٩١. فوات الوفيات، ج ٤ ص ٣٣٣. جمهرة رسائل العرب، ج ٢ ص ٤٩٧. نثر الدرر مخطوط، ج ٣ ص ٤٤.

(٤) تقدمت ترجمته، ص ٢٠٣.

(٥) في (ب): العدوى.

لَمْ تَعِجْزُ عَنْ حِفْظِ حُرْمَتِي بَعْدَ وَفَاتِي . فَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ إِنَّ الَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ
أَنْفَعُ الْأُمُورِ لَكَ وَأَقْبَحُهُمَا بِي . وَمَا عِنْدِي إِلَّا الْوَفَاءُ ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لَكَ
أَوْ أَقْتَلَ مَعَكَ ، ثُمَّ قَالَ :

أَسْرُ وَفَاءً ثُمَّ أَظْهَرُ غُدْرَةً فَمَنْ لِي بِعَذْرِ يُوسُفَ النَّاسِ ظَاهِرُهُ^(١)
وَقَالَ (مِرْوَانُ)^(٢) إِذَا انْقَضَتِ الْمُدَّةُ لَمْ تَنْفَعِ الْعِدَّةُ^(٣) .

وَكُتِبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ^(٤) ، يُوصِيهِ فِي حَرْمِهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ
عَبْدُ اللَّهِ بِأَمَّا بَقِ الْحَقُّ لَنَا فِي دِمِّكَ ، وَعَلَيْنَا فِي حَرْمِكَ^(٥) .

وَلَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ^(٦) ، وَهُوَ أَوَّلُ مُلُوكِ بَنِي الْعَبَّاسِ .

(١) المستجد، من فعلات الأجواد، ص ١٩٤ . الوزراء والكتاب، ص ٧٩ . مروج
الذهب، ج ٢ ص ١٩٦ . عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) ساقطة من (ب - ج - د) .

(٣) غر الخصاص، ص ٢٢٢ . تاريخ الموصل، ص ١٢٦ . محاضرات الأدباء، ج ١
ص ٢١٦ .

(٤) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس، عم المنصور والسفاح، كان من الدهاة المعدودين
ومن الشجعان الأبطال . ولد سنة ١٠٣ هـ، وانتدب لحرب مروان بن محمد ولح في
طلبه، وتبعه إلى دمشق وفتحها وأسرف في قتل بني أمية . ولى دمشق للسفاح، فلما ولي
المنصور خرج عليه ودعا لنفسه، فهزمه أبو مسلم الخرساني فشفع له أخوته، وأخذوا له
الأمان، فلما قدم عليه حبسه حتى مات في الحبس سنة ١٤٧ هـ . فوات الوفيات، ج ٢
ص ١٩٢ . النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٧ . شذرات الذهب، ج ١ ص ٢١٩ . البداية
والنهاية، ج ١٠ ص ١٠٤ .

(٥) تاريخ يعقوبي، م ٢ ص ٣٤٦ . جبهة رسائل العرب، ج ٢ ص ٥٠٠ .

(٦) هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . أول خلفاء بني
العباس . ولد بالحميمة سنة ١٠٨ هـ، وأمه ربطه من بني الحارث بن كعب، بويغ له
بالخلافة سنة ١٣٢ هـ، في حياة مروان بن محمد الخليفة الأموي . وكان من الكرم،
ووفور العقل على جانب كبير، سمي السفاح، لأنه سفح دماء بني أمية، وكان يعد من
أسخى الناس، فما وعد عده فأخراها عن وقتها، ولا قام من مجلسه حتى يقضيها، توفي =

روي أن أول خطبة، خطبها السفاح، في بلدة تُسمى العباسية، فلما صار إلى موضع الشهادة قام رجل من الطالبين في عنقه مصحف، فقال أذكرك الذي ذكرته، إلا أنصفتني من خصمي، وحكمت بيني وبينه، بما في هذا المصحف، فقال: ومن خصمك، قال: أبو بكر الذي منع فاطمة فداك. قال وأقام على ظلمكم، قال نعم، قال وهل كان بعده أحد، قال نعم، قال من، قال عمر، قال وأقام على ظلمكم، قال نعم، قال وهل كان بعده أحد، قال من، قال عثمان، قال وأقام على ظلمكم، قال نعم، قال وهل كان بعده أحد، قال نعم قال من، قال علي قال وأقام على ظلمكم، فأسكت الرجل، وجعل يتلفت إلى ورائه يطلب تخلصاً^(١). وأقبل السفاح على خطبته وصعد المنبر بوجهه كأنه مصحف، فلم يستطع الكلام من الحياء، فنهض عمه داود بن علي^(٢) حتى صعد المنبر، فقال المنصور فقلت في نفسي، هذا شيخنا وكبيرنا، يدعو إلى نفسه، فلا يختلف عليه اثنان. فانتضبت سيفي وغطيته بثوبي، وقلت إن فعل ناجزته فلما رقى استقبل الناس بوجه أبي العباس.

= سنة ١٣٦هـ، وعهد الخلافة إلى أخيه أبي جعفر المنصور، وكانت مدة خلافته أربع سنين وثمانية أشهر. فوات الوفيات، ج ٢ ص ٢١٥. الفخري، ص ٢٥١. تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٦ - ٢٥٩. تاريخ يعقوبي، ج ٢ ص ٣٤٩. النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٣٣٣. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٥٨. شذرات الذهب، ج ١ ص ١٩٥.

(١) كتاب الأذكياء، لابن الجوزي، ص ٣٦ - ٣٧. وفيه أن السفاح قال له والله الذي لا إله إلا هو لولا أنه أول مقام قمته، ثم لم أكن تقدمت إليك في هذا قبل لأخذت الذي فيه عينك، أقعد وأقبل على الخطبة. المصباح المضيء، في خلافة المستضيء، ج ١ ص ٣٩١ - ٣٩٢.

(٢) هو داود بن علي بن عبد الله بن العباس. عم الخليفة السفاح، كان فصيحاً مفوهاً، ولي أمرة المدينة، فقتل من كان فيها من بني أمية، استخلف حين احتضر على عمله ولده موسى، توفي سنة ١٧٣هـ. النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٣٥٤ - ٣٥٥. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٥٦.

فقال أيُّها الناسُ إنَّ أميرَ المؤمنينَ يكرهُ أنْ يتقدَّم قولُهُ فعلُهُ، وأثرُ الفعلِ عليكم أجدى من تشقيقِ الكلامِ، وحسبُكم بكتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ متلوَّ فيكم وابنَ عمِّ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله وسلَّم خليفةً عليكم. فواللهِ قسماً باراً ولا أريدُ بهِ إلا اللهُ ما قامَ هذا المَقامُ، أحدُ بَعْدَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، عليه الصلاةُ والسلامُ عليه وعلى آله،^(١) أحقُّ مِن أميرِ المؤمنينَ هذا ليطمأنَّ ظأنكم، وليهمسْ هامِسُكم قالَ المنصورُ فشمنت^(٢) سيفي^(٣).

وخطبَ داوودُ بن علي فقال:

شِنْشَنَةُ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمٍ من يلق آسَادَ الرجالِ يكلم^(٤)
مهلاً مهلاً يا روايا^(٥) الأرجاف، وبقايا النفاق، وأنسال الأحزاب عن
الخوض فيما كفيتم، والتخطي إلى ما حذرتم، قبل أن تتلف نفوس، وتحز
رؤوس. ألم تجدوا ما وعدكم ربكم حقاً، من إيراث المستضعفين مشارق

(١) ساقطة من (ب - ج - د).

(٢) الشيمة بالكسر الطبيعية، وتشيم أباه أشبهه والشامة علامة تخالف البدن وشام سيفه يشيمه غمده ويستعمل أيضاً بمعنى سله / القاموس المحيط.

(٣) عيون الأخبار، م ٢ ج ٥ ص ٢٥٢. شرح نهج البلاغة، ج ٣ ص ١٨٥. نثر الدرر مخطوط، ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٤) الشنينة الطبيعة والعادة، وهو مثل لأبي أخزم الطائي، وهو جد أبي حاتم أوجد جده، وكان له ابن يقال له أخزم، وكان عاقاً فمات وترك بنين فوثبوا يوماً على جدهم أبي أخزم فأدموه فقال:

إن بني ضَرْجُونِي بالدمِ شِنْشَنَةُ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ
أي أن هؤلاء، أشبهوا أباهم في العقوق. وقيل أن ابن عمر قال لابن عباس، رضي الله عنهم، حين شاوره فأعجبه إشارته: شنينة أعرافها من أخزم: يعني أنه أعراف فيك مشابهة أبيك في رأيه وعقله. وذلك أنه لم يكن لقرشي مثل رأي العباس. مجمع الأمثال، ج ١ ص ٣٦١. البيان والتبيين، ج ١ ص ١٧٥.

(٥) الراوية البعير أو البغل الحمار الذي يستقى عليه كل يوم والعامّة تسمى المزايدة راوية، وهو جائز استعاره / مختار الصحاح.

الأرض ومغاربها. لا والله بل (ضب مضم) ^(١) وحسك ^(٢) وكمد، رغما للمعاطس وبعداً للقوم الظالمين ^(٣). ق/٤٥.

وصعد المنبر مرة فارتج عليه (الكلام) ^(٤) فقال أما بعد: فقد يجد المعسر ويعسر الموسر، (ويثقل) ^(٥) الحديد، ويقطع الكليل. وأن الكلام بعد الأفحام كالإشراق بعد الاظلام وقد يعزب البيان ويعقم الصواب وإنما اللسان بضعة من الإنسان يفتقر بفتوره إذا (أكتل) ^(٦) وينبسط بانبساط إذا ارتجل. وإنا لا ننطق أشراً، ولا نسكت حصرأً، بل ننطق مرشدين، ونسكت معتبرين. فإنا أمراء القول، فمنا وشجت ^(٧) اعراقه، وإلينا تعطفت أغصانه وعلينا تهدلت ثمرته فنجنى منه ما احلولى وعذب، وترك منه ما املولح ونخبث. ومن بعد مقامنا مقام، ومن بعد أيامنا أيام، يعرف فيها فضل الكلام. إنشاء الله وهو أحمد مستعان ^(٨).

(١) الضب الحقد والضبة من حديد أو صفر أو نحوه يشعب بها إنشاء، المصباح المنير. وفي جمهرة خطب العرب ولكنه حسد مضم.

(٢) الحسك حسك السعدان، نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم، والحسك أيضاً الحقد والعداوة/ القاموس المحيط.

(٣) جمهرة خطب العرب، ج ٣ ص ١٦. نثر الدرر، ج ١ ص ٢٤٦. العقد الفريد، ج ١ ص ١٦١. وعزاها إلى أبي جعفر المنصور حين خروجه إلى الشام مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) ساقطة من (ب - د).

(٥) في (ب): ينفل وفي (د): ينقل.

(٦) في (ب) نكل.

(٧) الوشيعة عرق الشجرة وليف يفتل ويشد بين خشبتين ينقل فيها المحصود والواشجة الرحم المشتبكة/ القاموس المحيط.

(٨) جمهرة خطب العرب، ج ٣ ص ١٧؛ الصناعتين، ص ٢١؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٦٣.

وخطب سليمان بن علي^(١) بن عبدالله بن العباس فقال: (إياكم أن يتكلم الرجل)^(٢) في ما لا يعنيه ويرعى ما لا يسترعيه. فينزل به منا فاقرة ليست لها باقية، وإياكم إياكم. واحذروا مصارع الحائنين فإنني وإياكم كما قال الأول:

بدأتكم بالخير حتى بطرتم فلما كفرتم شكر ما كنت أصنع
سنعطيك صابا ومرا وعلقما فإن عدتم فالسيف عندي مقلع
وما بعد السوط، إلا السيف، فأبقوا على أنفسكم أو ذروا.

وخطب المنصور^(٣) فحمد الله وأثنى عليه، فلما انتهى إلى قوله أشهد

(١) هو سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس الهاشمي. أحد أعمام السفاح والمنصور ولي الموسم في خلافة السفاح، وولي البصرة للسفاح وللمنصور. ولد سنة ٨٢هـ وكان سليمان كريماً جواداً توفي سنة ١٤٢هـ/ فوات الوفيات، ج ٢ ص ٧٠ - ٧١؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢١٠؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٣٤٨.

(٢) في (ب - ج - د): إياي والرجل منكم يتكلم.

(٣) هو أبو جعفر المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس. ولد سنة ٩٥هـ وكان قبل الخلافة يقال له عبدالله الطويل، جاب الآفاق وكان يعد فحل بني العباس، هبة وشجاعة، وحزماً ورأياً وجبروتاً حريصاً على جمع المال، كامل العقل جيد المشاركة في العلم والأدب، قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه لقب بأبي الدوائق لمحاسبته العمال، والصناع حتى على الدوائق تولى الخلافة أول سنة ١٣٧هـ فأول ما فعل أن قتل أبا مسلم الخراساني صاحب دعوتهم، ومهد ملكهم، وبني مدينة بغداد. وفي عصره شاع تدوين العلوم والحديث والفقه والتفسير، فصنف ابن جريج بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة والأوزاعي بالشام، وكثر تدوين العلم وتبويبه. وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم، أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة. توفي ببئر ميمون من أرض الحرم سنة ١٥٨هـ ودفن باب المعلى وكان عمره يوم وفاته ٦٣ سنة وعهد إلى ولده محمد المهدي، بعد أن عزل عيسى بن موسى من ولاية المعهد/ تاريخ الخلفاء، ص ٣٥٩ - ٢٧١؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٢ - ٣٣؛ فوات الوفيات، ج ٢ ص ٢١٦ - ٢١٧؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٤؛ العقد الفريد، ج ٥ ص ٢٣٧؛ الفخري، ص ١٥٩؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٢١ - ١٢٩.

أن لا إله إلا الله . وثب رجل من أقصى المسجد فقال أذكرك الله ما تذكر . فقال سمعاً لمن فهم عن الله عز وجل (وذكره) ^(١) ، وأعوذ بالله أن أكون جباراً عصياً ، وأن تأخذني العزة بالاثم . لقد ضللت إذأ ، وما أنا من المهتدين . وأنت والله أيها القائل ما أردت بها الله ولكنك حاولت أن يقال قام ، فقال وعوقب فصبر ، وأهون بقائلها لقد هممت فاهتبلتها ^(٢) . ويلك إذ عفوت ، وإياكم معاشر الناس وأختها . فإن الموعدة علينا نزلت ، ومن عندنا أنبت ، فردوا الأمر إلى أهله يصدروه كما أوردوه . ثم رجع إلى خطبته فأتىها ^(٣) .

وصعد المنبر مرة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم سكت طويلاً . فقال رجل ما لأمر المؤمنين لا يتكلم ، فإنه والله ممن يهون عليه صعب الكلام ، فأكمل خطبته ثم قال :

مالي أَكْفَيْكَ عَنْ سَعْدٍ وَيَشْتِمُنِي ولو شتمتُ بني سَعْدٍ لَقَدْ سَكَنُوا
جهلاً علينا وجبنا عن عدوكم لبست الخُلُتَانِ الجَهْلُ والجُبْنُ ^(٤)
(ثم حسر رأسه وقال :

وَأَلْقَيْتَ عَنْ رَأْسِي الْقِنَاعَ وَلَمْ أَكُنْ لَأَكْشِفُهُ إِلَّا لَأَحْدَى الْعِظَائِمِ ^(٥)
ثم قال والله لقد عجزوا ، عن أمر قمنا به ، فما شكروا ، ولقد مهدنا

(١) زيادة من (ج) .

(٢) والاهتبال الاغتنام وانتهاز الفرصة / القاموس المحيط .

(٣) النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٣٣ ؛ عيون الأخبار ، م ١ ج ٥ ص ٣٣٦ ؛ خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٦١ ؛ الطبري ، ج ١٠ ص ٤٢٧ ؛ صبح الأعشى ، ج ١ ص ٢٦٢ ؛ تاريخ الخلفاء ، ص ٢٦٤ .

(٤) ذكر البيت الثاني منسوباً إلى قنبل بن أم صاحب شاعر إسلامي كان في أيام الوليد بن عبد الملك / ديوان الحماسة لأبي تمام ، ج ٢ ص ١٨٨ .

(٥) زيادة من (ب - د) .

ما استوعروا وأعطينا الحق وغمطوا^(١). والله لا أكرم أحداً، بمهانة نفسي،
والسعيد من وعظ بغيره، لأن سادة الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة
الأتقياء^(٢).

وقام عمرو بن عبيد^(٣) بين يدي المنصور فقال: إن الله عز وجل أعطاك
الدنيا بأسرها فاشتري نفسك ببعضها. واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة فيه.
فوجم أبو جعفر في قوله فقال الربيع^(٤) له يا عمرو غممت أمير المؤمنين فقال
عمرو أن هذا قد صحبتك عشرين سنة لم ير عليه أن ينصحك، يوماً واحداً.
وما عمل وراء بابك، بشيء من كتاب الله عز وجل ولا سنة نبيه محمد صلى
الله عليه وعلى آله. فقال أبو جعفر فما أصنع قد قلت لك خاتمي بيدك،
فتعال أنت وأصحابك فاكفوني هذا الأمر. فقال عمرو أدعنا بعد ذلك تسمح
نفوسنا بعونك، ببابك ألف مظلمة، أردد منها شيئاً نعلم أنك صادق^(٥).

(١) غمط النعمة لم يشكرها يقال غمط عيشه أي بطره وحقره وغمط الناس الاحتقار لهم
والأزدراء بهم.

(٢) الطبري، ج ١٠ ص ٤٣٠ وذكر فيه الخطبة باستثناء الجملة الأخيرة فإنها من كلام
علي بن عبد الله بن عباس استشهد بها المنصور في خطبته على ما ذكر ذلك صاحب عيون
الأخبار، م ١ ج ٣ ص ٢٢٥؛ مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٣٥.

(٣) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد المتكلم الزاهد المشهور. كان جده من سبي كابل من جبال
السند، يعد شيخ القدرية والمعتزلة في وقته. ولد سنة ٨٠هـ وجالس الحسن البصري ثم
اعتزله هو وجماعة معه فسموا المعتزلة. جرحه كثير من الأئمة ولم يعدوه من الثقات بل
قالوا أنه يكذب في الحديث. وكان محضياً عند أبي جعفر المنصور توفي سنة ١٤٢هـ؛
شذرات الذهب، ج ١ ص ٢١٠ - ٢١١؛ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٤٦٠ - ٤٦٢.

(٤) هو أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد. حاجب المنصور ووزيره فقد وزر له بعد
أبي أيوب المورياني. وكان المنصور كثير الميل إليه، حسن الاعتماد عليه. وقيل أن
المنصور كان إذا أراد بإنسان خيراً أمر بتسليمه إلى الربيع توفي أول سنة ١٧٠هـ/ وفيات
الأعيان، م ٢، ص ٢٩٤ - ٢٩٩؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢٧٤؛ النجوم
الزاهرة، ج ٢ ص ٦٥.

(٥) عيون الأخبار، م ٢ ص ٣٣٧؛ مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٣٩؛ زهر الآداب، ج ١
ص ١٠٢ - ١٠٣؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٥.

وقيل بينما المنصور يطوف (بالبيت)^(١) ليلاً، إذ سمع قائلاً يقول اللهم
 إني أشكو إليك ظهور البغي، والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق
 وأهله، من الطمع. فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد، وأرسل إلى
 الرجل يدعوه، فصلى ركعتين واستلم الركن، وأقبل مع الرسول فسلم عليه
 بالخلافة. فقال له المنصور ما الذي سمعتك (تذكر)^(٢)، من ظهور البغي
 والفساد ق/٤٦ في الأرض، وما يحول بين (الحق وأهله)^(٣)، من الطمع
 فوالله لقد حشوت مسامعي بما أرمضني. فقال يا أمير المؤمنين إن أمتني
 أنباتك بالأمور على جليتها، ومن أصولها، وإلا احتجزت على نفسي. فقال
 أنت آمن على نفسك، فقال إن الذي دخله الطمع، حتى حال بينه وبين
 إصلاح ما ظهر من البغي والفساد أنت. فقال ويحك وكيف يدخلني الطمع
 والصفراء والبيضاء في قبضتي والحلو والحامض عندي. قال وهل دخل أحد
 من الطمع مثل ما دخلك، إن الله تعالى استرعاك المسلمين وأموالهم،
 فجعلت بينك وبينهم حجاباً، من الجص والأجر وأبواباً من الحديد، وحجبة
 معهم السلاح والكرع، وأمرت أن لا يدخل عليك إلا فلان وفلان، نفر
 سميتهم ولم تأمرهم بإيصال الملهوف والمظلوم، ولا الجائع ولا العاري،
 ولا الضعيف ولا الفقير وما أحد إلا وله في هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء
 النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا
 عنك (جباء)^(٤) الأموال وأمرتهم بجمعها ولا يقسموها، قالوا هذا قد خان الله
 عز وجل، فمالنا لا نخونه وقد (سجن)^(٥) لنا نفسه فآتمروا بينهم أن لا يصل

(١) ساقطة من (ج).

(٢) في (ج - د): تقول.

(٣) في (ج) بين الباطل وأهله.

(٤) في (ب - ج - د): تحجب الأموال ولا تعطيها وتجمعها ولا تقسمها.

(٥) في (ب - د): سخر.

إليك من أخبار الناس إلا ما أرادوا. ولا يخرج لك عامل، فيخالف أمرهم إلا أقصوه ونفوه، حتى تسقط منزلته ويصغر عندك قدره فلما انتشر ذلك (عك) (١) وعنهم، أعظمهم الناس وهابوهم، فكان أول من صانعهم، عمالك بالهدايا والأموال، ليتقوا به على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك، ذوو القدرة والثروة من رعيتك، لينالوا به ظلم من دونهم. فامتألت بلاد الله بالطمع بغياً وفساداً، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانتك وأنت غافل. وإن جاء متظلم حيل بينه، وبين الدخول عليك، فإذا رفع قصته إليك عند ظهورك، وجدك وقد نهيت عن ذلك، وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك الرجل، فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك، فإن للمتظلم منه حرمة عندهم، فأجابهم خوفاً منهم فلا يزال المظلوم، يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث، وهو يدافعه ويماطله، ولا يقبل عليه. فإذا أجهد وأحوج وظهert، صرخ بين يديك فيضرب ضرباً عنيفاً شديداً مبرحاً، ليكون نكالاً لغيره وأنت تنظر، فلا تنكر فما بقاء الإسلام على هذا. ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين فقدمتها مرة، وقد أصيب ملكها بسمعه فبكى يوماً بكاء شديداً فحثة جلساؤه على الصبر. فقال أما إنني لست أبكي للبلية النازلة، ولكني أبكي للمظلوم بالباب يصرخ، فلا أسمع صوته. ثم قال أما إذا ذهب سمعي: فإن بصري لم يذهب فأذنوا في الناس، أن لا يلبس ثوباً أحمر إلا (مظلوم) (٢). ثم كان يركب الفيل طرفي النهار، ينظر هل يرى مظلوماً، فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله عز وجل غلبت رأفته على المشركين (وأنت تؤمن بالله واليوم الآخر ثم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غلب شح نفسك عليك) (٣). فإن كنت إنما تجمع المال لولدك، فقد

(١) زيادة من (ب - ج - د).

(٢) في (ب): متظلم.

(٣) زيادة من (ب - ج - د).

أراك الله عز وجل، الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه، فما يزال الله جل ثناؤه يلطف بذلك للطفل، حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست بالذي يعطي، بل الله يعطي من يشاء بغير حساب. وإن قلت أنا أجمع المال لتشديد السلطان، فقد أراك الله عز وجل عبراً في بني أمية ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع، حين أراد الله بهم ما أراد. وإن قلت أنا أجمع المال لطلب غاية، هي أجسم من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تنال إلا بالطاعة يا أمير المؤمنين، هل تعاقب من عصاك بأكثر من القتل والصلب. قال المنصور لا قال فكيف يصنع أمير المؤمنين يوم القيامة عند لقاء الملك الذي خولك ملك الدنيا، ولا يعاقب من عصاه من عبيده، وعمل بخلاف ما أمره به في كتابه بالقتل ولكن يعاقبه بالخلود ق/٧٤ في العذاب الأليم وقد رأى ما عقد عليه قلبك، وتحملته جوارحك، ونظر إليه بصرك واجترحته يداك ومشت إليه قدماك، هل يغني ما شححت عليه من ملك الدنيا إذا انتزعه من يديك، ودعاك إلى الحساب على ما خولك. فبكى المنصور وقال ليتني لم أخلق، ويحك فكيف احتال لنفسي. فقال يا أمير المؤمنين إن للناس أعلام يفزعون إليهم، في دينهم ويرضون (نفوسهم)^(١) فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاورهم في أمرك يسدوك. قال قد بعثت إليهم فهربوا مني، قال خافوا أن تحملهم على طريقتك، ولكن افتح بابك وسهل حجابك وانصر المظلوم واقمع الظالم، وخذ الفيء والصدقات مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل على أهله وأنا الضامن عليهم، أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة. وجاء المؤذنون فسلموا عليه فصلى وعاد إلى مجلسه، فطلب الرجل فلم يوجد^(٢). وقال المنصور لبعض عماله وقد بلغه أنه خانه،

(١) في (د) قولهم.

(٢) عيون الأخبار، م ٢ ج ٦ ص ٣٣٣-٣٣٦؛ العقد الفريد، ج ٣ ص ٩٣-٩٦؛ =

يا عدو الله وعدو أمير المؤمنين، أكلت مال الله. فقال نحن عباد الله، وأنت خليفة الله والمال مال الله، فمال من تأكل إذاً. فأعجبه جوابه فقال خلوا عنه ولا تولوه شيئاً^(١).

ووجد على بعض الكتاب فأمر بتجريدته وضربه فقال:

ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبين^(٢)

وروى أن بعض (أهل العبث)^(٣) كان قد خرج بفلسطين، فكتب إلى العامل بها، (دمه بدمك)^(٤) مرتين، إن لم توجه به إلى، فظفر به فأشخصه إليه، فأدخله الربيع عليه فقال: «أنت المتوثب علينا عمال أمير المؤمنين»^(٥) (لا يوزن)^(٦) من لحملك أكثر مما يبقى على عظمك فقال بصوت ضعيف:

أَتَرَوْضُ عِرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرِمْتَ وَمِنَ الْعَنَاءِ رِيَاضَهُ الْهَرَمِ.

فلم يتبين المنصور ما قال، لضعف صوته. فقال يا ربيع ما يقول قال يقول:

الْعَبْدُ عَبْدُكُمْ وَالْمَالُ مَالُكُمْ فهل عذابك عني اليوم مصروف

= شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٢٥٥-٢٥٦؛ العقد الفريد للملك السعيد،

ص ١١٦-١١٨؛ بدائع السالك، ج ١ ص ٣٧٤-٣٧٦.

(١) نهاية الارب، ج ٣ ص ٣٦٩؛ غرر الخصائص، ص ٣٧؛ كتاب الفاضل والكامل، مخطوط ٢٣، ش أدب ورقة ١٥.

(٢) العقد الفريد، ج ٤ ص ٢٣٢؛ العمدة لابن رشيق، ج ١ ص ٧٠؛ الوزراء والكتاب، ص ١٣٦.

(٣) في (د) أهل الكتاب.

(٤) في (ب-ج-د): دمك بدمه.

(٥) في (ج-د): أنت المتوثب على أعمال أمير المؤمنين.

(٦) الصواب لأنثرون كما في المراجع.

فغفى عنه وخلق سبيله^(١).

وكان يقول عقوبة الحليم التعريض، وعقوبة السفية التصريح^(٢).

وروي عن الربيع أنه قال: جمع المنصور مالكا^(٣) وأبا حنيفة^(٤) وابن أبي ذؤيب^(٥) (رضي الله عنهم)^(٦) فقال: كيف ترون في هذا الأمر، الذي أعطاني الله تعالى. فقال ابن أبي ذؤيب: ملك الدنيا يؤتيه الله من يشاء

(١) الطبري، ج ١٠ ص ٤٣٦؛ الوزراء والكتاب، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) الطبري، ج ١٠ ص ٤٢٦؛ سراج الملوك، ص ٦٦؛ وفيه عقوبة الأحرار التعريض، وعقوبة الأشرار التصريح، عيون الأخبار، م ١ ج ٣ ص ٢٨٥.

(٣) تقدمت ترجمته، ص ١٨٣.

(٤) هو الإمام أبو حنيفة، واسمه النعمان بن ثابت بن زوطي. الفقيه الكوفي صاحب المذهب، ولد سنة ٨٠ من الهجرة ورأى أنس بن مالك الصحابي وذكر بعضهم أنه روى عن سبعة من الصحابة. تفقه على حماد بن سليمان، وجمع الفقه والعبادة، والورع والسخاء، وكان لا يقبل جوائز الدولة، بل ينفق ويؤثر من كسبه. قال الشافعي فيه: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة. وقال عبدالله بن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس حاوله المنصور على القضاء، فأبى فضربه فلم يقبل. وقال علي بن عاصم: لو وزن علم أبي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح عليهم. توفي ببغداد سنة ١٥٠ هـ وصلي عليه ست مرات لكثرة الزحام ومناقبه كثيرة وعلمه غزير وفي شهرته ما يغني عن الاطناب. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٠٧ - ١٠٨؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٩؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٢ - ١٥.

(٥) هو الإمام أبو الحارث محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة بن أبي ذؤيب القرشي، العامري المدني، الفقيه أحد الأئمة المشاهير وهو صاحب الإمام مالك رضي الله عنه وكانت بينهما إلفة أكيدة ومودة صحيحة. وقال الواقدي: كان ابن أبي ذؤيب يصلي الليل أجمع، ويجتهد في العبادة فلو قيل له أن القيامة تقوم غداً، ما كان فيه مزيداً من الاجتهاد. كان مولده سنة إحدى وثمانين للهجرة وقيل ثمانين، توفي سنة ١٥٩ هـ بالكوفة. وفيات الأعيان، م ٤ ص ١٨٣؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢٤٥ - ٢٤٦؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٥.

(٦) زيادة من (ب).

وملك الآخرة يؤتيه، (من وفقه له)^(٥)، وأن الخلافة تكون بإجماع أهل التقوى عليها، وأنت وأعوانك خارجون من التقوى، عالين على الخلق فإن سألت الله السلامة، كان في ذلك نجاتك، وإلا أنت المطلوب. فقال لأبي حنيفة: ما تقول، قال: المسترشد لدينه يكون بعيد الغضب، وأنت إذا نصحت نفسك علمت أنك لم ترد الله باجتماعنا فنقول بما تهواه، خوفاً من سيفك وجبسك ولقد وليت الخلافة، وما اجتمع عليك نفسان من أهل التقوى. فقال لمالك: ما تقول؟ فقال: لولم يرك الله أهلاً لذلك، ما قدر لك أمر الأمة، أعانك الله على ما ولأك. ثم أمر بانصرافهم، قال الربيع: ثم أعطاني ثلاث بدر^(١)، وقال: إتبع القوم فإن أخذ ابن أبي ذؤيب وأبو حنيفة منها شيئاً، فأنني برؤوسهما وإن أخذها مالك كلها فادفعها إليه. فأتيت ابن أبي ذؤيب وعرضت عليه، فقال: ما أرضى له هذا المال، فكيف أرضاه لنفسي، وقال أبو حنيفة: لو ضربت رقبتني ما مسست منها درهماً واحداً، فأتيت بها مالكا فأخذها كلها. قال الربيع: فأعلمته ما جرى، فقال: بهذه الصيانة حققوا دماءهم^(٢).

وروي عن الربيع قال: ما رأيت رجلاً أربط جاشاً، من رجل رفع عليه إلى المنصور أن عنده ودائع، وأموالاً لبني أمية، فأمرني بإحضاره فأحضرتة فدخلت به عليه. فقال له المنصور: قد رفع إلينا خبر الودائع، والأموال التي

(١) في (ب): من اتقاه.

(٢) البدر: عشرة آلاف درهم، سميت بذلك لوفورها، قال بعضهم ومنه سمي القمر ليلة أربع عشرة بدرأ لتمامه وامتلائه من النور، ويقال لمبادرته الشمس، وقيل بل البدر: جلدة السخلة إذا فطمت والجذع من المعز يملأ مالاً فسمي المال بدره باسم الرعاء مجازاً. العمدة، لابن رشيقي، ج ٢ ص ٣١٦.

(٣) أخبار أبي حنيفة وأصحابه، للمحدث والمؤرخ الكبير الإمام الصيمري، ص ٥٩ - ٦٠؛ الإمام أبو حنيفة، للشيخ محمد أبو زهرة، ص ١٨٥.

لبنى ق/٤٨ أمية عندك، فأخرج إلينا منها. فقال: يا أمير المؤمنين أوارث أنت لبنى أمية، فقال لا، فقال: فوصي لهم في أموالهم وربايهم، قال لا، قال: فما (مسألتك)^(١) عما في يدي من ذلك. قال: فأطرق المنصور ساعة، ثم رفع رأسه فقال: إن بني أمية ظلموا المسلمين فيها، وأنا وكيل للمسلمين في حقهم وأريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين فأجعله في بيت مالهم، فقال: يا أمير المؤمنين تحتاج إلى إقامة البيئة العادلة، على أن ما في يدي لبنى أمية، مما خانوه وظلموا، دون غيره، فقد كان لبنى أمية أموال غير أموال المسلمين. قال: فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال: صدق يا ربيع، ما يجب على الشيخ شيء، ثم قال: هل لك من حاجة، فقال: نعم، حاجتي يا أمير المؤمنين أن تنفذ كتابي على البريد إلى أهلي، ليسكنوا إلى سلامتي، فإنهم قد راعهم إشخاصي. وقد بقيت لي حاجة أخرى يا أمير المؤمنين، قال: قل، قال: تجمع بيني وبين من سعى بي إليك، فوالله ما لبنى أمية في يدي مال، ولا ودیعة، ولكني لما مثلت بين يديك، وسألتني عما سألتني عنه، قابلت بين هذا القول وما قبله، فرأيت ذلك أقرب إلى الخلاص والنجاة. فقال: يا ربيع إجمع بينه وبين من سعى به، فجمعت بينهما، فقال: هذا غلام لي، سرق علي ثلاثة آلاف دينار من مالي وأبق^(٢). فشد المنصور على الغلام، فأقر بأنه غلامه، وأنه أخذ المال الذي ذكره وأبق منه، وسعى به خوفاً وكذباً حتى لا يقع في يده. فقال المنصور للشيخ: نسألك أن تصفح عنه، فقال: قد صفحت عنه وأعتقته ووهبت الثلاثة آلاف التي أخذها وثلاثة آلاف (دينار)^(٣)، فقال المنصور: ما على ما فعله الشيخ من مزيد، فقال: يكون هذا بحق

(١) في (ج): سؤالك.

(٢) أبق العبد أبقا: إذا هرب من سيده من غير خوف ولا كد عمل. المصباح المنير.

(٣) في (ب - ج): أخرى.

شفاعتك يا أمير المؤمنين وانصرف. فكان المنصور يتعجب منه كل ما ذكره، ويقول: ما رأيت مثل هذا الشيخ يا ربيع^(١).

وقيل: كان المنصور في صدر نهاره، يأمر وينهى، ويدبر الملك والنظر في النفقات، ومعاش الرعية، فإذا صلى العصر، جلس لأهل بيته، فإذا صلى العشاء نظر فيما ورد عليه، من كتب الثغور والآفاق، فإذا مضى ثلث الليل قام إلى فراشه فنام، فإذا بقي الثلث الأخير من الليل، قام فأسبغ وضوءه وصف قدميه في محرابه، حتى يطلع الفجر ثم يخرج ويصلي^(٢).

حديث زينب ابنة سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس^(٣)، قالت: كنت عند الخيزران^(٤)، وعادتها إذا كنت عندها أن تقعد في عتبة الرواق المقابل للإيوان، وأجلس بإزائها، وفي الصدر مجلس المهدي^(٥)، يقعد فيه

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٨٤ - ١٨٥؛ إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ص ٧١ - ٧٢؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ١١٥ - ١١٦؛ ثمرات الأوراق، لابن حجة الحموي على هامش المستطرف، ج ١ ص ٢٣٣.
(٢) الطبري، ج ١٠ ص ٤٠٢؛ الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٤٧؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٢٥؛ خلاصة الذهب المسبوك، ص ٦١.

(٣) هي زينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس، من ربات النفوذ والسلطان، والعقل والفصاحة، حدثت عن أبيها سليمان وروى عنها عاصم بن علي الواسطي وكانت تكره آل مروان وتحسن إلى آل علي حنواً عظيماً وكان المأمون شديد الاحترام لها، توفيت بعد سنة ٢٠٨هـ. أعلام النساء، ج ٢ ص ٦٨.

(٤) هي جارية المهدي، وأم ولديه الهادي والرشيد، يمانية الأصل اشتراها المهدي وأعتقها وتزوجها، وكانت عاقلة لبيبة، توفيت سنة ١٧٣هـ ومشى الرشيد في جنازتها حافياً. يخوض في الوحل والطين والمطر الذي كان في ذلك اليوم، حتى أتى مقابر قريش فغسل رجله وصلى عليها، ودخل قبرها ثم تصدق عنها بمال كثير. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٧٢ - ٧٣.

(٥) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس أبو عبدالله المهدي، لقب بالمهدي، كما يقول ابن كثير رجاء أن يكون الموعود به في الأحاديث، فلم يكن به وإن =

وهويقصدنا في كل يوم، فيجلس ساعة ثم ينهض. فبينما نحن كذلك إذ دخلت جارية من جواربها، اللواتي يحجبها. فقالت: أعز الله السيدة، امرأة لها جمال وخلقة حسنة، وليس من وراء ما هي عليه، من سوء الحال غاية، تستأذن عليك. وقد سألتها عن اسمها، فامتنعت أن تخبرني، فالتفت إلى الخيزران فقالت: ما ترين، فقلت: أدخلها، فإنه لا بد من فائدة أو ثواب. فدخلت امرأة كأجمل النساء وأكملهن، لا تتوارى فوقفت إلى (جانب) (١) عضادتي الباب، ثم سلمت متضائلة، ثم قالت: أنا مزنة بنت (٢) مروان (بن عبد الملك) (٣)، فقالت زينب: وكنت متكئة، فاستويت جالسة، فقلت: مزنة، فلا حياك الله ولا قربك، والحمد لله الذي أزال نعمتك وهتك سترك وأذلّك، أتذكرين يا عدوة الله، حين أتاك عجائز أهل بيتي يسألنك أن تكلمي صاحبك، في الإذن في دفن إبراهيم بن محمد (٤)، فوثبت عليهن

= اشتراكا في الاسم فقد افترقا في الفعل. وكان مولد المهدي سنة ١٢٧هـ وكان جواداً مدحاً، مليح الشكل محبباً إلى الرعية، قصاباً للزنادقة ببيع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ١٥٨هـ وعمره إذ ذاك ثلاث وثلاثون سنة، توفي سنة ١٦٩هـ وكانت خلافته عشر سنين وشهراً وبعض شهر، وصلى عليه ولده هارون الرشيد. فوات الوفيات، ج ٣ ص ٤٠٠-٤٠٢؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٥٨؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢٦٦-٢٦٨؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٥١-١٥٤؛ العقد الفريد، ج ٥ ص ٣٣٨.

(١) زيادة من (ب - ج).

(٢) هي مزنة بنت مروان بن عبد الملك بن مروان. من فواضل نساء عصرها. أعلام النساء، ج ٥ ص ٥٠.

(٣) في (ج): مزنة بنت مروان بن محمد بن عبد الملك. وفي الفرج بعد الشدة: مزنة امرأة مروان.

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، الملقب بالإمام. كان العباسيون ودعاتهم يدعون إليه، بعد وفاة الإمام محمد بن علي وكان القائم له بالدعوة، أبو مسلم الخراساني، فقد ولاه أمر خراسان، في سنة ١٢٨هـ، ثم أطلع مروان بن محمد على كتاب =

وأسمعتهم، وأمرت بإخراجهن على الحالة، التي أخرجن عليها، فلا أنسى حسن ثغرها، وعلو صوتها بالفقهة. وقالت: أي بنت عم، أي شيء أعجبك من حسن صنع الله في العقوق، حتى أردت ق/٤٩ أن تنافسيني فيه والله إنني فعلت بنسائك الذي فعلت، فأسلمني الله عز وجل إليك، ذليلة جائعة عريانة، فكان هذا مقدار شكرك لله على ما أولاك في. ثم قالت السلام عليكم وولت، فصاحت بها الخيزران: ليس هذا لك، عليّ استأذنت واليّ قصدت فما ذنبي. فرجعت وقالت: لعمرى فقد صدقتي يا أخية.

وكان مما ردني إليك، ما أنا عليه من الضرر والجهد. قالت زينب فنهضت إليها الخيزران لتعانقها، فقالت: ليس فيّ لذلك موضع، مع الحال التي أنا عليها. فقالت الخيزران لها: فالحمام إذاً، وأمرت جماعة من جواربها بالدخول معها إلى الحمام، فدخلت وطلبت ماشطة ترمي ما على وجهها من الشعر. فلم تزل حتى خرجت من الحمام، فوافتها المخلع والطيب، فأخذت من الثياب ما أرادت، ثم تطيبت وخرجت إلينا، فعانقتها الخيزران وأجلستها في الموضع الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي إذا دخل، فقالت لها الخيزران: هل لك في الطعام فإننا لم نطعم بعد، فقالت: والله ما فيكن أحد أخرج إليه مني، فعجلوه، فأتي بالمائدة فجعلت تأكل غير محتشمة وتلقمنا وتضع بين أيدينا، إلى أن اكتفت، ثم غسلنا أيدينا. فقالت لها الخيزران: من وراءك ممن تعين به، فقالت: ما خارج الدار أحد من خلق الله، بيني وبينه سبب، فقالت الخيزران: إن كان هذا هكذا، فقومي

= منه موجه إلى أبي مسلم يدعو إلى منابذة بني أمية بالسيف، فأرسل إليه من أن به من الحميمة، وسجنه ومات في سجن مروان سنة ١٣٢هـ واختلف في سبب موته، وكان إبراهيم خيراً فاضلاً كريماً وكان مولده سنة ٨٢هـ، وأمّه أم ولد بربرية اسمها سلمى. الكامل في التاريخ، م ٤ ص ٣٢٩؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٣٢١؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣٩.

حتى تختاري لنفسك مقصورة من مقاصيرنا، ونحول (إليه)^(١) جميع ماتحتاجين إليه، ثم لا نفترق حتى يفرق الموت بيننا. فقالت: فطفنا بها في المقاصير، فاختارت أوسعها وأنزهها، ولم نبرح حتى حوّل إليها جميع ماتحتاج إليه من الفرش والكساء والجواري والرقيق، ثم تركناها وخرجنا عنها. فقالت الخيزران: إن هذه المرأة كانت فيما قد كانت فيه، وقد مسّها ضرّ، وليس يغسل ما في قلبها، إلا المال، فاحملوا إليها خمس مائة ألف درهم، فحُمِلَتْ إليها. ووافانا المهدي فسألنا عن الخبر فحدثته حديثها، وما (لقيته به)^(٢)، فوالله ما انتظر أن أعرفه جوابها حتى وثب مغضباً في وجهي، وقال: يا زينب، هل هذا مقدار شكر الله على نعمه، وقد مكّنتك من مثل هذه المرأة، على هذه الحال التي هي عليها فوالله لولا محلك من قلبي، لحلفت أن لا أكلمك أبداً. قالت: فقلت: قد اعتذرت إليها، ورضيت ثم قصصنا عليه قصتها كلها، وما فعلت الخيزران لها، فقال لخدام معه: إحمل إليها مئة بدرّة، وادخل إليها وأبلغها السلام عني. وقل لها، والله إنني ماسررت منذ دهري سروري بمكانك، وأنا أخوك وممن يوجب حقك، لا تدعي حاجة إلا سألتها. ولولا أنني أكره أن أحشمك^(٣) لصرت إليك مسلماً عليك، وقاضياً حقك. فمضى الخادم إليها بالمال والرسالة، فأقبلت إلينا معه، فسلمت على المهدي، وشكرت له فعله، وأثنت على الخيزران عنده. وقالت: ما على أمير المؤمنين حشمة^(٤)، أنا في عِداد حرمه، وقعدت ساعة، ثم قامت إلى منزلها فخلفتها عند الخيزران كأنها لم تزل في ذلك القصر^(٥).

(١) في (ب - ج - د): إليها.

(٢) في (ب - د): لقيتها به.

(٣) أحشمه: بمعنى آذاه وأغضبه: وحشمه: أخجله.

(٤) الحشمة: الاستحياء.

(٥) المستجد من فعلات الأجواد، ص ٢١-٢٣؛ الفرج بعد الشدة، ج ٤ =

وقيل: إن المهدي لما حج، أنفق في حجّه ثلاثين ألف ألف درهم، وخمسمائة ألف دينار. وفرّق من الثياب مائة ألف وخمسين ألف ثوب، وهو الذي وسّع المسجد الحرام، وبناه على ما هو عليه اليوم^(١).

وقيل: نذر^(٢) المهدي، دم رجل من أهل الكوفة، كان يسعى في فساد دولته، فجعل لمن دلّ عليه، أوجابه مئة ألف درهم. فأقام الرجل متوارياً ثم إنه ظهر يوماً ببغداد، فبينما هو يمشي في بعض نواحيها، بصر به رجل من أهل الكوفة، (فرفعه)^(٣) فأخذ بمجامع ثيابه، وقال: هذا بغية أمير المؤمنين، فبينما الرجل على تلك الحال، إذ سمع وقع الحوافر من ورائه فالتفت فإذا معن بن زائدة، فقال: يا أبا الوليد^(٤)، أجرتني أبارك الله، فوقف، فقال

= ص ٧٥ - ٨٢؛ مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٤٨ - ٢٥٠ وذكرها بصيغة أخرى وإن كان المضمون واحداً.

(١) البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٣٢؛ الطبري، ج ١٠ ص ٤٨٣؛ أخبار مكة، ج ٢ ص ٢٣٧؛ تاريخ ابن خلدون، م ٣ ص ٢٠٩؛ ورواية الطبري في حوادث سنة ١٦٠ هـ قال: وقسم المهدي في هذه السنة بمكة في أهلها، فيما ذكر ملاً عظيماً، وفي أهل المدينة كذلك. فذكر أنه نظر فيما قسم في تلك السفرة، فوجد ثلاثين ألف درهم وصلت مغه، ووصلت إليه من مصر ثلاثمائة ألف دينار، ومن اليمن مائة ألف دينار، وأما توسيع المسجد الحرام فالذي ذكره الطبري أنه وسع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي ذكره ابن كثير أنه استفتى مالكا في إعادة الكعبة إلى ما كانت عليه أيام ابن الزبير فتحاه مالكا فتركها وكساها كسوة حسنة.

(٢) الإنذار: الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف والاسم النذر بضمين ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي إنذاري. مختار الصحاح.

(٣) في (ب - ج - د): فعرّفه.

(٤) هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبدالله. كان جواداً شجاعاً، جزل العطاء. وحكاياته في الجود مشهورة، كان في أيام بني أمية منقطعاً إلى ابن هبيرة أمير العرائين، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس غضب المنصور على معن فاستر عنه حتى كان يوم الهاشمية، وهو اليوم الذي ثار فيه أهل خراسان على المنصور. خرج معن متنكراً وقاتل بين يدي المنصور حتى أعجبه فأمنه المنصور فولاه اليمن، ثم سجستان، فلما كانت =

للرجل الذي هو متعلق به: ما شأنك؟ قال: بغية أمير المؤمنين، نذر دمه وبذل لمن ق/ ٥٠ دل عليه مئة ألف درهم. فقال: يا غلام، إنزل عن دابتك واحمل الرجل عليها، فصاح المتعلق بالرجل: يا للناس أي حال بيني وبين طلبه أمير المؤمنين، فقال له معن: إذهب فاخبره أنه عندي، فانطلق الرجل إلى باب المهدي، فأخبر الحاجب فدخل إلى المهدي، فأخبره فأمر بإحضار معن، فأنته الرسل، فدعا أهل بيته ومواليه، وقال: لا يخلصن إلى هذا الرجل، وفيكم عين تطرف. ثم سار إلى المهدي، فدخل فسلم عليه، فرد عليه السلام^(١). وقال: يا معن أتجير علينا، قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ونعم أيضاً فاشتد غضبه. فقال: يا أمير المؤمنين، قتلت في طاعتكم في اليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفاً، إلى أيام كثيرة قد تقدم بلائي وحسن غنائي، فما رأيتموني أهلاً أن يوهب لي رجل واحد، فأطرق المهدي طويلاً، ثم رفع رأسه وقد سرى عنه. وقال: قد أجرنا جارك، فقال معن: إن رأي أمير المؤمنين أن يصله فيكون قد أحياه وأغناه. قال: ١٠ أمرنا له بخمسين ألف درهم، قال معن: إن سبأت الخلفاء لا تكون إلا على قدر جنايات الرعية، وإن ذنب الرجل عظيم فأجزل له (العطية)^(٢). فقال: قد أمرنا له بمائة ألف درهم، قال: تعجلها يا أمير المؤمنين، فإن خير البر عاجله، فأمر بتعجيلها له. وانصرف معن بالمال إلى الرجل وقال له: خذ صلتك وإلحق بأهلك وإياك ومخالفة خلفاء الله تعالى^(٣).

= سنة ١٥٢ هـ قتل غيلة على يد قوم من الخوارج. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٩؛ وفيات الأعيان، م ٥ ص ٢٤٤؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٣١ - ١٣٢؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٠٩.

(١) جميع المراجع تذكر أن المهدي لم يرد السلام. ولفظ العقد الفريد للملك السعيد: فرد سلامه، أي رفضه.

(٢) في (ج - د): الصلة.

(٣) البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٥٤؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ١٢٢؛ المستجد =

(ذكر) ^(١) المنصور لمعن بن زائدة (بعد كلام له) ^(٢): قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيء، لولا مكانك عنده ورأيه فيك (لصعب عليك الأمر) ^(٣). قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين، فوالله ما تعرضت به منك، قال: إعطاؤك مروان بن أبي حفص ^(٤) ألف دينار في قوله فيك:

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّتِي زِيدَتْ بِهِ شَرَفًا عَلَى شَرَفِ بَنُو شَيْبَانَ
إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الرِّجَالِ فَلِإِنِّهَا يَوْمَاهُ يَوْمٌ نَدَا وَيَوْمٌ طَعَانِ

فقال ما أعطيته لهذا ولكن لقوله:

ما زِلْتُ يَوْمَ الهَاثِمِيَّةِ مُعْلِمًا بِالسَّيْفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ
فَحَمَيْتُ حَوَازِيَهُ وَكُنْتُ وَقَاءَ مِنْ وَقَعَ كُلُّ مُهْنِدٍ وَسِنَانٍ

فاستحيا المنصور فقال ما أعطيته إلا لهذا. قال نعم يا أمير المؤمنين فوالله لولا مخافة (الشنعة) ^(٥)، عندك لمكنته من مفاتيح بيوت أمواله وانحلته إياها. قال المنصور: لله درك من أعرابي ما أهون عليك ما يعز على الرجال وأهل الحزم ^(٦). قيل أقام أعرابي على باب معن بن زائدة فلما طال مقامه كتب إليه رقعة فيها:

= من فعاليات الأجواد، ص ٢٠٠ - ٢٠١؛ غرر الخصاص، ص ١٧، وخبر البداية والنهاية: قد قتلت في دولتكم أربعة آلاف وليس فيها ذكر اليمن.

(١) في (ب - ج - د): وقال.

(٢) في (د): بعد كلام طويل.

(٣) في (ج): لغضب عليك.

(٤) هو أبو السمط مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، الشاعر المشهور. كان جده أبو حفصة مولى مروان بن الحكم، فأعتقه يوم الدار لأنه أبلي يومئذ. ولد سنة ١٠٥هـ قدم بغداد ومدح المهدي والرشيدي ومعن بن زائدة وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلويين، مات ببغداد سنة ١٨٢هـ. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٠٦؛ وفيات الأعيان، م ٥ ص ١٨٩.

(٥) في (ج): السمعة.

(٦) العقد الفريد، ج ٢ ص ٣٣؛ مروج الذهب، ج ٢ ص ٧٢٧؛ ربيع الأبرار، ج ١ =

فما في يدك الخير يا معنُ كله وفي الأرض أسباب وفيها مذاهب
سيأتي بنات العم ما أنت صانع إذا افتتحت عند الإياب الحقائق
ووكل من يوصلها إليه وسار فلما وصلت الرقعة إليه وقرأها أمر برده وقال
والله لتفتشن عن خير كثير وأمر فملئت حقيته دراهم^(١).

وحضر ببابه شاعر فأقام مدة لا يتهياً له الدخول عليه، فقال يوماً لبعض
خدمه إذا دخل الأمير البستان فعرفني فلما دخله أعلمه. فكتب بيتاً على خشبة
وألقاها في الماء، الذي يدخل البستان. فلما نظر معن في الخشبة أخذها
فقرأها فإذا فيها مكتوب:

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي فمالي إلى معن سواك رسول
فقال من صاحب هذه، فدعا بالرجل فقال له كيف قلت أنشد البيت،
فأمر له بمائة ألف درهم، فأخذها ووضع الخشبة تحت بساطه. فلما كان
اليوم الثاني أخرجها من تحت بساطه، وقرأها فدعا بالرجل، فأمر له بمائة
ألف أخرى، وكذلك في اليوم الثالث فلما أخذها الرجل، تفكر في عظم
ما أخذ وخاف أن يسترجعها منه فخرج فلما كان في اليوم الرابع قرأ ما فيها
ودعا بالرجل ق/٥١ فلم يوجد. قال معن حق على أن أعطيه حتى لا يبقى في
بيت مالي درهم ولا دينار^(٢).

= ص ٧١٢؛ الفرج بعد الشدة، ج ٤ ص ٥٤ - ٥٥؛ وفيات الأعيان، م ٥ ص ٢٤٧،
ولم تذكر هذه المصادر البيت الثاني من البيتين الأولين.

(١) وفيات الأعيان، م ٥ ص ٢٤٤ - ٢٤٥، هذا وأمثاله يحسبه القارئ في هذا العصر من
قبيل الخيال والمبالغة، من موالي لدولة يتزلف لرجالها بمدحهم بالكرم ليستدر بذلك
عطفهم. ولكن إذا عرفنا مقدار الثروة الفائضة عن نفقات الدولة عند العباسيين هان
تصديق ذلك من الخلفاء ومن يتصل بهم فقد ذكر المسعودي أن ما خلفه المنصور زائد
عن نفقات الدولة ٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم و ١٤٠٠٠,٠٠٠ ديناراً؛ مروج الذهب،
ج ٢ ص ٢٤٣.

(٢) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٧٤؛ أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني
العباس، ص ١٦١ - ١٦٢؛ ثمرات الأوراق على هامش المستطرف، ص ١٤٥.

قيل خرج على هارون الرشيد^(١) بعض الخوارج ، فأنهض إليه جيشاً فظفر به ، فلما دخل عليه ، قال له ما تريد أن أصنع بك قال الذي تريد أن يصنع الله بك ، إذا وقفت بين يديه . فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وأمر بإطلاقه فلما خرج قال بعض من حضر يا أمير المؤمنين يقتل أهلك ويغني أموالك وتطلقه لكلمة واحدة ، تأمل هذا ، فإنه يُجرىء ، عليك أهل الشر . فأمر برده فلما مثل بين يديه ، عليم أنه قد سعى به عنده ، فقال يا أمير المؤمنين لا تطعه فلو أطاع الله فيك ، ما استخلفك لحظة واحدة فأمر بإطلاقه وقال لا تعاودني في بابي^(٢) .
وعن جرير بن أبي يحيى المزني قال : دعاني ، يوماً للأكل معه فلما توسط الأكل ، رفع رأسه إلى رجل ، يكلمه بالفارسية قلت يا أمير المؤمنين إن كنت تريد أن تُسرر إليه ، فإنني أفهم الفارسية ، فأمرني أنتحى إلى أن تقدّم إليه بما تريد فاعجب الرشيد كرم أخلاقه وصدقته وخاطب الرجل سراً بما أراد وأمر لجرير بصيلة سنينة^(٣) .

(١) هو هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد أمير المؤمنين الرشيد بن المهدي بن المنصور ، خامس خلفاء بني العباس وأجلهم وأعظمهم نال في الخلافة ما لم ينله خليفة قبله . ولد سنة ١٤٧هـ بالري ، بويج له بالخلافة بعد موت أخيه موسى الهادي ، بعهد من أبيه المهدي سنة ١٧٠هـ وكان عمره آنذاك إثنين وعشرين سنة ونصف اعتمد على البرامكة في دولته فزينوها ، إلى أن أكثروا الدالة عليه ففتك بهم . وكان جواداً ممدحاً ، ورعاً صالحاً كان يكثر من الحج والغزو يقتفي أثر جده المنصور في تدبير أمر الدولة ، إلا في العطاء فإنه كان سريع العطاء جزله ، توفي بطوس سنة ١٩٣هـ وله ست وأربعين سنة وكانت مدة خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين / فوات الوفيات ، ج ٤ ص ٢٢٥ - ٢٢٧ ؛ البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢١٣ - ٢١٧ ؛ المعارف ، ص ١٦٦ ؛ الفخري ، ص ١٩٣ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ١٤٢ - ١٤٣ ؛ شذرات الذهب ، ج ١ ص ٣٣٤ - ٣٣٧ .

(٢) حياة الحيوان الكبرى ، ج ١ ص ٧٦ ؛ العقد الفريد للملك السعيد ، ص ١١٤ - ١١٥ .

(٣) الأذكياء لابن الجوزي وفيه أن يحيى المروزي هو الذي قال كنت أكل مع الرشيد ، ص ١٤٠ .

وَقِيلَ اسْتَزَارَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ^(١) الْمَهْدِيِّ، أَخَاهُ هَارُونَ الرَّشِيدَ بِالرَّقَةِ، فَلَمَّا حَضَرَ الطَّعَامُ وَكَانَ الرَّشِيدُ لَا يَأْكُلُ حَارًّا قَبْلَ بَارِدٍ. فَوَضَعَتْ الْبَوَارِدُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الْمَائِدَةِ، فَرَأَى فِيهَا قَرَبَ مِنْهُ جَامًا^(٢) فِيهِ قَرِيشُ السَّمَكِ، فَاسْتَصَغَرَ الْقِطْعَ فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ لِمَ يُصَغِّرُ طَبَاخُكَ السَّمَكِ. فَقَالَ إِنَّهُ لَمْ يُصَغِّرِ الْقِطْعَ، وَأِنَّمَا هَذِهِ أَلْسَنَةُ السَّمَكِ، فَقَالَ شَبِيهٌ أَنْ يَكُونَ فِي هَذَا الْجَامِ مَائَةُ لِسَانٍ فَقَالَ لَهُ مَرَقَبُ^(٣) خَادِمِ إِبْرَاهِيمَ يَتَوَلَّى قَهْرْمَتَهُ، فِيهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرُ مِنْ مَائَةِ لِسَانٍ فَاسْتَحْلَفَهُ عَلَى مَبْلَغِ ثَمَنِ السَّمَكِ، الَّذِي مِنْهَا هَذِهِ الْأَلْسَنَةُ. فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ أَلْفُ دِرْهَمٍ فَرَفَعَ هَارُونَ يَدَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَخَلَفَ أَنْ لَا يَطْعَمَ دُونَ أَنْ يُحْضَرَ مَرَقَبُ أَلْفِ دِينَارٍ، فَاحْضَرَهَا فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِهَا. وَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ هَذَا كَفَّارَةً لِسَرْفِكَ فِي انْفَاقِكَ، عَلَى جَامِ سَمَكٍ أَلْفِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ أَخَذَ الْجَامَ بِيَدِهِ، وَدَفَعَهُ إِلَى بَعْضِ خَدَمِهِ. وَقَالَ أَخْرِجْ مِنْ دَارِ أَخِي، ثُمَّ انْظُرْ أَوَّلَ سَائِلٍ تَرَاهُ، فَادْفَعْهُ إِلَيْهِ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَكَانَ شَرَاءُ الْجَامِ عَلَى مِثْلَيْنِ وَسَبْعِينَ دِينَارًا فَعَمَزْتُ بَعْضَ خَدَمِي أَنْ يَخْرُجَ مَعَ الْجَامِ فَيَبْتَاعَهُ مِمَّنْ يُدْفَعُ إِلَيْهِ، وَكَأَنَّ الرَّشِيدَ فَهِمَ ذَلِكَ مِنِّي فَهَتَفَ بِالْخَادِمِ، وَقَالَ إِذَا دَفَعْتَ الْجَامَ إِلَى السَّائِلِ، فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، احْذَرُ أَنْ تَبِيعَ الْجَامَ بِأَقْلَ مِنْ مِثْلِي دِينَارٍ فَإِنَّهُ يُسَاوِي أَكْثَرَ مِنْهَا. فَفَعَلَ الْخَادِمُ مَا أَمَرَهُ، قَالَ فَوَاللَّهِ مَا امْكَنَ خَادِمُ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَشْتَرِيَهُ، وَبَرَدَهُ إِلَى الدَّارِ إِلَّا بِمِائَتِي دِينَارٍ، كَمَا أَوْصَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ^(٤).

وَلَمَّا حُمِلَ الشَّافِعِيُّ^(٥) رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الرَّشِيدِ، حِينَ وَشِيَ بِهِ

(١) تقدمت ترجمته، ص ٢٠٣.

(٢) الجام قدح من خشب؛ القاموس المحيط.

(٣) لم أعثر له على ترجمة فيما لدي من مراجع.

(٤) مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٨٦ - ٢٨٧، وفيه أن الرشيد كان يأكل الحار قبل البارد،

تهذيب تاريخ ابن عساکر، ج ٢ ص ٢٧٩.

(٥) تقدمت ترجمته، ص ٢٩٠.

إليه فجرى له معه كلام كثير إلى أن قال له الرشيد، هل من موعظة تعظ بها أمير المؤمنين. قال نعم (على ترك الحشمة ورفع الهيبة)^(١)، وقبول النصح والقاء رداء الكبير عن منكبك. قال الرشيد لك ذلك، فجنى (الشافعي)^(٢) على ركبتيه. وقال يا ذا الرجل، إنه من أطال عنان الأمر في العز، طوى عذار الحذر بالمهلة، ومن لم يعول على طريق النجاة، كان بجانب قلة الاكثراث بالمراجعة إلى الله مقيماً. ومن أحسن الظن، كان من أمنة المحذور، في مثل نسج العنكبوت، لا تأمن على نفسها، وتحجزها عن سعيها، فلو جرعتها مخالفتها وبادر خوف المراجعة، بالتزود إلى دار المقامة، إن لو فعلت ذلك يارجل ما اهتدت إليك يد الندامة ولأبدرك غداً ق/٥٢ في القيامة، لكنك أتيت من حيث لا يؤدي إلى فهمك، من أذن لمج الكلام بسميكَ فمن ثم أعقبك التواني، والاغترار بنفسك ولو كان لك (أمين)^(٣) من عقلك ينقد لك ما سقط من عيوبك، لشغلك ذلك عن النظر في عيوب غيرك ولكن ضرب الهوى عليك رواق الحيرة فتركك إذا خرجت يد موعظتك، لم تكذ تراها ومن لم يجعل الله له نوراً، فما له من نور. فبكى الرشيد حتى بل منديلاً كان في يده، ثم قال له خاصة من يقوم على رأسه، اسكت فقد أبكى أمير المؤمنين فالتفت إليهم الشافعي، رحمه الله، وقال: يا عبيد الدنيا، الذين باعوا أنفسهم لمحبوب الدنيا، أما رأيتم ما استدريج به من كان قبلكم من الامم بالأمانى ألم تروا كيف فضح الله مستورهم، وأمطرت بواكير الهموم عليهم، بعد سرورهم فأصبحوا بعد خفض عيشتهم، ولين رفاهيتهم، في نسيم روضة البطالين حصائد النقم ومدارج المثولات. فقال له الرشيد لقد سللت علينا

(١) في (ب - ج): على رفع الحشمة وترك الهيبة.

(٢) زيادة من (ج).

(٣) في (ب - د): أمين.

لِسَانَكَ وَهُوَ أَمْضَى مِنْ سَيْفِكَ فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ إِنَّ قَبْلَتَهُ فَهَوَّلَكَ، وَإِلَّا عَلَيْكَ . قَالَ فَهَلْ مِنْ حَاجَةٍ خَاصَّةٍ بَعْدَ الْعَامَةِ، قَالَ بَعْدَ مَكُونِ النَّصِيحَةِ، وَتَجْرِيدِ الْمَوْعِظَةِ تَأْمُرُنِي أَنْ أَسْوَدَ وَجْهَ مَوْعِظَتِي بِالسَّأَلَةِ قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ النَّظَرُ فِي أُمُورِ الرَّعِيَّةِ وَالْقِسْمَةِ بَيْنَهُم بِالسُّوِيَّةِ، قَالَ وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ مَنْ تُسَمَّى بِاسْمِكَ، وَتُسَبَّبَ إِلَى مَوْضِعِكَ . قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ الْحُبُّ أَحَبُّ اللَّهِ، وَجِيرَانِ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، أَمَّا وَاللَّهِ لَوَأْرَدْتَ عِمَارَةَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَلزِمَكَ فِي ذَلِكَ مَوْنَةٌ . قَالَ فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِمَالٍ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالْعُلُوِيَّةِ، وَأَمَرَ لِلشَّافِعِيِّ، رَجَمَهُ اللَّهُ، بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ^(١) .

وَكَانَ الرَّشِيدُ يُصَلِّي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ رَكْعَةٍ، (إِلَى أَنْ تُوفِيَ)^(٢) وَتَصَدَّقَ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، (فَإِذَا حَجَّ حَجَّ مَعَهُ مِائَةُ مِّنَ الْفُقَهَاءِ كُلِّ فُقَيْهِ مِنْهُمْ بِزَادِهِ وَرَاجِلَتِهِ)^(٣) . وَجَدَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ تَفَاوُتِ التَّوَارِيخِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٤) .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ^(٥) : قَصَدْتُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، رَجُلًا كُنْتُ أَغْشَاهُ

(١) خلاصة الذهب المسبوك، ص ٢١٠ - ٢١٢، مع اختلاف في بعض الجمل زيادة ونقصاً فقد ذكر الأربلي في الخلاصة ما جرى للشافعي مع هارون الرشيد من حين وفوده إلى أن تبين براءته وطلب موعظته ووعظه / البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٥٢، وذكر فيها كيف وشي بالشافعي إلى الرشيد فحمل إليه وناظره وتبين براءته / شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٣٦، وذكر فيها بداية نصيحة الشافعي للرشيد.

(٢) زيادة من (ج) .

(٣) زيادة من (ج - د) .

(٤) تاريخ الطبري، ج ١١ ص ٧٤٠؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢١٤؛ فوات الوفيات، ج ٤ ص ٢٢٦؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٤، إلا أن المراجع تذكر أنه كان يتصدق كل يوم بألف درهم وليس بمئة ألف .

(٥) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي، أحد الأئمة الأعلام، باللغة والأخبار والنوادر والملح، ولد سنة ١٢٢هـ ونادم الرشيد، وله تصانيف كثيرة، توفي بالبصرة سنة =

لكرمه، فوجدتُ على بابِهِ بَوَاباً، فَمَنْعَنِي مِنَ الدُّخُولِ عَلَيْهِ. فَقَالَ الْبَوَّابُ
وَاللَّهِ مَا أَوْقَفَنِي عَلَى بَابِهِ، لِأَمْنَعِ مِثْلَكَ الدُّخُولَ عَلَيْهِ، لِرَقَّةِ حاله وقصور يده،
فَكُتِبَتْ رُقْعَةٌ أَقُولُ فِيهَا:

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ لَهُ حِجَابٌ فَمَا فَضَّلُ الْكَرِيمَ عَلَى اللَّثِيمِ
ثُمَّ قُلْتُ أَوْصِلْ رَقْعَتِي هَذِهِ إِلَيْهِ فَفَعَلَ. فَعَادَتْ الرُّقْعَةُ، وَقَدْ (كُتِبَتْ) (١)
على ظهرها:

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ قَلِيلَ مَالٍ تَسْتَرَّ بِالْحِجَابِ عَنِ الْغَرِيمِ
وَمَعَ الرُّقْعَةَ صُورَةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ وَعَدَرُ. فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا تَحْفَنُ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَجِئْتُ إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا رَأَى قَالَ مِنْ أَيْنَ يَا عَبْدُ
الْمَلِكِ قُلْتَ مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ، أَكْرَمَ الْأَحْيَاءِ حَاشَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ وَمَنْ
هُوَ قُلْتُ رَجُلٌ قَرَانِي عِلْمُهُ مَالُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُ إِلَيْهِ الرُّقْعَةَ وَالصُّورَةَ. قَالَ هَذَا خَتَمُ
بَيْتِ مَالِي فَلَا بَدَّ لِي مِنَ الرَّجُلِ، الَّذِي دَفَعَهَا إِلَيْكَ. قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَحْيِي أَنْ أُرْوَعَهُ بِرُسُلِكَ، فَقَالَ لِبَعْضِ خَاصَّتِهِ امْضِ مَعَ
الْأَصْمَعِيِّ، فَإِذَا أَرَاكَ الرَّجُلَ فَقُلْ لَهُ، أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ اِزْعَاجٍ.
قَالَ فَلَمَّا حَضَرَ الرَّجُلُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ، قَالَ لَهُ أَمَا أَنْتَ بِالْأَمْسِ، وَقَفْتَ
بِمَوَكِبِنَا وَشَكُوتِ رَقَّةِ حَالِكَ وَأَنَّ الزَّمَانَ أَنَاخَ عَلَيْكَ بِكُلِّكَلِهِ، فَدَفَعْنَا إِلَيْكَ هَذِهِ
الصُّورَةَ لِتُصْلِحَ بِهَا حَالَكَ فَقَصَدَكَ الْأَصْمَعِيُّ بَيْتٍ وَاحِدٍ فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ، قَالَ
وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ فِيمَا شَكُوتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رِقَّةِ الْحَالِ وَصَعُوبَةِ الزَّمَانِ
وَلَكِنِّي اسْتَحَيْتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ أُعِيدَ قَاصِدِي، إِلَّا كَمَا أَعَادَنِي أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ لِلَّهِ دَرَكٌ فَمَا وَلَدَتْ الْعَرَبُ أَكْرَمَ مِنْكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِالْفِ دِينَارٍ،

= ٢١٦هـ؛ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٧٠؛ تاريخ بغداد، ج ١٠ ص ١١٠؛ الفهرست،
ص ٥٥.

(١) في (ب - ج - د): وقع.

فقلتُ الْحَقْنِي بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فْتَبَسُّمْ وَأَمَرَ أَنْ تَكْمَلَ لِي أَلْفَ دِينَارٍ، وَعَادَ الرَّجُلُ مِنْ جُمْلَةِ نَدَمَائِهِ^(١) ق/٥٣.

وَقِيلَ لَمَّا حَجَّ الرَّشِيدُ، وَرَجَعَ قَافِلًا دَعَا صَالِحًا، حِينَ تَنَكَّرَ لِلْبَرَامِكَةِ، فَقَالَ أَخْرِجْ إِلَى مَنْصُورِ بْنِ زِيَادٍ^(٢)، فَقُلْ لَهُ قَدْ صَحَّتْ عَلَيْكَ عَشْرَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَاحْمِلْهَا إِلَيَّ مِنْ يَوْمِكَ، فَإِنْ هُوَ دَفَعَهَا إِلَيْكَ كَامِلَةً قَبْلَ مَغِيبِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِكَ هَذَا، وَإِلَّا فَاحْمِلْ إِلَيَّ رَأْسَهُ، وَإِيَّاكَ وَمَرَجَعَتِي فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ. قَالَ صَالِحٌ فَخَرَجْتُ إِلَى مَنْصُورٍ فَعَرَفْتُهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ذَهَبْتُ وَاللَّهِ نَفْسِي ثُمَّ حَلَفَ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَوْضِعَ ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَكَيْفَ عَشْرَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ لَهُ صَالِحٌ خُذْ فِي (عَمَلِكَ)^(٣). (قُلْتُ)^(٤) لَهُ امْضِ إِلَى مَنْزِلِي حَتَّى أُوصِيَ وَأَتَقَدَّمَ فِي أَمْرِي فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات على هامش المستطرف، ج ١ ص ٢٣٢ - ٢٣٣؛ المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٩٧ - ١٩٨.

(٢) هو صالح صاحب المصلی، كما ورد ذلك في الوزراء والكتاب، سمي بذلك لأنه لما عرض أبو جعفر المنصور، خزائن علي بن عبدالله بن سليمان على قواده، اختار كل واحد شيئاً فاختر صالح حصيراً للصلاة من عمل مصر ذكروا أنها كانت في خزائن بني أمية وإن النبي، صلى الله عليه وسلم، صلى عليها، أمره المنصور ببيع القراطيس ثم عدل عن ذلك وبعثه الرشيد لتخليص المال من ابن زياد/ تاريخ العيني، ج ١٣ ص ٣٤؛ الوزراء والكتاب، ص ١٣٨، ٢٢٢.

(٣) كان منصور بن زياد من جملة كتاب البرامكة، فقد كتب ليحيى بن خالد، والفضل بن يحيى، ولما ولي الرشيد الفضل أمر محاربه يحيى بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب استخلف الفضل منصور بن زياد بباب أمير المؤمنين، تجري كتبه على يديه وكانوا يثقون بمنصور وابنه في جميع أمورهم لقدیم صحبتته وأرسله يحيى بن خالد إلى عبدوية الأنباري عندما تغلب على إفريقية هو وبقطين بن موسى/ الوزراء والكتاب، ص ١٧٨؛ الطبري، ج ١٠ ص ٦١٣ - ٦٣٠.

(٤) في (ب - ج - د): أمرک.

(٥) في (ب - د): فقال امض بنا.

دَخَلَ حَتَّى ارْتَفَعَ الصُّرَاخُ مِنْ مَنَازِلِهِ، وَحُجِّرَ نِسَائِهِ، فَأَوْصَى وَخَرَجَ وَمَا فِيهِ لَحْمٌ وَلَا دَمٌ. فَقَالَ امْضِ بِنَا إِلَى أَبِي عَلِيٍّ، يَعْنِي يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ^(١)، فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَأْتِينَا بِفَرَجٍ مِنْ جِهَتِهِ، فَمَضَيْتُ مَعَهُ فَدَخَلَ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى، مَا وَرَاءَكَ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَلِقَ يَحْيَى لِأَمْرِهِ وَأَطْرَقَ مُفَكِّرًا (وَدَعَا جَارِيَةً وَقَالَ لَهَا كَمْ عِنْدَكَ مِنَ الْمَالِ قَالَتْ خَمْسَةُ آلَافٍ أَلْفٍ دِرْهَمٍ)^(٢) قَالَ هَاتِيهَا فَأَحْضَرَتْهَا ثُمَّ وَجَّهَ إِلَى وَلَدِهَا الْفَضْلِ إِنَّكَ كُنْتَ أَعْلَمْتَنِي، فِذَاكَ أَبُوكَ أَنَّ عِنْدَكَ أَلْفِي أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَدَدْتُ أَنَّكَ تَشْتَرِي بِهَا ضَيْعَةً، وَقَدْ وَجَدْتُ لَكَ ضَيْعَةً يَبْقَى ذِكْرُهَا وَشُكْرُهَا وَتَحْمَدُ ثَمَرَتِهَا فَوَجَّهَ إِلَيَّ بِالْمَالِ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ امْضِ إِلَى جَعْفَرٍ فَقُلْ لَهُ أَبْعَثْ لِي، فِذَاكَ أَبُوكَ، بِأَلْفِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، لِحَقِّي لَزِمْنِي فَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَقَالَ هَذِهِ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، ثُمَّ أَطْرَقَ طَوِيلًا، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنَ الْمَالِ شَيْءٌ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى خَادِمٍ لَهُ، فَقَالَ امْضِ إِلَى دَنَانِيرٍ^(٣) فَقُلْ لَهَا وَجَّهِي إِلَيَّ بِالْعَقْدِ الَّذِي كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَبَهُ لَكَ فَجَابَهُ فَإِذَا هُوَ عَقْدُ كَعْظَمِ الذَّرَاعِ، فَقَالَ لِصَالِحٍ اشْتَرِيتُ هَذَا بِمِائَةِ أَلْفٍ

(١) تقدمت ترجمته، ص ١٤٠.

(٢) في (ب - ج - د): ثم دعى خازنه فقال له.

(٣) هو أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك. أخو الرشيد من الرضاغة، تولى الوزراء الرشيد قبل أخيه جعفر، وكان الفضل أكرم من أخيه، جعفر مع تكبر فيه. وكانت ولادته سنة ١٤٧، توفي سنة ١٩٣، وفيات الأعيان، م ٤ ص ٢٧؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢١٠؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٤٠؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٣٠.

(٤) مولاة يحيى البرمكي ومغنية من مغنيات العصر العباسي كانت لرجل من أهل المدينة فلما رآها يحيى بن خالد البرمكي وقعت بقلبه فاشتراها، وظلت موالية للبرامكة، حتى آخر عهدها بالحياة. فقد قيل أن الرشيد طلب منها الغناء بعد نكبة البرامكة فقالت يا أمير المؤمنين إني آليت أن لا أغني بعد سيدي أبداً/ أعلام النساء، ج ١ ص ٤١٧، ٤١٩.

وعشرين ألف دينار، فَوَهَبَهُ أميرُ المؤمنينَ، لدنانيرَ وَقَدْ حَسَبْنَاهُ بِألفي ألفٍ
دِرْهَمٍ. وهذا تمامُ المالِ، فانصرفَ وخلَّ صاحبنا، لا سبيلَ لَكَ عَلَيْهِ. قَالَ
صالحٌ فَأَخَذْتُ ذَلِكَ وَرَدَدْتُ مَنْصُوراً مَعِيَ، فَلَمَّا صِرْنَا بِالْبَابِ أَنْشَدَ مُتَمَثِّلاً:

فَمَا بُقِيََا عَلَيَّ تَرْكُتْمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرْدَ^(١) النِّبَالِ

قَالَ صَالِحٌ فَقُلْتُ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، رَجُلٌ أَنْبَلَ مِنْ رَجُلٍ خَرَجْنَا مِنْ
عِنْدِهِ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ، فِيمَا مَضَى وَلَا يَكُونُ فِيمَنْ بَقِيَ، وَلَا عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ، رَجُلٌ أَحَبَّتْ سَرِيرَةً، وَلَا أَرَدَأَ طَبْعاً، مِنْ هَذَا النَّبْطِيِّ، إِذَا لَمْ يَشْكُرْ
مَنْ أَحْيَاهُ. قَالَ ثُمَّ صَرْتُ إِلَى الرَّشِيدِ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّةَ الْمَالِ، وَطَوَيْتُ
عَنْهُ مَا قَالَ مَنْصُورٌ، لِأَنِّي خِفْتُ أَنْ سَمِعَهُ أَمْرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ. قَالَ الرَّشِيدُ
أَمَّا إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ، مَنْ نَجَا لَمْ يَنْجُ إِلَّا بِأَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ. وَقَالَ اقْبِضِ الْمَالَ،
وَارِدِدِ الْعَقْدَ عَلَى دَنَانِيرَ لَأَنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَهْبِ هِبَةً، فَتَرْجَعِ إِلَيَّ. قَالَ صَالِحٌ فَلَمْ
أَطْبِ نَفْساً، بِتَرْكِ تَعْرِيفِ يَحْيَى مَا قَالَ مَنْصُورٌ، فَقُلْتُ لَهُ بَعْدَ أَنْ أَطْنَبْتُ فِي
شُكْرِهِ، وَوَصِفِ مَا كَانَ مِنْهُ لَقَدْ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ غَيْرِ شَاكِرٍ، قَابِلٍ أَكْرَمَ فِعْلٍ
بِالْأَمْرِ قَوْلٍ. وَكَيْفَ ذَلِكَ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَجَعَلَ وَاللَّهِ يَطْلُبُ لَهُ الْمَعَاذِيرَ.
وَقَالَ يَا أَبَا عَلِيٍّ إِنَّ الْمُخَوِّفَ الْقَلْبَ رَبِّمَا سَبَقَ إِلَى لِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي ضَمِيرِهِ،
وَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ فِي حَالٍ عَظِيمَةٍ. فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا أَذْري أَيُّ أَمْرِكَ أَعْجَبُ،
أَمِنْ أَوَّلِهِ أَمْ مِنْ آخِرِهِ، لَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الدَّهْرَ لَا يَخْلِفُ مِثْلَكَ أَبَدًا^(٢).

قَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ مَنْ أَحْسَنْتُ إِلَيْهِ، فَأَنَا مُرْتَهَنٌ بِهِ، وَمَنْ لَمْ أَحْسِنْ

(١) الصرد: مسمار في السنان يشك به الريح ومن الجيش العظيم، القاموس المحيط.
(٢) الوزراء والكتاب، ص ٢٢٢، ٢٢٤؛ خلاصة الذهب المسبوك، ص ١٦١؛ المستجد
من فعلات الأجواد، ص ١٣٨ - ١٤٠؛ الفرج بعد الشدة، ج ٤ ص ١٠؛ التر
المسبوك على هامش سراج الملوك، ص ١٢٤؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٠٥.

إليه فَأَنَا مُخَيَّرٌ فِيهِ^(١). وَقَالَ: ذِكُرْ النِّعَمَةَ مِنَ الْمُنْعِمِ تَكْدِيرُ، وَنَسِيَانُ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ كُفْرٌ^(٢). وَقَالَ يَذُلُّ عَلَى كَرَمِ الرَّجُلِ، سَوْءُ آدَبِ غِلْمَانِهِ^(٣). وَقِيلَ لَهُ لِمَ لَا تَقُولُ الشُّعْرَ فَقَالَ شَيْطَانُهُ أَخْبَثُ مِنْ أَنْ أُسَلِّطَهُ عَلَى عَقْلِي^(٤). وَقَالَ: إِذَا أَدْبَرَ الْأَمْرُ كَانَ الْعَطَبُ فِي الْحِيلَةِ^(٥).

وَقِيلَ رَكِبَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ^(٦) دِينَ ق/ ٥٤ فَرَكِبَ إِلَى الْفَضْلِ^(٧) بْنِ يَحْيَى، وَمَعَهُ حَقٌّ فِيهِ جَوَاهِرُ، فَقَالَ لَهُ قَصْرْتُ بِنَا غَلَاتْنَا وَأَغْفَلْ أَمْرَنَا خَلِيفَتُنَا وَتَزَايَدَتْ مَوْنَتُنَا فَلَزِمْنَا دِينَ احْتَجْنَا إِلَى أَدَائِهِ وَهُوَ أَلْفُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَكَرِهْتُ بَذْلَ وَجْهِي لِلتَّجَارِ، وَأَذَالَه^(٨) عِرْضِي مِنْهُمْ. وَمَعِيَ رَهْنٌ وَثِيقٌ بِذَلِكَ، فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ تَأْمُرَ بَعْضُ غِلْمَانِكَ بِقَبْضِهِ، وَحَمَلَ الْمَالَ إِلَيْنَا فَعَلْتُ، فَدَعَا الْفَضْلُ بِالْحَقِّ، فَرَأَى مَا فِيهِ وَخَتَمَهُ بِخَتَمِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ نَجِّحْ الْحَاجَةَ، أَنْ

(١) تاريخ بغداد، ج ١٤ ص ١٢٩؛ الوزراء والكتاب، ص ٢٠٢؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٥.

(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٥.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٦؛ وفيات الأعيان، م ٦ ص ٢٢٧؛ الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، ص ٩١.

(٤) الوزراء والكتاب، ص ١٩٧؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٦.

(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٥؛ الوزراء والكتاب، ص ٢٢٧، وفيه إذا انقضت المدة كان الحنف في الحيلة.

(٦) هو محمد بن الإمام إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس الأمير أبو عبدالله الهاشمي العباسي. ولي إمرة دمشق لأبي جعفر المنصور، ولولده المهدي، وحج بالناس عدة سنين، وكان عاقلاً جواداً ممدحاً توفي ببغداد وصلى عليه الأمين ودفن بالعباسية سنة ١٨٥ هـ/ شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٠٩؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١١٨ - ١١٩؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٨٦.

(٧) تقدمت ترجمته ٣٣٩.

(٨) الاذالة: من الذل، أي لم أرد أن أذل نفسي حتى لا يستخف بي التجار.

تَقِيمَ الْيَوْمَ عِنْدِي فِي مَنْزِلِي، فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْمَقَامَ عَلَى مَشَقَّةٍ فَقَالَ: لَهُ مَا يُشَقُّ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَلْبَسَ بَعْضُ ثِيَابِنَا، دَعَوْتُ بِهِ وَإِلَّا أَمَرْتُ بِإِحْضَارِ ثِيَابٍ مِنْ دَارِكَ. فَأَقَامَ وَنَهَضَ الْفَضْلُ فَدَعَا بِوَكِيلِهِ، وَأَمَرَهُ بِحَمْلِ الْمَالِ وَتَسْلِيمِ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ الْجَوْهَرُ إِلَى وَكِيلِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَأَخَذَ خَطُّهُ بِذَلِكَ. فَفَعَلَ الْوَكِيلُ ذَلِكَ، وَأَقَامَ مُحَمَّدٌ عِنْدَهُ إِلَى اللَّيْلِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ خَبْرٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَحْضَرَ الْوَكِيلَ الْمَالَ وَالْحَقَّ فَعَدَا عَلَى الْفَضْلِ لِيُشْكِرَ لَهُ فَوَجَدَهُ قَدْ سَبَقَهُ بِالرُّكُوبِ إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ فَوَقَفَ مُنْتَظِرًا لَهُ، فَقِيلَ لَهُ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ الْآخِرِ، فَاتَّبَعَهُ فَوَجَدَهُ سَبَقَهُ إِلَى دَارِ ابْنِهِ فَوَقَفَ يَنْتَظِرُهُ فَقِيلَ لَهُ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ الْآخِرِ، قاصداً إِلَى مَنْزِلِهِ، فَاِنْصَرَفَ عَنْهُ فَلَمَّا عَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَجَّهَ الْفَضْلُ إِلَيْهِ بِأَلْفِ أَلْفٍ أُخْرَى فَعَدَا عَلَيْهِ فَشَكَرَهُ وَأَطَالَ، فَأَعْلَمَهُ الْفَضْلُ أَنَّهُ بَاتَ بَلِيلَةً طَالَتْ غَمًّا بِمَا شَكَاهُ إِلَى أَنْ لَقِيَ الرَّشِيدَ، فَأَعْلَمَهُ بِحَالِهِ وَأَمَرَهُ بِالتَّقْدِيرِ لَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُمَاسِكُهُ إِلَى أَنْ تَقَرَّرَ الْأَمْرُ مَعَهُ عَلَى أَلْفِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ، فَقَالَ إِنَّهُ لَمْ يَصْلُكْ بِمِثْلِهَا قَطُّ وَلَا زَادَكَ عَلَى عِشْرِينَ أَلْفِ دِينَارٍ فَشَكَرْتُهُ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَصْلُكَ بِهَا صَكًّا بِخَطِّهِ وَيَجْعَلَنِي الرَّسُولَ فَفَعَلَ فَشَكَرَهُ مُحَمَّدٌ. وَقَالَ صَدَقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ لَمْ يَصِلْنِي بِأَكْثَرٍ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَهَذَا إِنَّمَا تَهَيَّأَ بِكَ وَعَلَى يَدَيْكَ، وَمَا أَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَلَا عَلَى شُكْرِ أَجَازِي بِهِ مَعْرُوفَكَ غَيْرَ أَنَّ عَلِيَّ وَعَلِيَّ أَيْمَانًا مُؤَكَّدَةً إِنْ وَقَفْتُ بِبَابِ أَحَدٍ سِوَاكَ وَلَا سَأَلْتُ غَيْرَكَ حَاجَةً أَبَدًا، وَلَوْ سَفَفْتُ التُّرَابَ. فَكَانَ لَا يَرْكَبُ إِلَى غَيْرِ الْفَضْلِ، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا حَدَّثَ، فَكَانَ لَا يَرْكَبُ إِلَى غَيْرِ دَارِ الرَّشِيدِ وَيَعُودُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَعَوَّتَبَ بَعْدَ تَقْضِي (أَمْرِهِمْ) ^(١)، فِي تَرْكِ الرُّكُوبِ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ عَمَرْتُ أَلْفَ عَامٍ وَمَصَصْتُ

(١) فِي (ب - د) أَيَامُهُمْ.

الْتِمَادَ، ما وَقَفْتُ بِبَابِ أَحَدٍ، بَعْدَ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى، وَلَا سَأَلْتُهُ حَاجَةً أَبَدًا حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ حَالَهُ حَتَّى مَاتَ^(١).

وَقِيلَ: دَخَلَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ^(٢) عَلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى، وَقَدْ كَانَ وَرَدَ عَلَيْهِ خَبَرُ سَرِّهِ، فَجَلَسَ لِلشُّعْرَاءِ فَمَدَحُوهُ وَأَثَابَهُمْ، وَنَظَرَ فِي حَوَائِجِ النَّاسِ فَقَضَاهَا، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ، وَخَلَا فِي مَنْزِلِهِ، وَلَمْ يَحْضُرْ مُسْلِمٌ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا بَلَغَهُ حِينَ انْقَضَى الْمَجْلِسُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ:

أَتَتْكَ الْمَطَايَا تَهْتَدِي بِمِطْيَةِ	عَلَيْهَا فَتَى كَالنَّصْلِ يُؤْنِسُهُ النَّصْلُ
وَرَدْتُ رَوَاقَ الْفَضْلِ أَمَلُ فَضْلُهُ	فَحِطُّ الشَّاءِ الْجَزَلِ نَائِلُهُ الْجَزَلُ
فَتَى تَرْتَعِي الْأَمَالَ مُزَنَةَ جُودِهِ	إِذَا كَانَ مَرْعَاهَا الْأَمَانِيُّ وَالْمَطْلُ
تُسَاقِطُ يُمْنَاهُ الْندَى وَشِمَالُهُ	الرَّدَى وَعِیُونَ الْقَوْلِ مُنْطِقُهُ الْفَصْلُ
أَلَحَّ عَلَى الْأَيَّامِ يَفْرِي خُطُوبَهَا	عَلَى مَنَهْجِ أَلْفَى أَبَاهُ بِهِ قَبْلُ
أَنَافَ عَلَى الْعَلَيَاءِ يَحْيَى وَخَالِدَ	فَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ وَلَا لَهُمَا مِثْلُ
فَرُوعَ أَصَابَتِ مَغْرَسًا مَتَمَكَّنًا	وَأَصْلًا فَطَابَتْ حَيْثُ وَجْهَهَا الْأَصْلُ
بَكْفٍ أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَمَطَّرُ الْغِنَى	وَتُسْتَنْزَلُ النِّعْمَى وَيُسْتَرْعَفُ النَّصْلُ

(١) المحاسن والمساوي، ج ١ ص ٣٣٣-٣٣٥؛ الوزراء والكتاب، ص ١٩٥؛ المستجد من فعلات الأجواد، ص ١٣٦-١٣٨.

(٢) هو أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري. المعروف بصريح الغواني أحد فحول الشعراء، ومولى أسعد بن زرارة الخزرجي. كان أول أمره خاملاً يعمل أجبر فران، فانقاد له الشعر، وكسب به الأموال العظيمة ثم اتصل بابني سهل الحسن والفضل فولوه بريد جرجان وله مدائح في الرشيد والبرامكة توفي سنة ٢٠٨هـ / فوات الوفيات، ج ٤ ص ١٣٦-١٤٢؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٨٦؛ تاريخ بغداد، ج ١٣ ص ٩٢؛ الشعر والشعراء، ص ٣٩٩.

فَطَرِبَ الْفَضْلُ طَرِبًا شَدِيدًا، وَأَمَرَ بِأَنْ تُعَدَّ الْأَبْيَاتُ، فَعُدَّتْ فَكَانَ مَبْلَغُهَا ثَمَانِينَ بَيْتًا. فَأَمَرَ لَهُ بِثَمَانِينَ أَلْفِ ذِرْهَمٍ وَقَالَ: لَوْلَا أَنَّهُ أَكْثَرُ مَا وُصِّلَ بِهِ شَاعِرٌ لَرَدْتُكَ وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ لَا يُمْكِنُ تَجَاوُزُهُ يَعْنِي أَنَّ الرَّشِيدَ (رَسَمَهُ) ^(١) لِمُرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ ^(٢).

وَرَوَى أَنَّ مُرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ ^(٣) - ق/٥٥ - دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَنْشَدَهُ مَدْحًا فِيهِ، فَقَالَ مَنْ أَنْتَ قَالَ شَاعِرُكَ مُرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ فَقَالَ أَلَسْتُ الْقَائِلُ:

أَقَمْنَا بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ مَعْنٍ مُقَامًا لَا نُرِيدُ بِهِ زَوَالًا
وَقُلْنَا أَتَيْنَ نَذْهَبَ بَعْدَ مَعْنٍ وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نَوَالًا
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ تَرْبَتَهُ عِيَالًا

فَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ كَمَا زَعَمْتُمْ. فَلَمَّ جِئْتَ تَطْلُبُ نَوَالَنَا. لَا شَيْءَ لَكَ عِنْدَنَا جُرُوا بِرَجْلَيْهِ، (فَجُرُوا بِرَجْلَيْهِ) ^(٤) حَتَّى أُخْرِجَ فَمَكَثَ سَنَةً ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي جُمْلَةٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ:

طَرَقْتُكَ (زَائِرَةً) ^(٥) فَحَيِّي خَيْلَهَا بَيْضَاءُ تَخْلِطُ بِالْحَيَاءِ ذَلَالَهَا
هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا بِأَكْفُكُمْ أَوْ تَسْتُرُونَ هِلَالَهَا
(حَتَّى بَلَغَ قَوْلَهُ) ^(٦):

(١) فِي (ب) رَصَدَهُ.

(٢) دِيوَانُ صَرِيحِ الْغَوَانِي، ص ٢٦٣؛ الْمُسْتَجَادُ مِنْ فَعَلَاتِ الْأَجْوَادِ، ص ١١٥ - ١١٦؛ الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ، ص ٨١٢.

(٣) تَقَدَّمَ تَرْجَمَتَهُ، ص ٣٣١.

(٤) سَاقِطَةٌ مِنْ (ج - د).

(٥) فِي (ج) طَائِفَةٌ.

(٦) زِيَادَةٌ مِنْ (ب - ج - د).

أَوْ تَجَحَّدُونَ مَقَالَهٗ مِنْ رَبِّكُمْ جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيُّ فَقَالَهَا
شَهِدَتْ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرُ آيَةٍ بِتُرَاثِهِمْ فَأَرَدْتُمْ إِبْطَالَهَا
فَزَحَفَ الرَّشِيدُ حَتَّى صَارَ عَلَى الْبِسَاطِ. وَقَالَ: كَمْ هِيَ قَالُوا هِيَ مِائَةٌ
بَيْتٍ فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ^(١).

وقيل: دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ مِزِيدٍ^(٢) (على الرَّشِيدِ)^(٣) فَقَالَ لَهُ: مَنِ الَّذِي يَقُولُ
فِيكَ:

لَا يَعْجُزُ الطَّيْبُ خَدِيهَ وَمَقْرِقَهُ وَلَا يُمَسِّحُ عَيْنَيْهِ مِنَ الْكُحْلِ
قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقَّنَ بِهَا فَهَنْ يَتَبَنَّعُهُ فِي كُلِّ مُرْتَحِلٍ
(فقلت)^(٤) لَهُ: لَا أَعْرِفُ قَائِلَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لَهُ: أَيْقَالَ فِيكَ

(١) وفيات الأعيان، م ٥ ص ٢٥٢-٢٥٣، وفيه حدث الفضل بن الربيع قال: رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد موت معن؛ الفرج بعد الشدة، ج ١ ص ٣٧٨؛ تاريخ بغداد، ج ١٣ ص ١٤٤؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٢١٦، وجميع هذه المصادر تذكرها لمروان مع المهدي وقد ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان رواية أخرى عن الفضل بن الربيع أيضاً، فقال: فلم تلبث الأيام أن أفضت الخلافة إلى هارون الرشيد وقد رأيت مروان ماثلاً مع الشعراء بين يديه، وقد أنشده شعراً فقال له من أنت فقال شاعرك مروان بن أبي حفصة، فقال له أأنت القاتل في معن كذا. وأنشد البيت، ثم قال خذوا بيده فأخرجوه/ وفيات الأعيان، ج ٥ ص ٢٥٣. وكانت إجازة الشعراء أمراً متعارفاً عليه، ومألوفاً ويشبه اليوم ما تنفقه الدول على الصحافة لتكسب تأييدها ومناصرتها، وتشبه الوزراء والأمراء بالخلفاء في ذلك.

(٢) هو أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، من الأمراء المشهورين والشجعان المعروفين، ولي أرمينيا فعزله الرشيد عنها ثم ولاه إياها ثانية، وضم إليه أذربيجان ثم ولاه الرشيد، محاربة الوليد بن طريف الخارجي، فتمكن منه وقتله وبعث برأسه إلى الرشيد توفي يزيد سنة ١٨٥هـ/ شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٠٨؛ وفيات الأعيان، م ٦ ص ٣٢٧-٣٤١.

(٣) زيادة من (ب-ج-د).

(٤) في (ج) فقال.

مِثْلُ هَذَا الشُّعْرِ، وَلَا تَعْرِفُ قَائِلُهُ؟ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ خَجَلًا، فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ دَعَا حَاجِبَهُ، وَقَالَ: مَنْ بِالْبَابِ مِنَ الشُّعْرَاءِ؟ قَالَ: مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ. قَالَ: فَكَيْفَ حَاجَبَتُهُ عَنِّي، فَلَمْ تُعَلِّمْنِي بِهِ، قَالَ: أَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ مُضِيقٌ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِكَ مَالٌ تُعْطِيهِ، وَسَأَلْتُهُ الْإِمْسَاكَ وَالْمُقَامَ أَيَّامًا، إِلَى أَنْ يَتَسَّعَ عَلَيْكَ الْحَالُ، فَقَالَ: أَدْخِلْهُ إِلَيَّ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلَ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ
تَرَاهُ فِي الْأَمْنِ فِي دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ لَا يَأْمُنُ الدَّهْرُ أَنْ يُدْعَى عَلَى عَجَلٍ
لَا يَعْْبُقُ الطَّيْبُ خَذْيَهُ وَمَفْرِقَهُ وَلَا يُمَسِّحُ عَيْنِيهِ مِنَ الْكُحْلِ
قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقْنَ بِهَا فَهَنْ يَتْبَعْنَهُ سِي كُلِّ مُرْتَحِلٍ
لِلَّهِ مِنْ هَاشِمٍ فِي أَرْضِهِ جَبَلٌ وَأَنْتَ وَابْنُكَ رُكْنَا ذَلِكَ الْجَبَلِ (١)

فَقَالَ لَهُ: قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِخَمْسِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَاقْبِضْهَا وَأَعِذْ، فَخَرَجَ الْحَاجِبُ فَقَالَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَرْهَنَ ضَبْعَةً مِنْ ضَيَاعِهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، خَمْسُونَ أَلْفًا مِنْهَا لَكَ، وَخَمْسُونَ أَلْفًا لِنَفَقَتِهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا. فَكَتَبَ صَاحِبُ الْخَبْرِ بِذَلِكَ إِلَى الرَّشِيدِ فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ وَقَالَ: اقْبِضْ الْخَمْسِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، الَّتِي أَخَذَهَا الشَّاعِرُ وَزِدْهُ مِثْلَهَا، وَخُذْ مِائَةَ أَلْفِ لِنَفَقَتِكَ، فَأَفْتِكَ ضَبْعَتَهُ وَأَعْطَى مُسْلِمًا خَمْسِينَ أَلْفًا أُخْرَى (٢).

(١) ديوان صريع الغواني، ص ٩.

(٢) وفيات الأعيان، م ٦ ص ٣٣١-٣٣٣؛ المستجد من فعلات الأجواد، ص ١٠٠-١٠٢؛ تاريخ بغداد، ج ١٤ ص ٣٣٤؛ فوات الوفيات، ج ٤ ص ١٣٦-١٤٢، وقد ذكر القصيدة بكاملها، أنه وإن كانت الأموال وفيرة في زمن العباسيين وخصوصاً الرشيد، إلا أن هذا لا يسوغ العطاء بهذه الكثرة لأن الفقهاء قالوا إن زادت موارد بيت المال عن مصارفه فأنما أن يدخر لما ينوب المسلمين كما قال أبو حنيفة أوزع على الكافة حسب أعطياتهم والرسول صلى الله عليه وسلم كان يفرق بين صلات يعود نفعها على المسلمين عامة كإعطاء المؤلفة قلوبهم وبين صلات لا تعود =

وَرَوَى عَنْ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَنِي رَسُولُ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ فَجِئْتُهُ فَوَجَدْتُهُ خَارِجاً مِنَ الْحَمَّامِ، وَهُوَ عَلَى كُرْسِيٍّ وَعَلَى رَأْسِهِ وَصِيفَةٌ بِيَدِهَا غِلَافٌ مِرَاقٍ، وَالْمِرَاقَةُ بِيَدِهِ وَهُوَ يُسْرِحُ لِحَيْتَهُ فَقَالَ لِي: أُنْشِدْنِي فَأَنْشَدْتُهُ حَتَّى بَلَغْتُ قَوْلِي:

لَا يَعْبُقُ الطَّيْبُ خَدَيْهِ ^(١) وَمَفْرَقَهُ وَلَا يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ مِنَ الْكُحْلِ

فَوَضَعَ الْمِرَاقَةَ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ لِلْجَارِيَةِ أَنْصِرِيَنِي فَقَدْ حَرَّمَ عَلَيْنَا مُسْلِمُ الطَّيْبِ وَالْكُحْلِ. فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنَ الْقَصِيدَةِ، قَالَ لِي: يَا مُسْلِمُ أَتَدْرِي مَا الَّذِي حَدَّثَانِي عَلَى أَنِّي وَجِهْتُ، إِلَيْكَ قُلْتُ لَا وَاللَّهِ (مَا) ^(٢) أَدْرِي، فَقَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لِي يَا يَزِيدُ مَنْ الَّذِي يَقُولُ فَيْكَ:

سَلِّ الْخَلِيفَةُ سَيْفًا مِنْ بَنَى مَطَرٍ يَمْضِي فَيَقْتَطِعُ الْأَجْسَادَ وَالْهَامَا كَالدَّهْرِ لَا يَنْتَبِي عَمَّا يَهُمُّ بِهِ قَدْ أَوْسَعَ النَّاسُ إِنْْعَامًا وَإِرْغَامًا ^(٣)

فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، فَقَالَ الرَّشِيدُ يَا سَبْحَانَ اللَّهِ إِنَّكَ مُقِيمٌ عَلَى أَعْرَابِيَّتِكَ أَيْقَالُ فَيْكَ مِثْلَ هَذَا الشَّعْرِ، وَلَا تَدْرِي مَنْ قَائِلُهُ. فَسَأَلْتُ ق/ ٥٦ - عَنْ قَائِلِهِ فَأُخْبِرْتُ أَنَّكَ هُوَ، فَقُمْتُ حَتَّى أَذْخَلَكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ، فَمَا عَلِمْتُ حَتَّى خَرَجَ الْأَذُنُ عَلَيَّ، فَدَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَنْشَدْتُهُ مَا لِي فِيهِ مِنَ الشَّعْرِ، فَأَمَرَ لِي بِمَائَتِي أَلْفٍ دِرْهَمٍ، فَلَمَّا أَنْصَرَفْتُ أَمَرَ لِي يَزِيدُ بِمَائَةِ أَلْفٍ وَتِسْعِينَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ أُخْرَى وَقَالَ لَا يَجُوزُ أَنْ أُعْطِيكَ

= بمصلحة على المسلمين فالأولى يدفعها من مال الفيء والثانية من ماله الخاص / الأحكام

السلطانية للماوردي، ص ١٤٥ - ١٤٦ - ٢٤٤.

(١) في فوات الوفيات عينيّه / وفي وفيات الأعيان كفيه.

(٢) في (ج) لا.

(٣) ديوان صريع الغواني، ص ٦٣.

مثل ما أعطاك أمير المؤمنين، وأقطعني إقطاعات تبلغ غلتها مائتي ألف درهم^(١).
وروي عن إسحاق بن إبراهيم، قال: كُنتُ عِنْدَ المأمون^(٢) بِدمشق،
وَقَدْ كَانَ المَالُ عِنْدَهُ قَلِيلاً، حَتَّى ضَاقَ وَشَكَا ذَلِكَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ^(٣)،
فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَمَرْتُ بِمَالٍ يُحْمَلُ إِلَيْكَ، وَهُوَ مَوَافِيكَ بَعْدَ جُمُعَةٍ،
فَلَمَّا وَرَدَ المَالُ مِنَ النُّوَاجِي الَّتِي كَانَ يَتَوَلَّاهَا، وَكَانَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ أَلْفٍ، قَالَ
المأمونُ لِيَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ^(٤) اخْرِجْ بِنَا نَنْظُرَ إِلَى هَذَا (المالِ)^(٥)، قَالَ يَحْيَى:

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٠٨ - ١١٠، وفيه أن الرشيد أمر له بمائة ألف درهم.

(٢) هو عبدالله المأمون بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي ولد سنة ١٧٠هـ ليلة توفى عمه الهادي، وتولى أبوه هارون الرشيد وأمه أم ولد، يقال لها مراجل، قرأ العلم في صغره وسمع من هشيم، وعباد بن العوام، ويوسف بن عطية، وأبي معاوية الضريز، وبرع في الفقه على مذهب أبي حنيفة، والعربية وآيام الناس. ولما كبر عني بعلوم الأوائل ومهر بالفلسفة، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن، وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً، وحليماً ورأياً، وعلماً ودهاءاً، وهيبة وشجاعة، وسماحة وسؤدداً، نازع الأمين الخلافة فلما قتل الأمين بويغ له البيعة العامة ببغداد سنة ١٩٨هـ وكان أماراً بالعدل يعد من كبار العلماء يختم كل رمضان ثلاثين ختمة توفي سنة ٢١٨هـ وكانت خلافته عشرين سنة وستة أشهر/ فوات الوفيات، ج ٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٩؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٧٤ - ٢٧٦؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٢٥ - ٢٢٧؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٣٩ - ٤٣؛ تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٦ - ٣٠٧؛ الفخري، ص ٢١٦.

(٣) أبو إسحاق هو المعتصم.

(٤) هو أبو محمد يحيى بن أكثم، من ولد أكثم بن صيفي حكيم العرب كان عالماً بالفقه بصيراً بالأحكام، ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي رحمه الله وقال الخطيب في تاريخ بغداد كان يحيى بن أكثم سليماً من البدعة، ينتحل مذهب أهل السنة، غلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده قلده القضاء وتبدير المملكة وعز له المعتصم فلما ولي المتوكل قلده القضاء، ثم عزله واستصفى أمواله، فحج وعزم على أن يجاور بمكة توفي سنة ٢٤٢هـ/ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٠١؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٠٨؛ وفيات الأعيان، م ٦ ص ١٤٧ - ١٦١.

(٥) زيادة من (ج).

فَخَرَجْنَا حَتَّى أَصَحَرْنَا وَوَقَفْنَا نَنْتَظِرُهُ. وَقَدْ كَانَ هُمَيَّةً بِأَحْسَنِ هَيْئَةٍ، وَحُلِيَّتِ
أَبَا عِيرِهِ، وَأَلْبَسَتْ الْأَحْلَاسَ الْمَوْشَاةَ وَالْجَلَالَ الْمَصْبُوعَةَ، وَقُلَّدَتْ الْعِيْنَ^(١).
فَنَظَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى شَيْءٍ اسْتَحْسَنَهُ وَعَظَّمَ لِيَحْيَى فِي عَيْنِهِ، وَاسْتَشْرَفَ النَّاسَ
يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ وَيَسْتَظَرُّونَهُ فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِيَحْيَى يَا أَبَا مُحَمَّدٍ
يَنْصَرِفُ أَصْحَابُنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَرَاهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ خَائِبِينَ، وَنَنْصَرِفُ نَحْنُ بِهَذَا
الْمَالِ، دُونَهُمْ، إِنَّا إِذَا لَلَلْنَا، ثُمَّ دَعَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَادٍ وَقَالَ وَقَعَ لِفُلَانٍ
بِكَذَا، وَلِفُلَانٍ بِكَذَا، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى فُرِّقَ أَرْبَعَةٌ وَعَشْرِينَ أَلْفٍ
أَلْفٍ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُصَرَفَ الْبَاقِي فِي عَطَاءِ الْجُنْدِ^(٢).

وَقِيلَ: كَانَ بِالْبَصْرَةِ شَاعِرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَرَادَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ^(٣) أَنْ
يَتَقَدَّمَ إِلَى الْمَأْمُونِ، مَادِحاً لَهُ وَمَعْرُضاً بِشُكْرِ الْوَالِي. فَأَعْطَاهُ بَخْتِيَا^(٤) وَنَفَقَةً،
قَالَ فَرَكِبْتُ بُخْتِي وَمَضَيْتُ أَرُومَ الْعَسْكَرِ، قَاصِداً إِلَيْهِ، فَإِذَا بِكَهْلٍ عَلَى بَغْلٍ
هَمَلَجٍ^(٥)، قَدْ تَلَقَّانِي مُوَاجِهَةً، وَأَنَا أَرْدُدُ نَشِيدَ أَرْجَوْرَتِي فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ
يَا هَذَا بِصَوْتِ جَهَوْرِي وَلِسَانِ فَصِيحٍ، فَرَدَدْتُ السَّلَامَ، فَقَالَ لِي قِفْ إِنَّ
شَيْئًا فَوْقَكَ فَتَضَوَّعَتْ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ، فَقَالَ لِي مِمَّنْ أَنْتَ فَقُلْتُ
رَجُلٌ مِنْ مُضَرٍّ، قَالَ ثُمَّ مِنْ مَنْ قُلْتُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سَعْدٍ، ثُمَّ
قَالَ فَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبِلَدَ قُلْتُ قَصَدْتُ هَذَا الْمَلِكَ الَّذِي مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ قَبْلَهُ

(١) العهن: الصوف / مختار الصحاح.

(٢) الطبري، ج ١١ ص ١١٤٣؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٧٨؛ الفخري،
ص ٢١٦؛ الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢٢٨؛ بغداد في تاريخ الخلافة العباسية،
ص ١٤٩.

(٣) ذكر الطبري أن اسمه محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان ومثله ابن الأثير في الكامل
وكذلك البيهقي في المحاسن والمساوي وقال وهو أمير البصرة.

(٤) البخت: نوع من الابل الواحد بختي / المصباح المنير.

(٥) هملج البرذون مملجة مش مثبته سهلة في سرعة / المصباح المنير.

أطولَ باعاً، ولا أُنْدَى راحةً منه، قَالَ فَمَا الَّذِي قَصَدْتُهُ بِهِ قُلْتُ شِعْرُ طَيْبٍ،
يَلْدُ عَلَى الْأَفْوَةِ، وَتَقْتَفِيهِ الرِّوَاةُ وَيَحْلُو فِي آذَانِ (السَّامِعِينَ) ^(١). قَالَ فَأَنْشَدْنِيهِ
قَالَ فغَضِبْتُ وَقُلْتُ لَهُ يَا رَكِيكَ الْعَقْلُ أَخْبَرَكَ أَنِّي قَصَدْتُ الْخَلِيفَةَ بِمَدْحِ
حَبْرَتِهِ فِيهِ، تَقُولُ أَنْشَدْنِيهِ، قَالَ وَمَا الَّذِي تَأْمَلُ مِنْهُ قُلْتُ أَلْفَ دِينَارٍ إِنْ كَانَ عَلَى
مَا ذُكِرَ عَنْهُ، قَالَ لِي فَأَنَا أُعْطِيكَ أَلْفَ دِينَارٍ، إِنْ رَأَيْتَ الشَّعْرَ جَيْدًا، وَالْكَلَامَ
غَضًّا، وَأَضْعُ عَنْكَ الْعَنَاءَ وَالتَّرْدَادَ وَمَتَى تَصِلُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَبَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَشْرَةُ
آلَافٍ رَامِحٍ وَسَيْفٍ فَقُلْتُ لَهُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ أَنْتَ تَفْعَلُ، قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَمَعَكَ
السَّاعَةَ مَا تُعْطِينِي قَالَ لَكَ اللَّهُ عَلَى أَنْ أُعْطِيكَ السَّاعَةَ أَلْفَ دِينَارٍ فَأَنْشَدْتُهُ
أَرْجُوزَةً فِيهَا:

مَأْمُونٌ يَأْذَا الْمَنِّ الشَّرِيفَةِ	وَصَاحِبَ الْمَرْتَبَةِ الْمُنِيفَةِ
وَقَائِدَ الْكَيْبَةِ الْكَثِيفَةِ	هَلْ لَكَ فِي أَرْجُوزَةِ ظَرِيفَةِ
أَطْرَفَ مِنْ فِقْهِ أَبِي جَنْيَفَةِ	لَا وَالَّذِي أَنْتَ لَهُ خَلِيفَةِ
مَا ظَلِمْتَ فِي أَرْضِنَا ضَعِيفَةِ	أَمِيرُنَا مُؤْنَتُهُ خَفِيفَةِ
وَالذُّبَّ وَالنَّعْجَةَ فِي سَقِيفَةِ	وَاللَّصَّ وَالتَّسَاجِرُ فِي قَبِيطَةِ

قَالَ فَوَاللَّهِ مَا أَتَمَمْتُ إِنْشَادَهَا، حَتَّى أَقْبَلَ عَشْرَةَ آلَافٍ فَارِسَ، قَدْ سَدُّوا
الْأَفَقَ وَهُمْ يَقُولُونَ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، قَالَ
فَأَخَذَنِي وَاللَّهِ الْأَفْكَلُ. يَعْنِي الرَّعْدَةُ وَنَظَرَ إِلَيَّ بِتِلْكَ الْحَالِ، فَقَالَ لَا بَأْسَ
عَلَيْكَ ثُمَّ التَفْتُ إِلَى خَادِمٍ نَظِيفٍ الْوَجْهِ وَالْمَلْبَسِ كَانَ قَرِيبًا مِنْهُ فَقَالَ أُعْطِيَ
مَا مَعَكَ فَأَخْرَجَ الْخَادِمُ كَيْسًا وَجَدْتُ فِيهِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ، فَقَالَ لِي هَاكَ أَيُّهَا
الرَّجُلُ ثُمَّ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَمَضَى فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ
فَقِيلَ «لِي الْمَأْمُونُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يُرَدْ أَنْ يُعْرَفَكَ بِنَفْسِهِ» ^(٢)، لِكِرَمِ طَبَاعِهِ

(١) فِي (ب): الْمُسْتَمْعِينَ.

(٢) زِيَادَةٌ مِنْ (ب - ج - د).

وخلایقہ^(۱). وقیل إن المأمون كان في مجلسٍ - ق/۵۷ له بدمشق فغناه
علویة^(۲):

برئت من الإسلام إن كان ذا الذي أناك به الواشون حقاً كما قالوا
ولكنهم لما رأوك سريعة لهجري تواصوا بالنميمة واحتالوا

فقال يا علوية لمن هذا الشعر قال لقاضي دمشق. فقال لأخيه
يا أبا اسحاق أحضره، فلم يكن بأسرع من أن حضر شيخٌ قصيرٌ مخضوبٌ،
فقال له المأمون من تكون قال أنا فلان بن فلان، قال الذي تقول الشعر
قال نعم يا أمير المؤمنين، ونساؤه طوالق وكل شيء يملك في سبيل الله، إن
كان قال شعراً منذ ثلاثين سنة إلا في زهدٍ ومعاتبةٍ صديق. فقال لأخيه أغزله،
ما كنت لأولى رقاب المسلمين، من يبدأ في هزله بالبراءة من الإسلام. ثم
قال لعلوية لا تقل برئت من الإسلام ولكن قل حُرمت منائي منك^(۳). وقال
عمارة بن عقیل^(۴) أنشدت المأمون قصيدة، فكنْتُ أبتدىء بصدْرِ البيت، وهو

(۱) الطبري، ج ۱۱/ص ۱۱۴۴-۱۱۴۷؛ المحاسن والمساوي، ج ۱ ص ۳۸۵؛ الكامل
في التاريخ، م ۵ ص ۲۲۹؛ بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، ص ۱۵۰-۱۵۲.

(۲) علوية: هو علي بن عبدالله بن سيف، كان جده من الصغد اللذين سباهم عثمان بن
الوليد، زمن عثمان بن عفان فأعتق بعضهم واسترق الباقيين ويكنى علوية أبا الحسن،
وكان مغنياً حاذقاً ومؤدباً محسناً، وضارباً متقدماً مع خفة روح وطيب مجالسه وملاحه
نوادير عاش إلى أيام المتوكل ومات بعد اسحاق الموصلي بمده يسيره/ الأغاني، م ۵ ج ۱۰
ص ۱۲۰-۱۲۱.

(۳) الطبري، ج ۱ ص ۱۱۴۹-۱۱۵۰، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية،
ص ۱۵۴-۱۵۵.

(۴) هو عمارة بن عقیل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفي الشاعر. من أهل البصرة كان
واسع العلم، غزير الأدب، قدم بغداد فأخذ أهلها عنه وروى عنه أبو العباس المبرد/
تاريخ بغداد، ج ۱۲ ص ۲۸۲.

بيادرني إلى عجزه. فقلت والله يا أمير المؤمنين، ما سمعها مني أحد قبلك، فقال هكذا ينبغي أن يكون ثم أقبل عليّ وقال أما بلغك أن عمر بن أبي ربيعة^(١)، أنشد عبد الله بن عباس^(٢) قصيدته التي يقول فيها:

تَشُطُّ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا

فقال ابن عباس:

..... وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أْبَعَدُ

حتى أكمل القصيدة، كلما أنشد صدر البيت أكمله ابن عباس، ثم قال أنا ابن ذلك^(٣). وقال (ابن المبرد)^(٤) قال لي عمارة قال لي عبد الله بن أبي السَّمَطِ^(٥) يا عمارة أما علمت أن المأمون لا يُبصرُ الشعرَ، فقلت له ومن أفرس منه فيه، (أنا أنشدته)^(٦) البيت، فسبقنا إلى عجزه، من غير أن يكون سَمِعَهُ. قال إني أنشدته بيتاً أجدت فيه، فلم يحركه قلت وما هو قال:

(١) هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي المخزومي الشاعر المشهور. لم يكن في قریش أشعر منه، كان يتغزل في شعره بالثريا ابنة علي بن عبد الله بن الحارث، وكانت ولادة عمر بن أبي ربيعة في الليلة التي قتل فيها عمر بن الخطاب سنة ٢٣ للهجرة فكان الحسن البصري يقول: إذا جرى ذكر ولادة عمر بن أبي ربيعة يقول أي حق رفع وأي باطل وضع، توفي سنة ٩٣ للهجرة: وفيات الأعيان، م ٣ ص ٤٣٦؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٠١.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ١٠٨.

(٣) الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢٢٩؛ الطبري، ج ١١ ص ١١٥١-١١٥٢؛ بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، ص ١٥٩.

(٤) في (ب-ج-د): المبرد: وهو أبو العباس محمد بن يزيد البصري المعروف بالمبرد النحوي، كان إماماً في النحو واللغة، وله التأليف النافعة في الأدب، منها كتاب الكامل وكتاب الروضة توفي سنة ٢٨٦هـ ببغداد ودفن في مقابر باب الكوفة في دار اشترت له / وفيات الأعيان، م ٤ ص ٣١٣-٣٢٢؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٩٠-١٩١.

(٥) لم أعثر له على ترجمة فيها لدي من المراجع.

(٦) في (ب-ج-د): إنا لنشده.

أَضْحَى إِمَامُ الْهَدَى الْمَأْمُونُ مُشْتَغِلاً بِالْدِّينِ وَالنَّاسِ بِالدُّنْيَا قَدْ اسْتَغْلَوْا
فَقُلْتُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً، مَا زِدْتَ عَلَى أَنْ جَعَلْتَهُ عَجُوزاً فِي مُحَرَابِهَا
مُسَبِّحَتُهَا فِي يَدِهَا، فَمَنْ يَقُومُ بِأَمْرِ الدُّنْيَا إِذَا كَانَ مُشْغُولاً عَنْهَا، هَلَا قُلْتُ كَمَا
قَالَ جَرِيرٌ^(١) فِي (عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ)^(٢):

فَلَا هُوَ فِي الدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِييَهُ وَلَا عَرَضُ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ شَاغِلُهُ^(٣)
وَجَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى الْمَأْمُونِ فَقَالَتْ:

يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يُهْدِي بِهِ الرُّشْدُ وَيَا إِمَاماً بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْخَلْقِ أَرْمَلَةٌ عَدَا عَلَيْهَا فَلَمْ يَتْرِكْ لَهَا لُبْدُ
وَابْتَزَ مِنْهَا ضِياعاً مَنَعَتِهَا ظِلْمًا وَفَرَقَ مِنْهَا الْأَهْلَ وَالْوَلَدُ
فَأَجَابَهَا وَقَالَ:

فِي دُونِ مَا قُلْتَ زَالَ الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ عَنِّي وَأَقْرَحَ مَنِي الْقَلْبُ وَالْكَبْدُ
هَذَا أَوْانَ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَاَنْصَرِفِي وَاحْضِرِي الْخَصَمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُّ
وَالْمَجْلِسُ السَّبْتُ أَنْ يَقْضَى الْجُلُوسُ لَنَا انْصَفْكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْمَجْلِسُ الْأَحَدُ

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ جَلَسَ فَجَاءَتْهُ، فَقَالَتْ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، فَرَدُّ وَقَالَ أَيْنَ خَصْمُكَ، قَالَتْ وَاَقِفْتُ عَلَى رَأْسِكَ، وَأَوْمَأَتْ إِلَى

(١) هو أبو حُرْزَةَ جَرِيرِ بْنِ عَطِيَّةِ الْخَطَفِيِّ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ. كَانَ مِنْ فَحُولِ شِعْرَاءِ الْإِسْلَامِ، كَانَتْ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَرَزْدَقِ مَهَاجَةٌ وَنِقَاطُضٌ، امْتَدَحَ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ وَالْخُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِهِ تَوَفَّى سَنَةَ
١١٠هـ/ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ، م ١ ص ٣٢١؛ الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، ج ٩ ص ٢٦٠؛ النُّجُومُ
الزَّاهِرَةُ، ج ١ ص ٢٦٩.

(٢) الصَّوَابُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ.

(٣) الطَّبْرِيُّ، ج ١١ ص ١١٥٩؛ الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ، م ٥ ص ٢٣٠؛ دِيْوَانُ جَرِيرٍ،
ص ٣٤٩.

العباس^(١) ابنه فقال لأحمد بن أبي^(٢) خالد خذ بيده وأجلسه معها، ففعل
فجعل كلامها يعلو كلامه، فقال لها أحمد بن أبي خالد يا أمة الله، إنك بين
ييدي أمير المؤمنين، وتكلمين الأمير فاحفِضي من صوتكِ. فقال المأمون دَعِها
يا أحمد فإن الحق أنطقها، والباطل أخرسه، ثم قضى على ابنه^(٣).

ومن شعر المأمون:

بَعَثْتُكَ مُرْتَاداً فُزْتُ بِنَظَرَةٍ وَأَغْفَلْتَنِي حَتَّى أَسَأْتُ بِكَ الظَّنَّ
فَنَاجَيْتُ مَنْ أَهْوَى وَكُنْتُ مُبَاعِداً فَيَالَيْتَ شِعْرِي عَنْ دُنُوكَ مَا أَغْنَا
أَرَى أَثْراً مِنْهَا بِعَيْنَيْكَ لَمْ يَكُنْ لَقَدْ سَرَقَتْ عَيْنَاكَ مِنْ عَيْنِهَا حُسْنًا^(٤)
(وله أيضاً)^(٥):

إِنْ تَشَقَّ عَيْنِي بِهَا فَقَدْ سَعِدْتُ عَيْنُ رَسُولِي وَفُزْتُ بِالْخَبَرِ

(١) هو العباس بن أمير المؤمنين المأمون، ولاء أبوه الجزيرة والثغور والعواصم وكان فصيحاً،
جلس يوماً عن يمين المعتصم وإبراهيم بن المهدي عن يسار المعتصم، فجعل إبراهيم
يقلب خاتماً في يده، فقال له العباس يا أعم ما هذا الخاتم فقال خاتم رهنته في أيام
أبيك، فما فككته إلا في أيام أمير المؤمنين. فقال له العباس والله لأن لم تشكر أبي على
حقن دمك مع عظيم جرمك، لا تشكر أمير المؤمنين على فك خاتمك فأفحمه/ وفيات
الأعيان، م ١ ص ٤١ وج ٣/ ص ٨٤.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ٢٠٨.

(٣) العقد الفريد، ج ١ ص ٢٠ - ٢١؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ٢٧٦ - ٢٧٧؛ المحاسن
والمساوىء، ج ٢ ص ٢٧٩؛ المصباح المضيء، ج ١ ص ٤٩٣ - ٤٩٤.

(٤) الطبري، ج ١١ ص ١٢٥٢؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٧٩؛ المختصر في أخبار
البشر، ج ٢ ص ٣٢؛ الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢٢٩؛ تمة المختصر في أخبار
البشر، ج ١ ص ٣٣١.

(٥) الصواب أن هذا الشعر للعباس بن الأحنف أخذ منه المأمون أبياته السابقة كما أشار إلى
ذلك الطبري في تاريخه، وابن الأثير في الكامل فقال بعد أن ذكر الأبيات السابقة وإنما
أخذ المأمون هذا المعنى من العباس بن الأحنف فإنه أخرج هذا المعنى وساق الأبيات.

وَكَلَّمَا جَاءَنِي الرَّسُولُ بِهَا رَدَدْتُ عَمْدًا فِي طَرْفِهِ نَظِيرِي
يَظْهَرُ فِي وَجْهِهِ مَحَاسِنُهَا قَدْ أَثَرَتْ فِيهِ أَحْسَنَ الْأَثَرِ
خُذْ مُقْلَتِي يَا غَلَامُ عَارِيَةً

فَانْظُرْ بِهَا (واحتفظ)^(١) على بصري^(٢) ق/ ٥٨

واعْتَلَّ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ^(٣) فَتَأَخَّرَ فِي بَيْتِهِ، فوردتْ عَلَيْهِ رُقْعَةٌ مِنَ الْمَأْمُونِ
يَخْطِبُهُ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ وَفِي آخِرِهَا:

كَيْفَ أَصْبَحْتَ بِالسَّلَامَةِ (يا فضل)^(٤) وبِالْخَيْرِ رَبُّنَا مَسْأَكَا
لَا أُرَانِي إِلَّا هَـ فَقَدْ كَ يَا فَضْلُ وعَافَاكَ عَاجِلًا وَشَافَاكَ
قَدْ أَرَدْتُ الْمَجْبِيءَ إِذْ غَلَبَ الشَّوْقُ وَقَلْبِي لَوْ يَسْتَطِيعُ أَتَاكَ
فَتَذَكَّرْتُ عِنْدَ ذَاكَ بِأَنِّي لَسْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرَاكَ كَمَا كُنَّا
فَأَيْنَ يَا وَاقْتُ فَيْكَ حَذَارِي كَيْفَ أَنْتَ الْغَدَاةُ مِنْ شُكُوكَا^(٥)

(باب في خطبته ومناقبه)^(٦):

(قِيلَ خُطِبَ يَوْمَ جُمُعَةٍ)^(٧) فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي (استخلص)^(٨)
الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ، وَاسْتَوْجِبَهُ عَلَى خَلْقِهِ، أَحْمَدُهُ وَاسْتَعِينَهُ وَأَوْمَنَ بِهِ وَأَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ،

(١) في الطبري واحتكم.

(٢) تاريخ الطبري، ج ١١ ص ١١٥٢؛ الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢٢٩، بغداد؛ في
تاريخ الخلافة العباسية، ص ١٦٠.

(٣) تقدمت ترجمته، ص ١٦٢.

(٤) في (ج - د): صبحت.

(٥) تاريخ العيني (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان مخطوط رقم ح/ ٨٢٠٣ بدار الكتب
المصرية، ج ١٢ ص ٢٠٧ - ٢٠٨).

(٦) ساقطة من (ب - ج - د).

(٧) في (ج - د): ومن خطبة الجمعة قوله.

(٨) في (ب - د): مستخلص.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون: أوصيكم عباد الله بتقوى الله، والعمل لما عنده، والانجاز لوعده والخوف من وعيده، فإنه (لم) (١) يسلم إلا من اتقاه، وخافه ورجاه وعمل له وأرضاه، فاتقوا الله عباد الله، وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم، وترحلوا سراعاً فقد جدّ بكم الرحيل، واستعدوا للموت فقد أضلّكم ما تحذرون، وكونوا قوماً صيخ بهم فانتبهوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سدى، وما بين أحدكم والجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به، وأن غاية تنقضيها اللحظة وتهديمها الساعة، لجديرة بقصر المدة، وأن غائباً يحذوه الجديدان (٢) لحريّ بسرعة الآوبة وإن قادمًا يحلّ بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة، فاتقوا عبدي، ونصح نفسه، وقدم توبته وغلب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله (خاذله) (٣)، والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها، ويمنيه التوبة ليسوفها، حتى تهجم عليه منيته، أغفل ما يكون عنها، فبالها حسرة على ذي غفلة أويكها. عمره عليه حجة، أو تؤديه أيامه إلى شقوة. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم، ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعته غفلة، ولا تحل به بعد الموت حسرة إنه سميع الدعاء، ويبيد الخير وهو فعال لما يريد (٤).

وخطب يوم أضحى فقال بعد (التكبيرات الأولى) (٥) والتحميد والصلاة

(١) في (ب - ج - د): لا يسلم.

(٢) الجديدان: الليل والنهار.

(٣) في (ب - ج): خاذله.

(٤) عيون الأخبار، ج ٢ ص ٥٣ - ٢٥٤؛ العقد الفريد، ج ٤ ص ١٦٧؛ جمهرة

خطب العرب، ج ٣ ص ١٢١ - ١٢٢.

(٥) في (ب - ج - د): التكبير الأول.

على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم والوصية يتقوى الله عز وجل:

إن يومكم هذا، يوم أبان الله عز وجل فضله، وأوجب تشريفه، وعظم حرمة وفوق له من خلقه صفوته وابتلى فيه خلائه وفدى فيه من الذبح نبيه وجعله خاتم الأيام المعلومات من (العشر)^(١)، ومقدم الأيام المعدودات من النفر، يوم حرام من أيام عظام، في شهر حرام، يوم الحج الأكبر، ويوم دعا الله عز وجل إلى مشهده، ونزل القرآن بتعظيمه. قال عز وجل: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٢) فتقربوا إلى الله في هذا اليوم بذبائحكم، وعظموا شعائر الله واجعلوها من أطيب أموالكم، وبصحّة التقوى من قلوبكم، فإنه يقول عز وجل: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾^(٣) الآية ثم قال بعد التحميد (والتكبير)^(٤) وذكر الجنة والنار الله الله فوالله إنه الجد لا اللب، وإنه الحق لا الكذب، وما هو إلا الموت والبعث والميزان، والحساب والقصاص والصراط، ثم الثواب والعقاب. من نجا يومئذ فقد فاز، ومن هوى يومئذ فقد خاب، الخير كله في الجنة والشر كله في النار^(٥).

وخطب يوم الفطر فقال بعد التكبير ألا وأن يومكم هذا يوم عيد وسنة، وابتهاال ورغبة، يوم ختم الله فيه صيام (شهر)^(٦) رمضان، وافتتح به حج بيته الحرام فجعله (خاتماً)^(٧) للشهر، وأول شهر الحج، وجعله معقب

(١) في (ج): الشعر.

(٢) آية ٢٧ من سورة الحج.

(٣) آية ٣٧ من سورة الحج.

(٤) زيادة من (ب-ج).

(٥) العقد الفريد، ج ٤ ص ١٦٧-١٦٨؛ عيون الأخبار، م ٢ ج ٥ ص ٢٥٤؛ جبهة

خطب العرب، ج ٣ ص ١٢٢-١٢٣.

(٦) ساقطة من (ب-ج-د).

(٧) في (ب-ج): فجعله خاتمة لشهر الصيام.

المفروض من صيامكم، ومتنفل ق/ ٥٩ قيامكم، أحل فيه الطعام لكم، وحرّم فيه الصيام عليكم. فاطلبوا إلى الله عزّ وجلّ حوائجكم، واستغفروه لتفريطكم، فإنه يقال: لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار. فاتّقوا الله عباد الله، وبادروا الأمر (الذي فيه عدل بينكم)^(١) ولم يحتضِر الشك فيه أحد منكم، وهو الموت المكتوب عليكم، وإنه لا يقال^(٢) بعده عشرة ولا تقبل عنده توبة. واعلموا أنه لا شيء قبله إلا دونه، ولا شيء بعده إلا فوقه على غصصه وعلزه^(٣) وكربه، ولا يعين على القبر وظلمته، ووحشته وضيقه وهول مطلعيه، ومساءلة ملائكيه إلا العمل الصالح، الذي أمر الله عزّ وجلّ به فمن زلت عنده الموت قدمه، فقد ظهرت ندامته وفاتت استقالته ودعا من الرجعة بما لا يجاب إليه، وبذل من الفدية ما لا يقبل منه. فالله الله عباد الله وكونوا قوماً سألوا الرجعة، فأعطوها إذ منعها الذين طلبوها فإنه ليس يتمنى المتمنون قبلكم إلا هذا المهل المبسوط لكم، وأحذروا ما حذركم الله عزّ وجلّ، واتّقوا اليوم الذي يجمعكم الله فيه لإوضع موازينكم، ونشر صحيفكم الحافظة لأعمالكم، (فلينظر عبد ما يضع في ميزانه مما يثقل به وما يمل في صحيفته الحافظة له وعليه)^(٤) فقد حكى الله عزّ وجلّ لكم ما قال المفرطون عندها إذ طال إعراضكم عنها وهو قوله عزّ وعلا: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾^(٥) الآية. وقال تعالى: ﴿وَنُضِعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾. . (٦) الآية.

(١) في عيون الأخبار والعقد الفريد الذي اعتدل فيه يقينكم.

(٢) الاقالة في البيع فسخه ويقال هنا يرفع أي لا ترفع بعد الموت خطيئة.

(٣) العلز محرّكه قلق وخفة وهلع يصيب المريض والأسير والحريص والمحتضر، القاموس المحيط.

(٤) ساقطة من (د).

(٥) آية ٤٩ من سورة الكهف.

(٦) آية ٤٧ من سورة الأنبياء.

وَلَسْتُ أَنهَاكُم مِّنَ الدُّنْيَا، بِأَعْظَمِ مِمَّا نَهَيْتُكُمْ بِهِ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِهَا، فَإِنَّهُ كُلُّ مَا لَهَا يَنْهَى عَنْهَا، وَكُلُّ مَا فِيهَا يَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا، وَأَعْظَمُ مِمَّا رَأَتْهُ عَيُونُكُمْ مِنْ عَجَائِبِهَا ذَمُّ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا، وَنَهْيُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهَا، فَإِنَّهُ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(١)، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِيبٌ وَلَهُوَ﴾^(٢). . . الآية، فانتفعوا بمعرفتكم، وبإخبارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا. واعلموا أَنَّ قَوْمًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَدْرَكْتَهُمْ عَصْمَةُ اللَّهِ، فَحَذَرُوا مَضْرَعَهَا وَجَانِبُوا خِدَائِعَهَا وَآثَرُوا طَاعَةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا، فَادْرَكُوا الْجَنَّةَ بِمَا تَرَكُوا مِنْهَا^(٣).

وَرَوَى عَنْ وَاقِدٍ^(٤) بَنُ مُحَمَّدٍ الْوَاقِدِيُّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ رَفَعَ رُقْعَةً إِلَى الْمَأْمُونِ يَذْكُرُ فِيهَا دَيْنَهُ، وَقَلَّةَ صَبْرِهِ عَلَيْهِ، فَوَقَعَ الْمَأْمُونُ عَلَى ظَهْرِ الرُّقْعَةِ، إِنَّكَ رَجُلٌ اجْتَمَعَ فِيكَ خِصْلَتَانِ، سَخَاءٌ، وَحَيَاءٌ، أَمَّا السَّخَاءُ فَهُوَ الَّذِي أَطْلَقَ مَا فِي يَدِكَ وَأَمَّا الْحَيَاءُ فَهُوَ الَّذِي يَمْنَعُكَ تَبْلِيغَنَا مَا أَنْتَ فِيهِ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَصَبْتُ فَازِدْ فِي بَسْطِ يَدِكَ، وَإِنْ لَمْ تُصِبْ^(٥) فَجَنَانِيَّتُكَ عَلَى نَفْسِكَ وَأَنْتَ حَدَّثْتَنِي وَكُنْتُ عَلَى قَضَاءِ الرُّشِيدِ

(١) آية ٣٣ من سورة لقمان.

(٢) آية ٣٦ من سورة محمد.

(٣) عيون الأخبار، م ١ ج ٥ ص ٢٥٥ - ٢٥٦؛ العقد الفريد، ج ٤ ص ١٦٨ - ١٦٩؛
جمهرة خطب العرب، ج ٣ ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٤) هو وَاقِدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَاقِدٍ. اشتهر والده بلقب الواقدي وكان إماماً عالماً، تولى القضاء بشرق بغداد، وكان المأمون يكرم جانبه ويبلغ في رعايته. وفيات الأعيان، م ٤ ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

(٥) في (ب - ج): أصب.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ^(١) عَنِ الزَّهْرِيِّ^(٢) عَنْ أَنَسٍ^(٣) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَّامِ^(٤): «يَا زَبِيرُ إَعْلَمْ أَنَّ مَفَاتِيحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بِإِزَاءِ الْعَرْشِ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ بِقَدَرِ نَفَقَتِهِ فَمَنْ كَثَرَ كَثْرَ اللَّهُ (عَلَيْهِ)^(٥) وَمَنْ قَلَّ قَلَّ اللَّهُ (عَلَيْهِ)»^(٦) وَأَنْتَ أَعْلَمُ. قَالَ الْوَاقِدِيُّ: فَوَاللَّهِ لِمَذَاكِرَةِ الْمَأْمُونِ إِيَّايَ الْحَدِيثَ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْجَائِزَةِ^(٧).

(١) هو أبو بكر وقيل أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي والسير، كان ثبُتاً في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيها، قال ابن شهاب الزهري: من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق، توفي ببغداد سنة ١٥١هـ ودفن في مقبرة الخيزران. وفيات الأعيان، م ٤ ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٨٨.

(٣) هو أنس بن مالك بن النضر، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنى أبا حمزة، أمه أم سليم الأنصارية، قدم رسول الله المدينة وله من العمر عشر سنين، شهد بدرًا وهو غلام يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ٩٣هـ. الاستيعاب، ق/١ ص ١٠٩.

(٤) هو أبو عبدالله الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحب الهجرتين، لم يتخلف عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش، وكان الزبير أول من سل سيفه في سبيل الله، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أصحاب الشورى، قتله عمر بن جرموز سنة ٣٦هـ. المعارف، ص ٩٦؛ الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ٧٠؛ البداية والنهاية، ج ٧ ص ٢٤٨؛ الاستيعاب، ق/٢ ص ٥١٠.

(٥) في (ب - ج - د): له.

(٦) في (ب - ج - د): له. والحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير، ج ١ ص ٩٨ بلفظ: (إن مَفَاتِيحَ الرِّزْقِ متوجهة نحو العرش فينزل الله تعالى على الناس أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر له ومن قل قل له) وقال: ذكره الدارقطني في الأفراد عن أنس وقال عنه بأنه ضعيف.

(٧) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٧٢ - ١٧٣؛ بهجة المجالس وأنس المجالس، ص ١٦٤ - ١٦٥؛ وفيات الأعيان، م ٤ ص ٣٤٩؛ تاريخ بغداد، ج ٣ ص ١٩.

قال يحيى بن أكتثم القاضي^(١): تغدينا في يوم عيد، عند المأمون فظننته أنه وضع على المائدة، أكثر من ثلاثمائة لون، فكُلُّما وُضِعَ لون، نَظَرَ إليه فيقول هذا نافع لكذا، وضارٌّ من كذا، فمن كان صاحبُ صفراءَ فليأكل من هذا، ومن غَلَبَ عليه السوداءَ فلا يأكل من هذا، ومن أحبَّ الزيادةَ في لحمه، فليأكل من هذا. فوالله ما زال يقول كذلك، في كُلِّ لونٍ حتَّى رُفِعَتْ المائدة. فقلتُ: يا أمير المؤمنين إنْ خُضْنَا في الطَّبِّ، كنتَ جالينوس^(٢) في معرفتيه، وإنْ تكَلَّمْنَا في النُّجُومِ، كنتَ هرمسًا^(٣) في حسابيه، أو في الفقه كنتَ عليًّا بن أبي طالب^(٤) صلواتُ الله عليه في علميه. فقال: يا أبا مُحمَّد أين فضلُ الإنسانِ على غيره من الحيوانِ إنما هو بعقله، ولولا تفاضلُ العقولِ لتساوى الناسُ^(٥).

قال يحيى بن أكتثم: كان المأمونُ يجلسُ للنَّاسِ، في يومِ الثلاثاءِ ق/٦٠ للمناظرةِ فإذا حَضَرَ الفقهاءُ ومن ينظرُ من أهلِ المقالاتِ، أَدْخِلُوا حِجْرَةً مفروشةً وقيل انزَعُوا أخفافَكم، وأحضرتِ الموائدُ، وقيل أصيبوا من الطَّعامِ، وجدَّدوا الوضوءَ ومن ثقلت عليه قُلُوسُهُ فليضعها. فإذا فرَّغوا أتوا

(١) تقدمت ترجمته ص ٣٤٨.

(٢) يسمى خاتم الأطباء والمعلمين ظهر بعده ٦٦٥م من وفاة أبقرط وإليه انتهت الرياسة في عصره في الطب. الفهرست، ص ٢٨٨؛ سرج العيون، ص ٢١٨.

(٣) هو الذي تزعم الصابئة أنه نبيها، ويسندون إليه شريعتهم في تعظيم الكواكب. وهو أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجمية وله كتب كثيرة في النجوم، منها كتاب عرض مفتاح النجوم الأول، وكتاب طول مفتاح النجوم الثاني، وكتاب المكتوم في أسرار النجوم. الفهرست، ص ٢٦٧؛ سرج العيون، ص ٢٠٥.

(٤) تقدمت ترجمته ص ١٨٠.

(٥) تاريخ الخلفاء، ص ٣١٥-٣١٦ مع اختلاف في بعض الجمل؛ الأخبار الموفقيات، ص ٤٠-٤١؛ بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، ص ٣٠-٣١.

بالمجامر^(١) وتطيبوا، ثم خرجوا إليه فاستدناهم حتى يقربوا منه، فيناظرهم أحسن مناظرة وأنصفها وأبعدها عن مناظرة المتجبرين، فلا يزال كذلك إلى أن تزول الشمس ثم يقوم إلى الصلاة فينما هويوماً جالس، إذ دخل عليه علي بن^(٢) صالح حاجبه، فقال: إن في الباب رجلاً، عليه ثياب غلاظ مشمرة، يطلب الدخول للمناظرة. قال: ائذن له فدخل ونعله في يده، فوقف على طرف البساط، وقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال المأمون: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، قال: أئذن في الدنو منك، قال: نعم، فدنا منه، فقال له: اجلس فجلس، فقال: أئذن في كلامك قال: تكلم، قال: أخبرني (عن)^(٣) هذا المجلس، الذي أنت فيه جالس، أجلسته بإجماع المسلمين واختيار لك ورضى بك، أم بالمغالبة لهم، والقوة عليهم بسلطانك. قال المأمون: لم أجلسه بواجب منهما ولكن كان يتولى أمرهم سلطان قبلي احتمله إما على رضى منهم، وإما على كره، فعقد (لي) ولاية الأمر بعده^(٤) باتفاق من حضر من المسلمين، فأعطوا ذلك إما طائعين، وإما كارهين، فلما صار الأمر إلي، علمت أنني محتاج إلى إجماع كافة

(١) المجمرة، بكسر الأول: هي البخرة والمدخنة. قال بعضهم: والمجمر، بحذف الهاء: ما يبخر به من عود وغيره. المصباح المنير.

(٢) هو علي بن صالح، سمي جده صاحب المصلى، لأنه كان مع أبي مسلم الخرساني وكان من أولاد ملوك خراسان، فاستخضه أبو جعفر بنفسه فلما جرت قصة علي بن عبد الله بن عباس وعرض أبو جعفر خزائنه اختار جده حصيراً للصلاة من عمل مصر، ذكر أنها كانت في خزائن بني أمية وأنهم ذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليها. وتولى علي بن صالح التوقيعات للأمين فترة خلافته وكان من جملة حجاب المأمون. تاريخ العيني، ج ١٣ ص ٣٤ مخطوط؛ خلاصة الذهب المسبوك، ص ١٧٤ و ١٩٤.

(٣) زيادة من (ب - د).

(٤) في مروج الذهب: فعقد لي وللآخر معي ولاية هذا الأمر بعده؛ وفي بدائع السلك: فعقد لي ولأخي معي ولاية هذا الأمر بعده.

المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها على الرضى بي، ثم نظرت فرأيت
أني متى تخلّيت عن هذا الأمر اضطرب المسلمون، وغلب على الناس الهرج
والفتنة، ووقع التنازع فتعطلت أحكام الله ولم يؤخذ لمظلوم من ظالم،
وانقطعت السبل ولم يحج بيت الله ولم يجاهد في سبيله إذ لم يكن سلطان
يجمعهم ويسوسهم، ففقت بهذا الأمر حياة المسلمين، إلى أن يجتمع
المسلمون على رجل تتفق كلمتهم على الرضى به، وأسلم الأمر إليه وأكون
أنا كرجل من المسلمين.

وأنت أيها الرجل، رسولي إلى جميع المسلمين بهذا. فقام وقال:
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قال: فامر المأمون علي بن صالح أن
يوجه من يتبعه حتى يعلم أين يقصده، ففعل ثم رجع، فقال: مضى إلى
مسجد فيه جماعة على هيئته وزيه، فقالوا: لقيت الرجل، قال: نعم، وقص
عليهم القصة، فقالوا: ما نرى بهذا بأساً وافترقوا. فأقبل المأمون على
يحيى بن أكثم وقال: يا أبا محمد قد كفيينا مؤنة هؤلاء بأيسر خطب^(١). قال
ابن أكثم: ما رأيت ولا سمعت بأكرم من المأمون، وأخذ في الحديث عنه،
قال: بت عنده ليلة فانتبه بالليل فظنني نائماً، فجعلت أراعيه وقد عطش
فلم يدع بالغلام، لئلا ينبهني، فقام متسللاً حافياً، يقارب (الخطون)^(٢)، حتى
أتى البرادة فتناول كوزاً منها فشرب، ثم رجع يخفي وطئه كأنه لص حتى
اضطجع في مضجعه، وأخذه سعال فرأته يجعل كفه في فيه، لئلا أسمع
سعاله فأنتبه، وطلع الفجر وأراد القيام وقد تناومت إلى أن كادت الصلاة
تفوت، فتحركت، فقال: الله أكبر، يا غلام هات نعل أبي محمد، فقلت:

(١) مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٤٠ - ٣٤٢؛ تاريخ الخلفاء، ص ٣٢٧؛ بدائع السلك في
طبائع الملك، ج ١ ص ٥٠٧ - ٥٠٨.
(٢) في (ب - د): الخطوات.

يا أمير المؤمنين إن بعيني جميع ما كان الليلة من صنْعِكَ ولذلك جعلكُم الله لنا موالِيً وجَعَلَنَا لَكُم عبيداً^(١). قَالَ: وَلَقَدْ سَايَرْتُهُ يَوْماً إِلَى الْبُسْتَانِ، فَحَازَيْتُهُ مِنْ جِهَةِ الشَّمْسِ لِاسْتِرَةِ مِنْهَا، فَلَمَّا عَادَ فِي طَرِيقِهِ دَارَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَقَالَ: مِنْ حَقِّ الْمَسَايِرَةِ، أَنْ آخِذَ بِنَصِيبٍ مِنَ الشَّمْسِ، كَمَا أَخَذْتَ أَنْتَ مِنْهَا، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَقِيكَ هَوْلَ الْمُطَّلَعِ لَفَعَلْتُ، فَقَالَ: لَا بَدَّ، فَسَتَرَنِي مِنَ الشَّمْسِ حَتَّى عُذْنَا^(٢).

قَالَ: وَكَانَ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ^(٣) يَعْزُضُ الْكَتَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْماً فَجَاءَتْهُ عَطْسَةٌ شَدِيدَةٌ، ق/٦١ فَادْخَلَ وَجْهَهُ فِي كُمِّهِ وَكَتَمَهَا، فَكَادَتْ تَأْتِي عَلَى نَفْسِهِ وَفُطِنَ الْمَأْمُونُ لَهُ، فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ بِشَسْ مَا صَنَعْتَ بِنَفْسِكَ، إِنْ لَا نَحْمَدُ أَحَدًا عَلَى هَذِهِ الْخَطَةِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا سَمِعْتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ الْمَأْمُونُ: بَلَى، أَرَادَ الْأَبْرَشُ^(٤) أَنْ يَعْصِمَ سَلِيمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٥)، فَقَالَ: إِنْ لَا نَتَّخِذُ الْإِخْوَانَ خَوَلَاءَ^(٦). قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: وَتَوَضَّأْتُ يَوْماً عِنْدَهُ، فَلَمَّا

(١) إعلام الناس بمواقع للبرامكة مع بني العباس، ص ١٧٨؛ الأخبار الموفقيات، ص ١٣٣؛ المصباح المضيء في خلافة المستضيء، ج ١ ص ٣٨٢-٤٨٣؛ تاريخ الخلفاء، ص ٣٢١.

(٢) سراج الملوك، ص ٤٦؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٢٣؛ المعاسن والمساوىء، ج ١ ص ٢٩٤-٢٩٥؛ المصباح المضيء، ج ١ ص ٤٨٣؛ خلاصة الذهب المسبوك، ص ١٩٢.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢٠٨.

(٤) هو سعيد بن الوليد بن جبلة الكلبي يكنى أبا مجاشع عرف بأبرش الكلبي، كتب هشام بن عبد الملك الأموي وخص عنده، ثم لزم الوليد بن يزيد وساعد مروان بن محمد حتى استولى على الملك. تاريخ الطبري، ج ٨ ص ٨٣٨؛ ج ٩ ص ١٨٠٥.

(٥) الصواب: هشام بن عبد الملك، كما في اعتاب الكتاب لابن الأبار وغرر الخصائص وزهر الآداب.

(٦) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٢؛ الوزراء والكتاب، ص ٥٩؛ اعتاب الكتاب، =

أَتَيْتُ بِالْوَضُوءِ إِذَا بِالْإِبْرَيقِ لَهُ أَنْبُوبٌ طَوِيلٌ، نَحْوُ مِنْ أَرْبَعٍ أَذْرَعٍ، فَجَعَلْتُ
أَتَعْجَبُ مِنْهُ وَأَدِيرُ فِيهِ الْفَكْرَ وَأَحِدُ النَّظَرَ، فَقَالَ لِي الْمَأْمُونُ عِنْدَ ذَلِكَ:
يَا أَبَا مُحَمَّدٍ كَأَنَّكَ تَعْجَبُ مِنْ طُولِهِ، قُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: إِنَّ
هَذَا الْغَلَامَ قَدْ اعْتَادَ أَنْ يَوْضِئَنِي، وَلَهُ صَحْبَةٌ قَدِيمَةٌ، وَهُوَ يَأْكُلُ الْبَصَلَ كَثِيرًا،
فَنَهَيْتُهُ عَنْهُ (غَيْرِ) (١) مَرَّةً، فَلَمْ يَنْتَهُ، فَأَمَرْتُ بِعَمَلِ هَذَا لَثْلًا أَقْطَعَهُ مِنْ شَهْوَتِهِ
وَأَتْبَاعَهُ عَنْ رَاحَتِهِ. وَرَوَى أَنْ دَعَبَلًا (٢) هَجَاهُ فَقَالَ:

وَيَسُومُنِي الْمَأْمُونُ خُطَّةَ عَارِفٍ أَوْ مَا رَأَى بِالْأُمْسِ رَأْسَ مُحَمَّدٍ
يُوفِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ مِثْلَمَا يُوفِي الْجِبَالَ عَلَى رُؤُوسِ الْقَرْدِ
لَئِنْ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ قَتَلُوا أَخْيَاكَ وَشَرَفُوكَ بِمَقْعَدِ
شَادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طَوْلِ حُمُولِهِ وَاسْتَنْقَذُوكَ مِنَ الْحُضِيِّضِ الْأَوْهَدِ (٣)

فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: قَبَّحَهُ اللَّهُ مَا أَبْهَتَهُ، مَتَى كُنْتُ خَامِلًا وَمِنْ حُجَرٍ
بِالْخِلَافَةِ دَرَجَتْ وَبِدَّرْهَا غَذِيَتْ. وَظَفَرَ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَفَا عَنْهُ (٤).

= ص ١١٦؛ غرر الخصائص، ص ٢٧٨ وتطبق هذه المصادر على أن الذي كان يعرض
الكتب بين يدي المأمون هو عمرو بن مسعدة وليس أحمد بن أبي خالد.

(١) زيادة من (ب - د).

(٢) هو أبو علي دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور. أصله من الكوفة وقيل دعبلاً لقب،
واسمه الحسن، وقيل عبدالرحمن، وقيل محمد، ولد سنة ١٤٨ هـ كان بذي اللسان
مولعاً بالهجاء، هجا الخلفاء الرشيد والمأمون، وكان يقول: منذ خمسين سنة أهل
خشيتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد أحداً، توفي سنة ٢٤٦ هـ. النجوم
الزاهرة، ج ٢ ص ٣٢٢؛ وفيات الأعيان، م ٢ ص ٢٦٦؛ تاريخ بغداد، ج ٨
ص ٣٨٢؛ الفهرست، ص ١٦١.

(٣) ديوان دعبل الخزاعي، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٤) الفرج بعد الشدة، ج ١ ص ٣٨٢؛ تاريخ الطبري، ج ١١ ص ١١٥٥؛ زهر الآداب،
ج ١ ص ٩٣.

وَلَمَّا حَبَسَ يَحْيَى بْنُ أَبِي خَالِدٍ^(١) كَتَبَتْ إِلَيْهِ أُمُّ وَلَدِهِ لَهُ: إِنَّ جَمِيعَ
أَمَهَاتِ أَوْلَادِكَ، قَدْ نَالُوا فَضْلَ أَيَّامِكَ سِوَايَ، فَوَقَّعَ لَهَا: قَدْ أَعْدَدْتُ لَكَ
الْفَضْلَ بِنِ سَهْلٍ^(٢)، فَلَمَّا وَرَدَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ، وَبَلَغَ مَا بَلَغَ، دَفَعَتْ
الْجَارِيَةَ تَوْقِيعَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَى، وَأَمَرَ لَهَا بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ
وَقَالَ: إِذَا فَتِنِي مِنْكَ فَطَالِ عَيْنَا. قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ
الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ، أَصْبَرَ عَلَى الْجُلُوسِ، وَلَا أَقْوَى عَلَى كِتَابٍ، وَلَا أَنْزَعَهُ
نَفْسًا، وَلَا أَشَدُّ ارْتِفَاعًا عَنِ الدُّنْيَا، وَلَا أَطْلَبَ لَجَمِيلِ الذِّكْرِ، وَحَسَنَ الْأَحْدَوْتِ
مِنْهُ، مَا جَمَعَ مَالًا قَطُّ وَلَا ادَّخَرَهُ، وَكَانَ يَلْبَسُ مِنْ ثِيَابِ الْمَأْمُونِ، وَيَرْكَبُ مِنْ
دَوَابِهِ وَمَا وَجَدَ لَهُ يَوْمَ قَتْلِ شَيْءٍ.

وَكَانَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ فِي الْحَمَامِ، فَهَجَمَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ غِلْمَانِ
الْمَأْمُونِ^(٣)، فَقَتَلُوهُ فِيهِ (فَارْتَفَعَتِ الضُّجَّةُ وَرَكِبَ الْمَأْمُونُ إِلَى الْحَمَامِ)^(٤)
حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ الْحَمَامِ، فَأُخْرِجَ الْفَضْلُ فَنَزَلَ الْمَأْمُونُ فَوَقَّعَ عَلَيْهِ، وَقَبَّلَ
وَجْهَهُ وَهُوَّيَكِي وَمَشَى الْمَأْمُونُ مِنَ الْحَمَامِ إِلَى الدَّارِ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَيْهِ حَتَّى
غَسَلَ وَكَفَّنَهُ بِيَدَيْهِ وَحَنَظَهُ وَرَكِبَ حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ، وَغَلَبَتِ الْعَبْرَةُ حَتَّى ارْتَفَعَ
صَوْتُهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ طَلَبَ قَاتِلِيهِ فَقَتَلَهُمْ، ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى
الرَّضِيِّ^(٥) عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: لَقَدْ أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ بَعْدَ فَقْدِ ذِي الرِّيَاسَتَيْنِ^(٦)،

(١) تقدمت ترجمته ص ١٤٠.

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٦٢.

(٣) ذكر الطبري، ج ١١ ص ١٠٢٧: أن الذين قتلوا الفضل من حشم المأمون وهم أربعة
نفر، أحدهم غالب المسعودي الأسود وقسطنطين الرومي وفرج الديلمي وموفق
الصقلبي؛ الكامل في التاريخ، م ٥ ص ١٩٢؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٤٩.

(٤) ساقطة من (ج).

(٥) هو أبو الحسن علي بن موسى بن جعفر القرشي الهاشمي العلوي، الملقب بالرضي،
ولد سنة ١٥٣هـ، هم المأمون أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه فجعله ولي العهد من
بعده، توفي سنة ٢٠٣هـ بطوس وصلى عليه المأمون ودفن بجنب الرشيد. شذرات =

بمنزلة رجلٍ في فلاة، إن دهمهُ الليلُ خافَ مِنَ السَّباعِ، وإن وافاهُ نهارٌ خافَ
العدوَّ وهو ما بينَ ذلك مُعَدَّمٌ مِنَ الزَّادِ. وَجَعَلَ يبكي وأخَذَ يبيدُ عليَّ بنِ موسى
الرَّضى، وَدَخَلَ على أُمِّ الفضلِ^(١) يُعزِّيها فقال: أتجزعينَ يا أُمُّهُ وَقَدْ خَلَفَ
لِكَ ذُو الرِّياسَتينِ ابناً، فقالت: كيفَ لا أجزُعُ على من جعلكَ ابني^(٢).

= الذهب، ج ٢ ص ٦؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٧٣؛ البداية والنهاية، ج ١٠
ص ٢٥٠.

(٦) الرياستين: السيف والقلم.

(١) هي أم الفضل بن سهل وزير المأمون الملقب بذي الرياستين، فلما قتل الفضل عزاها
المأمون وكانت ذات فصاحة. وفيات الأعيان، م ٤ ص ٤٤.

(٢) وفيات الأعيان، م ٤ ص ٤٤؛ العقد الفريد، ج ٣ ص ٢٣١؛ زهر الآداب، ج ١
ص ٣٠٤.

وَمِنْ غَيْرِ الْكِتَابِ مِمَّا اسْتُحْسِنَ ذِكْرُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: ذُكِرَ أَنَّ الْمَأْمُونَ قَالَ
مَا أَسْكَنْتَنِي إِلَّا جَوَابَ ثَلَاثَةِ أَنْفُسٍ أَحَدُهَا جَوَابُ أُمِّ ذَاتِ الرِّياسَتَيْنِ لَهُ فِي قَتْلِ
وَلَدِهَا، وَالثَّانِي أَتَى إِلَيْهِ بِرَجُلٍ ادَّعَى النُّبُوَّةَ، فَأَمَرَ بِامْتِحَانِهِ فَسَأَلَهُ الْمَأْمُونَ مَنْ أَنْتَ
مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ مُوسَى فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونَ إِنَّ مُوسَى كَانَتْ لَهُ دَلَالٌ وَبِرَاهِيْنُ قَالَ
وَمَا تِلْكَ الدَّلَالُ وَالبِرَاهِيْنُ؟ قَالَ: ضَمُّ يَدِهِ إِلَى جَنْبِهِ فَأَخْرَجَهَا بِيضَاءَ، وَرَمَى بِعَصَاهُ
فَصَارَتْ حَيَّةً تَسْعَى، قَالَ نَعَمْ إِنَّ ذَاكَ لِيَفْرَعُونَ عِنْدَمَا قَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى، فَإِنْ شِئْتَ
فَقُلْ كَمَا ق/٦٢ قَالَ: حَتَّى أَظْهَرَ لَكَ تِلْكَ الْآيَاتِ فَسَكَتَ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَجَاءَ أَهْلُ
الْبَصْرَةِ، يَتَظَلَّمُونَ مِنْ وَالِدِ وَلَيْتِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ أَرِدْ نَزْعَهُ فَأَقَامُوا مُتَظَلِّمِينَ عَلَى بَابِي
سَنَةً، ثُمَّ أَمَرْتُهُمْ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ مِنْهُمْ نَفَرٌ يَفْهَمُونَ عَنِّي وَيُفْهَمُونَني، فَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى
كَثْرَتِهِمْ وَلَا سَوْءِ أَدْبِهِمْ فَقَالُوا لَسْنَا بِكَثِيرٍ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ مِنَّا شَيْخٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَصَمُّ
فِيصْبِرَ الْمَأْمُونَ عَلَى صَبِيحِهِ فَادْخَلُوهُ عَلَيَّ فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيَّ قُلْتُ تَكَلِّمْ، قَالَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْتَ عَلَيْنَا هَذَا الْوَالِي، فَأَوَّلُ سَنَةٍ أَخَذَ أَمْوَالَنَا، وَالثَّانِيهَ أَخَذَ ضِيَاعَنَا،
وَالثَّلَاثَةَ سَلَمْنَا أَنْفُسَنَا، فَقُلْتُ لَهُ كَذَبْتَ مَا عَلَى بَابِي أَخَذَ أَعْفَ مِنْهُ، وَلَا أَخِيرَ وَإِنَّهُ
لَبَعِيدٌ مِمَّا قُلْتُ. قَالَ صَدَقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَذَبَ الشَّيْخُ غَيْرُ أَنَّ هَذَا الرَّجُلُ إِذَا
لَمْ يَكُنْ فِي حَاشِيَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْفَ مِنْهُ، وَلَا أَخِيرَ فَمَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَخْتَصُّ بِهِ أَهْلُ

رَجَعْنَا إِلَى الْكِتَابِ قَالَ دَخَلَ أَبُو إِسْحَاقَ الْمُعْتَصِمُ^(١) عَلَى الْمَأْمُونِ فَقَالَ لَهُ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ^(٢) يَمِيلُ إِلَى وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، فَذَفَعَ الْمَأْمُونُ ذَلِكَ وَأَنْكَرَهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَذَسَّ الْمَأْمُونُ إِلَيْهِ رَجُلًا وَقَالَ لَهُ: امضِ إِلَى عَمَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ، إِلَى مَصْرَ عَلَى هَيْئَةٍ

البصرة، أكثر من ثلاث سنين، فينبغي له أن يُعَمَّرَ بِلَادَهُ فَلَمْ يَكُنْ لِي جَوَابٌ إِلَّا عَزْلُهُ^(*).

(١) هو أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي. ولد سنة ١٨٠هـ. وأمّه أم ولد من مولدات الكوفة، اسمها ماردة روى عن أبيه وأخيه المأمون وكان أمياً لا يحسن الكتابة، وسبب أميته ما ذكر أصحاب التواريخ أنه كان يتردد إلى الكتاب، مع غلام آخر فمات الغلام، فقال له أبو الرشيد ما فعل غلامك قال مات، واستراح من الكتاب، فقال الرشيد وقد بلغ منك كراهة الكتاب إلى أن تجعل الموت راحة منه والله يا بني لا تذهب بعد اليوم إلى الكتاب، فتركه فكان أمياً، وقيل بل كان يكتب كتابة ضعيفة، بويح له بالخلافة يوم وفاة المأمون، وكان من أعظم الخلفاء وأهيبهم، لولا ما شأن سؤدده بامتحان العلماء بخلق القرآن. يقال له الثمن لأنه ثامن الخلفاء من بني العباس والثامن من ولد العباس، وثامن أولاد الرشيد، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وفتح ثمان فتوح منها عمورية، وقتل ثمانية أعداء توفي سنة ٢٢٧هـ. بسر من رأى / البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٩٥ - ٢٩٦؛ تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٣ - ٣٣٧؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٥٠ - ٢٥١؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٦٣ - ٦٤؛ الفخري، ص ٢٢٩.

(٢) هو أبو العباس عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي. وكان عبدالله سيداً نبيلاً عالي الهمة شهيراً، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه، ولاه الدينور والشام ومصر توفي سنة ٢٣٠هـ. / وفیات الأعيان، م ٣ ص ٨٣ - ٨٨؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣٠٢؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٥٨؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٦٨.

(*) وواضح أن قول المأمون في إسكات الثلاثة له حتى لم يجد جواباً ليس من صلب كتاب تهذيب الرياسة وإنما هو زيادة من الناسخ أشار إليها كما وأن بقية النسخ المخطوطة لم تذكره ولم تعرض له.

النَّاسِكِ، فَادْعُ أَهْلَهَا إِلَى الْقَاسِمِ^(١) بْنِ إِبْرَاهِيمَ . سَبَاعِلِبَا الْعُلُوِّيِّ وَادْكُرْ مَنَاقِبَهُ وَعِلْمَهُ، ثُمَّ إِثْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ، فَادْعُهُ وَرَغْبُهُ وَابْحَثْ لِي عَنْ دَفِينِ نَيْتِهِ، بَحْثًا شَافِيًا وَجَنِّبِي بِمَا تَسْمَعُ مِنْهُ، فَأَتَى الرَّجُلُ مِصْرَ فَدَعَا جَمَاعَةً مِنَ الرُّؤَسَاءِ، وَقَعَدَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنْ مَرْكَبِهِ، قَامَ إِلَيْهِ فَأَخْرَجَ رُقْعَةً مِنْ كُمِّهِ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، وَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ: هَاتِ مَا عِنْدَكَ قَالَ بِأَمَانٍ مِنْكَ قَالَ نَعَمْ، فَأَظْهَرَ لَهُ مَا أَرَادَ وَدَعَاهُ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَخَبَّرَهُ بِفَضَائِلِهِ وَعِلْمِهِ وَزَهَادَتِهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ أَنْتَ صِفْنِي قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا يَجِبُ شُكْرُ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَهَلْ يَجِبُ شُكْرُ بَشَرٍ بِبَشَرٍ؟ عَلَى الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَتَجِيءُ إِلَيَّ وَأَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي تَرَاهَا، بِنَفْسٍ خَاتَمِي مِنْ أَقْصَى الشَّرْقِ إِلَى أَقْصَى الْغَرْبِ مَا أَلْتَفْتُ يَمِينِي وَلَا شِمَالِي، وَلَا قَدَّامِي وَلَا خَلْفِي، إِلَّا رَأَيْتُ مِنْهُ نِعْمَةً عَلَيْهِ وَنِعْمَةً عَلَيَّ خَتَمَ بِهَا رَقَبَتِي، فَتَدْعُونِي إِلَى الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ، وَتَقُولُ لِي أَغْدِرُ بِمَنْ وَلَاكَ هَذَا كُلُّهُ، وَاسْعَى فِي إِزَالَةِ مُلْكِهِ، فَسَكَتَ الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ قَدْ بَلَغْنِي خَبْرُكَ، وَبِاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكَ إِلَّا نَفْسَكَ، فَارْحَلْ عَنْ هَذِهِ الْبَلَدِ فَإِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنْ بَلَغَهُ أَمْرُكَ كُنْتَ الْجَانِي عَلَى نَفْسِكَ، فَارْحَلْ مِنْ وَقْتِهِ حَتَّى وَافِيَ الْمَأْمُونُ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِعَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ، فَاسْتَبَشَرَ بِهِ وَقَالَ ذَلِكَ غَرَسُ يَدِي وَنَشْوِ أَدْبِي، فَلَمْ يَظْهَرْ لِأَحَدٍ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ وَلَا عَلِمَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِ الْمَأْمُونِ^(٢).

(١) هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب. استتر في مصر في خلافة المأمون العباسي، ودعا إلى نفسه حين بلغه موت أخيه محمد، وبث دعاته وهو على حال استتاره، فبايعه خلق كثير فتشدد الخليفة في طلبه فعاد إلى الحجاز/ تاريخ الإسلام السياسي، ج ٢ ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢١٣؛ تاريخ الطبري، ج ١١ ص ١٠٩٤ - ١٠٩٥؛ بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، ص ٧٩ - ٨٠؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ٨٤ - ٨٥.

وقيل اجتاز عبد الله بن طاهر بالرقّة بمنزل العتابي^(١) فقال أليس هذا منزل كلثوم، قيل: بلى، فثنى رجله ودخل عليه، فالفاه جالساً في بيت كتبه فحادثه وذاكره ثم انصرف، وتحدث الناس في ذلك، فقالوا: إن الأمير لم يقصده، وإنما اجتاز به فأخطر بتلك الزيارة فكتب إليه:

يا مَنْ أَفَادَتْني زيارَتُهُ بَعْدَ الخمولِ نِباهَةَ الذِّكرِ
قالوا الزيارةَ خَطَرَةً عَرَضَتْ ويحارُّ بِرِّكَ لَيْسَ بِالخَطَرِ
فأَدْفَعْ مَقالَتَهُم بِشانيَّةٍ تَسْتَفِذُ المَجْهُودَ مِنْ شُكْري
لا تَجْعَلَنَّ الوِثَرَ واحِدةً إِنَّ الثَّلاثَ تَتِمُّهَ الوِثَرِ

فبعثه الأبيات إلى أن زار ثلاثاً^(٢).

وحدث صالح بن^(٣) علي وكان من وجوه الكتاب، قال: طالت بي العطلة، وبلغ بي ذلك أعظم الحاجة، فبكرت ق/٦٣ يوماً إلى أحمد بن أبي خالد، الوزير، لأعلمه بجليل أحوالي وأسأله لم شعني، فخرج من بابي وبين يديه قاصداً باب المأمون، فلما نظر إلي أنكر بكوري وعبس في وجهي وقال: في الدنيا أحد بكر هذا البكور ليشغلنا، قال: فقلت ليس العجب منك أصلحك الله فيما لقيتني به، إنما العجب مني إذا أسهرت ليلتي وأسهرت جميع أهلي، يرقبون الصبح حتى أصير إليك، في صلاح أحوالي بعد وقوع

(١) هو كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر المشهور. أصله من الشام من أرض قنسرين صاحب البرامكة وكان يتجنب غشيان السلطان قناعة وتزهداً غضب عليه الرشيد لأمر بلغه عنه، فهرب إلى اليمن فاحتال يحيى بن خالد حتى ترضى الرشيد عنه، صنف كتاب المنطق والآداب وكتاب فنون الحكم توفي في حدود ٢٢٠هـ/ وفيات الأعيان، م ٤ ص ١٢٢؛ فوات الوفيات، ج ٣ ص ٢١٩ - ٢٢١.

(٢) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٢١؛ الأغاني، ج ١٣ ص ١١٨.

(٣) صالح بن علي: لم أجد له ترجمة فيما لدي من المراجع.

الاختيار عليك فيما آملهُ عندكَ، ولكن عليّ وعليّ أن وقفت لك بباب (أو سألتك حاجة) ^(١)، إلى أن تصير إليّ مُعْتَذِراً مما لقيتني بِهِ، وانصرفت مغموماً مُفَكِّراً فِيهِ نادِماً على ما فَرَطَ مِنِّي من اليمين، آيساً مِنَ الفرج لاستبعاد مجيء الوزير إليّ واعتذاره مِنِّي، راجعاً على نفسي باللوم، فإني لكذلك إذ دَخَلَ عليّ بعضُ الغلمان، فقال إنَّ الوزيرَ أحمدَ بنَ أبي خالدٍ آخذاً في شارعنا ودخلَ آخرُ فقال إِنَّهُ دَخَلَ دَرَبَنَا، ودخلَ ثالثٌ فقال إِنَّهُ قَرَبَ مِن (دارنا) ^(٢) ثم دخل رابعٌ فقال: إِنَّهُ دَخَلَ دارنا، فخرجتُ مُسْتَقْبِلاً لَهُ فلما استقرَّ بِهِ المجلسُ قال لي، كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَمَرَنِي بِالْبُكُورِ إِلَيْهِ، فِي بعضِ مهماتِهِ فدخلتُ إِلَيْهِ وَقَدْ غَلَبَنِي الهَمُّ والغَمُّ بما فَرَطَ مِنِّي إِلَيْكَ، حتَّى أنكر حالي فقصصتُ عَلَيْهِ القِصَّةَ، فقال قد أسأت إلى الرَّجُلِ ولا عليك أن تعتذر إِلَيْهِ قلتُ فامضي إِلَيْهِ فارغَ اليَدِ، قال فتريدُ ماذا قلتُ تقضي دَيْنَهُ، قال وَكَمْ ذَلِكَ قلتُ مائةُ ألفِ درهمٍ فأمَرَنِي بالتَّوْقِيعِ لَكَ بِهَا، قلتُ فإذا قضى دَيْنَهُ فيرجعُ إِلَيَّ ماذا قال فَوَقَّعَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ أُخْرَى، يُصْلِحُ بِهَا حالَهُ. قلتُ فولايةٌ يُشْرِفُ بِهَا قَالَ لَهُ مِصْرُ أَوْ غَيْرُهَا مما يشبهُهَا، قلتُ فمَعُونَةٌ يستعينُ بِهَا على سَفَرِهِ، فأمرَ بَأَنْ يَوْقَّعَ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَهَذِهِ التَّوْقِيعَاتُ لَكَ بِكُلِّ ذَلِكَ فَنَثَرَهَا وانصرفتُ ^(٣).

وقال محمد بنُ عبَّادٍ المَهْلَبِيِّ ^(٤): دَخَلَ أَبِي على المأمونِ فوصلَهُ بِمِائَةِ

(١) في (ج-د) ولا سألتك حاجة.

(٢) في (ب-ج) بابنا.

(٣) الفرج بعد الشدة، ج ٣ ص ٢٣٠ - ٢٣١؛ أعتاب الكتاب، ص ١١٨ - ١١٩.

(٤) هو محمد بن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، كان يتولى الصلاة والإمامة بالبصرة، وقدم بغداد وحدث بها عن أبيه وعن صالح المري وعن هشيم بن بشير وروى عنه ابن القاسم وإبراهيم الحربي، وكان محمد سخياً كريماً توفي بالبصرة سنة ٢١٤هـ/ تاريخ بغداد، ج ٢ ص ٣٧١ - ٣٧٣.

ألف درهم، فلما قام من عنده تصدق بها، فأخبر المأمون بذلك فلما عاد إليه عاتبه في ذلك، فقال يا أمير المؤمنين منع الجود سوء ظن بالمعبود، فوصله بمائتي^(١) ألف درهم^(٢).

وأنهى إلى المعتصم^(٣) أن الحسن بن سهل^(٤) قد أضاف إلى ضياعه التي أقطعها، ضياعاً كثيراً خراجية، فتكرّم المعتصم أن يأمر بمناظرته دون سائر أصحاب الإقطاعات، فأمر بكشف الإقطاعات كلها، فدخل الحسن بن سهل لما بلغ إليه ذلك عن المعتصم، فقال يا أمير المؤمنين ما كانت لي ضياع ولا لبني من قبلي، ولكن هي نعمتكم التي أنعمتم بها علي وقد رددت جميعها، إلى أيدي عمال أمير المؤمنين، وما كان لي فيها ملكاً فأمر المؤمنين منه في حل، ولا أكون سبباً لهلاك (الناس)^(٥) وضررهم فاستحيا المعتصم وغض طرفه، وقال: لا أكشف إقطاعاتك ولا إقطاعات غيرك ولم يزل على بر وإكرام. وقال أحمد بن أبي داود^(٦) القاضي ما رأيت أجمع لفصيلة ولا أوصل لرحم، ولا أرق قلباً على ذي حاجة، وأصدق وأوفى بقول واكظم لغيط وأعفى عن مسيء، وأشد تفقداً للصاحب والمخادم،

(١) في (ب-ج) بمئة ألف.

(٢) الوزراء والكتاب، ص ٢١٥؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٧٨؛ نهاية الأرب، ج ٣ ص ٢٠٥.

(٣) تقدمت ترجمته، ص ٣٦٨.

(٤) تقدمت ترجمته، ص ٢٠٣.

(٥) في (ب) المسلمين.

(٦) أبو عبدالله أحمد بن أبي داود الأيادي القاضي، ولي قضاء القضاة للمعتصم ثم للوائح كان مولده بالبصرة سنة ١٦٠هـ وكان موصوفاً بالكرم ووزارة الأدب صاحب هياج بن العلاء السلمي فأخذ عنه الاعتزال وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن ثم ابتلى بالفالج نحواً من أربع سنين توفي سنة ٢٤٠هـ/ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٩٣؛ وفيات الأعيان، م ١ ص ٨١-٩١.

وأشجع قلباً وأحسن سياسةً من المعتصم، فأما صلته للرَّجَم، فكان إبراهيمُ ابن المهدي^(١) أعدى خلقِ الله له وأشدُّهم استخفافاً له في أيام المأمونِ وكان المأمونُ زوجَ المعتصمِ لُبابةَ بنتِ إبراهيمَ فمنحه وقال لا أرضاهُ لها فلما صارت إليه الخلافةُ برَّه وآثره وكان أحصى الناسِ عنده.

وقال المعتصمُ يا أبا عبد الله لقد كنتُ ألقى من جماعةٍ في أيام المأمونِ، كلُّ ما أكرهُ ويذكرونني له بأسوءِ الذِّكرِ، ويقولون في أقبحِ القولِ فظننتُ أني متى قدِرتُ عليهم، لم أبقِ على أحدٍ منهم، وكان أشدُّهم قصداً ق/٦٤ لمكروهي وعبي إبراهيم بن المهدي، وكان يذكُرني بالقُبْحِ إذا غبتُ ويتقصُّني إذا حضرتُ، ويحكِّي كلامي في مجلسِ المأمونِ، ويهجوني بأقبحِ الهجاءِ حتَّى هممتُ مرةً بعدَ أخرى، أن أفتك به في مجلسِ المأمونِ، فأَقَطُّهُ إرباً إرباً، فلما قدرتُ وصارَ إلى السلطان، ذهبَتِ الحفيظةُ من قلبي عليه وعلى أمثاله، ممَّن تقدمتُ إساءته فرأيتُ العفوَ عنهم أحسنَ من المكافأةِ وأنفعَ في الآخرةِ.

وقال إبراهيم بن المهدي (لما وليَّ المعتصمُ والله لقد ظننتُ)^(٢) أنه يأمرُ بضربِ عُنُقِي إذا وقعتْ عينُهُ عليَّ وَلَوْ أَمَكْنَنِي الهربُ مِنْهُ لهربتُ فما دخلتُ عليه يوماً إلا جدَّدَ لي بشراً وإكراماً ولا خرجتُ إلا بِصِلَةٍ وَخُلْعٍ وَحَمَلَانٍ.

وقال ابنُ أبي داوودَ وكانَ محمد بنُ قاسمٍ العلوي^(٣) خرَجَ عليه

(١) تقدمت ترجمته، ص ٢٠٣.

(٢) في (ب-ج-د) والله لظننت لما ولي المعتصم أنه يأمر.

(٣) هو محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب خرج على المعتصم بخراسان، ودعا إلى الرضى من آل محمد واجتمع عليه خلق كثير، وحصلت بينه وبين عبد الله بن طاهر معارك حتى انهزم محمد بن القاسم وهرب إلى كور خراسان، =

(بخراسان)^(١)، فحملهُ عبدُ اللَّهِ بنُ طاهرٍ في الحديدِ إلى حَضْرَةِ المعتصمِ، فاطَّلَعَ عليه يوماً مِنْ (مَشْرِفِهِ)^(٢)، فرآه وعليه جُبَّةٌ صُوفٍ وفي رِجْلِهِ الحديدُ، وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ فَرَقَّ لَهُ ودمعتُ عيناهُ، ثُمَّ قَالَ لي يا أبا عبدِ اللَّهِ هذا ابنُ عَمِّي وأدْنَى النَّاسِ رَجِمًا، وما يحتملُ قلبي أنْ أراهُ على هذِهِ الحالِ، ثُمَّ دَعَا بعضَ (الذي)^(٣) كَانَ قائمًا على رَأْسِهِ، فَقَالَ اذهبْ فَقُلْ لَهُ ما الذي دَعَاكَ إلى الخروجِ عَلَيَّ، ولم يَنْلِكَ مِنِّي سوءٌ قَطُّ، فَمَضَى الرسولُ فأبلغَهُ، فَقَالَ رَأَيْتُ جَوْرًا شديداً، لَمْ يَسْغِنِي فيما بيني وبينَ اللَّهِ إلا إنْكَارُهُ فَقَالَ المعتصمُ ارجعْ إليه فَقُلْ لَهُ هل هذا جَوْرٌ أَحْدَثْتُهُ (أنا)، أَمْ كَانَ شَيْئًا فَعَلَهُ سَلَفِي قَبْلِي، قَالَ بَلْ كَانَ فَعَلَهُ سَلَفُكَ قَبْلَكَ وَسَلَكْتُ سَبِيلَهُمْ، فَقَالَ ارجعْ وَقُلْ لَهُ أَيُّمَا أَفْضَلُ أَنْتَ أَمْ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ سَلَفِكَ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ بَلْ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ سَلَفِي، فَقَالَ قُلْ لَهُ يا هذا كَيْفَ وَسِعَ سَلَفُكَ مع فَضْلِهِمْ وسَابِقَتِهِمْ، أَنْ لَا يَخْرُجُوا على سَلَفِي، وَلَمْ يَسْعَكَ أَنْتَ إلا الخروجُ عَلَيَّ، فأبلغَهُ ذَلِكَ فَسَكَتَ وَلَمْ يُجِبْهُ. فَرَجَعَ الرسولُ فَعَرَّفَهُ ذَلِكَ. قَالَ لي يا أبا عبدِ اللَّهِ ما أَصْنَعُ بِهَذَا، أَخَافُ وَاللَّهِ إِنْ أَطْلَقْتُهُ معاوِدَةً مِثْلَ الذي كَانَ مِنْهُ، فَيَسْفُكَ دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَنَا (وبَيْنَهُ)^(٤)، قَالَ قلتُ: الحبسُ الذي يُوْمَنُ مَكْرُوهُهُ، قَالَ فَأَمَرَ بِفِكَ قِيودِهِ

= فظفر به متولي نسا وبعث به إلى عبدالله بن طاهر، فبعث به إلى المعتصم فحبسه فهرب من السجن ليلة عيد الفطر سنة ٢١٩هـ واختفى / البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٨٢؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٣٠؛ تاريخ الطبري، ج ١١ ص ١١٦٥.

(١) في (ب) من خراسان.

(٢) في (ج-د) من موضع مشرف.

(٣) في (ب-ج-د) من.

(٤) في (ب-د) بيننا وبينهم.

في الوقت، وأنزل عنه ثقل الحديد، ونقله إلى دارٍ ووسع عليه في مطعمه
ومشربه وملبسه^(١).

قال: وكنت يوماً عنده وقد امتلأ غيظاً فدعى بعمر بن فرج^(٢)
وهو يتناوله بالشتم، فلما جاءه قال يا ابن اللخناء، متى أمرتك بجعل
أصحاب أخبار عليّ الطالبين وتتبع أمرهم، قال يا أمير المؤمنين بلغني أن
رجلاً منهم كاتبه أهل خراسان وأرمينيا، فأردت أن أعرف وأتقن حقيقة ذلك
وأنيته إلى أمير المؤمنين، فقال وما الذي عليك منهم، فوالله لأغفرن
ذنوبهم، ولأصلن أرحامهم، ولأعفو عن مسيئهم ولأعطفن على كبيرهم
وصغيرهم، فإن أرادوني بسوء فالله بيني وبينهم.

قال: ودخلت إليه فقلت إن أهلك، وذوي رحيمك من آل أبي طالب
في ضمير شديد بالمدينة، وقد نالتهم مجاعة شديدة وسنة مجدبة، وتأخرت
أرزاقهم، فدعا ابن الزيات^(٣) وقال يا محمد حمل إليهم الساعة ولا تتوقف

(١) البداية النهاية، ج ١٠ ص ٢٨٢، وفيها خبر خروج محمد بن القاسم على المعتصم ثم
ظفر المعتصم به وأنه حبسه في مكان ضيق طوله ثلاثة أذرع في ذراعين فمكث فيه مدة
ثم حول لأوسع منه وأجرى عليه رزق ومن يخدمه/ تاريخ الطبري، ج ١١
ص ١١٦٥؛ الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(٢) هو عمر بن فرج الرخجي وجه المأمون إلى مصر مع خالد بن يزيد بن مزيد، على أن
يتولى أمر الخراج بعد فتح مصر، وجعله الوائق مكان إبراهيم بن رباح، بعد أن سخط
عليه حتى غلب على الوائق كما يقول يعقوبي ثم سخط عليه المتوكل وعلى أخيه محمد
فحبسه المتوكل ببغداد فأقام في الحبس سنتين/ تاريخ يعقوبي، م ٢ ص ٤٥٦ -
٤٥٧ - ٤٨١ - ٤٨٣ - ٤٨٥.

(٣) هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان المعروف بابن الزيات وزير المعتصم، كان جده
تاجراً يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد، وكان أديباً فاضلاً عارفاً بالنحو واللغة جواداً
ممدحاً، وزر للمعتصم والوائق والمتوكل قتله المتوكل سنة ٢٣٣هـ/ وفيات الأعيان، م ٥
ص ٩٤ - ١٠٣؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٧١ - ٢٧٢.

مائتي ألفٍ درهمٍ، واللهِ لإنَّ (أُخْرَتَ) ^(١) إلى غَدٍ، لأنْهَكَتَكَ عَقوبَةُ فَحْمِلٍ إليهم ذلكَ مِنْ وَقْتِهِ.

قَالَ: وَكُنْتُ عِنْدَهُ يَوْمًا فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَنْ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ فَقَالَ إِنِّي كُنْتُ بِالْأَمْسِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَيُوبَ ^(٢)، قَالَ فَمَا كَانَتْ حَالَتُكُمْ فَقَالَ أَطْعَمَنَا ثَلَاثَةَ أَلْوَانٍ لَيْسَ فِيهَا لَحْمٌ، فَقَالَ وَيْلَكَ: ذَلِكَ حُسْنُ الْمَرْوَةِ وَكَثِيرُ الطَّعَامِ قَالَ أَنْفَذَ إِلَى الْقَصَابِ رَقْعَةً يُعْطِيهِ وَظِيفَتِهِ مِنَ اللَّحْمِ وَلَا لَمْ يَأْكُلْ هُوَ وَلَا (أَوْلَادُهُ) ^(٣) لَحْمًا فَاطْرُقَ مُفَكِّرًا وَقَالَ بَلَغْتَ بِهِ الْحَالَ إِلَى هَذَا قُلْتُ نَعَمْ فَدَعَا بِإِيْتَاخٍ ^(٤) فَقَالَ احْمِلْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَيُوبَ مَائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ وَقُلْ لِلرَّسُولِ لَا يَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا إِذَا رَجَعَ مِنْ عِنْدِهِ فَاعطَ رَسُولَكَ (أَلْفِي) ^(٥) دِرْهَمٍ.

قَالَ: وَرَأَيْتُهُ وَقَدْ حَاصِرَ عَمُورِيَّةَ، وَأَنَّهُ لَوَاقِفٌ وَالْحَجَارَةُ تَأْتِي مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ حَتَّى يَنَالَهُ بَعْضُهَا وَهُوَ لَا يَزُولُ، فَقُلْتُ اللَّهُ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَشَدْتُكَ اللَّهُ لَمَا تَنْحَيْتَ، فَقَالَ وَاللَّهِ مَا مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِينِي فِيهِ الْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ، ق/ ٦٥ فَقُلْتُ إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُسْلِمِينَ بِرُوحِكَ مَعْلُوقَةٌ، فَإِنْ حَدَثَ حَدِيثٌ فَإِنَّهُمْ (مُضْبِعَةٌ) ^(٦) جَازِرٍ فَمَا التَفْتُ إِلَى قَوْلِي وَتَبَّتْ مَكَانَهُ.

(١) فِي (ب-د) تَأَخَّرَتْ.

(٢) هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَيُوبَ التِّيمِي مِنْ بَنِي اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ أَحَدِ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، لَهُ مَدَائِحُ فِي الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَسْتَحْسِنُ شِعْرَهُ وَيَقُولُ مَا أَشْبَهَ فُرُوعَ الْإِحْسَانِ بِأَصُولِهِ / تَارِيخُ بَغْدَادَ، ج ٩ ص ٤١١ - ٤١٣.

(٣) فِي (ب-د) عِيَالِهِ.

(٤) هُوَ أَحَدُ الْأَمْراءِ الْكِبَارِ، وَأَصْلُهُ غَلَامًا خَزَرْجِيًّا لِسُلَامِ الْأَبْرَشِ اشْتَرَاهُ الْمُعْتَصِمُ سَنَةَ ١٩٩ هـ وَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُ وَحَضَّ عَنْدَهُ، وَكَذَلِكَ عَامِلُهُ الْوَائِقُ وَدَعَى لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي عَهْدِ الْمُتَوَكِّلِ ثُمَّ سَخَطَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ نَائِبَهُ عَلَى بَغْدَادَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَحْتَالَ فِي قَتْلِهِ فَقَتَلَهُ سَنَةَ ٢٣٤ هـ / النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ، ج ٢ ص ٢٧٥؛ الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ، ج ١٠ ص ٣١٢؛ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ، ج ٢ ص ٨٠.

(٥) فِي (ب-ج-د) أَلْفٍ.

(٦) فِي (ب) فَإِنَّهُمْ كَضْجِيعَةٍ جَازِرٍ وَفِي (د) كَضْجِيعٍ جَازِرٍ.

وَقَالَ وَخَرَجْنَا فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ، فَكُنْتُ عَلَى جَمَلٍ فِي مَحْمَلٍ، وَكَانَ
يَجِيءُ عَلَى فَرَسِهِ حَتَّى يَصِيرَ تَحْتَ سَحْمَلِي وَيَحْدُثُنِي، فَأَقُولُ: انْزِلْ وَارْكَبْ
دَابَّةً وَأَكُونُ بَيْنَ يَدَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ، الْمَحْمَلُ أَبْرُ
بِكَ وَأَرْفُقُ.

وَصِرْنَا إِلَى مَخَاضَةٍ فَقَالَ لِلْجَمَالِ قِفْ ثُمَّ أَنَّهُ تَقَدَّمَ حَتَّى عَرَفَ مَقْدَارَ
الْمَاءِ وَجَعَلَ يَقُولُ لِلْجَمَالِ خُذْ كَذَا خُذْ كَذَا (بِلُطْفٍ وَرِفْقٍ) ^(١) حَتَّى عَبَرْتُ ^(٢).

وَقَالَ يَوْمًا وَنَحْنُ بَعْمُورِيَّةَ، مَا تَقُولُ فِي الْبَسْرِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، فَقُلْتُ نَحْنُ
بِبِلَادِ الرُّومِ وَالْبَسْرِ بِالْعِرَاقِ، فَقَالَ قَدْ جَاءَنَا عِدْقَانُ. فَقَالَ يَا أَيَّتُهَا هَاتِ أَحَدَ
الْعِدْقَيْنِ، فَجَابَهُ فَمَدَّ الْمَعْتَصِمُ يَدَهُ وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعِهِ، وَقَالَ بِحَيَاتِي عَلَيْكَ كُلُّ
مِنْ يَدِي فَقُلْتُ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ) ^(٣)، بَلْ تَضَعُهُ فَأَكُلُ مِنْهُ
كَمَا أُرِيدُ، قَالَ لَا وَاللَّهِ إِلَّا مِنْ يَدِي، قَالَ أَحْمَدُ. فَوَاللَّهِ (إِنْ زَالَ) ^(٤) حَاسِرًا
مَاذَا يَدُهُ وَأَنَا أَجْتَنِي، حَتَّى رَمَى بِهِ وَمَا بِهِ بِسَرَّةٍ وَاحِدَةٍ ^(٥).

قَالَ وَوَقَفَ يَوْمًا عَلَى السُّورِ بَعْمُورِيَّةَ، رَجُلٌ (فَصِيحٌ) ^(٦) بِالْعَرَبِيَّةِ فَجَعَلَ
يَشْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمَعْتَصِمِ وَعَلَى
الْمُسْلِمِينَ، وَحَاولُوا قَتْلَهُ وَرَامُوهُ بِكُلِّ مُرَامٍ، مِنَ النَّشَابِ وَالْعَرَادَاتِ ^(٧) وَغَيْرِهَا

(١) في (ج - د): برفق ولطف.

(٢) الطبري، ج ١٢ ص ١٣٢٥ - ١٣٢٦. تاريخ بغداد، ج ٣ ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٣) زيادة من (ب - د).

(٤) في (ب - ج - د): ما زال.

(٥) تاريخ الطبري، ج ١٢ ص ١٣٢٥. الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢٦٥. المصباح
المضيء في خلافة المستضيء، ج ١ ص ٥٠٨.

(٦) في (ب - د): يصيح.

(٧) العرادات بالتشديد شيء أصغر من المنجنيق وبالكسر الفيل والشجاع الصلب/
القاموس المحيط.

وَلَمْ يَلْحَقْهُ شَيْءٌ حَتَّى (رَمَى) ^(١) رَجُلٌ مِنَ النَّاشِئَةِ، فَأَصَابَ نَحْوَهُ فَوْقَ اللَّعِينِ مِنَ السُّورِ إِلَى خَارِجٍ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ وَسُرَّ الْمُعْتَصِمُ بِذَلِكَ سُوراً عَظِيماً، وَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَمَّنْ رَمَى هَذَا السَّهْمَ الْمُبَارَكَ، فَأُوتِنِي بِالرَّجُلِ فَأَدْخِلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ لَتُبْعَنِي ثَوَابُ هَذَا السَّهْمِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ الثَّوَابُ مِمَّا يُبَاغَى، قَالَ فَمَا زَالَ يَرْغُبُهُ حَتَّى بَلَغَ مَعَهُ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ مَا أَبِيعُهُ بِالدُّنْيَا بِأَسْرِهَا وَمَا فِيهَا، وَلَكِنِّي أَشْهَدُ اللَّهُ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ نِصْفَ ثَوَابِهِ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ قَدْ رَضِيتُ بِهَذَا أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءً لَكَ، وَأَمَرَ لِلرَّجُلِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقَبَضَهَا مِنْ سَاعَتِهِ. وَقِيلَ لَمَّا وَقَعَ الْحَرِيقُ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ بِبَغْدَادَ وَجَّهَ الْمُعْتَصِمُ ابْنَهُ هَارُونَ ^(٢) فَقَامَ بِأَمْرِهَا حَتَّى أَطْفِئَتْ، وَأَمَرَ بِكُتُبِ أَسْمَاءٍ مَنِ احْتَرَقَ لَهُ شَيْءٌ، وَمَبْلَغُ مَا ذَهَبَ لَهُمْ ثُمَّ أُعْطِيَ كُلًّا مِنْهُمْ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ فَبَلَغَ إِعْطَاؤُهُمْ عَشْرِينَ أَلْفِ دِينَارٍ وَخَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ^(٣).

وَقَالَ ابْنُ أَبِي دَاوُودَ الْقَاضِي مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عَرَضَ عَلَى الْمَوْتِ فَلَمْ يَكْتَرِثْ بِهِ وَلَا عَدَلَ بِهِ عَمَّا أَرَادَ، إِلَّا تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ الْخَارِجِيُّ ^(٤) وَكَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ، فَرَأَيْتُهُ وَقَدْ جِيءَ بِهِ أَسِيرًا، فَأُذْخِلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ مَرْكَبٍ، وَقَدْ جَلَسَ الْمُعْتَصِمُ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًا فَدَعَا بِالسَّيْفِ وَالنُّطْعِ ^(٥) فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، نَظَرَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِمُ فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهُ وَقُدَّةُ، وَمَشِيَّتُهُ إِلَى الْمَوْتِ غَيْرَ مَكْتَرِثٍ بِهِ فَأَطَالَ الْفَكْرَ فِيهِ ثُمَّ اسْتَنْطَقَهُ لِيَنْظُرَ أَيْنَ عَقْلُهُ وَلِسَانُهُ مِنْ

(١) في (ب - ج - د): حتى رماه.

(٢) هو الواثق ترد ترجمته عند الكلام على خلافته.

(٣) شذرات الذهب، ج ٢ ص ٥٦. وفيه أن الحريق وقع في الكرخ، سنة ٢٢٥هـ، فوهب

المعتصم للتجار خمسة آلاف ألف درهم. ومثله النجوم الزاهرة، حوادث سنة ٢٢٥هـ.

(٤) هو تميم بن جميل الذين خرجوا على المعتصم فظفر به فغفى عنه لحسن بيانه.

(٥) النطع: بساط من الأديم والجمع أنطاع / المصباح المنير، مختار الصحاح.

جمالِهِ، فقال يا تميمُ إنَّ كانَ لك عذرٌ فأْتِ بِهِ، فقال أَمَا إِذَا أَذِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلَامِ فَأَنِّي أَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَبَرَ اللَّهُ بِكَ صَدْعَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ بِكَ شَعَتْ الْأُمَّةُ، وَأَخَمَدَ بِكَ شَهَابَ الْبَاطِلِ، وَأَنَارَ بِكَ سَبِيلَ الْحَقِّ، إِنَّ الذُّنُوبَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ وَتَصَدِّعُ الْأَفْئِدَةَ، وَأَيُّمُ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الْجَرِيرَةُ، وَانْقَطَعَتِ الْحُجَّةُ وَسَاءَ الظَّنُّ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَفْوُكَ أَوْ انتِقَامُكَ، وَأَنْتَ إِلَى الْعَفْوِ أَقْرَبُ، وَهُوَ بِكَ أَشْبَهُ وَالْيَقِينُ ثُمَّ أُنْشَدَ:

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالنَّطْعِ كَأَمْنًا	يَلَا حِظَّنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتَلَفْتُ
وَأَكْثَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي	وَأَيُّ أَمْرِيَّ عَمَّا قَضَى اللَّهُ يُفْلَتُ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ	وَسَيْفُ الْمَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتٌ ق/٦٦
يَعِزُّ عَلَى الْأَوْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مَوْفِي	يَسِلُّ عَلَيَّ السَّيْفُ فِيهِ وَأَسْكُتُ
وَمَا حَزَنِي (١) مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي	لَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُؤَقَّتٌ
وَلَكِنْ خَلَفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكْتَهُمْ	وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ خَسْرَةٍ تَتَفَتَّتُ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنْعَى إِلَيْهِمْ	وَقَدْ لَطَمُوا تِلْكَ الْخُدُودَ وَصَوَّتُوا
فَإِنْ عَشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِغُبْطَةٍ	أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مَتَّ مَوْتُوا
وَكَمْ قَائِلٍ لَا يُعِيدُ اللَّهُ دَارَهُ	وَأَخْرَ فَرَحَانُ يُسْرُ وَيَشْمَتُ
قَالَ: فَبَكَى الْمَعْتَصِمُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا (٢) كَمَا قَالَ رَسُولُ	

(١) فِي (ج - د): جَزَعِي.

(٢) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ، ج ٨ ص ٤٢. مُسْنَدُ أَحْمَد، م ٥ ص ١٢٥. سَنَنِ ابْنِ مَاجَه، ج ٢ ص ١٢٣٥. سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ، ج ٤ ص ٣٠٢. وَهَذَا الْحَدِيثُ قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَفَدَ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْأَثَمِ وَالزُّبَيْرُ بْنُ بَدْرِ وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْحَدِيثِ هَلْ هُوَ مَدْحٌ أَمْ ذَمٌّ، فَقَالَ الْبَعْضُ ذَمٌّ لِأَنَّ السِّحْرَ تَمْوِيهِ، فَقَالَ إِنْ مِنَ الْبَيَانِ مَا يَمُوهُ الْبَاطِلُ حَتَّى يَشْتَبِهَ بِالْحَقِّ، وَقَالَ آخَرُونَ مَدْحٌ لِأَنَّ الْبَيَانَ مِنَ الْفَهْمِ وَالذِّكَاءِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مَدْحٌ وَتَسْمِيَتُهُ سِحْرًا عَلَى جِهَةِ التَّعْجَبِ مِنْهُ. عَوْنُ الْمَعْبُودِ، شَرْحُ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ، ج ١٣ ص ٣٥٢ - ٣٥٣.

اللّٰهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ يَا تَمِيمُ كَادَ وَاللّٰهُ يَسْبِقُ السِّيفُ الْعِذْلُ، وَقَدْ وَهَبْتُكَ لِلّٰهِ تَعَالَى وَلِلصَّبِيَّةِ، وَعَفَوْتُ عَنْ زَلَّتِكَ. وَعَقَّدَ لَهُ وَلَايَةً عَلَى عَمَلِهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ^(١).

قِيلَ: وَكَانَ الْأَفْشِينُ^(٢) مَغْضَباً عَلَى أَبِي دُلْفِ الْعَجَلِيِّ^(٣)، وَحَاسِداً لَهُ عَلَى فَضْلِهِ فَحَمَلَ نَفْسَهُ يَوْماً عَلَى قَتْلِهِ، فَاسْتَدْعَاهُ بِاسْتِحْثَاتٍ وَإِزْعَاجٍ. وَكَانَ صَدِيقاً لِلْقَاضِي أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَاوُدَ^(٤)، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَنْ أَدْرِكْنِي، فَمِنْ أَمْرِي كَيْتَ وَكَيْتَ فَرَكِبَ مُسْرِعاً وَاسْتَحْضَرَ مِنْ حَضْرَةِ مِنَ الشُّهُودِ، فَلَمَّا وَرَدَ بَابَ الْأَفْشِينِ قَالَ لَهُ الْغُلَمَانُ نَسْتَأْذِنُ لَكَ، فَقَالَ الْأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ، وَنَزَلَ وَدَخَلَ عَلَى الْأَفْشِينِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِهِ، وَقَدْ أَقِيمَ أَبُو دُلْفٍ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الصُّحْنِ، فَلَمَّا رَأَى الْأَفْشِينُ الْقَاضِيَّ قَدْ دَخَلَ بِلا إِذْنٍ بِهِتَ فَقَالَ: «إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ»^(٥) أَنْ لَا تَحْدُثَ فِي أَمْرِ الْقَاسِمِ حَدَثاً، إِلَّا

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١١٧ - ١١٩. زهر الآداب، ج ٢ ص ٧٨٤ - ٧٨٥. الفرج بعد الشدة، ج ٤ ص ٨٩. نهاية الأرب، ج ٦ ص ٦١ - ٦٣. فوات الوفيات، ج ٣ ص ٢٣١ - ٢٣٢. ونسبها الكتبي للملك بن طوق التغلبي، صاحب الرحبة، والصحيح نسبتها إلى تميم بن جميل الخارجي.

(٢) هو حيدر بن كاوس، من أولاد ملوك الأكاسرة. والأفشين لقب لمن ملك مدينة أشرو سنة، كان من قادة جيوش المعتصم، ثم غضب عليه واتهمه بالبقاء على دين أجداده الفرس، وأنه يسعى لإقامة المجوسية ويكتب بذلك المازيار، فسجنه وضيق عليه حتى مات أوخنق، ثم صلب إلى جانب بابك الخرمي سنة ٢٢٦هـ. شذرات الذهب، ج ٢ ص ٥٨. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٣) هو أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي. أحد قادة المأمون والمعتصم، وكان كريماً مقداماً ذا وقائع مشهورة وصنائع مأثورة، صنف كتاب سياسة الملوك، وكتاب السلاح، وكتاب البزاة والصيد، وإليه ينسب الأمير أبو نصر بن ماکولا، صاحب كتاب الاكمال. توفي سنة ٢٢٦هـ. وفيات الأعيان، م ٤ ص ٧٣ - ٧٩.

(٤) تقدمت ترجمته، ص ٣٧٢.

(٥) في (ب - ج - د): فقال أيها الأمير أنا رسول أمير المؤمنين إليك.

بإذنيه ثم التفت إلى الشهود، فقال: اشهدوا أنني قد بلغت رسالة أمير المؤمنين، ثم خرج فأتى باب المعتصم مُسرِعاً، فاستأذن عليه فأذن له، فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين قد كذبت عليك واحدة، ثم أرجو بها الجنة، وَلَكَ الفخر، قال: وما هي، قال: كان من الأمر كيت وكيت، فضحك المعتصم وقال: أحسنت أحسن الله إليك، ثم لم يلبث أن جاء الأفسين مستأذناً فأذن له، (فلما استقر مجلسه)^(١) قال: يا أمير المؤمنين جاءني رسالة منك مع قاضي القضاة في معنى أبي دلف، فما تأمرني في شأنه، قال: نعم أنا أرسلت إليك فيه فاحذر أن تتعرض له إلا بالخير، فأفلت من يده بذلك^(٢).

وروي أن بعض العمال رفع على خالد بن يزيد بن مزيد^(٣)، أنه اقتطع أموالاً (واحتجز بعضها)^(٤) فغضب المعتصم وحلف ليأخذ أموال خالد وليعاقبه، فلجأ خالد إلى القاضي أحمد بن أبي داود فاحتال أحمد حتى جمع بينه وبين خصمه الذي رفع عليه، فلم تقم على خالد حجة، فعرف ابن أبي داود المعتصم بذلك، (وتشفع)^(٥) إليه في خالد، فلم يشفع فأحضر خالد وأحضرت آلات العقوبة، وقد كان قبل ذلك قبض على أمواله وضياعه وصرفه عن العمل، فحضر ابن أبي داود المجلس فجلس دون مجلسه

(١) في (ب): فلما استقر في المجلس.

(٢) الأذكياء، ص ٦٩. وفيات الأعوان، م ١ ص ٨٢. المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٤٨ - ١٤٩. الفرج بعد الشدة، ج ٢ ص ٦٦.

(٣) هو خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني. كان أبوه من الأمراء المشهورين، وكان خالد ممدوح أبي تمام الطائي، وله فيه أحسن المدائح، تولى الموصل من جهة المأمون، ثم تولى الجيش الذي أرسله الواثق إلى أرمينيا. فاعتل في الطريق ومات في سنة ٢٣٠هـ ودفن بمدينة ديبيل أرمينيا. وفيات الأعيان، م ٦ ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(٤) في (ب): واحتجزها، وفي (د): واحتجن بها.

(٥) في (د): وتشفع إليه.

الذي كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ الْمُعْتَصِمُ ارْتَفِعْ إِلَى مَكَانِكَ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا اسْتَحَقُّ إِلَّا دُونَ هَذَا الْمَجْلِسِ، قَالَ وَكَيْفَ قَالَ (النَّاسُ) (١) يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ مَحَلِّيَّ مَحَلٍّ مَنْ يَشْفَعُ فِي رَجُلٍ قَدْ ذَفَّ لَيْسَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، وَلَمْ يَصَحَّ عَلَيْهِ فَلَمْ يُشَفَّعْ. قَالَ: فارتفع إلى موضعك قَالَ: مُشَفَّعاً أَوْ غَيْرَ مُشَفَّعٍ، قَالَ: بَلْ مُشَفَّعاً قَدْ وَهَبْتُ لَكَ خَالِداً وَرَضِيْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ بِهَذَا، قَالَ قَدْ وَهَبْتُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا قُبِضَ عَلَيْهِ مِنْ ضِيَاعِهِ وَأَمْوَالِهِ، قَالَ فَمَنْ لَهُ بِفَيْكِ قِيُودِهِ وَالْخَلْعِ عَلَيْهِ فَفَعَلَ ذَلِكَ، قَالَ قَدْ اسْتَحَقُّ هُوَ وَأَصْحَابُهُ رِزْقَ سَنَةٍ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْعَلَهَا صِلَةً لَهُ لِيُحْمَلَ مَعَهُ فَفَعَلَ ذَلِكَ. ثُمَّ خَرَجَ خَالِدٌ وَعَلَيْهِ الْخَلْعُ وَالْمَالُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الْإِيقَاعَ (بِهِ) (٢)، فَلَمَّا رَأَوْهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ سُرُّوا بِذَلِكَ، وَصَاحَ بِهِ رَجُلٌ نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى خِلَاصِكَ يَا سَيِّدَ الْعَرَبِ، فَقَالَ مَهْ سَيِّدُ الْعَرَبِ وَاللَّهِ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَاوُدَ الَّذِي طَوَّقَنِي ق/ ٦٧ هَذِهِ الْمَكْرَمَةُ (٣).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّدِيمُ (٤) لَقَدْ رَأَيْتُ الْمَلُوكَ فِي مَقَاصِيرِهَا وَمَجَامِعِهَا، وَمَا رَأَيْتُ أَغْزَرَ أَدْبَاباً مِنَ الْوَائِقِ (٥)، خَرَجَ إِلَيْنَا ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ يَقُولُ

(١) ساقطة من (ب - ج - د).

(٢) زيادة من (ج - د).

(٣) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٥٩ - ١٦٠. الفرج بعد الشدة، ج ٢ ص ٦٠ - ٦١.

(٤) أبو عبد الله النديم هو حمدون بن اسماعيل بن داوود النديم. قدم دمشق في صحبة المتوكل، وكان نديماً له سنة ٢٤٣هـ، توفي بسر من رأى سنة ٢٥٤هـ. تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج ٤ ص ٤٣٥ - ٤٣٦.

(٥) هو أبو جعفر هارون بن المعتصم. ولد سنة ١٩٠هـ، وأمه أم ولد يقال لها قراطيس، وبيع له الخلافة بعهد من أبيه سنة ٢٢٧هـ، وكان كاتبه محمد بن عبد الملك الزيات، وحاجبه ايتاخ. وكان يقال له المأمون الصغير لشبه أحواله كلها بأحواله، دخل في القول بخلق القرآن وامتنح الناس، وقوى عزمه على ذلك ابن أبي داوود القاضي. ويقال أن الواثق رجع قبل موته عن القول بخلق القرآن، توفي سنة ٢٣٣هـ. فوات الوفيات، =

(لَعْمَرِي) ^(١) لَقَدْ عَرَّضَ عَرَّضَهُ مَنْ عَرَّضَهُ لِقَوْلِ الْخُرَاعِي :

خَلِيلِي مَاذَا أُرْتَجِي مِنْ غَدِ امْرِي طوى الكشح عني اليوم وهو مكين
وإن امرءاً قد ضنَّ يوماً بمنطقي يسدُّ به فقرَ امرِي لضنين ^(٢)
فانبرى أحمد بن أبي داود كأنما أنشط من عقال يسأله في رجلٍ من
أهل اليمامة فأشهب في الشفاعة وأطنب وذهب في القول كل مذهب.

فقال له الواثق يا أبا عبد الله لقد أكثرت في غير كثير وأطنبت فقال
يا أمير المؤمنين إنه صديقي وأنشد:

وأهون ما يعطي الصديق صديقه من الهين الموجود أن يتكلما
قال الواثق ما قدر هذا اليمامي أن يكون صديقك، وإنما أحسبه أن
يكون من بعض خولك، فقال يا أمير المؤمنين إنه قد (اشتهر) ^(٣) بالاستشفاع
بي عندك وجعلني بمرأى ومسمع من الرد والإسعاف، فإن لم أقم له هذا
المقام، كنت كما قال أمير المؤمنين:

وإن امرئ قد ضنَّ يوماً بمنطقي يسدُّ به فقرَ امرِي لضنين
فقال الواثق لمحمد بن عبد الملك الزيات، بالله يا محمد ألا عجلت
لابي عبد الله حاجته، ليسلم من هجنة المظل، كما سلم من هجنة
الرد ^(٤).

= ج ٤ ص ٢٢٨ - ٢٣٢. الفخري، ص ٢٣٦. خلاصة الذهب المسبوك، ص ٢٢٣.
شذرات الذهب، ج ٢ ص ٧٥. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٣. تاريخ
الخلفاء، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

(١) زيادة من (ب - ج - د).

(٢) الأغاني، م ٩ ج ١٨ ص ٣٠.

(٣) في (ج): شهر، وفي (د): شهد.

(٤) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٢٠١ - ٢٠٢. زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٩٦.

- ٦٩٧.

وقال أحمد بن إسرائيل^(١) فرَّق الواثق في الصدقة ووجوه البرِّ على المساكين والفقراء واليتامى الذين أقيمت لهم الكفایات للتعليم، (خمسة ألف ألف) دينار^(٢) وفرَّق على التجار الذين ذهب أموالهم في الحريق في زمانه سنة إحدى وثلاثين ومائتين خمسمائة ألف ألف دينار^(٣). وكان عمر بن فرج^(٤) يقول: أمر الواثق بحمل الأرزاق لآل أبي طالب إلى المدينة وكان يصل إليهم في سنة مائتا ألف دينار فكان مبلغ ما حمل إليهم ألف ألف دينار^(٥). ونظر عمر بن فرج فيما تصدَّق به الواثق في عِلَّتِهِ التي توفي فيها، فكان ثلاثة ألف ألف دينار، فأنهى ذلك (إليه)^(٦) فاستقله. وكان الواثق قد أمر أن تُبنى حضائر فيها بيوت، يُجمع فيها المساكين فيجري لهم الطعام والكسوة، ويمنعوا من السؤال في الطرق والأسواق والأبواب ببغداد ويسرَّ مَنْ رأى، وأمر بكتاتيب للصبيان الأيتام والمساكين فيتعلمون القرآن. وقال ابن أبي داود: لقد فرَّق الواثق من الأموال، ما خِفْتُ أن يُخلى بيوت الأموال،

(١) أبو جعفر أحمد بن إسرائيل الأنباري. أحد الكتاب الحذاق الأذكياء، تولى الوزارة للمعز، وكان يحفظ وجوه المال دخلاً وخرجاً على ذهنه، وثب عليه الأتراك واستصفوا أمواله، فشفع فيه المعز وأمه إلى متقدم الأتراك، فلم يلتفت إليهم وضربه في أيام المهتدي، حتى مات سنة ٢٥٥هـ. الفخري، ص ٢٤٤ - ٢٤٥. شذرات الذهب. ج ٢ ص ١٣١.

(٢) في (د): خمسة آلاف دينار.

(٣) زيادة من (ب - ج - د).

(٤) تقدمت ترجمته، ص ٣٧٥.

(٥) تاريخ بغداد، ج ١٤ ص ١٩. المختصر في أخبار البشر، ج ٢ ص ٣٦. وفيه وكان الواثق يبالغ في إكرام العلويين والإحسان إليهم وفرق في الحرمين أموالاً عظيمة، حتى لم يبق بالحرمين في أيام الواثق سائل. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣١٠. تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٢. وفيه عن يحيى بن أكثم ما أحسن أحد إلى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثق ما مات وفيهم فقير.

(٦) زيادة من (ب - ج - د).

فَلَا يُوْجَدُ فِيْهَا شَيْءٌ إِنْ جَرَى أَمْرٌ أَوْ حَدَثَ حَادِثٌ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ تَفْرِقَةِ الْمُعْتَصِمِ الْأَمْوَالِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ الْوَائِقَ وَمَا فَعَلَ أَنْسَانِي فِعْلَ الْمُعْتَصِمِ. قَالَ وَكُنْتُ لَا أَذْكُرُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ وَأَبْوَابِ الْبِرِّ، وَمَا فِيهِ ثَوَابٌ وَقَرَبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا سِرُّهُ ذَلِكَ، وَشَكَرْنِي عَلَيْهِ وَجَزَانِي خَيْرًا، وَحَضَّنِي عَلَى أَنْ أَذْكُرَهُ بِهِ.

وَكَانَ يَجْلِسُ لِلْمُظَالِمِ فَيَكُونُ غَايَتُهُ انْصَافَ النَّاسِ، وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ وَدَفْعَ (الظُّلْمِ) ^(١) عَنْهُمْ وَرَدَّ حُقُوقَهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا حَمَدَ اللَّهَ عَلَى مَا وَفَّقَهُ وَأَجْرَى عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِنْصَافِ. وَكَانَ ابْنُ الزُّيَّاتِ رُبَّمَا تَكَلَّمَ عِنْدَ تَظَلُّمِ الْمُتَظَلِّمِينَ بِمَا يَرِيدُ أَنْ يُدَافِعَهُمْ بِهِ الْوَائِقُ النَّصِيحَةَ وَالْإِشْفَاقَ فَيَنْتَهَرُهُ وَيُؤَنِّبُهُ وَيَحَذِّرُهُ الظُّلْمَ.

وَنَالَ النَّاسَ بِالْعِرَاقِ غَلَاءٌ شَدِيدٌ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ حَتَّى بَلَغَ الْكُرُّ ^(٢) الدَّقِيقَ مِائَةَ دِينَارٍ، فَجَهَدَ النَّاسُ فَأَمَرَ الْوَائِقُ بِتَفْرِقَةِ الْأَمْوَالِ بِبَغْدَادَ وَالْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ فَكَانَ ذَلِكَ سِتْمَاةً أَلْفَ دِينَارٍ ^(٣). وَبَلَغَ إِلَيْهِ أَنَّ الْعُمَّالَ يَأْخُذُونَ مِنَ السُّفُنِ، الَّتِي تَرْدُ مِنَ الْهِنْدِ وَالصِّينِ الْعُشْرَ، فَقَالَ هَؤُلَاءِ تَجَارٌ مُسْلِمُونَ، يَغْدُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَيَرْكَبُونَ الْبَحْرَ فَيَطُولُ مَكْنُتُهُمْ فِيهِ، فَأَمَرَ بِإِسْقَاطِ الْعُشْرِ عَنْهُمْ ^(٤). قِيلَ وَكَانَ يُصَلِّي فِي دَارِهِ الصَّلَوَاتِ كُلَّهَا

(١) فِي (ج): الْمَظَالِمُ.

(٢) الْكُرُّ: مِكْيَالٌ بَابِلِي الْأَصْلُ يَسَاوِي مِنَ الْقَمْحِ الْآنَ ٢٩٢٥ كِغَمَ، الْمَكَايِيلُ وَالْأَوْزَانُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَمَا يَعَادِلُهَا فِي النِّظَامِ الْمُتَرَى، ص ٢٦٧.

(٣) تَارِيخُ الْيَعْقُوبِيِّ، م ٢ ص ٤٨٣. وَفِيهِ فَرْقُ الْوَائِقِ أَمْوَالًا جَمَّةً بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَسَائِرِ الْبُلْدَانِ عَلَى الْهَاشِمِيِّينَ وَسَائِرِ قُرَيْشٍ وَالنَّاسِ كَافَّةً، وَقَسَمَ فِي أَهْلِ بَغْدَادِ قَسَمًا كَثِيرَةً مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى عَلَى أَهْلِ الْبَيْوَتَاتِ وَعَلَى عَامَةِ النَّاسِ.

(٤) تَارِيخُ الْيَعْقُوبِيِّ، م ٢ ص ٤٨٣. تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ، ج ١٢ ص ١٣٦٣. الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ، م ٥ ص ٢٧٩. وَذَكَرَ فِيهَا أَيَّ سَنَةِ ٢٣٢ هـ، أَمْرَ الْوَائِقِ بِتَرْكِ أَعْشَارِ سَفْنِ الْبَحْرِ وَهُوَ نَصِ الطَّبْرِيِّ.

جماعة، يُؤوِّذُ المؤذُنُ فيقومُ فيركعُ ثُمَّ يتقدَّمُ فيُصَلِّي، وَيُصَلِّي خَلْفَهُ مَنْ حَضَرَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَقَوَادِهِ وَغُلَمَائِهِ ق/٦٨، وَكَانَ يركُبُ إِلَى الْجَامِعِ فيخطُبُ وَيُصَلِّي وَكَانَ كَثِيراً مَا يخطُبُ بخطبةِ المأمونِ المشهورةِ التي تقدَّم ذكرُها في هذا الكتابِ. وَلَمَّا اعتُلَّ علتهُ التي ماتَ بِهَا، اجتمعَ القوَّادُ إِلَى ابنِ أَبِي دَاوودَ فَقَالُوا كُلَّمَهُ، يَعْقِدُ الْعَهْدَ لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ، فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ فَأَعْرَضَ عَنْهُ بِوَجْهِهِ فَكَلَّمَهُ ثَانِيَةً، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمَا كَفَانِي أَنِّي تَقَلَّدْتُ الْأَمْرَ (فِي حَيَاتِي) ^(١) حَتَّى أَتَقَلَّدَ تَبِعَتَهُ وَأَثَمَهُ بَعْدَ وَفَاتِي، إِنْ عَمِلَ مَنْ أَعَاهَدُ إِلَيْهِ صَالِحاً، كَانَ لَهُ ثَوَابُهُ، وَإِنْ عَمِلَ سَيِّئاً كَانَ عَلَيَّ وَزْرُهُ، إِذْ صِيرْتُ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ، وَمِنْ أَيْنَ أَجِدُ رَجُلًا أَرْضَى دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ وَفَضْلَهُ، وَجَمَعَ الْقَوَّادُ فَقَالَ لَهُمْ: عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَحْسِنُوا الْاخْتِيَارَ لِأَنْفُسِكُمْ بَعْدِي وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ^(٢).

وَلَمَّا أَزْمَعَ الْمُتَوَكِّلُ ^(٣) عَلَى الرَّحِيلِ إِلَى دِمَشْقَ أَمَرَ ابْنَهُ

(١) فِي (ب - ج): حَيًّا، وَالْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ (د).

(٢) تَارِيخُ الْبَيْهَقِيِّ، م ٢ ص ٤٨٣. وَفِيهِ قِيلَ لَهُ فِي الْبَيْعَةِ لِابْنِهِ فَقَالَ لَا يَرَانِي اللَّهُ أَتَقَلَّدُهَا حَيًّا وَمَيِّتًا.

(٣) هُوَ أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ الرَّشِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُهَدِيِّ بْنِ مَنْصُورِ الْعَبَّاسِيِّ. وَلَدَ بِفَمِ الصَّلْحِ سَنَةَ ٢٠٧هـ وَأُمُّهُ أُمٌ وَلَدَ تَسْمَى شَجَاعَ كَانَتْ مِنْ سُرُورَاتِ النِّسَاءِ، كَثِيرَةٌ الصَّدَقَاتِ وَالْمَعْرُوفِ، وَكَانَتْ تَخْرُجُ فِي السَّرِّ عَلَى يَدِ كَاتِبِهَا أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ كَمَا ذَكَرَ الْأَثَابَكِيُّ فِي النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ. بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ هَارُونَ الْوَاتِقِ سَنَةَ ٢٣٢هـ فَأَظْهَرَ الْمِيلَ إِلَى السُّنَّةِ، وَنَصَرَ أَهْلَهَا وَرَفَعَ الْمَحَنَةَ وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَفَاقِ، وَاسْتَقْدَمَ الْمُحَدِّثِينَ إِلَى سَامَرَاءَ، وَأَجْزَلَ عَطَايَاهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ، وَكَثُرَ دَعَاؤُ الْخَلْقِ لِلْمُتَوَكِّلِ وَبِالْغَوَا فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالتَّعْظِيمِ لَهُ، حَتَّى قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَاضِي الْبَصْرَةِ الْخُلَفَاءُ الثَّلَاثَةُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَاتَلَ أَهْلَ الرَّدَةِ حَتَّى اسْتَجَابُوا، وَعَمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَدَ مَظَالِمَ بَنِي أُمِيَّةَ، وَالْمُتَوَكِّلُ مَحَا الْبِدْعَ وَأَظْهَرَ السُّنَّةَ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَّارِبِ أَنِّي جَعَلْتُ دَعَائِي فِي الْمَشَاهِدِ كُلِّهَا، لِلْمُتَوَكِّلِ وَذَلِكَ أَنَّ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَاءَ اللَّهُ بِهِ لِرَدِّ الْمَظَالِمِ، وَجَاءَ الْمُتَوَكِّلُ لِرَدِّ الدِّينِ. كَانَ جَوَاداً مَدْحاً حَتَّى قِيلَ =

محمَّد^(١) المنتصر (المهلبِي يَزِيد)^(٢) فقالَ بيَتيْنِ على لسانِه، ودَفَعَهُمَا إلى مَنْ يُحْسِنُهُمَا وغَنَى بِهِمَا المتوكِّلُ وهما:

إلى اللَّهِ أشكو عَبرةً نَتَخِيرُ وَلَوْ قَدْ حَذَى الحادي بِطَلَبٍ يَحْذُرُ
فَوَا حَسْرَتَنَا أَنْ كُنْتُ فِي سِرٍّ مَنْ رَأَى مَقِيماً فِي الشَّامِ الخليفةُ جَعْفَرُ
فَأُعْجِبَ بِهِمَا المتوكِّلُ وارتاحَ وَبَكَى ثُمَّ قَالَ مَنْ يَقُولُ هَذَا فَقِيلَ قَالَهُ
محمَّدُ المنتصرُ فَقَالَ هُوَ عَلَى لسانِه: لَكِنْ مَنْ قَائِلُهُ قَالُوا: يَزِيدُ المهلبِي فَقَالَ
ادْعُوهُ فواللَّهِ لِأُضْحِكُنَّهُ كَمَا أَبْكَانِي فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفِ
دِرْهَمٍ^(٣).

= ما أعطى خليفة ما أعطى المتوكِّل، لولا نصب ظاهر كان فيه وانحراف عن آل البيت، بايع بولاية العهد لولده المنتصر، ثم أراد عزله وتولية أخيه المعتز لمحبة أمه، وكان يتهدد ولده ويشتمه لأنه سأله النزول عن ولاية العهد فأبى، واتفق أن الترك انصرفوا عن المتوكِّل لأنه صادر أموال وصيف ويغى، فاتفقوا مع المنتصر على قتل أبيه فدخلوا عليه فقتلوه ووزيره الفتح بن خاقان سنة ٢٤٧هـ فكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وأيام/ تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٦ - ٣٥٤؛ وفيات الأعيان، م ١ ص ٣٥٠ - ٣٥٦؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٢٤؛ فوات الوفيات، ج ١ ص ٢٩٠ - ٢٩٢؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١١٤ - ١١٥؛ الفخري، ص ٢٣٧؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣٤٩ - ٣٥٢.

(١) هو محمد بن جعفر أمير المؤمنين المنتصر بالله بن المتوكِّل بن المعتصم ببيع له بالخلافة بعد قتل أبيه سنة ٢٤٧، وكان وافر العقل راغباً في الخير، قليل الظلم محسناً إلى العلويين خلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد، الذي عقده لها المتوكِّل بعده، ولكن أيامه لم تطل ومات بعد أبيه بستة أشهر سنة ٢٤٨هـ عن ست وعشرين سنة أودونها تولى بعده أحمد بن المعتصم المعروف بالمستعين بالله/ تاريخ الخلفاء، ص ٣٥٦ - ٣٥٨؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٢٧ - ٣٢٨؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١١٨ - ١١٩؛ الفخري، ص ٢٣٩؛ اليعقوبي، م ٢ ص ٤٩٣؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣٥٢.

(٢) في (د): يزيد المهلبِي.

(٣) تاريخ العيني (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج ١٣ ص ١٥٣ - مخطوط =

وَرَوَى أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ^(١) كَانَ مَوْلُوداً بِحَدِّ السَّرْطَانِ^(٢)،
فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَمَعَ أَهْلَ بَيْتِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي مَوْلُودٌ بِحَدِّ السَّرْطَانِ وَأَنْ
طَالَعَ السَّنَةُ السَّرْطَانِ وَأَنَّ الْقَمَرَ يَنْكِسِفُ اللَّيْلَةَ بِالسَّرْطَانِ وَهِيَ لَيْلَةُ الْأَحَدِ فَإِنْ نَجَوْتُ
(فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ)^(٣) فَسَأَبْقَى سَنَتَيْنِ وَأَنْ كَانَتْ الْأُخْرَى فَإِنِّي مَيِّتٌ لَا مُحَالَةَ. قَالُوا: بَلِ
يُطِيلُ اللَّهُ عَمْرَكَ، قَالَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ دَعَا غُلَاماً لَهُ كَانَ قَدْ عَلَّمَهُ النُّجُومَ^(٤)، فَأَصْعَدَهُ

= رقم ح ٨٢٠٣ وفيه سبب قدوم المتوكل إلى دمشق وانهم وصفوا إليه أنهارها وأشجارها
فلما رآها أعجبته فنقل إليها أهله ودواوينه وعزم على المقام بها، وبني له قصراً بداريا
وخلف ابنه المنتصر بسامرا، فقال للمهلبى اعمل شعراً ترد أمير المؤمنين إلى العراق
فعمل البيتين المذكورين وزاد المنتصر بيتين أحدهم:

يقول محمد تفديك نفسي أما تبقى على من الفراق
وذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء بيتين غير المذكورين ونسبهما إلى يزيد بن محمد
المهلبى / تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٨.

(١) هو أبو العباس محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي. كان شيخاً فاضلاً وأديباً شاعراً،
أمير ابن أمير ابن أمير ولي إمارة بغداد في أيام المتوكل، وكان مؤلفاً لأهل العلم والأدب،
توفي سنة ٢٥٣هـ / النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٤٠، وفيات الأعيان، م ٥ ص ٩٢ -
٩٣؛ البداية والنهاية، ج ١١ ص ١٢؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٢٨.

(٢) حد السرطان: هودجات كل برج من البروج الاثني عشر مقسومة بين الكواكب
الخمس المتحيرة (زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد) على غير سوية وكل قسم
يسمى حداً وهو بالفارسية مرز وحد السرطان أو رأس السرطان في لغة التنجيم نقطة
المنقلب الصيفي لأن الشمس إذا بلغت تنهى طول النهار وبدأ في النقصان وكسوف
القمر قد يحدث في المنقلب الصيفي عندما تحول الأرض بينه وبين ما يقابله من شعاع
الشمس في وسط الشهر عند تقابلها طولاً وعرضاً. وكان هذا الكسوف ليلة أربع عشرة
من ذي القعدة سنة ٢٥٣هـ على ما ذكره ابن الأثير، ج ١١ ص ١٢، وقال في تلك الليلة
مات محمد بن عبد الله بن طاهر والله أعلم / مفاتيح العلوم، ص ١٢٣ - ١٢٦ -
١٢٩.

(٣) في (د): فان نجوت الليلة.

(٤) نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده عن التنجيم لما له من أثر في
عقيدة المسلم ففي الحديث الذي ذكره السيوطي عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، =

إلى قبة له فأعطاه بنادق وأسطرلاباً^(١)، وقال له خذ الطالع فكلما مضى من انكساف القمر دقيقة فاقدف إليّ ببندقة حتى أعلم بذلك. وجلس محمد مع أصحابه وجعل الغلام كل ما مضى من انكساف القمر دقيقة قدف إليه ببندقة، فلما انكسف من القمر ثلثه قال لأصحابه: ما تقولون في رجل معكم قاعد يقضي ويمضي وقد ذهب منذ جالسكم ثلث عمره قالوا: بل يطيل الله عمره. فلما مضى من (الليل)^(٢) ثلثه، عمد إلى جواريه فاعتق منهم من أراد عتقها، ووقف من ضياعه ما أوقف. وقال لهم: ما تقولون في رجل معكم يقضي ويمضي، وقد ذهب جل عمره، فقال القوم: (بل يطيل الله عمره وبقاك أيها الأمير)^(٣) فلما مضى من الثلث الثالث دقيقتان، قال لهم:

= أنه قال: «إذا ذكر أصحابي فامسكوا وإذا ذكرت النجوم فامسكوا وإذا ذكر القدر فامسكوا» وعن عمر بن الخطاب انه قال تعلموا من النجوم ما تهدون به في البر والبحر ثم امسكوا. ونقل ابن أبي الحديد عن علي، كرم الله وجهه، انه قال: أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون في بر وبحر فانها تدعو إلى الكهانة المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكاfer والكافر في النار سيروا على اسم الله. وعلق ابن أبي الحديد على هذا فقال المعلوم ضرورة عن دين رسول الله، صلى الله عليه وسلم وآله، إبطال حكم النجوم وتحريم الاعتقاد بها، والنهي والزجر عن تصديق المنجمين. وعد الإمام الغزالي في الإحياء هذا من العلم المذموم الضار وقال انه مضر بأكثر الخلق، فإنه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب، وقع في نفوسهم أن الكواكب هي المؤثرة وانها الآلهة المدبرة فيبقى القلب ملتفتاً إليها، ويرى الخير والشر محذوراً أو مرجواً من جهتها. وقال ابن خلدون: والنبوات أيضاً منكورة لشأن النجوم وتأثيراتها واستقراء الشريعات شاهد بذلك كالحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، وأما من قال مطرنا بنوء كذا أو كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب. انظر: الجامع الصغير، ج ١ ص ٢٦؛ شرح نهج البلاغة، م ٢ ص ٧١ - ٧٦؛ إحياء علوم الدين، ج ١ ص ٤٩ - ٥٣؛ مقدمة ابن خلدون، ص ٤٩١.

(١) الأسطرلاب: مقياس النجوم وهو باليونانية اسطرلابون واسطر هو النجم ولايون هو المرأة/ مفاتيح العلوم، ص ١٣٤.

(٢) في (ب - ج - د): القمر.

(٣) في (ب - د): بل يطيل الله بقاء مولانا الأمير.

إذا استغرق القمر فامضوا إلى أخي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر^(١)، ثم قام فاغتسل ولبس أكفانه وتحنط ودخل إلى بيت له، ورد عليه الأبواب واضطجع فلما استغرق القمر في الكسوف فاضت نفسه فدخلوا عليه فإذا هو ميت، فانطلقوا إلى عبيد الله أخيه ليعلموه، فإذا عبيد الله على طيار له على باب القصر قد سبقهم، فقال لهم: مات أخي، قالوا: نعم. قال: ما زلت آخذ الطالع حتى استغرق القمر في الكسوف فعلمت أنه قد قبض ثم دخل فأكب عليه طويلاً.

ثم خرج وهو يقول:

هَذَا رَكْنُ الْخِلَافَةِ الْمَوْطُودُ	زَالَ عَنْهَا السَّرَادِقُ الْمَمْدُودُ
حَطَّ فَسْطَاطُهَا الْمَحِيطُ عَلَيْهَا	جَذَّ أَطْنَابُهَا فَمَالَ الْعَمُودُ
أَحَدُ كَانَ خَذَهُ مِثْلَ حَدِّ السِّيفِ	وَالنَّادِ شَبَّ مِنْهَا الْوَقُودُ
أَحَدُ كَانَ خَذَهُ مِنْ نُحُوسٍ جُمِعَتْ	حَدَّهَا إِلَيْهِ الْأَجُودُ
كُفِّفَ الْبَدْرُ وَالْأَمِيرُ جَمِيعاً	فَانْجَلَى الْبَدْرُ وَالْأَمِيرُ عَمِيدُ ق/٦٩
عَاوَدَ الْبَدْرَ نَوْرُهُ لِتَجْلِيهِ	وَنَوْرُ الْأَمِيرِ مَالاً يَعُودُ
أَظْلَمْتُ بَعْدَهُ الْخِلَافَةُ	فَالدُّنْيَا عَلَيْهَا كَأَبَةٌ وَجُمُودُ
الْأُمُورُ قَدْ كَانَ دَبَّرَ مِنْهَا مَبْرَمُ	قَدْ قَضَى وَمِنْهَا عَتِيدُ
قَدْ بَكَاهُ الْعِرَاقُ وَالشَّرْقُ	وَالْغَرْبُ فَمِنْهَا تَهَائِمُ وَنَجُودُ ^(٢)

فلما حُمِلَ عَلَى سَرِيرِهِ أَنْشَأَ يَقُولُ:

تُدَاوِلُهُ الْأَكْفُ عَلَى سَرِيرٍ أَلَا لِيْلِهِ مَا حَمَلَ السَّرِيرُ

(١) هو أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر. تولى شرطة بغداد خلافة عن أخيه محمد ثم استقل بها بعد موت أخيه إليه انتهت رئاسة أهله، توفي سنة ٣٠٠هـ. وفيات الأعيان، ج ٣ ص ١٢٠؛ النجوم الزاهرة، ج ٣ ص ١٨٠ - ١٨١.

(٢) مروج الذهب، ج ٢ ص ٤٥٢ - ٤٥٣، وذكر البيت الثالث والخامس والسادس/ وفيات الأعيان، ج ٥ ص ٩٣، وذكر البيت الأول والخامس؛ تاريخ بغداد، ج ٥ ص ٤٢٢.

أَكْفُ لَوْ تُمَدُّ إِلَيْهِ حَيًّا إِذَا رَجَعْتُ وَأَطَوَّلُهَا قَصِيرُ
تَبَاشَرَتْ الْقُبُورُ بِهِ وَأُضْحَى تَبْكِيهِ الْأَرَامِلُ وَالْفَقِيرُ
حُكِّيَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ زَيْدٍ الْعُلُوِّيَّ^(١) الدَّاعِي بِطَبْرِسْتَانَ كَانَ إِذَا افْتَتَحَ
الْخِرَاجَ نَظَرَ فِي بَيْتِ الْمَالِ، مِنْ خِرَاجِ السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَفَرَّقَهُ فِي قِبَائِلِ
قَرِيشٍ عَلَى دَعْوَتِهِمْ، وَفِي الْأَنْصَارِ وَفِي الْفُقَهَاءِ، وَأَهْلِ الْقُرْآنِ وَسَائِرِ طَبَقَاتِ
النَّاسِ، إِلَى أَنْ يُفَرِّقَ جَمِيعَ مَا بَقِيَ. فَجَلَسَ فِي سَنَةِ مِنْ السَّنِينَ فَفَرَّقَ مِثْلَ
ذَلِكَ عَلَى عَادَتِهِ، فَلَمَّا بَدَأَ بِبَنِي عَبْدِ مُنَافٍ وَقَدْ فَرَّغَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، دَعَا بِسَائِرِ
بَنِي عَبْدِ مُنَافٍ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ مِنْ أَيِّ بَنِي عَبْدِ مُنَافٍ (أَنْتَ)^(٢)؟
فَقَالَ: مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ، قَالَ: مِنْ أَيُّهُمْ فَسَكَتَ فَقَالَ (لَعَلَّكَ مِنْ وَلَدِ مُعَاوِيَةَ)^(٣)
قَالَ: نَعَمْ فَقَالَ: مِنْ أَيُّهُمْ فَسَكَتَ فَقَالَ: لَعَلَّكَ مِنْ وَلَدِ يَزِيدَ. قَالَ: نَعَمْ.
قَالَ بِشَسِ الْاِخْتِيَارُ اخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مِنْ قَصْدِكَ بِلْدًا وَلَايَتُهُ (إِلَى)^(٤) آلِ
أَبِي طَالِبٍ وَعِنْدَكَ ثَارُهُمْ فِي سَيِّدِهِمْ، وَقَدْ كَانَتْ لَكَ مَدْوَحَةٌ عَنْهُمْ بِالشَّامِ
وَالْعِرَاقِ عِنْدَ مَنْ يَتَوَلَّى جَدُّكَ وَيَحِبُّ بِرَّكَ، فَإِنْ كُنْتَ جِئْتَ عَنْ جَهْلٍ مِنْكَ
بِهَذَا فَمَا يَكُونُ بَعْدَ جَهْلِكَ شَيْءٌ، وَإِنْ كُنْتَ جِئْتَ مُسْتَهْزِئًا بِهِمْ فَقَدْ خَاطَرْتَ.
فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْعُلُوِّيُونَ نَظْرًا شَدِيدًا وَهَمُّوا بِهِ، فَصَاحَ بِهِمْ مُحَمَّدٌ، فَقَالَ: كُفُّوا
عَافَاكُمْ اللَّهُ كَأَنَّكُمْ (تَظُنُّونَ)^(٥) فِي قَتْلِ هَذَا، دُرُكًا وَثَارًا بِالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ.

(١) هو محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان والديلم بعد أخيه الحسن بن زيد الذي ظهر
بطبرستان سنة ٢٥٠هـ فلما قتل تولى محمد أمر طبرستان وقد كان محمد فاضلاً ديناً،
حسن السيرة في ما وليه من تلك البلاد. وكان فيه تشيع قتله محمد بن هارون الذي
أرسله إسماعيل الساماني بعد توجه محمد بن زيد إلى خراسان مات متأثراً بجراحات
أصابته فدفن على باب جرجان سنة ٢٨٧هـ. البداية والنهاية، ج ١١، ص ٨٣؛
النجم الزاهرة، ج ٣ ص ١٢٢؛ الطبري، ج ١٣ ص ٢٢٠.

(٢) زيادة من (ب - ج - د).

(٣) ساقطة من (د).

(٤) ساقطة من (د).

(٥) في (ج - د): تطلبون.

(عليهما السلام) (١) وأَيُّ جُرْمٍ لِهَذَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ أَنْ تَطَالِبَ نَفْسَ بَغِيرِ مَا اكْتَسَبَتْ. وَاللَّهِ لَا يَعْزُضُ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا أَقْدَتُهُ بِهِ، وَاسْمَعُوا حَدِيثًا أَحَدُ ثَكْمُوهُ بِهِ يَكُونُ لَكُمْ قَدْوَةٌ فِيمَا تَسْتَأْنِفُونَ، حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ عَرَضَ عَلَيَّ الْمَنْصُورُ سَنَةَ حِجٍّ جَوْهَرًا فَاحْرَأَ فَعَرَفُهُ وَقَالَ كَانَ هَذَا لِهَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ (٢) وَهَذَا بَعِيْنِهِ قَدْ بَلَغَنِي خَبْرُهُ عِنْدَ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ (٣)، وَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُ، ثُمَّ قَالَ لِلرَّبِيعِ إِذَا كَانَ غَدًا، وَصَلَيْتَ بِالنَّاسِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَصَلَ النَّاسُ فِيهِ، فَأَغْلِقِ الْأَبْوَابَ كُلَّهَا، وَوَكُلْ بِهَا ثِقَاتَكَ مِنَ الشَّيْعَةِ وَاقْفُلْهَا وَافْتَحْ لِلنَّاسِ بَابًا وَاحِدًا وَقِفْ عَلَيْهِ، وَلَا يَخْرُجْ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ قَدْ عَرَفْتَهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ فَعَلَ الرَّبِيعُ ذَلِكَ. وَتَبَيَّنَ مُحَمَّدُ بْنُ هَشَامٍ الْقِصَّةَ، فَعَلِمَ أَنَّهُ الْمَطْلُوبُ وَأَنَّهُ مَأْخُودٌ، فَتَحَيَّرَ وَأَقْبَلَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليهم السلام) (٤) عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ، فَرَأَاهُ مَتَحَيِّرًا وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَأَنْكَرَ أَمْرَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا أَرَأَيْكَ مَتَحَيِّرًا مُتَلَدِّدًا فَمَنْ أَنْتَ وَلَكَ أَمَانُ اللَّهِ تَعَالَى الْعَامُ التَّامُّ، وَأَنْتَ فِي ذِمَّتِي حَتَّى أَخْلَصَكَ بِعَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَمَنْ أَنْتَ قَالَ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: فَعِنْدَ اللَّهِ احْتَسَبْتُ نَفْسِي، قَالَ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ يَا ابْنَ عَمِّ فَإِنَّكَ لَسْتَ قَاتِلَ زَيْدٍ، وَلَا فِي قَتْلِكَ إِدْرَاكَ ثَارِهِ، وَأَنَا الْآنَ بِخُلَاصِكَ أَوْلَى مِنِّي بِإِسْلَامِكَ، وَلَكِنْ تَعَذَّرْنِي فِيمَا أَتَنَاوَلْتُكَ بِهِ مِنْ مَكْرُوهِ وَقَبَحٍ مُخَاطَبَةٍ، يَكُونُ فِيهِ خُلَاصُكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ. فَقَالَ يَا سَيِّدِي أَنْتَ وَذَاكَ، فَطَرَحَ رِدَاءَهُ عَلَى

(١) فِي (د): رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) تَقَدَّمَ تَرْجَمَتُهُ، ص ٣١٠.

(٣) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ هَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَحَدُ أَوْلَادِ هَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. الْعَقْدُ الْفَرِيدُ، ج ٥ ص ١٧٩.

(٤) فِي (د): رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَلَبَّيْهُ^(١) بِهِ، وَأَقْبَلَ يَسْحَبُهُ فَلَمَّا وَقَعَتْ عَيْنُ الرَّبِيعِ^(٢) عَلَيْهِ، لَطَمَهُ لَطْمَاتٍ وَجَاءَ بِهِ إِلَى ق/٧٠ الرَّبِيعِ، وَقَالَ يَا أَبَا الْفَضْلِ أَنَّ هَذَا الْخَبِيثَ جَمَالَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، أَكْرَانِي جَمَالَهُ ذَاهِباً وَعَائِداً، وَقَدْ هَرَبَ مِنِّي فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَأَكْرِى بَعْضَ الْقَوَادِ الْخُرَّاسَانِيَّةِ وَلِي عَلَيْهِ بِذَلِكَ شُهُودٌ فَضَمَّ إِلَيَّ حُرْسِيِّينَ يَصِيرَانِ بِهِ مَعِيَ إِلَى الْقَاضِي وَيَمْنَعَانِ الْخُرَّاسَانِيَّ مِنْ اعْتِرَاضِهِ إِنْ اعْتَرَضْنَا. فَضَمَّ إِلَيْهِ حُرْسِيِّينَ وَقَالَ امْضِيا بِهِ مَعَهُ فَلَمَّا بَعُدَ عَنِ الْمَسْجِدِ، قَالَ لَهُ يَا خَبِيثُ تَوْدِي إِلَيَّ حَقِّي، قَالَ نَعَمْ يَا ابْنَ بَنِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ لِلْحُرْسِيِّينَ انْصَرِفَا فِي حِفْظِ اللَّهِ، فَلَمَّا بَعُدَا أَطْلَقَهُ، فَقَبَّلَ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ يَدَهُ وَرَأْسَهُ وَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتِي، ثُمَّ أَخْرَجَ جَوْهَرًا لَهُ قِيَمَةٌ وَقَدَرٌ عَظِيمٌ، وَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ شَرَفَنِي يَا سَيِّدِي بِقَبُولِهِ مِنِّي، فَقَالَ: اذْهَبْ بِمَتَاعِكَ يَا ابْنَ عَمٍّ، فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نَقْبَلُ عَلَى الْمَعْرُوفِ مَكَافَأَةً، وَقَدْ تَرَكْتُ لَكَ دَمَ زَيْدٍ وَهُوَ أَعْظَمُ قَدْرًا مِنْ ذَلِكَ، فَانْصَرَفَ رَاشِداً وَوَارِ نَفْسَكَ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ، فَإِنَّهُ مُجَدِّ فِي طَلَبِكَ. فَمَضَى وَتَوَارَى ثُمَّ أَنَّ مُحَمَّدَ الدَّاعِي أَمَرَ لِلأُمَوِيِّ بِمِثْلِ مَا أَمَرَ بِهِ لِسَائِرِ بَنِي عَبْدِ مُنَافٍ وَضَمَّ إِلَيْهِ جَمَاعَةً مِنْ مَوَالِيهِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُخْرِجُوهُ إِلَى الرَّيِّ وَيَأْتُوهُ بِكِتَابِهِ بِسَلَامَتِهِ فَقَامَ الْأُمَوِيُّ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَمَضَى وَمَعَهُ الْقَوْمُ حَتَّى وَصَلَ مَأْمَنُهُ وَجَاؤُهُ بِكِتَابِهِ بِسَلَامَتِهِ^(٣). ق/٧١/ تَقْطِيعُ بِالْأَصْلِ/ وَصَلَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ.

(١) لَبَّيْهِ: جَمْعُ ثِيَابِهِ عِنْدَ نَحْرِهِ فِي الْخِصْمَةِ ثُمَّ جَرَهُ/ خَتَارُ الصَّحَاحِ.

(٢) مِنْ هُنَا يَبْدَأُ تَقْطِيعَ وَرَطُوبَةٍ فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ تَبْدُو مَعَهَا بَعْضُ الْكَلِمَاتِ وَيَغِيبُ الْبَعْضُ الْآخَرُ وَالتَّكْمِلَةُ هُنَا مِنَ النُّسخَةِ (ب-د): لِأَنَّهَا أَيْضاً نَاقِصَةٌ فِي (ج).

(٣) الْمُسْتَجَادُ مِنْ فِعْلَاتِ الْأَجْوَادِ، ص ١٤٩ - ١٥٢.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس البلدان.
- فهرس القوافي.
- فهرس المراجع.
- فهرس المحتويات.

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة	* وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ	١٧٩	٢١٦
	* وَإِنْ طَلَقْتُمْوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَرْصَةً مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَإِنْ تَعَفَّوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .	٢٣٧	٢٠١
آل عمران	* وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ . . * وَالكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	٣٩	٧٩
	* وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ . . .	١٥٩	١٧٥/١٧٦
	* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاطِبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . . .	٢٠٠	٢٤٥

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
النساء	* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرُّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَاحْسَنُ تَأْوِيلًا	٥٩	٩٢/٧٥ ١٠٦
	* مَنْ يُطِيعِ الرُّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا..... * مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ...	٨٠	١٠٩
		٨٥	١٦٣
الأعراف	* قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	٨٥	٢٦٠
الأنفال	* وَلَا تَنَازَعُوا فْتَفَشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	٤٦	٩٣/٦٨
هود	* وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ.....	٨٦، ٨٥	٢٦٠
يوسف	* قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ، إِنَّا إِذَا لِلظَّالِمُونَ	٧٩ ، ٧٨	٢٨٧

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
النحل	* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ	٩٠	٢٩٩
الاسراء	* وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا	٨١	١٢٢
الكهف	* وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ	٤٩	٣٥٨
طه	* وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي . .	٢٩	١٣٤
الأنبياء	* وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا	٤٧	٣٥٨
الحج	* وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ	٢٧	٣٥٧
	* لَن يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتَكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَيَشِيرَ الْمُحْسِنِينَ	٣٧	٣٥٧
	* ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوِقَبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ . .	٦٠	١٩٩
النور	* إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ .	١١	٢٩١

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الشعراء	* فَقرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ	٢١	٢٤٥
النمل	* فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	٥٢	١٩٤
لقمان	* فَلَا تَعْرِضْكَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكَ بِاللَّهِ الْغُرُورُ	٣٣	٣٥٩
ص	* وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . . * يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ	١٧	٢٢٦
فصلت	* اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ	٣٤	٢٢٩
الشورى	* فَلِلَّذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ أَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ	١٥	١٣٠
	* وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ	٣٨	١٧٧

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
محمد	* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصَرُوا لِلَّهِ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ إِنْ تَوَمَّنُوا وَتَنَقَّوْا يُوْزِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ	٧	١٢٠
الحجرات	* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِیَا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ	٦	٣٥٩
القمر	* فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ	٢١	٢٢٢
الرحمن	* مُذْهَامَتَانِ	٦٤	٣٢٩
الحديد	* لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ	٢٥	١٢٥
القيامة	* كَلَّا لَا وَزَرَ	١١	١٢٠

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	رقم الصفحة
١	الإيمان يمان والحكمة يمانية ٣٠
٢	خير الناس من طال عمره وحسن عمله ٤٧
٣	إن الله يبعث لهذه الأمة كل مئة سنة من يجدد لها دينها ٤٤
٤	الأئمة من قريش ٨٠
٥	قدموا قريشاً ولا تقدموها ٨٠
٦	اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي ٨١
٧	لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ٨٢
٨	من مات ولم يعرف امام زمانه ٨٥
٩	من خلع يداً من الطاعة ٩٢/٨٥
١٠	أنت مني بمنزلة هارون من موسى ٨٦
١١	كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ١٢٨
١٢	من فارق الجماعة شبراً ٩٣
١٣	لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف ٩٣
١٤	الدين النصيحة ٩٤
١٥	من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع ٩٤
١٦	السلطان ظل الله الممدود في الأرض ٩٥
١٧	سبعة يظلمهم الله عز وجل تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله ٩٨
١٨	إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ٩٩
١٩	قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابه إلى هرقل أسلم يؤتلك ١٠٠
١٠٠	الله أجرك مرتين وإن أبيت فإن عليك إثم الاريسيين ١٠٠

الحديث	رقم الصفحة
٢٠	من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها..... ١٠٠
٢١	من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل من تبعه..... ١٠١
٢٢	إن أحب الناس إلى الله تعالى وأقربهم منه إمام عادل..... ١٠١
٢٣	إن أفضل عباد الله منزلة يوم القيامة إمام عادل..... ١٠١
٢٤	الإمام جنة يقاتل من وراءه ويتقي به..... ١٠١
٢٥	ثلاثة يبغضهم الله الإمام الجائر والشيخ الزاني والفقير المختال.... ١٠٢
٢٦	اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فأشفق عليه..... ١٠٢
٢٧	إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين العرش..... ١٠٣
٢٨	ما من أمير عشيرة إلا جيسء به يوم القيامة مغلوه يده إلى عنقه... ١٠٣
٢٩	عدل ساعة في حكومة خير من عباده سنة..... ١٠٣
٣٠	العامل على الصدقة بالحق كالغازي في سبيل الله..... ١٠٣
٣١	عن أبي ذر رحمه الله تعالى قال قلت يا رسول الله ألا تستعملني قال فضرب يده على منكبي ثم قال يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة .. ١٠٤
٣٢	يا أبا ذر اني أراك ضعيفاً واني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على إثنين..... ١٠٤
٣٣	أفلحت يا مقدم ان لم تكن أميراً ولا كاتباً ولا عريقاً..... ١٠٤
٣٤	إن العرافة حق ولا بد للناس من العرفاء ولكن العرفاء في النار... ١٠٤
٣٥	لا يدخل الجنة صاحب مكس..... ١٠٥
٣٦	لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق..... ١٠٦
٣٧	إنما طاعة في المعروف..... ١٠٧
٣٨	من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله..... ١٠٩
٣٩	اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين..... ١٠٨
٤٠	لو استعمل عليكم عبد حبشي مجدع الأطراف..... ١٠٩
٤١	بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا..... ١٠٩
٤٢	انها ستكون بعدي أثره وامور تنكرونها قالوا يا رسول الله فما تأمر من أدرك ذلك قال تؤدون الحق الذي عليكم..... ١١٠
٤٣	من أراد أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد..... ١١٠
٤٤	انكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض..... ١١٠

الحديث	رقم الصفحة
٤٥	تكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال
٤٦	من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ميتة جاهلية
٤٧	من رأى من أميره ما يكره فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً
٤٨	من نزع يده من الطاعة لم يكن له حجة يوم القيامة
٤٩	من فارق الجماعة واستدل بالإمارة لقي الله عز وجل ولا وجه له عنده
٥٠	من أهان سلطان الله أهانه الله
٥١	على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية
٥٢	من أمركم من الولاة بغير طاعة الله فلا تطيعوه
٥٣	بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً وأمر عليهم رجلاً وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا فأغضبوه في شيء فقال اجمعوا حطباً
٥٤	تستعمل عليكم امراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برىء ومن أنكر فقد أسلم
٥٥	خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم
٥٦	سيكون بعدي امراء فمن دخل عليهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني
٥٧	انكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق
٥٨	ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم القيامة وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة
٥٩	إنما احكم بالظاهر والله يتولى السرائر
٦٠	أنا لا نستعين بمشرك
٦١	وزرائي في الأرض أبوبكر وعمر
٦٢	من ولي شيئاً من أمور الناس فأراد الله به خيراً جعل معه وزيراً صالحاً
٦٣	صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس
٦٤	انكم ستحرصون على الإمارة وانها ستكون ندامة وحسرة
٦٥	مثل الجليس الصالح كالداري ان لم يحذيك من عطره علقك من ريحه
١٥١	

الحديث	رقم الصفحة
٦٦	المرء على دين خليله
٦٧	من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن
٦٨	رأس الدين النصيحة
٦٩	من التمس رضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى الناس
٧٠	اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء
٧١	من كان وصلة لأخيه إلى ذي سلطان في منهج برأوتيسير عسير
٦٤	أعانه على إجازة السراط
٧٢	لا يدخل الجنة قتات
٧٣	ما خاب من استخار ولا ندم من استشار
٧٤	ما شقى عبد بمشورة ولا سعد من استغنى برأيه
٧٥	ما تشيرون علي في قوم يسبون أهلي
٧٦	عدل ساعة في حكومة خير من عبادة ستين سنة
٧٧	شر الرعاية الحطمة
٧٨	الظلم ظلمات يوم القيامة
٧٩	دار الظالم خراب ولو بعد حين
٨٠	اتقوا ظلم من لا ناصر له إلا الله
٨١	اتقوا دعوة المظلوم فأنها ترفع على الغمام
٨٢	ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم
٨٣	ليس شيء أسرع عقوبة من البغي
٨٤	لو بغى جبل على جبل لجعله الله دكا
٨٥	الراحمون يرحمهم الرحمن
٨٦	ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب ...
٨٧	من كظم غيظاً وهو يقدر أن يمضيه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً
٨٨	إذا غضب أحدكم وكان قائماً فليقع
٨٩	إذا غضبت فاسكت
٩٠	لا تغضب
٩١	أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا في الحدود
٩٢	لا يفض فاك
٩٣	إن فيك خصلتين يحبهم الله الحلم والأناة

الحديث	رقم الصفحة
٩٤	الثبوة والاقتصاد والتثبت جزء من ستة وعشرين من النبوة ٢٢٠
٩٥	من ثأني أصاب أو كاد ٢٢٠
٩٦	إن لكل نبي حواريا وحواريي الزبير ٢٣١
٩٧	لا تتمنوا لقاء العدو وإذا لقيتوه فاصبروا ٢٣٥
٩٨	الحزم سوء الظن ٢٣٦
٩٩	الحرب خدعة ٢٤٤
١٠٠	من ولي شيئاً من أمور الناس فاحتجب عنهم احتجب الله عنه . . . ٢٤٧
١٠١	إن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش يبعث الله إلى كل عبد بقدر نفقته ٣٦٠
١٠٢	إن من البيان لسحراً ٣٧٩

فهرس الأعلام المترجم لهم بالرسالة

ابن المعتز (عبدالله بن المعتز): ٩٧	إبراهيم بن الإمام محمد: ٣٢٦
ابن المقفع: ١٥٥	إبراهيم بن محمد بن طلحة: ١٦٩
ابن نباتة السعدي (عبدالعزیز بن عمر): ٢٣٨	إبراهيم بن المهدي: ٢٠٣
أبو بكر الصديق (عبدالله بن عبد الرحمن): ١٩٧	إبراهيم بن هلال الصابي: ١٧٠
أبو جعفر المنصور (عبدالله بن محمد بن علي): ٣١٥	ابرويز بن هرمز: ١٢١
أبو حنيفة النعمان (النعمان بن ثابت بن زوطي): ٣٢٢	ابن أبي ذؤيب (محمد بن عبد الرحمن): ٣٢٢
أبو الخير بن منصور بن أبي الخير الشماخي: ٥٠	ابن أبي ليلى (عبد الرحمن بن أبي ليلى): ٢٨٧
أبو الدرداء (عويمر بن مالك): ٢١٢	ابن بسام (علي بن محمد بن نصر): ١٤٨
أبو دلف العجلي: ٣٨٠	ابن دريد (محمد بن الحسن): ٢١٩
أبو ذر الغفاري (جندب بن جنادة): ١٠٣	ابن الرومي (علي بن العباس بن جريج): ٢٢٤
أبو زكريا (تلميذ الإمام): ٥١	ابن شهاب الزهري (محمد بن مسلم بن عبدالله): ١٨٨
أبو سلمة بن عبد الرحمن: ٢٩٢	ابن الأشعث (عبد الرحمن بن الأشعث): ٢٨٧
أبو الطيب المتنبي (أحمد بن الحسين): ١٥٤	ابن عباس (عبدالله بن عباس): ١٠٨
أبو العتاهية (إسماعيل بن قاسم): ١٩٧	ابن العميد (محمد بن العيد الكاتب): ١٣٧
أبو الفتح البستي (علي بن محمد الكاتب)	ابن مسعود (عبدالله بن مسعود): ١١٠

٢٥٩

الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن

إسماعيل): ١٣٧

ثماعة بن الأشرس: ٢٤٧

جالينوس: ٣٦١

جرير بن عطية الخطفي الشاعر: ٣٥٣

جعفر بن المعتصم (المتوكل على الله

العباسي): ٣٨٦

جعفر بن يحيى بن خالد: ١٤٢

الحارث بن عوف: ١٧٨

الحارث بن هشام: ٢٤٥

الحباب بن المنذر: ١٧٩

حبيب بن المهلب: ٢٧٧

الحجاج بن يوسف الثقفي: ٢٧٩

حذيفة بن اليمان: ١١١

الحريري (القاسم بن علي بن محمد): ١٢٤

الحسن البصري: ١٧٦

الحسن بن سهل: ٢٠٣

الحسن بن علي بن أبي طالب: ١٨٣

الحسين بن علي بن أبي طالب: ٢٦٣

حمدون بن إسماعيل (أبو عبد الله النديم):

٣٨٢

حيدر بن كاروس (الافشين): ٣٨٠

خالد بن عبد الله القري: ٣٠٤

خالد بن يزيد بن مزيد: ٣٨١

الخوارزمي محمد بن العباس: ١٤٤

الخيزران: ٣٢٥

داود عليه السلام: ٢٢٥

داود بن علي بن عبد الله بن عباس: ٣١٢

دعبل الخزاعي: ٣٦٥

دنائير مولاة يحيى البرمكي: ٣٣٩

البيسي): ١٤٩

أبومسلم الخولاني (عبد الله بن ثوب):

١٢٩

أبو هريرة (عبد الرحمن بن صخر الدوسي):

١٠٨

أبي بن كعب: ١٨١

أحمد بن إسرائيل: ٣٨٤

أحمد بن أبي خالد: ٢٠٨

أحمد بن أبي داود: ٣٧٢

أحمد بن عبدربه: ٢٥١

أحمد بن يوسف: ٢٥١

الأحنف بن قيس: ١٦٦

أردشير بن بابك بن ساسان: ١٢١

أرسطو طاليس: ١٤٠

اسحاق الموصلي (أسحق بن إبراهيم):

٣٠٧

الإسكندر: ١٤٠

إسماء بن خارجة: ٢٨٨

إسماعيل بن صبيح: ١٥٤

أسامة بن زيد: ١٨٠

أشج عبد القيس: ٢٢٠

الأفوه الأودي (صلاء بن عمرو بن مالك):

٩٦

أم سلمة (هند بنت أبي أمية): ١١٥

أنس بن مالك: ٣٦٠

أنوشروان بن قباد: ١٩١

إبتاخ: ٣٧٦

بزرجمهر بن البخت: ١٥٢

بسر بن أبي أراطة: ٢٥٩

بشار بن برد: ١٨٦

تماضر بنت عمرو بن الشريد (الخنساء):

الشافعي محمد بن إدريس: ٢٩٠
 الشعبي عامر بن شرحبيل: ١٧٨
 صاحب بن عباد: ١٥٦
 صالح بن عبد القدوس: ١٤٣
 صالح بن علي صاحب المصلي: ٣٣٨
 صفوان بن أمية: ٢٣٠
 طاهر بن الحسين: ٢٣٧
 عائشة أم المؤمنين: ١٠٢
 عبادة بن الصامت: ١٠٩
 العباس بن عبد المطلب: ١٥٧
 العباس بن المأمون: ٣٥٤
 عبدالله بن أيوب: ٣٧٦
 عبدالله بن جعفر: ٢٧٣
 عبدالله بن حسن بن حسن: ١٨٧
 عبدالله بن خالد بن أسيد: ١٣٢
 عبدالله بن الزبير: ٢٣١
 عبدالله بن أبي بن سلول: ٢٩١
 عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس:
 ٣١١
 عبدالله بن عمر: ٢٦٧
 عبدالله بن قيس الرقيات: ٢٧٤
 عبد الحميد الكاتب: ٢٠٣
 عبد الرحمن بن أبي بكر: ٢٦٨
 عبد الرحمن بن الحكم: ٢٦٣
 عبد الرحمن بن عوف: ١٠٠
 عبد الصمد بن علي: ٢٠٧
 عبد العزيز بن مروان: ٢٤٩
 عبد الملك بن صالح: ٢٤٠
 عبد الملك بن قريب الأصمعي: ٣٣٦
 عبد الملك بن مروان: ٢٧٩
 عبيد الله بن عبدالله بن طاهر: ٣٩٠

الربيع بن يونس: ٣١٧
 ربيعة بن الحسن بن علي بن عبدالله:
 ٥١/٥٠
 رجاء بن حيوة: ٢٩٥
 الزبير بن العوام: ٣٦٠
 الزرقاء بنت عدي: ٢٥٥
 زهير بن أبي سلمى: ٢٢٨
 زياد الأعجم: ١٤٦
 زياد بن سمية (زياد بن عبيد الثقفي):
 ١٣٢
 زيد بن أسلم: ١٠٨
 زيد بن ثابت: ١٨١
 زينب بنت سليمان بن علي: ٣٢٥
 سالم بن محمد بن سالم: ٤٧
 سعد بن زرار: ١٧٩
 سعد بن عبادة: ١٧٩
 سعد بن معاذ: ١٧٩
 سعيد بن خالد: ٢٩٥
 سعيد بن العاص: ٢٦٥
 سعيد بن المسيب: ٢٨٩
 سعيد بن الوليد الأبرش: ٣٦٤
 السفاح (عبدالله بن محمد بن علي): ٣١١
 سليم بن زياد: ٢٧٣
 سليمان بن عبد الملك: ٢٩٣
 سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس:
 ٣١٥
 سليمان بن مهاجر: ١٤٩
 سليمان بن يسار: ٢٩١
 سهل بن هارون: ٢١١
 سوار بن عبدالله القاضي: ١٦٧
 سودة بنت عمارة: ٢٥٨

الفضل بن يحيى : ٣٣٩
قابوس بن وشمكير (الأمير شمس المعالي) :
١٧٤
القاسم بن إبراهيم : ٣٦٩
قطري بن الفجاءة : ٢٤٠
كعب الأحبار : ٩٦
لقمان الحكيم : ١٨٨
مالك بن أنس : ١٨٣
المأمون (عبدالله بن هارون الرشيد) : ٣٤٨
المبرد (محمد بن يزيد البصري) : ٣٥٢
محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي :
٣٤١
محمد بن إسحاق : ٣٦٠
محمد بن أحمد الأكل المنجوي : ٤٢
محمد بن أحمد بن يحيى بن صمع : ٤٩
محمد بن زيد العلوي : ٣٩١
محمد بن عباد : ٣٧١
محمد بن عبدالله بن طاهر : ٣٨٨
محمد بن عبد الملك بن الزيات : ٣٧٥
محمد بن علي القلعي : ٣٧ - ٥٥
محمد بن القاسم العلوي : ٣٧٣
محمد المنتصر (ابن المتوكل العباس) : ٣٨٧
محمد بن يزداد : ٢٣٠
المختار بن عبيد الثقفي : ٢٧٤
مدافع بن أحمد : ٤٧
مروان بن أبي حفصة : ٣٣١
مروان بن الحكيم : ٣٦٩
مروان بن محمد : ٣١٠
مسلمة بن عبد الملك : ٣٠٠
مسلم بن الوليد (صريع الغواني) : ٣٤٣
مصعب بن الزبير : ٢٧٤

عبيدالله بن عبدالله بن عتبة : ٢٩٢
عبيد بن كعب النمسي : ٢٦٥
العتابي كلثوم بن عمرو : ٣٧٠
عتبة بن أبي سفيان : ١٣١
عثمان بن عفان : ٩٥
عروة بن أذينة : ٣٠٢
عروة بن الزبير : ٢٩٢
علقمة بن وقاص : ٢٩٢
علوية : ٣٥١
علي بن أبي طالب : ١٨٠
علي بن أحمد بن سالم : ٤٩
علي بن صالح : ٣٦٢
علي بن محمد بن أحمد بن جديد : ٤٧
علي بن موسى الرضى : ٣٦٦
عمارة بن عقيل : ٣٥١
عمر بن الخطاب : ٩٩
عمر بن أبي ربيعة : ٣٥٢
عمر بن عبدالعزيز : ٢٩٥
عمر بن فرج الرخجي : ٣٧٥
عمرو الأشدق : ٢٧٠
عمرو بن الأطنابة : ٢٦٢
عمرو بن العاص : ٩٦
عمرو بن عبيد : ٣١٧
عمرو بن معدي كرب : ٢٢٧
عمير بن شبيب القطامي : ٢٢١
عمير بن ضابي : ٢٨٠
عينة بن حصن : ١٧٨
الفرزدق (همام بن غالب الشاعر) : ١٤٦
الفضل بن الربيع : ١٥٣
الفضل بن سهل : ١٦٢
الفضل بن مروان : ١٤٤

هشام بن عبد الملك: ٣٠٠
 الواثق (هارون بن المعتصم): ٣٨٢
 واقد بن محمد الوقدي: ٣٥٩
 الوليد بن عبد الملك بن مروان: ٢٨٨
 الوليد بن عبيد بن يحيى (البحري):
 ١٦٥
 الوليد بن يزيد: ٣٠٦
 يحيى بن أبي نصر الطفاوي: ٥٠
 يحيى بن أكثم: ٣٤٨
 يحيى بن خالد: ١٤٠
 يزيد بن أبي مسلم: ٢٨٨
 يزيد بن عبد الملك: ٢٩٦
 يزيد بن مزيد: ٣٤٥
 يزيد بن معاوية: ٢٦٨
 يزيد بن المهلب: ٢٧٦
 يزيد بن الوليد: ٣٠٨

معاذ بن جبل: ١٨١
 معاوية بن أبي سفيان: ٢٥٣
 معاوية بن يسار: ١٥٦
 المعتصم (محمد المعتصم بن هارون
 الرشيد): ٣٦٨
 معن بن زائدة: ٣٢٩
 المقدام ابن معدي كرب: ١٠٤
 منصور بن زياد: ٣٣٨
 المهدي (محمد بن عبد الله بن محمد): ٣٢٥
 المهلب بن أبي صفرة: ٢٣٨
 المهلب (الوزير الحسن بن محمد): ١٤٥
 النابغة الجعدي: ٢١٧
 ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن: ٥٠/٤٩
 النعمان بن المنذر: ٢١٨
 هارون الرشيد: ٣٣٣
 هبيرة بن أبي وهب: ٢٤٦
 هرمس: ٣٦١

فهرس البلدان

٣٧٥ ، ٣٧١	أب : ١٩
البقيع : ٩٥ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، ١٨٤ ، ٢٦٦	أذربيجان : ٣٤٥
بوصير : ٢٠٣ ، ٣١٠	أرمينيا : ٣٨١ ، ٣٧٥ ، ٣٤٥
البيت الحرام : ٣٢٩	الإسكندرية : ١٦ ، ١٤٠
بيت المقدس : ١٠٩	أسوان : ١٥
بلاد التركمان : ١٩	أشروسنة : ٣٨٠
التعكير : ١٦	اصطخر : ١٤٦ ، ١٢١
جرجان : ١٧٤ ، ٣٤٣	أنطاكية : ٣٨
الجرف : ١٨٠	باب المعلى : ٣١٥
الجزيرة : ١٦ ، ٣١٠ ، ٣٥٤	البحرين : ١٠٨
الجنند : ١٦	بخارى : ١٤٩
الحبشة : ٢٧٣	البرك : ٢٤
الحجاز : ٢٢ ، ٣٥ ، ٢٠٧ ، ٢٣١ ، ٣٦٩	بست : ١٤٩
الحرمين : ١٦٩ ، ٣٨٤	البصرة : ١٢٤ ، ١٣٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧
حضر موت : ٤٨ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥٢	١٥٥ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ٢٠٧ ، ٢١١
حلب : ١٦ ، ٣٨ ، ١٤٤ ، ٣٧	٢١٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٣٧١ ، ٢٦٤
حمص : ٩٦ ، ١٠٩	٢٧٦ ، ٣٧٢ ، ٢٨٧ ، ٣٣٦
الحميمة : ٣١١	بغداد : ٢٣ ، ٢٨ ، ٢١٩ ، ٢٠٦ ، ١٩٧
حوران : ١٧٩	٢٠٣ ، ٢٢٤ ، ٢٩٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣١
خراسان : ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ١٣٢	٣٤١ ، ٣٥١ ، ٣٤٥ ، ٣١٥ ، ٣٤٦
٣٧٣ ، ٣٠٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٣ ، ٣٢٩	٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٥

طبرستان: ٣٩١ ، ١٧٤	٣٧٥ ، ٣٧٤
طخريستان: ١٨٦	دجيل: ٢٨٧
طوس: ٣٦٦ ، ٣٣٣	دمشق: ٢١٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٣ ، ١٢٩
ظفار: ٥٢ ، ٥٠ ، ٤٣	٣٨٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤١ ، ٣١١
العاصمة: ١٨	دير الجثاليق: ٢٧٤
العباسية: ٣٤١ ، ٣١٢	دير الجماجم: ٢٨٧
عدن: ١٧ ، ١٦	دير سمعان: ٢٩٦
عسقلان: ٢٩٠	دير مروان: ٢٨٩
عرفات: ٢٥	الديلم: ٣٩١
الحراق: ٢٤٩ ، ٢٣١ ، ١٦٩ ، ١٦٥	الدينور: ٣٦٨
٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٣٠٤	ذي هزيم: ٢٤
العراقين: ٣٢٩ ، ٢٠٤ ، ٢٧٤ ، ١٣٢	الربذة: ١٠٣
عمواس: ١٨١	الرصافة: ٣٠٦ ، ٣٠٠
عمورية: ٣٧٦ ، ٣٦٨	الركة: ٣٣٤
فارس: ٢١٩	الري: ٣٣٣
فلسطين: ١٠٩	زبيد: ٥٧ ، ٤٦ ، ٣٩ ، ٢٣ ، ١٧ ، ١٦
فم الصلح: ٣٨٦	٢٣ ، ٥٠
القادسية: ٢٥٩ ، ٢٢٧	سجستان: ٣٢٩ ، ٢٨٧ ، ١٤٩
القسطنطينية: ٢٩٣ ، ٢٦٩ ، ١٢١	سرخس: ٢٠٣ ، ١٦٢
٣٠٠ ، ٢٩٤	سر من رأى: ٣٨٤ ، ٣٦٨ ، ٢٣٠ ، ٢٠٣
قلعة أبي قبيس: ٣٨	سهام: ١٧
قلعة تعز: ١٦	سوريا: ١٦
قلعة حارم: ٣٨	سوهاج: ٥٨
قلعة حلب: ٣٧	الشام: ١٠٩ ، ١٠٤ ، ٣٨ ، ٩٦ ، ١٦
قلعة المسلمين: ٣٧	١٤٢ ، ١٢١ ، ١٦٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩
قلعة اليمن: ٣٩	٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥
قنسرين: ٣٧٠ ، ٣٨	صفين: ٢٥٦ ، ٢١٨ ، ١٠٨
كرمان: ٢٧٧	صنعاء: ٤٨ ، ٢٨ ، ٢٠ ، ١٩
الكعبة: ٣٠٨	الصين: ١٤٠
الكوفة: ١١٠ ، ٢٧٤ ، ٢٦٣ ، ١٣٢	الطائف: ٢٧٩ ، ٢٥٣ ، ١٣١
١٦٦ ، ١٩٧ ، ٢٥٦ ، ٣٢٢ ، ٢٦٦	

مكة: ١٦، ٢٢، ٣٠، ٤١، ٤٦، ٤٩،
 ٥٠، ١٥٧، ٢٣١، ٢٤٦، ٢٥٣،
 ٢٦٧، ٢٩٥، ٣٤٨، ٣٨٥
 منبج: ١٦٥، ٢٤٠
 المنصورة: ١٧
 نجران: ٢٤٦
 بلاد النوبة: ١٥
 نيسابور: ٢١١
 النوري: ٢٤
 الهند: ٤٧، ١٥٩، ١٦٢
 وادي القرى: ١٨٠
 اليرموك: ٢٢٧
 اليمن: ١٥، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٦، ٢٨،
 ٢٩، ٥٧، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣،
 ٣٥، ٣٨، ٤٠، ٢٣١، ٣٢٩، ٣٧٠

٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٥٢
 المدينة: ٣٠، ١٣١، ٨٦، ١١٦، ١٨٨،
 ١٠٨، ١٧٩، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤،
 ٢٩٢، ٢٠٧، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٨٩،
 ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣١٢، ٣١٥،
 ٣٢٩، ٣٣٩، ٣٦٠، ٣٧٥
 مرياط: ٤١، ٤٢، ٤٣
 مصر: ١٥، ١٩، ٣٢، ٣٤، ٩٦،
 ١٢١، ١٥٤، ٥٠، ٢٤٩، ٢٩٥،
 ٣١٠، ٣٢٩
 المغرب: ٣٣
 مقابر قريش: ٣٢٥
 مقبرة بني العباس: ٢٥١
 مقبرة الخيزران: ٣٦٠
 مقديشوة: ٥١

فهرس القوافي والأشعار

صدر البيت	قافيته	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
هيهات	الوزراء	ابن العميد	٢	١٣٧
إذا جار	القضاء	—	٢	١٩٨
إنما مصعب	الظلماء	ابن قيس الرقيات	٣	٢٧٥
بسيف	غائب	العماد الشيزري	١	٢٠
وكم ذنب	اقتراب	المتنبي	١	١٥٥
إذا أدناك	وراقب	الصاحب بن عباد	٢	١٥٨
فما في يدك	مذاهب	مروان بن أبي حفصة	٢	١٣٢
وكلكم	فيحاسبه	—	١	١٢٩
مابال	منتاب	أحمد بن عبدربه	٣	٢٥١
فله	المهلب	زياد الأعجم	٥	٢٧٨
ولا أتمنى	أركب	هدية العذرى	١	٢٣٥
جانيك	الجرب	—	٢	٢٨٧
عذلوني	الدرجات	أبو الفتح البستي	٢	١٤٩
أرى الموت	أتلقت	نميم بن جميل الخارجي	٩	٣٧٩
الرأي	بإصباح	—	٢	١٨٥
أبت لي	الرييح	عمرو بن الاطنابة	٤	٢٦٢
ما أطيب	مراح	—	١	١٤٥
يقتل	المولود	المتنبي	٢	٢٤٢
الله يعلم	مزيد	الحارث بن هشام	٣	٢٤٥
ويسومني	رأس محمد	دعبل الخزاعي	٤	٣٦٥

صدر البيت	قافيته	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
سكر	شديد	—	٢	١٤٨
الحريلحي	الرد	بشار بن برد	١	٢١٩
يبدأ	الكائد	المتنبي	١	٢٣٤
انما	المولود	—	١	٢٧٦
لا يصلح	سادوا	الأفوه الأودي	٣	٩٧
إذا أتت	تمردا	المتنبي	٢	٢١٥
في دون	الكبد	المأمون	٣	٣٥٣
يا خير	البلد	امرأة	٣	٣٥٣
هد	الممدود	عبيد الله بن طاهر	٩	٣٩١
إذا	استكبر	منصور الفقيه	٢	١٤٧
عيب الأناء	حجرا	ابن الرومي	١	٢٢٤
سنصبر	وزير	ابن بسام	٤	١٤٨
إن الوزير	وزيرا	سليمان بن مهاجر	١	١٤٩
وليس كثير	لكثير	علي بن أبي طالب	١	٢٢٦
ركوبك	تغريب	طاهر بن الحسين	٥	٢٣٧
على كل حال	الدهر	—	٢	٢٣٧
فلا تحقرن	قصير	ابن نباتة السعدي	٢	٢٣٨
احجابك	يسيرا	محمود البغدادي	٢	٢٥٢
وإن صخرأ	نار	الخنساء	١	٢٥٩
إلى الله	يمحذر	يزيد المهلبسي	٢	٣٨٧
يا من	الذكر	العتابي	٤	٣٧٠
أسر	ظاهره	عبد الحميد الكاتب	١	٣١١
أن تشق	بالخبر	العباس بن الأحنف	٤	٣٥٤
تداوله	السري	عبد الله بن طاهر	٣	٣٩٠
قل	أميرا	الفرزدق	٢	١٤٧
ولا خير	يكذرا	الناطقة الجعدي	٢	٢١٨
إذا أصبحت	ملبس	الصاحب بن عباد	٢	١٥٨
كم بين	نفوسا	أبو تمام	١	٢٢٧
إذا كنت	دسايسا	—	١	٢٣٣
إذا كنت	توصه	صالح بن عبد القدوس	٢	١٤٣

صدر البيت	قافيته	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
واللوم	العصا	ابن دريد	١	٢١٩
العزل	بغيفض	—	٢	١٤٨
إن الذي	السابع	إبراهيم بن المهدي	٥	٢٠٥
بطرتم	رادع	علي بن محمد	١	٢١٩
بدأتكم	أصنع	سليمان بن علي	٢	٣١٥
مأمون	المنيفة	—	٥	٣٥٠
العبد	مصرف	—	١	٣٢١
يقول	الفراق	محمد المنتصر	١	٣٢٨
وكل ولاية	الصديق	أبي رشيد الطائي	١	١٤٦
وعطاء	عطاؤك	البحري	١	١٦٥
أتيتك	بابكا	أبو العتاهية	٣	٢٥١
كيف أصبحت	مساكا	المأمون	٥	٣٥٥
فتى	خليل	زياد الأعجم	١	١٤٦
يا من	تبدل	منصور الفقيه	٢	١٤٧
أذنت	أهل	إبراهيم بن المهدي	٢	٢٠٤
إذا قيل	جهل	المتنبي	١	٢١٥
الحرب	جهول	عمرو بن معدي كرب	٣	٢٢٧
لعمرك	القتل	هيرة بن أبي وهب	٣	٢٤٦
لا تلق	الحيل	المتنبي	١	٢٣٥
أليس عجباً	بالنوافل	الوليد بن يزيد	٢	٣٠٨
كأن الجبان	الأجل	معاوية	٢	٢٦٢
أفرغ	عملولا	الحمدوني	١	٢٤٨
فلا تعتذر	الشغل	علي البصير	١	٢٤٨
وشرطة الفلاحة	الرجال	أبو الفتح البستي	١	١٧٠
قد يدرك	الزلل	القطامي	١	٢٢١
أنتك	النصل	مسلم بن الوليد	٨	٣٤٣
أنا التذير	الدخلا	الوليد بن يزيد	٦	٣٠٨
أيا جود معن	رسول	—	١	٣٣٢
أقمنا	زوالا	مروان بن أبي حفصة	٣	٣٤٤
لا يعبق	الكحل	مسلم بن الوليد	٢	٣٤٥

صدر البيت	قافيته	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فما بقيا	النبال	—	١	٣٤٠
موف	أمل	مسلم بن الوليد	٥	٣٤٦
فلا هو	شاغلة	جرير	١	٣٥٣
برئت	قالوا	قاضي دمشق	٢	٣٥١
أضحى	اشتغلوا	—	١	٣٥٣
صاحب	وغمم	أبو الفتح البستي	٢	١٥٩
وأهون	يتكلما	—	١	١٦٥
إذا	حازم	بشار	٢	١٨٦
أما والله	الظلم	أبو العتاهية	٢	١٩٨
وما من	بظالم	—	١	١٩٨
فلا يغرك	حليما	—	١	٢١٨
وسالمت	فسالم	الشريف الرضي	١	٢٢٨
وما الحرب	المرجم	زهير بن أبي سلمى	٥	٢٢٨
لأن عدت	المكارم	أبو العتاهية	٢	٢٥١
أتروض	الهرم	—	١	٣٢١
سل الخليفة	الهاما	مسلم بن الوليد	٢	٣٤٧
والقيت	العظام	—	٢	٣١٦
ومن يعصي	لهدم	زهير بن أبي سلمى	١	٢٢٨
شنشنة	يكلم	لأبي أنخزم الطائي	١	٣١٣
إذا كان	الغريم	—	١	٣٣٧
ليس براع	وظم	رشيد بن رويض العنبري	١	٢٨١
إذا كان	الثيم	—	١	٣٣٧
قد كنت	الشیطان	—	٢	١٤٦
خليلي	مكين	دعبل الخزاعي	٢	١٦٥
مالي	سكنوا	قعنبن بن أم صاحب	٢	٣١٦
أذنبت	أعظم منه	إبراهيم بن المهدي	٣	٢٠٤
إذا هبت	سكون	الامام علي بن أبي طالب	٢	٢٢٤
شجاع	فجبان	القطامي	١	٢٤٢
شمر	الأقران	سودة بنت عمارة	٤	٢٣٨
صلى الإله	مدفونا	سودة بنت عمارة	٢	٢٦٠

صدر البيت	قافيته	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
إني سمعت	معوان	—	١	٢٩٥
معن	شيبان	مروان بن أبي حفصة	٢	٣٣١
ما زلت	الرحمن	مروان بن أبي حفصة	٢	٣٣١
ونحن الكاتبون	الكاتبين	—	١	٣٢١
وإن امرء	لضنين	—	١	٣٨٤
بعثتك	الظنا	المأمون	٣	٣٥٤
وزارة	الكبيرة	البستي	٢	١٤٩
خصائص	الوثيقة	—	٣	١٨٧
قارن	قرناءه	طرفة بن العبد	١	١٥٢
لجوب	المرتبة	الحريري	٥	١٤٩
الحرب	فتعديها	—	١	٢٣٥
وإن فرصة	إلا بها	ابن المعتز	٢	٢٢٤
إذا لم يكن	ركوبها	الكميت	١	٢٣٤
تخبر	رسولها	علي بن محمد	٢	١٤٣
تعفو	لفضلها	النعمان بن المنذر	٣	٢١٨
لا أسأل	عينها	الوليد بن يزيد	٢	٣٠٧
طرقتك	دلالها	مروان بن أبي حفصة	٤	٣٤٤
عن المرء	يقتدي	عدي بن يزيد	١	١٥٢
رددت	دمي	إبراهيم بن المهدي	٥	٢٠٥
لم أكن	صالي	الحارث بن عباد	١	٢٣٥
من ضيع	الذكي	ابن دريد	١	٢٣٦
رأيتك	ما تبني	الوليد بن يزيد	٣	٣٠٧
لقد علمت	يأتيني	عروة بن أذينة	٢	٣٠٢
تغنى	تضاري	زياد بن الأعجم	٣	٢٧٧
قد لفها	الدوي	رشيد بن رويض العنبري	٢	٢٨١
أنا بن جلا	تعرفوني	سحيم بن وثيل الرياحي	٣	٢٨٠

فهرس المراجع

- (١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية :
تأليف علي بن محمد بن حبيب الماوردي - مراجعة الدكتور محمد فهمي السرجاني -
دار التوفيقية للطباعة.
- (٢) الأحكام السلطانية :
للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي - مطبعة الحلبي - الطبعة الثانية
١٩٦٦ م.
- (٣) الأخبار الطوال :
لأبي حنيفة الدينوري - تحقيق عبدالمنعم عامر - مراجعة الدكتور جمال الدين
الشيال - الطبعة الأولى ١٩٦٠ م.
- (٤) الأخبار الموفقيات :
للزبير بن بكار - تحقيق سامي مكى - مطبعة العاني بغداد ١٩٧١ م.
- (٥) آداب ابن المعتز :
دراسة وتحقيق صبحي رديف - مطبعة الحوادث - بغداد ١٩٧٢ م.
- (٦) آداب السياسة بالعدل وتبيين الصادق الكريم المهذب بالعقل :
تأليف المبارك بن خليل الخازندار - مصور رقم ٤٣٠٠ - دار الكتب المصرية.
- (٧) أدب الدنيا والدين :
تأليف علي بن محمد الماوردي - تحقيق السقا - الطبعة الرابعة - ١٩٧٣ م.
- (٨) الأدب الكبير والأدب الصغير :
تأليف عبدالله بن المقفع - المؤسسة العربية العامة للطباعة والنشر - بيروت.
- (٩) الأذكياء :
لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي - الناشر مكتبة الغزالي.

- (١٠) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري :
تأليف أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية
ببولاق - ١٣٠٥ هـ الطبعة السادسة.
- (١١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب :
تأليف يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر - تحقيق علي محمد البيجاوي - مطبعة
نهضة مصر.
- (١٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة :
تأليف عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن
الأثير - أشرف على التحقيق محمد صبح - واشترك في التحقيق الشيخ محمود فايد،
محمد عاشور، محمد البنا - مطابع الجمعية التعاونية للطباعة.
- (١٣) الإسلام وأصول الحكم :
لعلي عبدالرزاق - دراسة ووثائق بقلم محمد عمارة - بيروت ١٩٧٢.
- (١٤) الإسلام وفلسفة الحكم :
الدكتور محمد عمارة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩ م.
- ١٥ - أصول الدين :
تأليف الإمام عبدالقاهر بن طاهر البغدادي - الطبعة الثانية بيروت - لبنان
١٩٨٠ م.
- (١٦) أعتاب الكتاب :
لابن الأبار محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي - تحقيق صالح الأشر - طبعة
دمشق ١٩٦١ م.
- (١٧) الإعجاز والإيجاز :
للثعالبي - الناشر بغداد دار البيان - بيروت دار صعب.
- (١٨) الأعلام :
تأليف خير الدين الزركلي - الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م.
- (١٩) أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس :
تأليف محمد المعروف بدياب الانليدي - مطبعة الحلبي الطبعة الثالثة ١٩٥٥ م.
- (٢٠) إعلام النساء في عالمي العرب والإسلام :
تأليف عمر رضا كحالة - الطبعة الثالثة ١٩٧٧ م.
- (٢١) الأغاني :
لابني الفرغ الأصفهاني - دار الفكر بيروت ١٩٧٠ - تصوير عن طبعة بولاق
الأصلية.

- (٢٢) الأمايلي:
لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.
- (٢٣) أمايلي المرتضي:
للشريف المرتضي علي بن الحسين العلوي - تحقيق أبو الفضل إبراهيم - مطبعة الحلبي ١٩٥٤م.
- (٢٤) امراء البيان:
محمد كرد علي - الطبعة الثالثة - مطابع دار الكتاب بيروت ١٩٦٩م.
- (٢٥) إنساب الاشراف:
لأحمد بن يحيى البلاذري - المجلد الثاني - طبعة بيروت ١٩٧٤م - الجزء الرابع - القسم الثاني - الناشر الجامعة العبرية - القدس - ١٩٣٨م - المجلد الخامس - الناشر الجامعة العبرية - ١٩٣٦م.
- (٢٦) بدائع السلك في طبائع الملك:
تأليف أبي عبدالله بن الأزرق تحقيق وتعليق الدكتور علي سامي النشار، منشورات وزارة الإعلام بالجمهورية العراقية ١٩٧٧م.
- (٢٧) البداية والنهاية:
لأبي الفداء الحافظ ابن كثير - دار الفكر - بيروت ١٩٧٨.
- (٢٨) برد الأكباد في الإعداد:
للشعالبي - مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٣١٧ أدب.
- (٢٩) البصائر والذخائر:
للتوحيد - تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني.
- (٣٠) بغداد في تاريخ الخلافة العباسية:
تأليف أبي الفضل أحمد بن طاهر الكاتب - مكتبة المثنى بغداد ١٩٦٨م.
- (٣١) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد:
تأليف عبدالرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن الربيع - تحقيق عبدالله الحبشي - مركز الدراسات والبحوث، اليمن - صنعاء.
- (٣٢) بلوغ الأرباب في لطائف العتاب:
لمحمد بن أحمد المقرئ - مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٤٤٣ أدب.
- (٣٣) بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس:
تأليف الإمام يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر - تحقيق محمد موسى الخولي - مراجعة عبدالقادر القط - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
- (٣٤) البيان والتبيين:

- للجاحظ - بيروت ١٩٦٨م.
- (٣٥) تاريخ ابن خلدون: (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر):
تأليف عبدالرحمن بن محمد بن خلدون - مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٩م.
- (٣٦) تاريخ ابن الوردي (تتمة المختصر في أخبار البشر):
لزين الدين عمر بن الوردي - تحقيق أحمد رفعت البدرائي - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٧٠م.
- (٣٧) تاريخ أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر):
للملك المؤيد عمادالدين إسماعيل أبي الفداء - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.
- (٣٨) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي:
تأليف الدكتور حسن إبراهيم حسن - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة السابعة ١٩٦٤م.
- (٣٩) تاريخ بغداد:
للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي - الطبعة الأولى - مكتبة الخانجي - القاهرة والمكتبة العربية بغداد ومطبعة السعادة مصر ١٩٣١م.
- (٤٠) تاريخ ثغر عدن:
تأليف أبي محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد بن محرمة مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندي والأهدل - مطبعة بريل - لندن ١٩٣٦م.
- (٤١) تاريخ الخلفاء:
للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - مطبعة السعادة - مصر - الطبعة الأولى ١٩٥٢م.
- (٤٢) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك):
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - الناشر مكتبة خياط - بيروت ١٩٦٥م.
- (٤٣) تاريخ العيني (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان):
تأليف العلامة الحافظ نورالدين أبو محمد المعروف بالعيني - مخطوط دار الكتب المصرية - رقم ح ٨٢٠٣.
- (٤٤) تاريخ غرر السير (المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم): المنسوب لأبي منصور الثعالبي - طبعة طهران ١٩٦٣م.
- (٤٥) تاريخ اليعقوبي:

- تأليف أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي - بيروت دار صادر.
- (٤٦) التبر المسبوك في نصائح الملوك:
- لأبي حامد الغزالي - مطروح على هامش سراج الملوك - المطبعة الأولى ١٣١٩هـ.
- (٤٧) تحفة الوزراء:
- للثعالبي - تحقيق حبيب علي الراوي - مطبعة العاني - بغداد ١٩٧٧م.
- (٤٨) التذكرة السعدية في الأشعار العربية:
- تأليف محمد عبدالرحمن العبيدي - تحقيق عبدالله الجبوري - مطابع النعمان - النجف الأشرف ١٩٧٢م.
- (٤٩) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن):
- لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - تحقيق محمود محمد شاكر - مراجعة أحمد محمد شاكر - الطبعة الثانية - دار المعارف - مصر.
- (٥٠) تفسير القرآن العظيم:
- للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير - طبعة عيسى الحلبي.
- (٥١) التفسير الكبير (تفسير فخرالدين الرازي):
- طبعة بالأوفست عن طبعة المطبعة العامرة الشرقية - دار الفكر - بيروت ١٩٧٨م.
- (٥٢) ت قريب التهذيب:
- لأحمد بن علي العسقلاني - تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف - دار المعرفة - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٥م.
- (٥٣) التمثيل والمحاضرة:
- لأبي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي - تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو - القاهرة ١٩٦١م.
- (٥٤) تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث:
- تأليف الشيخ الإمام العلامة عبدالرحمن بن علي بن محمد الشيباني الشافعي - الناشر دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.
- (٥٥) تهذيب الأسماء واللغات:
- للإمام النووي - المطبعة المنيرية - مصر.
- (٥٦) تهذيب تاريخ دمشق الكبير:
- تهذيب وترتيب عبدالقادر بدران - دار المسيرة - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- (٥٧) تهذيب التهذيب:
- لابن حجر العسقلاني - دار صادر - بيروت.
- (٥٨) توضيح المراد في شرح تجريد الاعتقاد:

- الطبعة الأولى - إيران ١٣٨١هـ.
- (٥٩) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب:
لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار
نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٦٥م.
- (٦٠) ثمرات الأوراق:
لابن حجة الحموي على هامش المستطرف - مطبعة الحلبي ١٩٥٢م.
- (٦١) الجامع الصحيح:
للإمام مسلم - مؤسسة الطباعة لدار التحرير للطبع والنشر - القاهرة ١٣٨٣هـ.
- (٦٢) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير:
للإمام السيوطي - الطبعة الرابعة - مطبعة الحلبي ١٩٥٤م.
- (٦٣) الجامع لأحكام القرآن: (تفسير القرطبي):
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - الطبعة الثالثة - دار الكتاب
العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧م.
- (٦٤) جمهرة خطب العرب:
تأليف أحمد زكي صفوت - الطبعة الثانية - مطبعة الحلبي ١٩٦٢م.
- (٦٥) جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة:
لأحمد زكي صفوت - مطبعة الحلبي - الطبعة الثانية ١٩٧١م.
- (٦٦) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغات العرب:
تأليف السيد أحمد الهاشمي - منشورات مؤسسة المعارف - بيروت.
- (٦٧) حياة الحيوان الكبرى:
للشيخ كمال الدين الدميري - دار الفكر - بيروت.
- (٦٨) الحيوان:
للجاحظ - تحقيق عبدالسلام هارون - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٥م.
- (٦٩) خاص الخاص:
لأبي منصور عبد الملك الثعالبي - بيروت ١٩٦٦م.
- (٧٠) الخراج:
للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم - المطبعة السلفية - القاهرة - الطبعة الرابعة
١٣٩٢هـ.
- (٧١) خلاصة الذهب المسبوك (مختصر سير الملوك):
تأليف عبدالرحمن سنبل الأريلي - تصحيح مكّي السيد جاسم - مكتبة المثنى -
بغداد.

- (٧٢) ديوان ابن الرومي :
تحقيق الدكتور حسين نصار - مطبعة دار الكتاب ١٩٧٦م .
- (٧٣) ديوان ابن المعتز :
شرح وتقديم ميشيل نعمان - الشركة اللبنانية للكتاب - بيروت ١٩٦٩م .
- (٧٤) ديوان ابن نباتة السعدي :
دراسة وتحقيق عبدالأمير مهدي حبيب - منشورات وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية ١٩٧٧م .
- (٧٥) ديوان الإمام علي أمير المؤمنين :
جمع وترتيب عبدالعزيز كرم .
- (٧٦) ديوان أبي تمام :
شرح وتعليق شاهين عطية - بيروت ١٩٦٨م .
- (٧٧) ديوان أبي العتاهية :
طبعة دار صادر للطباعة والنشر - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٤م .
- (٧٨) ديوان البحتري :
ضبطه بالشكل وعلق حواشيه رشيد عطية - المطبعة الأدبية - بيروت ١٩١١م .
- (٧٩) ديوان بشار بن برد :
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة .
- (٨٠) ديوان جرير :
تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه - دار المعارف ١٩٦٩ .
- (٨١) ديوان الحماسة :
لأبي تمام بشرح العلامة التبريزي - الطبعة الأولى - دار القلم - بيروت .
- (٨٢) ديوان الحماسة :
للبحثري - الوليد بن عبيد البحتري - دار الكتاب العربي - الطبعة الثانية - بيروت ١٩٦٧م .
- (٨٣) ديوان الخنساء :
المكتبة الثقافية - بيروت - لبنان .
- (٨٤) ديوان دعلج الخزاعي :
جمع وتحقيق عبدالصاحب عمران الدجيلي - الطبعة الثانية - دار الكتابة اللبنانية - بيروت ١٩٧٢م .
- (٨٥) ديوان زهير بن أبي سلمى :
المكتبة الثقافية - بيروت - لبنان ١٩٦٨م .

- (٨٦) ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد):
تحقيق وتعليق الدكتور سامي الدهان - الطبعة الثانية - دار المعارف - مصر
١٩٧٠م.
- (٨٧) ديوان طرفة بن العبد:
تحقيق درية الخطيب، لطفي الصقال - مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق
١٩٧٥م.
- (٨٨) ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات:
تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم - دار صادر للطباعة والنشر - دار بيروت
للطباعة والنشر ١٩٥٨م.
- (٨٩) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:
تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار الثقافة بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- (٩٠) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار:
للإمام محمود بن عمر الزمخشري - تحقيق الدكتور سليم النعيمي - مطبعة العاني -
بغداد ١٩٧٦م.
- (٩١) رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع:
جمع وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي - مطبعة الحلبي ١٩٤٦.
- (٩٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء:
لأبي حاتم محمد بن حبان - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الكتب
العلمية - بيروت ١٩٧٥م.
- (٩٣) زهر الآداب وثمر الألباب:
لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني - تحقيق علي محمد البيجاوي -
الطبعة الثانية - مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- (٩٤) سراج الملوك:
لأبي بكر محمد بن محمد الطرطوشي - الطبعة الأولى - المطبعة الأزهرية المصرية
١٣١٩هـ.
- (٩٥) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون:
تأليف جمال الدين ابن نباتة المصري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر
العربي - القاهرة ١٩٦٤م.
- (٩٦) سكردان السلطان:
لابن أبي حجلة - مطبوع مع المخلاة ١٩٧٩م.
- (٩٧) السلوك في طبقات العلماء والملوك:

- لبهاء الدين الجندي - مصور بدار الكتب المصرية رقم ٩٩٦ تاريخ .
- (٩٨) سلوك المالك في تدبير الممالك :
- تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد - دراسة وتحقيق ناجي التكريتي - بيروت ١٩٧٨ م .
- (٩٩) سنن ابن ماجه :
- للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي - طبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٥٢ م .
- (١٠٠) سنن أبي داود :
- للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث - راجعه وضبط أحاديثه الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد - دار إحياء السنة النبوية .
- (١٠١) سنن الترمذي :
- للإمام الحافظ محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق الأستاذ عبدالوهاب عبداللطيف - دار الفكر ١٩٧٨ م .
- (١٠٢) سنن الدارمي :
- للإمام أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي - أشرف على طباعته محمد أحمد دهمان - دار إحياء السنة النبوية .
- (١٠٣) السنن الكبرى :
- للإمام البيهقي أحمد بن الحسين بن علي البيهقي - دار الفكر - بيروت .
- (١٠٤) سنن النسائي :
- بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- (١٠٥) السياسة الشرعية في إصلاح الرعي والرعية :
- لتقي الدين ابن تيمية - دار الكتاب العربي - مصر - الطبعة الرابعة ١٩٦٩ م .
- (١٠٦) سير أعلام النبلاء :
- للحافظ الذهبي - الجزء الثالث - تحقيق محمد أطلس عسال - دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .
- (١٠٧) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم :
- لأبي محمد عبدالملك بن هشام مراجعة الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد .
- (١٠٨) شذرات الذهب في أخبار من ذهب :
- لابن العماد الحنبلي - طبعة بيروت - لبنان .
- (١٠٩) شرح الأصول الخمسة :
- للقاضي عبدالجبار - مطبعة الاستقلال - القاهرة ١٩٦٥ م .

- (١١٠) شرح الزرقاني على موطأ مالك:
دار المعرفة - بيروت ١٩٧٨.
- (١١١) شرح العقائد النسفية:
لسعد الدين التفتازاني - المطبوع مع مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد
النسفية - مطبعة كردستان العلمية - مصر ١٣٢٩هـ.
- (١١٢) شرح مطالع الأنظار:
لشمس الدين بن محمود الأصفهاني على متن طوالع الأنوار للقاضي البيضاوي -
المطبعة الخيرية - القاهرة ١٣٢٣هـ.
- (١١٣) شرح نهج البلاغة:
لابن أبي الحديد - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (١١٤) الشعر والشعراء:
لابن قتيبة - تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر - دار المعارف بمصر - ١٩٦٦م.
- (١١٥) شعر الوليد بن يزيد:
جمع وتحقيق الدكتور حسين عطوان - المطبعة الاقتصادية - عمان - الطبعة الأولى -
١٩٧٩م.
- (١١٦) شعر هدية بن الخشرم العذري:
جمع وتحقيق يحيى الجابوري - دمشق ١٩٧٦م.
- (١١٧) الشفاء في مواظب الملوك والخلفاء:
لابن الجوزي - تحقيق ودراسة الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ومراجعة محمد السيد
الصفطاوي.
- (١١٨) الشكوى والعتاب:
لأبي منصور الثعالبي: مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٦٧٣ أدب.
- (١١٩) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء:
لأحمد بن علي القلقشندي - نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية - المؤسسة العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- (١٢٠) صحيح البخاري:
لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري - مطابع الشعب ١٣٧٨هـ.
- (١٢١) الصداقة والصدق:
لأبي حيان التوحيدي - شرح وتعليق علي متولي صلاح - المطبعة النموذجية -
القاهرة ١٩٧٢م.
- (١٢٢) طبقات الشافعية الكبرى:

- تأليف تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي - تحقيق محمود محمد الطانجي وعبد الفتاح محمد الحلو - مطبعة الحلبي - الطبعة الأولى ١٩٦٤ م.
- (١٢٣) طبقات الشافعية للأسنوي:
- تأليف جمال الدين أبي محمد عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي - تحقيق عبدالله الجبوري - طبعة بغداد ١٩٧٠ م.
- (١٢٤) طبقات فقهاء اليمن:
- تأليف عمر بن علي بن سمرة الجعدي - تحقيق فؤاد سيد - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٩٥٧ م.
- (١٢٥) الطبقات الكبرى:
- لمحمد بن سعد - دار التحرير للطبع والنشر - القاهرة ١٩٦٨ م.
- (١٢٦) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين:
- تأليف أبي الطيب التقي الفاسي محمد بن أحمد الحسيني المكي - تحقيق محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٩٥٨ م.
- (١٢٧) العقد الفريد:
- تأليف أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي - تحقيق محمد سعيد العريان - دار الفكر - بيروت.
- (١٢٨) العقد الفريد للملك السعيد:
- تأليف الوزير محمد بن علي بن طلحة النصيصي الشافعي - مطبعة الوطن ١٣٠٦ هـ.
- (١٢٩) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية:
- تأليف علي بن الحسن الخزرجي - تصحيح وتنقيح الشيخ محمد بسيوني عسل - مطبعة الهلال - مصر ١٩١١ م.
- (١٣٠) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:
- تأليف ابن رشيق القرواني - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الجيل - بيروت - الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م.
- (١٣١) عهد أردشير:
- تحقيق الدكتور إحسان عباس - طبعة بيروت ١٩٦٧ م.
- (١٣٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود:
- للعامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أيادي - تحقيق وضبط عبدالرحمن محمد عثمان - مطابع المجد القاهرة - الناشر المكتبة السلفية المدينة المنورة - الطبعة الثانية ١٩٦٩ م.
- (١٣٣) عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة:

- تأليف أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل - مطبعة الحلبي ١٩٦٩ م.
- (١٣٤) عيون الأخبار:
- لابن قتيبة الدينوري - مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة - ١٩٢٥ م.
- (١٣٥) العيون والحدائق في أخبار الحقائق:
- مجهول المؤلف - نشر وتحقيق عمر السعدي - دمشق ١٩٧٢ م.
- (١٣٦) غرر الخصائص الواضحة و غرر النقائص الفاضحة:
- للشيخ برهان الدين إبراهيم المعروف بالطوط - المطبعة الأدبية المصرية ١٣١٨ هـ.
- (١٣٧) غياث الأمم في التيات الظلم:
- لإمام الحرمين الجويني - تحقيق ودراسة الدكتور مصطفى حلمي والدكتور فؤاد عبد المنعم - دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع.
- (١٣٨) الفاضل والكمال (وصايا الملوك):
- تأليف أبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء - مخطوط دار الكتب المصرية رقم ش ٢٣ أدب.
- (١٣٩) فتوح الشام:
- تأليف محمد بن عمر الواقدي - دار الجبل للنشر والتوزيع والطباعة - بيروت.
- (١٤٠) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية:
- تأليف محمد بن علي بن طباطبا - المعروف بابن الطقطقا - دار صادر - بيروت ١٩٦٦ م.
- (١٤١) الفرج بعد الشدة:
- تأليف القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي - تحقيق عبود الشالحي - دار صادر - بيروت ١٩٧٨ م.
- (١٤٢) الفصل في الملل والنحل:
- للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٥ م.
- (١٤٣) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد:
- تأليف فضل الله الجيلاني - المطبعة السلفية - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٣٨٨ هـ.
- (١٤٤) الفهرست:
- لابن النديم - طبعة لندن.
- (١٤٥) فوات الوفيات والذيل عليها:
- تأليف محمد بن شاکر الکتبي - تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار صادر - بيروت ١٩٧٣ م.
- (١٤٦) في ظلال القرآن:

- للأستاذ سيد قطب - الطبعة الأولى - مصطفى البابي الحلبي :
(١٤٧) القاموس المحيط :
- تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي - مطبعة الحلبي - الطبعة الثانية
١٩٥٢ م.
- (١٤٨) قوانين الوزارة :
علي بن محمد الماوردي - تحقيق ودراسة الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد والدكتور محمد
سليمان داود - المطبعة العصرية - الإسكندرية - ١٩٧٨ م.
- (١٤٩) كتاب الأمثال للثعالبي :
لأبي منصور الثعالبي - طبعة الحلبي - مصر.
- (١٥٠) الكامل في التاريخ :
لابن الأثير - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٦٧ م.
- (١٥١) الكامل في اللغة والأدب :
لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد - مكتبة المعارف - بيروت.
- (١٥٢) الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل :
تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري - طبعة طهران.
- (١٥٣) كيلة ودمنة :
وضع الفيلسوف الهندي وتعريب عبدالله بن المقفع - تحقيق مصطفى لطفي
المنفلوطي - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٦ .
- (١٥٤) كمال البلاغة (رسائل شمس المعالي قابوس بن وشمكير) :
تأليف عبدالرحمن بن محمد اليزدادي - بيروت .
- (١٥٥) كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق :
للإمام عبدالرؤوف المناوي على هامش الجامع الصغير - مطبعة مصطفى البابي
الحلبي - الطبعة الرابعة .
- (١٥٦) لباب الآداب :
تأليف الأمير أسامة بن منقذ - دار الكتب العلمية - بيروت .
- (١٥٧) اللباب في تهذيب الانساب :
تأليف عز الدين بن الأثير الجزري - دار صادر - بيروت .
- (١٥٨) اللباب في شرح الشهاب :
تصنيف أبو الوفاء مصطفى المراغي - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة .
- (١٥٩) اللطائف الطرائف واليوافيت في بعض المواقيت :
لأبي منصور الثعالبي - جمعها أحمد المقدسي - مطبعة محمد علي صبيح .

- (١٦٠) المبهج:
لأبي منصور الثعالبي - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١٧ أدب.
- (١٦١) المشابه:
لأبي منصور الثعالبي - تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي - مطبعة الحكومة - بغداد ١٩٦٧ م.
- (١٦٢) مجمع الأمثال:
لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥ م.
- (١٦٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:
للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - بتحريج الحافظين العراقي وابن حجر - دار الكتاب - بيروت.
- (١٦٤) المحاسن والأضداد:
للمجاهظ - تحقيق فوزي عطوي - الشركة اللبنانية للكتاب - بيروت ١٩٦٩ م.
- (١٦٥) مختار الصحاح:
تأليف الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- (١٦٦) المخلاصة:
لبهاء الدين محمد بن حسين العاملي - بيروت ١٩٧٩ م.
- (١٦٧) مروج الذهب ومعادن الجوهر:
تصنيف أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي - تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد - كتاب التحرير ١٩٦٦ م.
- (١٦٨) المستجاد من فعلات الأجواد:
لأبي علي المحسن بن علي التنوخي - نشر وتحقيق محمد كرد علي ١٩٧٠ م.
- (١٦٩) المستطرف في كل فن مستظرف:
تأليف شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي.
- (١٧٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل:
الطبعة الثانية - المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٨ م.
- (١٧١) مسند الحميدي:
تحقيق وتعليق الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي - عالم الكتب - بيروت - الناشر مكتبة المثنى - القاهرة ١٣٨٢ هـ.
- (١٧٢) مشكاة المصابيح:
مكتبة المثنى - القاهرة ١٣٨٢ هـ.

- تأليف الخطيب التبريزي - تحقيق محمد ناصرالدين الألباني - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- (١٧٣) المصباح المضيء في خلافة المستضيء:
لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي - تحقيق ناجية عبدالله إبراهيم - مطبعة الأوقاف - بغداد ١٩٧٦م.
- (١٧٤) المصباح المنير:
تأليف أحمد بن محمد بن علي المقرئ - المطبعة الأميرية - القاهرة - الطبعة السابعة ١٩٢٨م.
- (١٧٥) المعارف:
لأبن قتيبة الدينوري - صححه وعلق عليه محمد إسماعيل عبدالله الصاوي - الطبعة الثانية - بيروت ١٩٧٠م.
- (١٧٦) المعتزلة وأصول الحكم:
تأليف الدكتور محمد عمارة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧٧م.
- (١٧٧) معجم البلدان:
للشيخ شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- (١٧٨) معجم المؤلفين:
تأليف عمر رضا كحالة - دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- (١٧٩) مفاتيح العلوم:
تأليف محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي - دار الكتب العلمية - بيروت.
- (١٨٠) المقامات الأدبية:
لأبي محمد القاسم بن علي الحريري - طبعة ١٣٠٥هـ.
- (١٨١) مقدمة ابن خلدون:
طبعة دار الشعب - كتاب الشعب.
- (١٨٢) مقصورة ابن دريد:
لأبن دريد بشرح الخطيب التبريزي - تحقيق الدكتور فخرالدين قباوة - المكتبة العربية حلب - الطبعة الأولى ١٩٧٨م.
- (١٨٣) المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادها في النظام المتري:
تأليف فالتر هنتس - ترجمه عن الألمانية الدكتور كامل العسيلي - منشورات الجامعة الأردنية - عمان ١٩٧٠م.

- (١٨٤) الملل والنحل:
تأليف أبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني - تحقيق الأستاذ عبدالعزيز محمد
الوكيل - دار الاتحاد العربي للطباعة - الناشر مؤسسة الحلبي ١٩٦٨م.
- (١٨٥) منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال:
على هامش مسند الإمام أحمد بن حنبل - طبعة بيروت ١٩٧٨م.
- (١٨٦) منهاج السنة النبوية في نقص كلام الشيعة القدرية:
لابن تيمية - تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم - مطبعة المدني ١٩٦٢م.
- (١٨٧) الموشى (أو الظرف والظرفاء):
تأليف محمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء - طبعة بيروت ١٩٦٥م.
- (١٨٨) نثر الدرر:
للأبي - مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٢٢٨٠ أدب.
- (١٨٩) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:
تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي - الأتابكي - نسخة مصورة
عن طبعة دار الكتب.
- (١٩٠) نظام الحكم الإسلامي مقارناً بالنظم المعاصرة:
تأليف الدكتور محمود حلمي - دار الفكر العربي - الطبعة الثالثة ١٩٧٥م.
- (١٩١) النظام السياسي في الإسلام:
للدكتور محمد عمارة.
- (١٩٢) النظريات السياسية الإسلامية:
للدكتور محمد ضياء الدين الرئيس - الطبعة السادسة ١٩٧٦م.
- (١٩٣) نهاية الأرب في فنون الأدب:
تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري - نسخة مصورة عن طبعة دار
الكتب - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- (١٩٤) الوزراء والكتاب:
تصنيف أبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشاري - تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم
الأياري، عبد الحفيظ شلبي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الأولى
١٩٣٨م.
- (١٩٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:
لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان - تحقيق الدكتور إحسان
عباس - بيروت ١٩٧٨م.
- (١٩٦) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر:
لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٩م.

فهرس محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة
---------	--------

المقدمة

القسم الدراسي

التمهيد:

١٥	— الحالة السياسية في عصر الإمام محمد بن علي القلعي (المؤلف)
٢٥	— الحالة العسكرية والإدارية والاقتصادية لعصر المؤلف
٢٨	— الحالة الفكرية والعلمية (الفقه في اليمن)
٣١	— علاقة اليمن بالخلافة العباسية

الباب الأول

٣٧	الفصل الأول: ترجمة الإمام أبو عبدالله محمد بن علي القلعي ثم اليمني وتحقيق نسبته
٤٤	مذهب الإمام القلعي (المؤلف)
٤٦	الفصل الثاني: شيوخ المؤلف وأقرانه
٤٧	وفاة الإمام القلعي (المؤلف)
٤٨	تلاميذ المؤلف وتلاميذ تلاميذه
٥٢	الفصل الثالث: مؤلفات الإمام القلعي

الباب الثاني

٥٧	الفصل الأول: نسبة الكتاب إلى مؤلفه
----	--

الموضوع	الصفحة
عرض النسخ الموجودة في المكتبات الإسلامية	٥٧
الفصل الثاني: طريقة التحقيق	٦٠
الفصل الثالث: منهج الكتاب وأسلوبه	٦٤
أهمية الكتاب في الحياة العلمية والسياسية	٦٦
القسم التحقيقي	
مقدمة المؤلف لكتابه تهذيب الرياسة وترتيب السياسة	٧١
باب في ذكر وجوب الإمامة والاحتياج إلى السلطان	٧٤
باب في ذكر الوالي العادل وما له من الأجر والوالي الجائر وما عليه من الوزر	٩٨
باب في ذكر ما يجب على الرعية للولاء من الطاعة	١٠٦
باب في ذكر ما يجب أن يتصف به الملك من الطرائق الجميلة	١١٩
باب فيما يجب على السلطان من حسن السياسة وما يلزمه من الصيانة للرعية والحراسة	١٢٨
باب في اختيار الوزراء والعمال وذكر ما يجب أن يتصفوا به	١٣٤
باب في ذكر الولاية والعمل وما يتصل بهما من المدح والذم وما يتعلق بهما من العز والذل في حالتي الولاية والعزل	١٤٤
باب في مصاحبة الملوك ومخالطتهم وكيفية التحرز منهم في حال مجالستهم	١٥١
باب في اختيار الأجناد والحماة ووصف الأبطال منهم والكفاءة	١٧٠
باب في مدح الاستشارة ودم الاستبداد بالرأي	١٧٥
باب في مدح العدل وإيثاره ودم الجور وإثاره	١٨٩
فصل في ذكر البغي	١٩٩
باب في ذكر العفو ومدح مستعمله والانتقام ومحل استعماله	٢٠١
فصل في أسباب الانتقام وتعجيل العقوبة	٢١٠
فصل في الانتقام ممن يجوبه العفو على اقتحام الجرائم والآثام	٢١٤
باب في ذكر الأناة ودم العجلة في الأمور	٢٢٠
فصل في المقصود من الأناة هو الاستظهار والاستبصار والنظر في العواقب	٢٢٣
باب في إثارة السلم والموادعة على الحرب والمنازعة وكيفية الدخول في الحرب عند الحمل عليها والاضطرار إليها	٢٢٥
فصل في من ابتلي بعدو كيف يعمل	٢٢٩
فصل في العدو الذي لا يرجى صلاحه وكيفية العمل معه	٢٣٣
فصل في أهمية الخزم والنظر في العواقب	٢٣٦

الموضوع	الصفحة
فصل في انتهاز الفرصة من العدو	٢٤٠
باب في ذم الحجاب بين الرعية وسلطانها	٢٤٧
القسم الثاني من تهذيب الرياسة وترتيب السياسة في مناقب الخلفاء والوزراء والعمال والأمراء الدالة على مناقبهم وارتفاع مراتبهم	
الكلام على خلافة معاوية بن أبي سفيان وحلمه ومآثره وأعماله ووصاياه	٢٥٣
ذكر سياسة زياد بن سمية في ضبط الأمور	٢٦٤
الكلام على خلافة يزيد بن معاوية	٢٦٨
الكلام على خلافة عبدالله بن الزبير وقتال مصعب بن الزبير للمختار بن عبيد الثقفي	٢٧٤
الكلام على خلافة عبدالملك بن مروان وأعماله وعماله	٢٧٩
ذكر سياسة الحجاج في الحجاز والعراق	٢٨٦
الكلام على خلافة الوليد بن عبدالملك بن مروان	٢٨٨
الكلام على خلافة سليمان بن عبدالملك وإحسانه إلى الرعية واستخلافه عمر بن عبدالعزيز	٢٩٣
الكلام على خلافة عمر بن عبدالعزيز وعدله وورعه وتقشفه وعفته عن مال الرعية	٢٩٧
الكلام على خلافة هشام بن عبدالملك	٣٠١
الكلام على خلافة الوليد بن يزيد وذكر شيء من أشعاره ومعاربته لابن عمه يزيد بن الوليد	٣٠٦
الكلام على آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد ومقتله	٣١٠
الكلام على خلافة السفاح أول ملوك العباسيين ومآثره وسيرته في رعيته وذكر بعض خطبه	٣١٢
الكلام على خلافة المنصور وحزمه وأعماله وعماله وتوجيهاته وذكر بعض خطبه	٣١٥
الكلام على خلافة المهدي	٣٢٥
ذكر شيء من مناقب معن بن زائدة الشيباني	٣٣١
الكلام على خلافة هارون الرشيد وسيرته وسيرة وزرائه من البرامكة وكرمهم وإحسانهم إلى الشعراء ثم نكبتهم لهم	٣٣٤
الكلام على خلافة المأمون وحكمته وعلمه وعدله وذكر بعض خطبه ومناقبه وأشعاره	٣٤٨
الكلام على خلافة المعتصم وفتوحاته وشجاعته ونجدته ومآثره	٣٦٨
الكلام على الواثق وكرمه وإحسانه	٣٨٢

الموضوع	الصفحة
الكلام على خلافة المتوكل	٣٨٦
الكلام على الدولة العلوية بطبرستان	٣٩١
فهرس الآيات القرآنية	٣٩٧
فهرس الأحاديث النبوية	٤٠٢
فهرس الأعلام المترجم لهم بالرسالة	٤٠٧
فهرس البلدان	٤١٢
فهرس القوافي والأشعار	٤١٥
فهرس المراجع	٤٢٠
فهرس المحتويات	٤٣٧





